

إحقاق الحق

العلامة الكبير

الميرزا موسى بن الميرزا محمد باقر الحائري الإحقاقي الأسكوي

١٢٧٩هـ - ١٣٦٤هـ

تقديم

توفيق ناصر البوعلي

التحقيق تحت إشراف

مؤسسة الإحقاقي

الجزء الأول

الناشر

مؤسسة الإحقاقي للطباعة والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيّد الكائنات
أجمعين سيدنا ونبيّنا محمد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين ، واللعن
الدائم على أعدائهم أجمعين من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين .
قال الله تبارك وتعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ...﴾^(١) .

الحكمة التي ذكرها الله تبارك وتعالى في هذه الآية وغيرها مأخوذة
من الوحي ، وكان شيث بن آدم على محمد وآله وعليهما السلام نشرها ،
وأخذ في تقريرها على ما يأتيه الوحي فيها ، إلى زمن إدريس على محمد
 وآله وعليه السلام ، فدوّنها وبحث فيها على طريقة الوحي من الله تعالى ،
وتلقاها الحكماء عن الأنبياء عليهم السلام^(٢) ، وهي التي من أتاه الله
إياها أوتي خيراً كثيراً ، قال عز وجل : ﴿... وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾^(٣) ، لأنها من أهم العلوم للعباد ، وهي التي يكون بها
الإنسان إنساناً كاملاً^(٤) ، وتصيغه صياغة إلهية ربانية توحيدية التي من
أجلها خلّق ، وهي معرفة الله عز وجل وعبادته .

(١) سورة النحل ، الآية : ١٢٥ .

(٢) جوامع الكلم ج ١ ، ط ١ ، ص ٣٦١ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٩ .

(٤) قال الإمام أمير المؤمنين علي صلوات الله وسلامه عليه (من صفّي مزاجه اعتدلت =

كيف وصلت الفلسفة الغير إسلامية ؟

وصلت الفلسفة^(١) اليونانية وغيرها إلى المسلمين من خلال ترجمة كتب الفلاسفة اليونانيين ، وقد بدأت بشكل بسيط في العهد الأموي ، وقويت في العهد العباسي حتى أصبحت في عهد المأمون العباسي

= طبائعه . ومن اعتدلت طبائعه قوي أثر النفس فيه . ومن قوي أثر النفس فيه سما إلى ما يرتقيه . ومن سما إلى ما يرتقيه تخلق بالأخلاق النفسانية ، وأدرك العلوم اللاهوتية . ومن أدرك العلوم اللاهوتية صار موجوداً بما هو إنسان ، دون أن يكون موجوداً بما هو حيوان ، ودخل في باب المُلُكي الصوري ، وما له عن هذه الغاية معبر الصراط المستقيم ج ١ ص ٢١٤ .

(١) كلمة (فلسفة) معربة من (فيلاسوفيا) ، ومعناها (حب الحكمة) ، وكلمة (فيلسوف) معناها (محب الحكمة) ، وهذا اصطلاح يوناني . والقرآن الكريم لم يرد في آياته المباركة هذه اللفظة . وأما روايات أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام لم ترد هذه اللفظة في كلماتهم إلا نادراً جداً ، وورودها هذا سببه سؤال الغير كما في الرواية حينما قال الدهقان لأمير المؤمنين علي عليه أفضل الصلاة والسلام : [. . . ما رأيت أعلم منك ، إلا أنك ما أدركت علم الفلسفة ، فقال عليه السلام : (من صفي مزاجه اعتدلت طبائعه . ومن اعتدلت طبائعه قوي أثر النفس فيه . ومن قوي أثر النفس فيه سما إلى ما يرتقيه . ومن سما إلى ما يرتقيه تخلق بالأخلاق النفسانية ، وأدرك العلوم اللاهوتية . ومن أدرك العلوم اللاهوتية صار موجوداً بما هو إنسان ، دون أن يكون موجوداً بما هو حيوان ، ودخل في باب المُلُكي الصوري ، وما له عن هذه الغاية معبر . . .)] الصراط المستقيم ج ١ ص ٢١٤ . ولو لاحظت في كلامه عليه أفضل الصلاة والسلام لم يأت بلفظ (فلسفة) ، والتعريف الذي ذكره عليه أفضل الصلاة والسلام هو تعريف (الحكمة) . وقد وردت كلمة (حكمة) في القرآن الكريم في عشرين آية مباركة ، منها قوله تعالى : ﴿ . . . وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ ، وفي آية أخرى : ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [البقرة : ١٢٩] وغيرها من الآيات الكثيرة . فلهذا التعبير بـ (الحكمة) أو (مدارس الحكمة) أولى من (الفلسفة) أو (مدارس الفلسفة) .

مؤسسة ذات شأن عظيم ، وهي التي سُميت بدار الحكمة ، وكانت في البدء عبارة عن خزانة كتب تُجمع فيها الكتب اليونانية وغيرها ، التي ظفر بها المسلمون في فتوحاتهم للمدن البيزنطية ، ثم تحولت في عهد المأمون إلى دارٍ للعلم ، حيث جلب إليها المأمون الكتب من (يشيل وقبرص وبلاد الروم) ووظف فيها جمعاً من الرجال بصفتهم باحثين أو نُساخاً أو مترجمين ، ومن أشهر فلاسفة اليونان الذين تمت ترجمة كتبهم : (فيثاغورث وسقراط وأرسطو طاليس وثاوفرسطس) .

وكان من أهداف ترجمة تلك الكتب هو ضرب حكمة أهل البيت عليهم السلام وطرح بديلٍ عنها ، ومن أدلة ذلك قيام المأمون بإحضار أصحاب الرأي والأديان والفرق من يهود ونصارى ومتكلمين وصابئين ومجوس وزرداشتيين وغيرهم ، كان يحضرهم في مجلسه ، ويعقد جلسات مناظرة لهم مع الإمام الرضا عليه أفضل الصلاة والسلام ، وكان هدفه من ذلك انقطاع الإمام علي الرضا عليه الصلاة والسلام عن الحجة مع واحد من هؤلاء .



بعض الأخطاء في الفكر الفلسفي لدى فلاسفة المسلمين

وقع الفلاسفة المسلمون في أخطاء فادحة في العقيدة ، وذلك لأنهم رجعوا إلى عقولهم الناقصة ، وإلى آراء الفلاسفة اليونانيين والفرس ، وقدموا آراءهم على القرآن وسنة النبي صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين ، وتركوا ما جاء به القرآن الكريم والنبي صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين ، وقاسوا الخالق بالمخلوق ، وإليك كتبهم اقرأها

تجدهم ينقلون عن : ثالس ، وفيثاغورث ، وسقراط ، وأفلاطون ، وأرسطاطاليس وغيرهم ، وقد قال الملا صدرا رحمه الله تعالى عنهم : (واعلم : أن أساطين الحكمة المعتبرة عند طائفة ثمانية : ثلاثة من الملطيين : ثالس ، وانكسيمانس ، وأغاثاذيمون ، ومن اليونانيين خمسة : أنباذقلس ، وفيثاغورث ، وسقراط ، وأفلاطون ، وأرسطاطاليس قدّس الله نفوسهم ، وأشركنا الله في صالح دعائهم وبركتهم ، فلقد أشرقت أنوار الحكمة في العالم بسببهم ، وانتشرت علوم الربوبية في القلوب لسعيهم ، وكل هؤلاء كانوا حكماء زهاداً عبّاداً متألّهيّن ، معرضين عن الدنيا ، مقبلين على الآخرة ، فهؤلاء يُسمّون بالحكمة المطلقة ، ثم لم يُسمَّ أحد بعد هؤلاء حكيماً) ^(١).

بل تجد عند بعضهم تمجيذاً وتقديساً لآراء زعيم الصوفية - مميت الدين - ابن عربي .

هذا بالإضافة إلى تأويلهم النصوص الدينية على حسب ما تتوافق معه آراؤهم الفلسفية .

كلّ تلك الأمور قد أوقعت فلاسفة المسلمين في أخطاء فادحة ، ومن تلك الأخطاء :

١ / القول بقدّم الإرادة ، وقد نصت الآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة على حدوثها . انظر الكافي للشيخ الكليني رضوان الله تعالى عليه

(١) الأسفار الأربعة ج ٥ ، الفن الرابع (في إثبات الطبائع الخاصة للأجسام) ص ١٥٧ ، فصل (٣) : في أن القول بحدوث العالم مجمع عليه بين الأنبياء والحكماء ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

تجد باباً عنوانه : (الإرادة أنها من صفات الأفعال وسائر صفات الفعل) ، ومحادثة الإمام علي الرضا عليه الصلاة والسلام مع سلمان المروزي .

٢ / القول بنظرية وحدة الوجود بين الخالق والمخلوق ، وهي مخالفة صريحة لسورة التوحيد .

٣ / القول بنظرية وحدة الوجود .

٤ / القول بنظرية الفيض التي تنص على أن الذات مفيضة بذاتها على الخلق .

٥ / التكلم في الصفات الذاتية من قبيل الكلام حول كيفية تعلق علم الله القديم بالمخلوقات .

٦ / القول بأن التنعم في الجنة هو تنعم معنوي .

٧ / القول بأن مآل العذاب في النار إلى التنعم في الجنة .

٨ / القول بإيمان فرعون .

٩ / إنكار المعاد الجسماني تمسكاً منهم بامتناع إعادة المعدوم .

١٠ / تخطيهم في مسألة العلم الإلهي ، وذهاب بعضهم إلى القول بالمثل في الذات وغيرها من الأقوال .

والعلة والسبب في وقوعهم في هذه الأخطاء هو :

أنهم استخدموا أدوات الفلسفة نفسها وهي : المنطق الأرسطي والمنهج الجدلي ، فأرادوا استخدام أسلحتهم ضدّهم وكانت الفلسفة أقدر على استخدام سلاحها منهم ، وبتعبير آخر : إن من سلّم بالمنهج الخاطيء كان عليه أن يسلم بالآراء الخاطئة التي يفرزها ذلك المنهج .

قال الأوحـد الشـيخ أحمد الأحسائي في نقده للمنطق :

(. . . إن معرفة الله سبحانه ومعرفة الأشياء كما هي في أصل البدء ، لا يُنال شيءٌ من ذلك بالقوانين المنطقية ، لأن المنطق مبنيٌّ على مدارك عقولهم الاكتسابية ، وعلى ما يفهمون من دلالة الألفاظ ، والألفاظ وضعها الله سبحانه وتعالى بعلمه ، كما أطلع عليها أهل العصمة عليهم السلام ، وقد أخبروا أنها على سبعين وجهاً . . .) .

واللغة التي يتعاطاها الناس ، وبُني عليها علم المنطق وجهٌ واحدٌ من سبعين ، فكيف يكون عقلٌ أسسوا مداركه على وجه واحد من سبعين يَعْرِف شيئاً أصله مبنيٌّ على سبعين وجهاً ؟ . . .)^(١) .

ويقول الشيخ عن هذه القوانين المنطقية : إنها لا توصل إلّا إلى عالم الصور والمعاني^(٢) ، ولا توصل إلى معرفة الأشياء كما هي^(٣) .

وبعد دخول الفلسفة إلى الوسط الإسلامي وانتشار أفكارها جاء بعض العلماء بفكرة التوفيق بين الدين والفلسفة ، أو بين العقل والنقل ، وهذا على حسب رأيهم وإيمانهم بالفلسفة .

إلّا أن الشيخ الأحسائي كان له انطباع خاص عن الفلسفة يتلخص في التالي :

١ / يرى الشيخ الأحسائي أن روّاد الفلسفة القدامى من اليونانيين وغيرهم ليسوا بمعصومين حتى يسلم للأخذ منهم بدون مناقشة .

(١) شرح المشاعر ج ١ ص ٧٣ .

(٢) شرح الفوائد ص ١١ .

(٣) شرح الفوائد ص ١٢ .

٢ / كذلك يرى أن الفلسفة أثناء ترجمتها من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية وقع المترجمون في أخطاء غيّرت الكثير من الأفكار الفلسفية ، بسبب جهل المترجمين بالفلسفة .

٣ / كذلك يرى الشيخ الأحسائي أنّ كثيراً من المتأثرين بالفلسفة من علماء الشيعة لم ينقادوا للقرآن والسنة ، فقاموا بتأويل الكثير من النصوص الصريحة عن أهل البيت عليهم السلام بما يوافق نهجهم ومذاقهم .

لذلك شيخنا لم يؤمن بالمقولة التي تنص على أن (الفلسفة الأخت الرضيعة للدين) فهو يرى أن الفلسفة خاضت بحراً عميقاً ، وهي ليست من السفن التي يُسار بها في معرفة الحقائق الدينية والغيبية ، لذلك قام الشيخ بعملية هدم جذرية ومناقشة كاملة للمباني الفلسفية ، ويتضح ذلك جلياً عبر الرسائل التي كتبها في هذا المجال وعلى رأسها (شرح كتاب المشاعر وكتاب شرح العرشية) للملا صدرا رحمه الله ، وقد ناقش الشيخ الأفكار الفلسفية نقاشاً علمياً تخصصياً .

فتأسست مدرسة عظيمة غيّرت المسلك المتبع ، طبق مدرسة أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام ، وأحيت آثار القرآن الكريم ، والروايات الشريفة .

قال الفيلسوف الفرنسي الدكتور هنري كوربان ، أستاذ الدراسات العليا في جامعة السوربون في كتابته عن الشيخ أحمد الأحسائي : (ومع كلّ ذلك فبإمكانني أن أشهد باعتباري فيلسوفاً ذا باع طويل في المطالعة والدراسة وطول التجربة أن لهذه المدرسة أهمية قصوى لكلّ راغب في الحكمة المعنوية ، ولكلّ محقق في الفلسفة الدينية) .

ويقول أيضاً : [ولهذا يبدو من الأصوب والأفضل إطلاق اسم (المدرسة التكاملية) عليها ، واستخدام هذه الكلمة لبيان خصائصها (التكاملية) التي نقصدها هنا تعني : التمسك بأصول العقائد والشرائع ، مع الرعاية التامة للآفاق الروحية والمعنوية المنسجمة مع الشريعة ، والمشروطة بالاعتقاد بالمذهب الإمامي ، الذي يُراد به هنا (التشيع الكامل) ، الذي لا يعني - اصطلاحاً - إلا تصديق المعنى اللغوي لكلمة الشيعة ، والذي يُقصد به في الواقع المؤمنون بالأئمة الأطهار ، والواقفون على أسرارهم] .

فكان بحق هو مجدد للحكمة الإلهية في تلك المئة ، وهي المئة الثالثة عشرة ، حيث كان لكل قرنٍ مجدد كما ورد ، وكما قال السيد كاظم الرشتي أعلى الله مقامه : (بعد انتهاء دورة تجديد الظواهر ، بدأت دورة تجديد البواطن ، فكان أول مجدد هو الشيخ أحمد ابن الشيخ زين الدين الأحسائي أعلى الله مقامه) .

لكن هذه المدرسة - بعد ما انتشرت في عالم التشيع - أيام الشيخ وما بعده واجهت حرباً ، مما أدى إلى تفسير كلمات الشيخ إلى غير معناها ، وبعضهم غيّر العبارات ، والبعض الآخر حذف بعض العبارات وترك البعض الآخر ، فشوهوا الحقيقة ، وغيّروا المعنى ، مما أدى إلى التباس الأمر على الكثير .

والشيخ أحمد نفسه بيّن في بعض رسائله مراده ردّاً على بعض التساؤلات في (المعاد) ، وكذلك تلامذته ألفوا كُتُباً في الدفاع عن أستاذهم ، كابنه الشيخ علي نقي ألف رسالة في (المعاد) ردّاً على المعارضين .

والسيد كاظم الرشتي ألف عدة كتب منها : (دليل المتحيرين والحجة البالغة وكشف الحق) وغيرها .

والميرزا حسن كوهر أيضاً ألف في الدفاع عن أستاذه (شرح حياة الأرواح) .

والشيخ إسماعيل بن أسد الله الكاظمي ألف رسالة (دفاع عن الشيخ) .

والميرزا غلام حسين معتمد الإسلام التبريزي كتب (نزهة الأفكار) .

والسيد هاشم السلطان الأحسائي له رسالة في الدفاع عن الشيخ .

والميرزا علي الحائري الإحقاقي كتب (عقيدة الشيعة) .

والشيخ حبيب بن قرين الأحسائي كتب (بطلان دعوى وحدة الناطق من كتب الشيخ والسيد) .

والميرزا حسن الحائري الإحقاقي ألف عدة كتب منها (منهج الرشد وحل مشكلات شرح الزيارة) .

والميرزا عبد الرسول الحائري الإحقاقي كتب (الحجة البالغة وتوضيح التوضيحات) . وغيرهم أعلى الله مقامهم .

ومن تلك الكتب (تنزيه الحق) بالفارسية ، و (إحقاق الحق) بالعربية - الكتاب الذي بين أيدينا - للميرزا موسى الحائري الإحقاقي أعلى الله مقامه ، وهذا الكتاب من أعظم الكتب التي ألفت للدفاع عن الشيخ أحمد الأحسائي ، وفيه بين المؤلف أعلى الله مقامه بشكل واضح ، وضوح الشمس في رابعة النهار كلمات الشيخ ، والمعنى المراد منها في جميع الاعتراضات التي أوردوها ، والشبهات التي سطروها ، بحيث لم يبق لأحد شك أبداً .

وهذا الكتاب فيه اثنتا عشرة مقالة ، كل مقالة تحمل عنواناً من تلك الاعتراضات على الشيخ ، وقد بدأ المؤلف بمقالة (المعاد) لأهميتها ، كما ذكر أعلى الله تعالى مقامه .

وقد طُبع هذا الكتاب عدة طبعات :

الأولى عام ١٣٤٣هـ ، بالمطبعة العلوية بالنجف الأشرف .
 الثانية عام ١٣٨٥هـ ، بمطبعة النعمان بالنجف الأشرف .
 الثالثة عام ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م ، بمطابع صوت الخليج في الكويت .
 الرابعة عام ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م ، منشورات جامع الإمام الصادق بالكويت .

الطبعة الخامسة التي بين أيدينا محققة ومنقحة ، وفيها :

١ / وضعت عناوين رئيسية لكل فصل من فصول كل مقالة .
 ٢ / وضعت عناوين فرعية للمطالب التي في كل فصل .
 ٣ / وضعت ترجمة مختصرة للشيخ أحمد ابن الشيخ زين الدين الأحسائي .
 ٤ / ترجمة المؤلف بقلم ابنه العلامة الميرزا علي الحائري الإحقيقي أعلى الله مقامهما .

٥ / استخرجت سور الآيات وأرقامها ، ومصادر الروايات .

٦ / طُبع في مجلدين كبيرين .

٧ / وضعت فهرس مفصلة .

توفيق ناصر البوعلي

الهفوف - الأحساء

٢٠ / ١٢ / ١٤٣٥هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ترجمة مختصرة للشيخ أحمد الأحسائي

نسبه

هو الشيخ أحمد ابن الشيخ زين الدين بن إبراهيم بن صقر بن إبراهيم ابن داغر بن رمضان بن راشد بن دهيم بن شمروخ آل صقر المهاشير . (نسبة إلى جبل في تهامة اسمه ميشور ، وهو من رهط بني خالد ، وبنو خالد من تهامة ، وهي تنتمي إلى قريش أشرف العرب نسباً ، وكانت بنو خالد تسكن جبل ميشور) ، إذن الشيخ أحمد من صميم العرب ومعدن الشرف من حيث النسب^(١).



ولادته

ولد رحمه الله تعالى في الأحساء في قرية (المطيرفي) في شهر رجب سنة ١١٦٦ هـ .

قال الشيخ الأوحدي في ترجمته لنفسه متحدثاً عن أحواله في طفولته :

(١) الدين بين السائل والمجيب للعبد الصالح الميرزا حسن الحائري الإحفاقي قدس سره ج ١ ص ١٠٩ طبعة بيروت .

(... قرأت القرآن وعمري خمس سنين ، وكنت كثير التفكير في حالة طفولتي ، حتى أنني إذا كنت مع الصبيان ألعب معهم كما يلعبون ، ولكن كل شيء يتوقف على النظر أكون فيه مقدمهم وسابقهم ، وإذا لم يكن معي أحد من الصبيان أخذت في النظر والتدبر ، وأنظر في الأماكن الخربة والجدران المنهدمة ، أتفكر فيها وأقول في نفسي : هذه كانت عامرة ثم خربت ، وأبكي إذا تذكرت أهلها وعمرانها بوجودهم ، وأبكي بكاءً كثيراً وكانت هذه حالتي إن كنت مع الصبيان في لعبهم فأنا مشتغل باللعب معهم ، وإن كنت وحدي فأنا أتفكر وأتدبر)



أولاده

أولاد الشيخ هم : الشيخ محمد تقي والشيخ علي نقي والشيخ عبد الله^(١) ، والشيخ حسن^(٢) .

الشيخ محمد تقي مات في زمن والده رحمهما الله . وأما الشيخ علي نقي عاش بعد والده خمس سنوات و (١١) يوماً ، وكذلك الشيخ عبد الله والشيخ حسن عاشا بعد والدهما .

أولاد الشيخ كلهم كانوا على منهاج والدهم ، وهم علماء وحكماء وأتقياء^(٣) .



(١) عقيدة الشيعة ص ٧١ ، والدين بين السائل والمجيب ج ١ ص ١١١ .

(٢) أعلام هجر ج ١ ص ١٧٠ ، وكذلك في رسالة كتبها ابنه الشيخ عبد الله .

(٣) الدين بين السائل والمجيب ج ١ ص ١١١ .

أسرة الشيخ أسرة علمية

لم يكن الشيخ الأوحد العالم الوحيد في أسرته ، بل إن أسرته تُعدّ أسرة علمية ، فأبوه كان عالماً كما أشار إلى ذلك عدة علماء ، وكذا أبناؤه الأربعة : الشيخ محمد تقي والشيخ علي نقي والشيخ عبد الله والشيخ حسن ، وأخوه الشيخ صالح ، وابن أخيه الشيخ زين الدين علي ، وحفيده الشيخ يوسف بن الشيخ حسن بن الشيخ أحمد .

وأما باقي آبائه : فجده (إبراهيم) ذكره الميرزا محمد باقر الخوانساري أعلى الله تعالى مقامه في ذكره لنسب الشيخ بـ (الشيخ إبراهيم) في كتابه (روضات الجنات) .

وأما جده الرابع (داغر) ففي قرية المطيرفي مسجد يقال له : (مسجد الشيخ داغر) ، والله أعلم لماذا سُمي بهذا الاسم ؟ وأما البقية ليس هناك شيء يُذكر في حقهم ، والله العالم .



مشايخه في الإجازة

- ١ / الشيخ أحمد الدمستاني البحراني^(١) قدس الله نفسه .
- ٢ / السيد ميرزا محمد مهدي الشهرستاني^(٢) قدست روحه .

(١) الشيخ أحمد ابن الشيخ حسن الدمستاني البحراني ، من فقهاء علماء عصره وأدبائها ، أخذ قراءة وروى إجازة عن أبيه ، وعن صاحب الحقائق الشيخ يوسف البحراني ، وقد أجاز الشيخ في عام ١٢٠٥ هـ .

(٢) السيد محمد مهدي الشهرستاني عالم كبير من فقهاء كربلاء ، كانت له مكانة كبيرة و قدسية لورعه وزهده ، توفي عام ١٢١٦ هـ ، أجاز الشيخ في عام ١٢٠٩ هـ .

- ٣ / الشيخ جعفر ابن الشيخ خضر النجفي ^(١) قدس الله سره .
- ٤ / السيد مهدي الطباطبائي بحر العلوم ^(٢) قدس الله سره .
- ٥ / الشيخ حسين آل عصفور البحراني ^(٣) قدس الله روحه .
- ٦ / السيد علي الطباطبائي ^(٤) قدس الله نفسه .
- ٧ / الشيخ موسى كاشف الغطاء ، المتوفى عام ١٢٤١هـ ، ابن الشيخ جعفر الجناحي النجفي صاحب كتاب (كشف الغطاء) - الذي أجاز الشيخ أيضاً - وقد مرّ ذكره ^(٥) .
- ٨ / الشيخ أحمد ابن الشيخ محمد آل عصفور البحراني ، شقيق الشيخ حسين آل عصفور البحراني المتقدم ذكره ^(٦) .
- ٩ / الشيخ محمد ابن الشيخ حسين بن أحمد بن عبد الجبار القطيفي ^(٧) .

- (١) الشيخ جعفر ابن الشيخ خضر النجفي ، صاحب (كشف الغطاء) من أعظم علماء الشيعة ، انتهت إليه الزعامة الدينية ، توفي عام ١٢٢٧هـ ، أجاز الشيخ في عام ١٢٠٩هـ .
- (٢) السيد محمد مهدي ابن السيد مرتضى بن محمد ، ولد عام ١١٥٥هـ ، من كبار علماء عصره وأعظم الفقهاء ، انتهت إليه المرجعية في زمانه ، توفي عام ١٢١٢هـ ، أجاز الشيخ في عام ١٢٠٩هـ .
- (٣) الشيخ حسين آل عصفور البحراني من علماء عصره ومشاهيرهم وأجلائهم ، ولد عام ١١٤٧هـ ، وتوفي عام ١٢١٦هـ ، أجاز الشيخ في عام ١٢١٤هـ .
- (٤) هو السيد علي ابن السيد محمد علي بن أبي المعالي الصغير بن أبي المعالي الكبير الأصفهاني الطباطبائي ، صاحب كتاب (رياض المسائل) أحد الفقهاء العظام والعلماء الكبار ، ولد عام ١١٦١هـ ، وتوفي عام ١٢٣١هـ .
- (٥ - ٧) أعلام هجر للسيد هاشم الشخص عن أنوار البدرين للشيخ علي البحراني ، ج ١ ص ١٥٣ .

تلامذته

الذين تتلمذوا عند الشيخ كُثُر ، والذين بلغوا الاجتهاد أكثر من مئة عالم^(١)، منهم :

- ١ / السيد كاظم الرشتي .
- ٢ / المولى الميرزا حسن الشهير بكوهر .
- ٣ / الميرزا محمد المامقاني الملقب بحجة الإسلام .
- ٤ / الشيخ شفيع التبريزي .
- ٥ / الشيخ إبراهيم بن عبد الجليل .
- ٦ / السيد أبو القاسم بن محمد حسين التنكابني .
- ٧ / المولى آغا القزويني الحكيم .
- ٨ / الشيخ حسين الكرمانى .
- ٩ / السيد الميرزا سليمان المدرس اليزدي .
- ١٠ / السيد أبو الحسن بن محمد حسين التنكابني .
- ١١ / الشيخ عبد الخالق اليزدي .
- ١٢ / الشيخ عبد الله بن إبراهيم العيثان .
- ١٣ / الشيخ عبد الوهاب القزويني .
- ١٤ / الشيخ علي البرغاني .
- ١٥ / المولى الشيخ محمد حمزة شريعة مدار .

(١) الدين بين السائل والمجيب ، طبعة بيروت ج ١ ص ١١٤ .

- ١٦ / السيد محمد الخراساني .
 ١٧ / الشيخ محمد شريعة مدار الأسترابادي الكبير .
 ١٨ / السيد محمد بن الحسن الحسيني .
 ١٩ / المولى مرتضى علم الهدى .
 ٢٠ / الشيخ مهدي بن محمد .
 ٢١ / الآغا علي الأوردبادي .
 ٢٢ / الميرزا عبد الرحيم القره باغي .
 ٢٣ / الملا علي السمناني .
 ٢٤ / الملا محمود نظام العلماء التبريزي .
 ٢٥ / السيد الميرزا أحمد التبريزي .
 ٢٦ / الآخوند الملا محمد الريحاني الأهري .
 ٢٧ / الآخوند ملا محمد الكنجوي .
 ٢٨ / الشيخ زين الدين الخوانساري ، وغيرهم^(١) .

* * *

بعض المستجيزين من الشيخ

- ١ / السيد كاظم الرشتي ، المولود ١٢١٢هـ ، والمتوفى عام ١٢٥٩هـ .

(١) الدين بين السائل والمجيب للعبد الصالح الميرزا حسن الحائري الإحقاقي ، ج ١ ص ١١٣ ، الشيخة للسيد الطالقاني ص ٨٤ .

- ٢ / الشيخ محمد حسن النجفي صاحب كتاب (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) ، المتوفى عام ١٢٦٦هـ .
- ٣ / الميرزا حسن الشهير بكوهر ، المتوفى عام ١٢٦٦هـ .
- ٤ / الشيخ أسد الله التستري الكاظمي صاحب كتاب (المقاييس) ، المتوفى عام ١٢٣٤هـ .
- ٥ / الحاج محمد إبراهيم الكلbasي صاحب كتاب (الإشارات) ، المتوفى عام ١٢٦٢هـ .
- ٦ / الميرزا محمد تقي النوري ، والد الميرزا حسين النوري صاحب (مستدرك الوسائل) ، المتوفى ١٢٦٣هـ .
- ٧ / السيد عبد الله شبر ، المتوفى عام ١٢٤٢هـ .
- ٨ / ابنه الشيخ علي نقي ، المتوفى عام ١٢٤٦هـ .
- ٩ / الشيخ عبد الوهاب بن محمد علي القزويني المتوفى بعد عام ١٢٦٠هـ .
- ١٠ / ملا محمد الكبير حجة الإسلام المامقاني ، المتوفى عام ١٢٦٩هـ .
- ١١ / المولى محمد علي البرغاني الشهير بملا علي البرغاني ، المتوفى ١٢٩٢هـ .
- ١٢ / ابنه الشيخ محمد تقي .
- ١٣ / السيد محمد ابن السيد عبد الرحيم الحسيني .
- ١٤ / الشيخ محمد ابن الشيخ علي ابن الشيخ عبد الجبار القطيفي ، المتوفى عام ١٢٤٢هـ .

- ١٥ / السيد محسن ابن السيد حسن الحسيني الأعرجي الكاظمي .
 ١٦ / السيد محمد تقي ابن الميرزا محمد تقي الحسيني القزويني ،
 المتوفى ١٢٧٠هـ .
 ١٧ / الشيخ عبد الخالق بن عبد الرحيم اليزدي ، المتوفى
 ١٢٦٨هـ .
 ١٨ / السيد مال الله ابن السيد محمد الخطي ، المتوفى ١٢٢٢هـ^(١) .



مؤلفاته

له أعلى الله تعالى مقامه أكثر من مئتي (٢٠٠) مؤلف ، من كتاب
 ورسالة في مختلف العلوم والمعارف ، أهمها :

١ / شرح الزيارة الجامعة .

٢ / شرح الفوائد .

٣ / شرح العرشية .

٤ / شرح المشاعر .

لاحظ كتبه ورسائله قدس الله نفسه الشريفة تجد فيها ما لم تجده في
 غيرها من الكتب والرسائل من مطالب مبتكرة ، كانت تحت طيِّ الرمز
 والإشارة والتلويح والكناية ، ولم يفهمها إلا أهلها ، وأتى أعلى الله
 تعالى مقامه وبيَّنّها ، لأن الوقت قد حان لشرحها وبيانها .

(١) أعلام هجر ج ١ ص ١٥٧ ، الشيخة ص ٨٦ .

وقد وُجِّهَتْ للشيخ قدس الله تعالى سره أسئلة من علماء أجلاء لم توجه لغيره ممن سبقه من العلماء ، وهي في مختلف العلوم ، وخاصة في أسرار التوحيد ومقامات المعصومين عليهم أفضل الصلاة والسلام وأجاب عنها .



علومه

الشيخ عليه الرحمة كتب في كثير من العلوم والمعارف منها :

١ / علم الكلام والحكمة (النظرية والعملية) .

٢ / علم التجويد والتنزيل .

٣ / علم التفسير .

٤ / علم الأخلاق .

٥ / علم الفلك .

٦ / علم الجفر .

٧ / علم الحروف .

٨ / علم الأعداد والأوقاف .

٩ / علم الإكسير والكيمياء .

١٠ / علم كتابة القرآن .

١١ / علم رسم الخط في الكتابة .

١٢ / علم الميزان .

١٣ / علم النجوم .

- ١٤ / علم البسط والتكسير .
- ١٥ / علم الصرف .
- ١٦ / علم النحو .
- ١٧ / علم الطب .
- ١٨ / علم الحساب .
- ١٩ / علم الهندسة (الرياضيات) .
- ٢٠ / علم البلاغة .
- ٢١ / علم الرؤى .
- ٢٢ / علم الكتاب التدويني .
- ٢٣ / علم الكتاب التكويني .
- ٢٤ / علم الحديث .
- ٢٥ / علم الدراية .
- ٢٦ / علم الرجال .
- ٢٧ / علم الفقه .
- ٢٨ / علم أصول الفقه .

* * *

وفاته

توفي رحمه الله تعالى يوم الأحد (٢٢) من ذي القعدة سنة ١٢٤١هـ ، في منطقة (هدية) بالقرب من المدينة المنورة ، ونقل جثمانه

إلى المدينة المنورة ، ودفن في البقيع خلف الحائط الذي فيه أئمة البقيع عليهم الصلاة والسلام^(١).

ارتحل الشيخ أحمد الأحسائي أعلى الله تعالى مقامه ولم يخلف أحداً نائباً عنه ، بل كان وصيه ابنه الشيخ علي نقي أعلى الله تعالى مقامه .



(١) الدين بين السائل والمجيب ج ١ ص ١١٠ .

روائع من كلمات وأقوال الشيخ الأوحـد

١ / ترويع الطلبة

قال الشيخ الأوحـد عليه الرحمة في ج ٥ من تراث الشيخ في مقدمة (شرح الفوائد) في متن الفوائد ص ٦ : (إني لما رأيت كثيراً من الطلبة يتعمّقون في المعارف الإلهية ، ويتوهّمون أنهم تعمّقوا في المعنى المقصود ، وهو تعمّق في الألفاظ لا غير ، رأيت أنه يجب عليّ أن أروعهم بعجائب من المطالب لم يذكر أكثرها في كتاب ، ولم يجر ذكرها في خطاب) (١).



٢ / الخطأ لا يتطرق على كلماته

قال أعلى الله تعالى درجته أيضاً في مقدمة كتابه (شرح الفوائد) المذكور ص ٩ : (لم يتطرق على كلماتي الخطأ ؛ لأنني ما أثبت في كتبي فهو عنهم ، وهم عليهم السلام معصومون عن الخطأ والغفلة والزلل ، ومن أخذ عنهم لا يخطئ) .



(١) قد بين الشيخ مراده من هذه العبارات في أثناء الشرح على (الفوائد) .

٣ / التكرار في كلامه للتفهم

قال رضوان الله تعالى عليه أيضاً في الكتاب المذكور في آخر الفائدة الثانية عشرة ص ٤٨٦ : (واعلم أن هذا التكرار في العبارات والترديد إنما هو للتفهم ، ولو هذبت العبارة ، واقتصرت على الإشارة لكُلت البصائر ، وانسدت المذاهب إلى هذه المطالب) .



٤ / سبب ردّ الشيخ على الملا صدرا

قال الشيخ أعلى الله تعالى مقامه في ج ٦ من تراث الشيخ في شرح العرشية ج ١ ص ٢٧ : (واعلم أيها الناظر في كلامي أنني أعتقد أنني إذا قلت قولاً فإنني أُملي على كاتبين لا يغادران صغيرة ولا كبيرة ، فلا تتوهم على أن بني وبين المصنف شيئاً من عداوة أو حقد أو حسد أو تكبر أو شيءٍ حداني إلى الرد عليه غير بيان الحق) .



٥ / سبب ردّ الشيخ على الملا صدرا

قال الشيخ أعلى الله تعالى مقامه في ج ١١ من تراث الشيخ في جوامع الكلم ج ١ في شرح الرسالة العلمية ص ٤٨١ : (وأنا أوصيك في ألا تظن بي أن بني وبينه شيئاً دعاني إلى الرد عليه ، ولكنني إذا أردت بيان كلامه أبينه بما يذهب إليه ، وإن كنت أعتقد فساد ، أو أبينه بما أعتقد فإن قلت بل بما تعتقد ، فهكذا والله فعلت لا غير) .



٦ / تبعية الشيخ لأهل البيت عليهم الصلاة والسلام

قال الشيخ أعلى الله تعالى مقامه في ج ١٣ من تراث الشيخ الأوحد في جوامع الكلم ج ٣ في جواب سائل عن ثلاث مسائل ص ١١٢ : (اعلم أن الناس اقتصر بعضهم على كلام بعض ، ولم يأخذوا علمهم من أهل العلم عليهم السلام ، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام : (ذهب من ذهب إلى غيرنا إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض ، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر الله لا نفاد لها) الحديث ^(١) .

اعلم أني لا أقول : قال فلان وقال فلان ، فإذا عرفت إسنادي في جميع أقوالي إلى من لا يجهل ولا يسهو ولا يغش ، فإذا سمعته من كلامي منافياً لكلام القوم فانظر فيه ، ولا تستعجل ولا تبادر بالرد فتكون مثل أهل قول : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ ^(٢) .



٧ / الحق يعرف بأهل البيت عليهم الصلاة والسلام

قال الشيخ أعلى الله تعالى مقامه في ج ١١ من تراث الشيخ الأوحد في جوامع الكلم ج ١ في شرح الرسالة العلمية ص ٣٣٨ : (فإذا أردت أن تعرف الحق فانظر في ما أقول لك ، غير ملتفت إلى قواعذك ، ولا إلى ما أنست به من علوم القوم ، وإنما تنظر في كلامي بنظر أهل الحق ، أئمتك عليهم السلام ، وحجج الله عليك ، وعلى سائر الخلق .

(١) محمد بن الحسن الصفار ، بصائر الدرجات ، ص ٥١٨ .

(٢) سورة يونس ، الآية : ٣٩ .

وأما القوم من المتصوفة والحكماء والمتكلمين فليسوا بحجج الله عليك ، ولا على خلقه ، وليسوا أئمتك ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(١).

ولا أريد منك أنك تقلدهم ، مع أنني لو قلت ذلك لكان حقاً ، لأنك كما تقلد غيرهم ممن يجهل ، وينسى ، ويخطئ ، ويغش . وأنت تدعي أنك أخذته بالدليل العقلي ينبغي أن تقلد من لا يجهل ، ولا ينسى ، ولا يخطئ ، ولا يغش .

فإن قلت : إن العقل لا يطابق كلامهم ، قلت لك : إن كلامهم حق .

وعقلك إن لم تغيره وتبدله بالعلوم المغيرة المكدره ، والقواعد المعوجة حق ، لأنه فطرة الله التي فطر الناس عليها) .

والحاصل : (إني لا أريد منك محض تقليدهم كما يتوهم المتوهمون ، بل تأخذ كلامهم بالدليل العقلي بشرط قطع النظر عن الأقوال ، بل تنظر بفهمك لا غير ، فإن فهمت كلامي ، وعملت بوصيتي وجدت ما أقول لك كله أموراً قطعية ضرورية فافهم ، والله خليفتي عليك) .



(١) سورة يونس ، الآية : ٣٥ .

أقوال العلماء فيه

١ / الميرزا محمد باقر الخوانساري^(١)

قال الميرزا الخوانساري في الشيخ أعلى الله مقامهما في كتابه (روضات الجنات) : (. . . .) ترجمان الحكماء المتألهين ، ولسان العرفاء المتكلمين ، غرة الدهر وفيلسوف العصر ، العالم بأسرار المباني والمعاني ، شيخنا أحمد ابن الشيخ زين الدين ابن الشيخ إبراهيم الأحسائي ، لم يُعهد في هذه الأواخر مثله في المعرفة ، والفهم والمكرمة والحزم ، وجودة السليقة وحسن الطريقة وصفاء الحقيقة ، وكثرة المعنوية والعلم بالعربية والأخلاق السنية والشيم المرضية والعلمية والعملية ، وحسن التعبير والفصاحة ولطف التقرير والملاحاة ، وخلوص المحبة والوداد لأهل بيت الرسول الأمجاد . . .)^(٢) .



(١) الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري الأصفهاني ابن الفقيه الميرزا زين العابدين ابن المحدث الفقيه السيد أبي القاسم ابن الفقيه السيد حسين ابن الفقيه المتبحر المير أبي القاسم جعفر المشتهر بالمير الكبير ، وهو من العلماء المشهورين والفقهاء العظام ، ولد في بلدة خوانسار عام ١٢٢٦هـ ، وتوفي في عام ١٣١٣هـ .

(٢) روضات الجنات ج ١ ص ٩٧ .

٢ / السيد كاظم الرشتي^(١) أرشد تلاميذ الشيخ

قال السيد الرشتي أرشد تلاميذ الشيخ في الشيخ أعلى الله مقامهما :
(. . .) الشيخ الأعظم والعماد الأقوم ، والنور الأتم والجامع
الأعم ، عز الإسلام والمسلمين ، ركن المؤمنين الممتحنين ، آية الله في
العالمين ، المبطل لمخترعات الصوفيين ، والمزيف لأغاليط أوهام
الحكماء الأولين ، المبين للطريقة التي أتى بها سيد المرسلين وخاتم
النبیین ، والشارح لبعض مقامات الأئمة الطاهرين صلى الله عليهم ،
مظهر الشريعة وشرح الطريقة بسرّ الحقيقة ، شيخنا وسنادنا وعمادنا
الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي)^(٢) .



٣ / الشيخ عبد الله بن معتوق القطيفي^(٣)

قال العلامة الشيخ القطيفي في الشيخ أعلى الله مقامهما :
(. . . .) ناموس الدهر وتاج الفخر وعلامة العصر ، موضح الحقيقة
والطريقة ، ومحبي الشريعة على الحقيقة ، الحكيم الرباني والعارف

(١) السيد كاظم ابن السيد قاسم الرشتي من العلماء العظام والفقهاء الكبار ، من أشهر تلامذة
الشيخ عليه الرحمة ، له مؤلفات كثيرة في كثير من العلوم ، ولد في رشت عام ١٢١٢ هـ ،
وتوفي مسموماً عام ١٢٥٩ هـ .

(٢) دليل المتحيرين ص ٢٥ .

(٣) الشيخ عبد الله بن معتوق بن درويش بن معتوق بن عبد الحسين ابن الحاج مرهون البلادي
القطيفي التاروتي من العلماء البارعين ومراجع الدين ، ولد عام ١٢٧٤ هـ ، وتوفي عام
١٣٦٢ هـ .

السبحاني ، والفريد الذي ليس له ثانٍ ، أعلم العلماء ورئيس الحكماء وقدوة الفقهاء ، العارف بالله والمقتفي في مطالبه لأولياء الله ، والمتخلق بأخلاق الروحانيين ، والتمسك بحبل الله المتين ، عماد الملة والدين ، العلم الأوحد الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي طاب ثراه . . . (١) .

* * *

٤ / الشيخ إبراهيم الكرباسي^(٢)

قال الشيخ الكرباسي في الشيخ أعلى الله مقامهما في كتابه (الإشارات) المجلد الثاني عند ذكر مشايخ الإجازة :
(. . .) ومنهم الفاضل الوحيد ، الجامع بين المعقول والمنقول الزاهد الورع ، موضح الحقيقة والطريقة ، بل محيها في الحقيقة ، الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي ، فقد أجازني أن أروي عنه جميع مقرراته ومسموعاته (٣) .

* * *

٥ / الميرزا علي التبريزي الشهيد^(٤)

قال الميرزا التبريزي في الشيخ أعلى الله مقامهما في كتابه (مرآة

(١) أعلام هجر ج ١ ص ١٨٤ عن الأزهار الأرجية .

(٢) الشيخ محمد إبراهيم بن محمد حسن الخراساني الكاخي الأصفهاني الكلباسي من أعظم علماء عصره المشاهير ، ولد عام ١١٨٠ هـ ، وتوفي عام ١٢٦٢ هـ .

(٣) أعلام هجر ج ١ ص ١٨٢ عن لباب الألقاب .

(٤) الشهيد ثقة الإسلام الميرزا علي ابن الميرزا موسى التبريزي أحد مشاهير العلماء في العهد القاجاري ، ولد عام ١٢٧٧ هـ ، واستشهد عام ١٣٣٠ هـ .

الكتب) : (. . . الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي ، فخر الأعلام وذخر الأيام ، تاج الدهر وناموس العصر ، العلامة الأوحـد والفاضل الفهامة الأمجد ، العالم الرباني والفاضل الكبريائي الصمداني وكان قدس سره قليل النطق كثير الصمت ، لو نطق فبالحق ولو سكت فعن الباطل ، جامعاً بين الشريعة والحقيقة ، مرتاضاً زاهداً ، معرضاً عن الدنيا وأهلها ، ساعياً في إظهار ما أراد الله من التدبر في آيات الأنفس والآفاق واشتهر في الأقطار وسار ذكره مسير النهار ، فقصده السائلون من كل الجهات ، فسألوا عنه مسائل في مطالب شتى . . .) (١) .



تنبيه مهم

كلمات العلماء في الثناء على الشيخ كثيرة جداً ، ولقد جمع المرجع الديني خدام الشريعة آية الله المعظم الميرزا عبد الرسول الحائري الإحقاقي قدس الله سرّه سبعين كلمة ، أكثرها وأغلبها كلمات كبار وأجلاء علماء الإمامية ، وقد أسمى تلك الكلمات (التحقيق في مدرسة الشيخ) .



(١) مرآة الكتب ج ١ ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

أعلام مدرسة الشيخ أحمد الأحسائي

منطقة الأحساء

- ١ / الشيخ محمد تقي ابن الشيخ أحمد الأحسائي الابن الأكبر للشيخ الأوحّد .
- ٢ / الشيخ علي نقي ابن الشيخ أحمد الأحسائي .
- ٣ / الشيخ عبد الله ابن الشيخ أحمد الأحسائي .
- ٤ / الشيخ حسن ابن الشيخ أحمد الأحسائي وهو أصغر إخوته .
- ٥ / الشيخ صالح ابن الشيخ زين الدين الأحسائي ، أخ الشيخ أحمد الأحسائي .
- ٦ / الشيخ زين الدين ابن الشيخ صالح الأحسائي .
- ٧ / الشيخ عبد الإمام بن صالح آل سيف ، تصدّر للإفتاء في الأحساء بأمر من الشيخ الأوحّد .
- ٨ / الشيخ عبد الله بن إبراهيم العيثان الأحسائي من قرية القارة ، كان مع الشيخ في سفره الأخير للحج .
- ٩ / الشيخ محمد ابن الشيخ عبد الله ابن الحاج رحمة الموالى البحراني .
- ١٠ / السيد هاشم ابن السيد أحمد السلّمان الموسوي الأحسائي من المبرز .

- ١١ / الشيخ محمد ابن الشيخ حسين البوخمسين الأحسائي .
- ١٢ / الشيخ محمد ابن الشيخ عبد الله العيثان الأحسائي من قرية القارة .
- ١٣ / الشيخ طاهر ابن الشيخ محمد البوخمسين الأحسائي .
- ١٤ / الشيخ موسى البوخمسين الأحسائي .
- ١٥ / السيد ناصر ابن السيد هاشم السلطان الأحسائي من المبرز .
- ١٦ / الشيخ حبيب بن قرين الأحسائي .
- ١٧ / الشيخ عمران بن حسن بن سليم العلي الفضلي الأحسائي .
- ١٨ / الشيخ حسين ابن الشيخ علي الصحاف الأحسائي .
- ١٩ / الشيخ أحمد ابن الشيخ محمد المحسني .
- ٢٠ / الشيخ محمد ابن الشيخ حسين الخليفة ، له رسالة في الرد على الركنية .

أقول : قال السيد هاشم الشخص في كتابه (أعلام هجر) ج ٤ ص ٥٥ : (وتجدر الإشارة إلى أن كثيراً من علماء الأحساء ، ومنطقة الخليج خلال القرنين الماضيين - الثالث عشر والرابع عشر الهجريين - كانوا يتبنون فكر الشيخية ، ويسيرون في ركاب هذه المدرسة) .



منطقة القطيف

- ١ / الشيخ عبد الله بن معتوق القطيفي التاروتي .
- ٢ / الشيخ محمد ابن الشيخ عبد علي آل عبد الجبار القطيفي .

- ٣ / السيد ماجد ابن السيد هاشم العوامي القطيفي .
 ٤ / الشيخ صالح بن سالم آل طوق القطيفي .
 ٥ / الشيخ أحمد بن صالح بن طوق القطيفي .
 ٦ / الشيخ ضيف الله ابن الشيخ أحمد ابن الشيخ صالح آل طوق القطيفي .

- ٧ / السيد مال الله ابن السيد محمد الخطي المعروف بالفلفل .
 ٨ / الشيخ عبد علي آل عبد الجبار .
 ٩ / الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد علي القطيفي .
 أقول: قال الشيخ عبد العظيم المشيخص في كتابه (القطيف وملحقاتها) ج ١ ص ٥٤٧ : (إن أغلب علماء القطيف في القرن الثالث عشر ، ومنتصف القرن الرابع عشر الهجريين تبنت الاتجاه [فكر الشيخ الأوحى] ، ولكن نتيجة الاضطهاد الذي لاحق معتنقيه فضلت الصمت والانزواء خوفاً من الاتهامات والتشنيع) .

ويقول أيضاً : (كما أن هناك شخصيات علمية من الأحساء والقطيف حملت هذا الاتجاه ، وروجت له في أماكن تواجدها ، والبعض الآخر فضلت اعتناقه فقط) .



البحرين

- ١ / الشيخ عبد علي ابن الشيخ علي ابن الشيخ محمد الخطيب التوبلي البهراني .

- ٢ / الشيخ عبد الحسين بن يوسف البلادي البحراني .
 ٣ / الشيخ علي ابن الشيخ صالح ابن الشيخ يوسف البلادي البحراني .
 ٤ / السيد حسين ابن السيد عبد القادر التوبلي البلادي البحراني .



إيران

- ١ / السيد كاظم ابن السيد قاسم الحسيني الرشتي .
 ٢ / الميرزا حسن القراجه داغي التبريزي الشهير بكوهر .
 ٣ / الشيخ عبد الخالق بن عبد الرحيم اليزدي .
 ٤ / الميرزا عبد الرحيم القره باغي .
 ٥ / الميرزا عبد الوهاب القزويني .
 ٦ / الشيخ علي الأوردبادي .
 ٧ / الشيخ علي الشهير بالملا علي البرغاني .
 ٨ / الشيخ محمد الريحاني الأهري .
 ٩ / الشيخ محمد جعفر بن محمد باقر القراجه داغي الأهري .
 ١٠ / الملا علي السمناني تلميذ الشيخ الأوحدي .
 ١١ / الميرزا محمود بن محمد التبريزي ، المعروف بـ (نظام العلماء) .
 ١٢ / المولى مرتضى بن عبد علي ، المدعو بـ (علم الهدى) .
 ١٣ / الشيخ المولى حسين بن علي التبريزي الخسرو شاهي .

- ١٤ / الشيخ محمد حمزة كلائي المازندراني .
- ١٥ / السيد عبد الرحيم الحسيني اليزدي .
- ١٦ / السيد محمد علي اليزدي الطباطبائي .
- ١٧ / الشيخ علي بن رحيم الخوئي الحائري .
- ١٨ / الميرزا محمد حسين بن علي أكبر الكرمانى الملقب بالمحيط .
- ١٩ / الشيخ محمد تقى الهروي .
- ٢٠ / المولى علي بن جمشيد النوري المازندراني .
- ٢١ / الملا شريف الكرمانى من تلامذة السيد الرشتي .
- ٢٢ / السيد الميرزا أحمد التبريزي ، المعروف بـ (بخوشنويس) .
- ٢٣ / الشيخ زين العابدين الخوانساري .
- ٢٤ / الشيخ محمد تقى المازندراني .
- ٢٥ / الآخوند الملا محمد علي بن الملا محمد كاظم في (شاهرود) .
- ٢٦ / الملا علي المرندي معين الإسلام في آذربيجان .
- ٢٧ / الشيخ معين الإسلام بن ملا علي المرندي .
- ٢٨ / الشيخ عميد الإسلام بن ملا علي المرندي .
- ٢٩ / السيد علي الطباطبائي ، تلميذ الميرزا محمد باقر الأسكوئي .
- ٣٠ / السيد مصطفى الحائري الأسكوئي ، تلميذ الميرزا محمد باقر الأسكوئي .

٣١ / الميرزا محمد جواد عميد الإسلام ، من تلامذة الميرزا موسى الحائري .

٣٢ / السيد حسن ابن السيد إبراهيم الموسوي الأصفهاني .

٣٣ / السيد حسين الخسرو شاهي .

٣٤ / الشيخ عبد الكريم السرابي الأردبيلي .

٣٥ / الشيخ عبد المطلب بن محمد حسن الأصفهاني .

٣٦ / علي بن محمد رضا التبريزي .

٣٧ / السيد محمد الخراساني .

٣٨ / السيد إبراهيم الدزفولي .

٣٩ / الملا أبو تراب بن الحسين القزويني .

٤٠ / الشيخ إسماعيل ابن الشيخ أسد الله الدزفولي التستري .

٤١ / الميرزا حسن بن أمان الدهلوي العظيم آبادي الهندي .

٤٢ / الشيخ حسين الكنجوي ، من تلامذة السيد كاظم الرشتي .

٤٣ / الشيخ عبد الرحيم بن ولي محمد الأردبيلي .

٤٤ / الشيخ عبد السلام السلماسي .

* * *

أسرة حجة الإسلام

٤٥ / الميرزا محمد الكبير حجة الإسلام المامقاني التبريزي ،

المعروف بحجة الإسلام .

٤٦ / الميرزا محمد حسين بن الميرزا محمد المامقاني التبريزي .

٤٧ / الميرزا محمد تقي بن الميرزا محمد المامقاني التبريزي .

٤٨ / الميرزا إسماعيل بن الميرزا محمد المامقاني التبريزي .

* * *

أسرة ثقة الإسلام

٤٩ / الميرزا محمد شفيع التبريزي ، المعروف بـ (ثقة الإسلام) .

٥٠ / الميرزا موسى بن الميرزا محمد شفيع التبريزي .

٥١ / الميرزا علي بن الميرزا موسى التبريزي الشهيد .

٥٢ / الميرزا فتح الله ثقة الإسلام .

٥٣ / الميرزا عبد الله ثقة الإسلام .

* * *

أسرة الإحقاقي

٥٤ / الميرزا محمد باقر الحائري الأسكوئي .

٥٥ / الميرزا موسى الإحقاقي الحائري الأسكوئي .

٥٦ / الميرزا علي بن الميرزا موسى الحائري الإحقاقي .

٥٧ / الإمام المصلح والعبد الصالح الميرزا حسن الحائري الإحقاقي .

٥٨ / خادم الشريعة الغراء الميرزا عبد الرسول الحائري الإحقاقي .

٥٩ / روح الشريعة الميرزا عبد الله الحائري الإحقاقي الأسكوئي .

* * *

العراق

- ١ / السيد محسن بن السيد حسن الأعرجي .
٢ / الشيخ أحمد بن حسين بن محمد بن شكر .

* * *

لبنان

- ١ / الشيخ علي بن حسين بن حيدر العاملي .
وليست تلك الترجمات حصراً لكل الأعلام ، بل لمن تمكنا من
حصره ، وإلا فمن المؤكد أن هناك غيرهم ، وقد قال الإمام المصلح
والعبد الصالح المولى الميرزا حسن الحائري الإحقاقي أعلى الله مقامه :
(كان له أعلى الله مقامه تلامذة كثر ، بلغوا الاجتهاد أكثر من مئة عالم
عامل ناشر لفصائل أهل البيت عليهم السلام)^(١) .

* * *

الهند

- أ / الميرزا حسن عظيم آبادي توفي سنة ١٢٦٠ في الله آباد بالهند .
كان فقيهاً فاضلاً زاهداً . درس أولاً في الهند ، ثم سافر إلى كربلاء فأقام
فيها وذلك على عهد الشيخ أحمد الأحسائي والسيد كاظم الرشتي فدرس
عليهما ، ثم عاد سنة ١٢٥٢ إلى لكهنؤ . ويقول صاحب كتاب (مطلع

(١) الدين بين السائل والمجيب ج ١ ص ١١٤ .

أوأعر) أنه نتيجة لبعض الأحداث في لكهنو سافر إلى الله آباد واتقر فيها حتى وفاته . ولم يشر صاحب (المطلع) إلى حقيقة تلك الأحداث ، وربما كانت منبعثة عن تأثره بآراء الأحسائي والرشتي . له من لؤلفات : رسالة في صلاة الجمعة ورسالة في الصوم . السيد حسن المعروف بـ (باخدا) ابن السيد علي حسين ولد سنة ١٢٥٦ في الهند وتوفي سنة ١٣١٦هـ .

توفيق ناصر البوعلي

الأحساء - الهفوف

٢٠ / ١٢ / ١٤٣٥هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مختصر ترجمة حياة المؤلف قدس سره

بقلم ابنه العلامة

آية الله المعظم المرجع الديني

الحاج الميرزا علي الحائري الإحقاقي قدس سره

كان والدنا المقدس ، آية الله الحاج ميرزا موسى^(١) خلف آية الله الآخوند الميرزا محمد باقر الأسكوئي^(٢) قدس الله سرهما ، عالماً

(١) موسى ابن العلامة الميرزا محمد باقر ابن المولى محمد سليم الإحقاقي التبريزي الحائري الأسكوئي (أعلى الله مقامهم) . وُلد في الخامس والعشرين من شهر شوال المكرم سنة (١٢٧٩هـ) في مدينة كربلاء المقدسة ، تتلمذ على أبيه الميرزا محمد باقر ، وعلى جماعة من أكابر العلماء ، ومن مؤلفاته : (إحقاق الحق) ، ويحتوي على مجموعة من المباحث النفسية في عقائد الإمامية الاثني عشرية ، و (لطائف الدرر في الفقه) ، و (درر الأحكام) وغيرها . توفي ظهر يوم الخامس من شهر رمضان المبارك من سنة (١٣٦٤هـ) ، وُدُن في مقبرة الأسرة في جوار قبر والده الشريف في كربلاء المقدسة .

(٢) الميرزا محمد باقر بن محمد سليم الأسكوئي الحائري . عالم ومرجع إمامي ، من أصول إيرانية (آذرية) ، كان زعيماً دينياً ، ومرجعاً لشريحة واسعة من المجتمع الشيعي ، وُلد عام (١٢٣٠هـ) في إحدى نواحي آذربيجان الإيرانية . ابتداءً دراسته على يد والده محمد سليم الإسكوئي (قده) . له تاريخ علمي حافل ، ذكر ولده (صاحب هذا التأليف) بعضه في المقدمة ، توفي عن عمر يناهز السبعين عاماً ، وذلك في صبيحة يوم العاشر من شهر صفر لعام (١٣٠١هـ) بمدينة كربلاء المقدسة ، وله عشرات الكتب ، والرسائل الفقهية ، والفلسفية منها : كتاب : (الحق اليقين) ، و (المصباح المنير) ، و (كشف المراد) . ومجموعة كبيرة من الرسائل الفقهية والفلسفية .

فاضلاً ، فقيهاً ، تقياً ، نقياً ، ورعاً ؛ جامعاً بين المعقول والمنقول ،
 حاوياً للفروع والأصول ، محققاً ، مدققاً ، أبيّ النفس ، عالي الطبع ، ذا
 وقار عظيم ، وسكينة مهيبة ، سمحاً ، سخيّاً ، حليماً ، ذكياً ، صادق
 القول ، وفياً بالعهد والوعد ، يخاطب الجاهل بالسّلام ، إذا أساءه
 بالكلام ، يوقر أهل العلم ، وينفع الفقراء والمساكين ، فصيح اللسان ،
 قويّ الجنان ، حسن التقرير ، جيد التحرير ، حافظاً ، مطلعاً ، بل له
 الإحاطة بغالب الأخبار ، حتى قال يوماً لبعض الطلبة وأصدقائه
 الحاضرين : (من أتاني برواية أو حديث لم أطلع عليه فله ما يطلب) ،
 أنيساً في المجالس والحديث ، جالباً لمن عاشره ، جاذباً لمن أنكره ،
 أخلاقه حميدة ، آراؤه وأفكاره سديدة ، لا يخيب قاصده إذا وجد ما
 أراد ، ولا ينهر سائله إن فقد ما يراد ، بل يعتذر عنه بلطف وقول
 معروف ، وصار مرجعاً للعرب والعجم ، فرجع إليه أهل الكويت ، وقسم
 من أهالي البصرة ونواحيها ، ومن أهل الأحساء وكربلاء ، وقلدته أهالي
 تبريز وأطرافه من أسكو ، وميلان ، وخسروشاه ، والقرى التي حولها ؛
 وأهل گوگان ، ودستكير وأطرافها ، ومن أهالي طهران ، وأهل مشهد
 الرضا عليه السلام ، والبلاد التي حوله أمثال : قوچان ، وشيروان
 وغيرها ، وكذلك البلدان التي هي الآن تحت سيطرة الشيوعيين ، كبلاد
 تركستان ، أيّ : تاجيكستان (بخارى ، سمرقند ، طاشقند) ، وبلاد قفقاز
 من قرة باغ ، وكان وكيله الميرزا عبد الرحيم بن ملا صدرا ، وكذلك
 منطقة أوردباد ، وبادكوبه ، وعشق آباد . وكان صابراً على مرّ الزمان
 ومضض الدهر ، وغالباً ، كان مديوناً ، حتى ارتحل من الدنيا ، ودار

سكناه مرهونة بست مئة وخمسين ديناراً عراقياً ، وله رسالة عملية عربية طبعت في النجف الأشرف ، ورسالة فارسية طبعت مرتين في تبريز ، وله تصانيف أخر منها :

- ١ / كتاب البوارق ، وهو أول تصنيفه مخطوط .
 - ٢ / كتاب تنزيه الحق باللغة الفارسية ، طبع في تبريز ١٣٤٢هـ .
 - ٣ / كتاب إحقاق الحق ، طبع في النجف سنة ١٣٤٣هـ .
 - ٤ / كتاب العناوين ، لم يتم بعد .
 - ٥ / الفصول الغرية في رد الصُوفية .
 - ٦ / رسالة في جواب السؤال عن أبيات في العلم المكتوم مرموزة أولها :
- أَلَا أَيُّهَا السَّارِي عَلَى كُورِ سَابِحِ تَجُوبُ الْفِيَا فِي فَدْفَدًا بَعْدَ فَدْفَدِ
تَحْمِلُ - رَعَاكَ اللَّهُ - عَنِّي رِسَالَةً تُبَلِّغُهَا أَهْلَ الْمَدَارِسِ فِي غَدِ
- ٧ / رسالة في أن فرض المحال محال ، عكس المشهور .
 - ٨ / رسالة في الرِّضَاع مفصلة .
 - ٩ / رسالة في جواب مسائل السيد مهدي كشوان الكاظمي^(١) .

(١) هو السيد محمد مهدي بن صالح بن أحمد الكشوان الموسوي الكاظمي ، القزويني وُلد سنة (١٢٨٢) ، وتوفي سنة (١٣٥٨ هـ) . عالم إمامي عراقي ، استوطن الكويت ، وُلد في الكاظمية ، ودرس في حوزات النجف الأشرف . سافر إلى إيران سنة ١٣١٤ هـ ، - وتوجه إلى الكويت سنة ١٣٢٧ هـ . شهد معركة الجهراء في الكويت ، وله العديد من المؤلفات تجاوزت ستين مؤلفاً ، طبع منها ٢٤ مؤلفاً ، من أهمها : (هدي الغافلين إلى الدين المبين) و (خصائص الشيعة التي جاءت بها الشريعة) .

- ١٠ / رسالة في جواب مسائل ملاً إبراهيم البصير الكويتي^(١) .
- ١١ / رسالة في جواب مسائل ملاً إبراهيم البصير الكويتي أيضاً .
- ١٢ / رسالة في جواب مسائل جناب العالم الفاضل الشيخ حسين الصحّاف رحمه الله^(٢) .
- ١٣ / رسالة في جواب مسائله أيضاً .
- ١٤ / رسالة في جواب مسائل الخطيب الملاً إبراهيم بن سلمان الكويتي^(٣) .
- ١٥ / رسائل أخر في أجوبة مسائل مختلفة من البلاد المتعددة .
- ١٦ / وله ترجمة (أصول العقائد) للسيد كاظم الرشتي ، ترجمه من الفارسية إلى العربية ، وهو الآن تحت الطبع .
- وُلِدَ والدنا المذكور ، أعلى الله مقامه ، في كربلاء المقدسة ، في اليوم الخامس والعشرين من شهر شوال سنة ١٢٧٩هـ ، فلما بلغ خمساً من السنين ، أتى له والده بمعلم يقرئه القرآن ، فختمه في خمسة أشهر . ثم قرأ بعض الكتب الفارسية . ثم أتى له بمعلم آخر يعلمه الصرف والنحو ، وهكذا إلى أن جعله والده عند العالم الفاضل ملا علي أصغر

(١) عالم كويتي الأصل .

(٢) الشيخ حسين ابن الشيخ علي الصحاف الأحسائي أصلاً ، الكويتي مولداً ومنشأً ، النجفي تحصيلاً ومدفنأً . وُلِدَ في الكويت سنة ١٣٠٣هـ ، هاجر إلى النجف بعد وفاة والده سنة ١٣٢١هـ ، درس على عدد من العلماء منهم الشيخ موسى أبو الخمسين الأحسائي ، والسيد ناصر ابن السيد هاشم الأحسائي . من مؤلفاته : (كتاب الصارم الهندي في الرد على المعتدي) ، وكتاب (مسائل في عالم الحكمة ومراتب الأئمة) .

(٣) عالم كويتي .

بن ملا بابا^(١)، فقرأ عليه النحو، والمنطق، وعلم المعاني والبيان، وعلم البديع، ونصفاً من كتاب معالم الأصول، ثم تَمَّ النصف الآخر من ذلك الكتاب عند والده المقدس. وقرأ أيضاً عند والده الحكمة الإلهية وبعض السطوح. وقرأ كتاب (الرياض) عند العالم العلامة الورع التقي الآخوند محمد تقي الهروي قدس الله روحه صاحب الحاشية على الرياض، وكتاب عدة في الرجال. وحضر عند العالم العلامة والحبر الفهامة الشيخ علي اليزدي المدرس المعروف في زمانه، صاحب كتاب (إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب) عجل الله فرجه.

ولما توفي والده جدنا المقدس أعلى الله مقامه سنة ١٣٠١هـ، وقد بلغ عمر والدنا اثنتين وعشرين سنة، وعامة عرب كربلاء الذين كانوا

(١) الآخوند الملا علي أصغر بن ملا بابا، كان رحمه الله محرّر جدنا، يستنسخ كلّ ما يترشح من يراعه قدس سره. تتلمذ على يده العلامة ثقة الإسلام الميرزا علي (الشهيد) المصلوب في تبريز، وأخيراً تتلمذ على يديه العلامة حيدر قليخان بن السردار الكابلي في كرمان شاه. كان رحمه الله مسلطاً في الأدبيات والمقدمات، من الصرف، والنحو، والمنطق، والمعاني، والبيان، إلى الأصول. كان رحمه الله طويل القامة، قوياً في بدنه، قانعاً من دنياه بأدنى سائر، ومن طعمه بقرص الشعر. كان في زمان جدنا مقيماً في كربلاء المقدسة، له حجرة في صحن إمامنا الحسين عليه ألف الصلاة والسلام من الحجر الفوقانية على باب الزينية. وبعد جدنا، استقام في بلدة الكاظمية، وعلى الدوام، يزور العتبات المقدسة راجلاً، حتى أنه زار مشهد الرضا عليه السلام مراراً، كراراً، ماشياً، وآخر أمره استقام في كرمان شاه عند تلميذه المذكور العلامة حيدر قليخان، وتوفي عنده سنة ١٣٢٥هـ أو ١٣٢٦هـ، ونقل تلميذه جنازته طرياً إلى النجف الأشرف، وله أسئلة من الجد المقدس، من جملتها سؤاله عن الحنك، وهل هو مستحب دائماً أو في الصلاة، وما معنى الحنك أو الإسدال؟ فأجابه الجد شرحاً مفصلاً، وطبع في تبريز مع رسالة المخازن واللمعات.

يقلدون بعد الميرزا حسن الغوهر^(١) جدنا أعلى الله مقامه ، من أهل السلالة ، والوزون ، والطهامة ، وبني سعد ، وباب الخان ، وباب الطاق ، وغيرهم ، توجهوا كلهم إليه ، أيّ : إلى والدنا ، لصلاة الجماعة عموماً في الروضة الحسينية ، طرف الرأس على عادة والده المقدس ، وكان يصلي الأوقات الثلاثة بجماعة كثيرة مدّة مديدة .

ثم إنه قد تحرك الحسد والأضغان من بعض أئمة الجماعة ، وهم بغضب محل الوالد في الروضة ، غافلاً من أن المحل للراتب المعين ، ولا تجوز الإمامة من غيره في محل الراتب إلاّ بإذنه ورضاه ، ولم يبال بذلك إلى أن جمع في الصحن الشريف حوله جماعة من المعمّمين ، ولفيفاً من العجم ، ونظره أن يهجموا على الوالد وجماعته العرب في الحضرة المقدسة وقت صلاة المغرب ؛ ليزحّوهم عن مقرّهم ومحلّهم في الحضرة . والعرب أشعروا بذلك ، ورئيسهم وقتئذٍ المرحوم الحاج حسين الحمزة ، أمر العرب فازدحموا بعنوان صلاة المغرب في الحضرة المقدسة ، ملأوا الحضرة والمسجد والرواق وعيّنوا في الكشوان عدة من العرب مسلّحين ، وعلى قبر المرحوم الشيخ خلف كذلك عدة معتد بها مسلّحين ، نظرهم الدفاع إذا هجم العجم في الروضة ، ولما دخل الوالد المقدس إلى الحضرة المقدسة للصلاة وقت المغرب ، رأى أن الحضرة المقدسة والمسجد ملآن من الجماعة ، وحين مسيره إلى الحضرة صحبه في الطريق أحد المؤمنين ، وأعلمه بالوضع ، وما عزم الناس عليه ، فلما

(١) من أعظم تلامذة الشيخ الأوحد الأحسائي قدس سره ، (فقيه إمامي متضلّع ، ومرجع ديني) راجع ترجمته في مقدمة كتابه (شرح حياة الأرواح) المطبوع في إيران .

دخل الحضرة ، ورأى ازدحام العرب في الحضرة ، وعرف الوضع رجع آتياً ، فقام الرئيس الحاج حسين الحمزة وغيره من الأشخاص وأصروا بالرجوع والصلاة ، قال لهم : ما هذه العدة ؟ ولم هذه الجمعية والازدحام ؟ أجابوا : مولانا أتوا للصلاة . أجابهم : إن هذه الليلة لا ليلة الجمعة ، ولا ليلة إحدى الفضائل من عرفة أو نصف شعبان أو غيرهما من الليالي ، التي يكون فيها توجه الجماعة إلى الزيارة والصلاة ، وليس من عادتنا في سائر الليالي غير الليالي المعروفة هذه الهيئة والازدحام للصلاة ، وكلما أصروا عليه ، وألحوا بالرجوع إلى الحضرة المقدسة ، أبى وامتنع ، وقال : هيهات أن أكون سبباً لهتك الحضرة ، وعدم الاحترام للإمام عليه السلام ، وسبباً لسفك الدماء ، لأجل الإمامة وصلاة الجماعة ، وهيهات أن أتبع أهواء العوام في هذه الأمور ، بعدما جاءني من العلم . ورجع وصعد على سطح الكشوانية ، وقال : من أراد الصلاة بلا ريبة ولا مرأ ، فهنا نصلي في (الصحن الشريف) . وجميع العقلاء تعجبوا من صنيع الوالد على حداثة سنه ، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، كيف راعى احترام الإمام عليه السلام ، وما رضي بهتك الحضرة مع العلم بأن الغلب يكون له وللعرب ، لأنهم أهل البلاد ، وهم عشائر ومعروفون بالشجاعة والسيطرة ، ومقابلوهم لم يراعوا احتراماً ولا ذماماً ، وقصدهم الهجوم والهتك بلا مبالاة ، والجماعة المؤمنون للوالد جعلوا كلهم بعد الصلاة لدى المصافحة يعذلون عليه ويلومونه ، ويقولون : يا حيف يا ميرزا ، أنت أيضاً صرت فقيراً مثل والدك المرحوم . وأمثال هذه العبارة كسرت شوكتنا وذللتنا ، وصارت سبباً لانكسار العرب وذلهم ، وكان صابراً محتسباً يقابلهم بلطف الكلام ، وتمام اللين والإكرام .

قال والدي : تلك الليلة ، تجسّم عندي رزؤ الإمام الحسن المجتبي عليه السلام ، حيث كان المؤمنون بعد الصُّلح مع معاوية يخاطبونه : (يا مذلّ المؤمنين) . قال والدي : فلما كانت الليلة الثانية من الواقعة ، أتى المغفور له السيد جواد كليدار المرحوم^(١) ، وأخذ مصلاي (سجادتي) بيده ، وفرشها في الرواق تحت رجلي الإمام ، خلف الباب الذي يفتح منه إلى الشهداء ، وقال : يا ميرزا ، هذا محلّك ، وأنت المشكور عند هذا الإمام وعندنا ، ولدى العقلاء عموماً ، حيث حفظت الاحترام والذمام لهذه الحضرة المقدسة ، وكان مستمراً في الصّلاة في الرواق المذكور .

وهذا المختصر مما فضّله لي والدي المقدس ، وسمعت منه كراراً غير مرة ، ومن بعض الأشخاص أيضاً سمعت نظيره .

ولما رأى الوالد أن الإمامة وإقبال الناس إليه يشغلانه عن تكميل علمه وتكميل نفسه ، ترك الإمامة والرياسة الظاهرية ، ولم يعبأ بازدهام المؤمنين وتوجههم إليه ، واجتماعهم عليه في الصّلاة ، ونهض ظاعناً إلى النجف الأشرف ، وأصبح معه فقط والدتنا الطاهرة ، قاصداً باب مدينة العلم ، وترك الدار ، والعائلة ، والخادم ، والخادمة ، وتجرّد لتكميل نفسه وعلومه ، وكان يأتي إلى كربلاء فقط أيام الفضيلة ، ولإقامة المآتم في عشرة محرم ، ثم يعود إلى النجف الأشرف . فحضر عند أساطين

(١) هو السيد جواد السيد حسن آل طعمه ، تولى السدانة بعد وفاة الميرزا حسن كمونة ، كان يوزع الهدايا التي يقدمها له الزائرون على خدمة الروضتين وقد توفي عام ١٣٠٩ هـ ودفن في بهو الروضة الحسينية . جامع الأنساب السيد محمد علي الروضائي ج ١ ، ص ١٦٨ - ١٦٩ .

زمانه ، كآية الله الميرزا حبيب الله الرشتي^(١) ، وآية الله الآخوند ملا محمد الإيرواني^(٢) ، وآية الله الميرزا حسين قلى الهمداني^(٣) ، وآية الله الشيخ هادي الطهراني^(٤) ، وفي الأواخر مدة يسيرة حضر بحث آية الله الفاضل الشرياني^(٥) ، وكان هواء النجف الأشرف يومئذ لطيفاً بارداً طيباً معتدلاً ، لا بأس به ما دام البحر موجوداً ، ولمّا جففوا ماء البحر بقطع مواده في السنة الخامسة أو السادسة بعد الثلاث مئة والألف تغير هواؤها ، وصارت حارة يابسة لم يتمكن الوالد قدس الله سره من الاستقامة فيها ، لحرارة مزاجه مع كثرة استعماله المبردات ، وانصرف من العزم بالبقاء مدة طويلة ، وصار مجبوراً بالرجوع إلى وطنه ومسقط رأسه كربلاء المعلاة ، فاستقر فيها للدرس والتدريس مع بعض الخواص من الطلبة ، والتأليف والتصنيف . وترك صلاة الجماعة في الروضة

(١) الشيخ حبيب الله بن محمد علي خان بن إسماعيل خان الرشتي ، فقيه ومرجع شيعي إيراني ، وُلد سنة (١٢٣٤هـ) وتوفي سنة (١٣١٢هـ) ، من أساتذته في قزوین : محمد حسن النجفي ، وعبد الكريم الإيرواني ، ومرتضى الأنصاري . ومن تلامذته : فتح الله الأصفهاني ، وأبو الحسن الموسوي الأصفهاني وغيرهم . من مؤلفاته : (بدائع الأفكار) ، و (كاشف الظلام في حل معضلات الكلام) .

(٢) محمد باقر بن محمد بن باقر الإيرواني (١٣٠٦م) فقيه أصولي ، ومفسّر . قرأ بالنجف على مرتضى الأنصاري . له : رسالة عملية للمقلدين ، ورسالة في التعادل والترجيح ، ورسالة في مقدمة الواجب ومسألة الضد .

(٣) عالم فقيه ، من تلامذة آية الله الأنصاري ، توفي سنة ١٣١١هـ .

(٤) عالم وفقيه من النجف الأشرف . له مؤلفات عديدة منها : كتاب (الخيارات) ، وكتاب (رسالة في الإمامة العامة) . توفي سنة ١٣٢١هـ .

(٥) العالم الزاهد العابد ، وُلد في مدينة (سرايان) ، من أعمال (آذربيجان) عام ١٢٤٨ . وتوفي في النجف الأشرف ، سنة ١٣٢٢هـ .

الحسينية ، لما رأى أن المحل المقرّر له من المغفور له الكليدار المذكور اشتغل من بعض أئمة الجماعة ، اختار والدنا قدس الله سره الانسحاب من الصّلاة في الروضة المقدسة ، وجعل يصلي في داره جماعة بجمعية كثيرة سنين متطاولة ، إلى أن هياً الله تعالى شراء ديوانية الدماذ في سنة ١٣٤٤هـ بأمره أعلى الله مقامه ، وجعلها حسينية^(١) ، ونقل صلاة الجماعة إليها ، وكان يصلي فيها صلاة المغرب والعشاء فقط ، حتى صار طاعناً في السن ، وبلغ في العمر ثمانين سنة ، ضعفت بنيته ، وهزل جسمه ، وصعب عليه الالتزام بصلاة الجماعة ، تركها مطلقاً . وفي سنة ٨٤ من عمره الشريف الموافق ١٣٦٣هـ من الهجرة ابتلي بمرض الشلل ، وما انتفع من مراجعة الأطباء والدكاترة أبداً ، ودام معه المرض إلى الخامس من شهر رمضان ، وقد مضى عن ٨٥ عاماً من عمره الموافق ١٣٦٤هـ من الهجرة ، ففي زمان الظهر من ذلك اليوم لبى دعوة ربه ، وقضى نحبه ، وصار إلى روح وريحان وجنة ورضوان ، ﴿إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٢) ، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٣) ، وإنا عن قريب به لاحقون . وأقيمت له الفواتح ، والتراحم ، والذكرى في بلاد العرب ، وإيران ، وقراها كثيراً . ودفن في مقبرة جدنا خلف والده المقدس أعلى الله تعالى في الدارين مقامهما .

ورثاه كثير من الشعراء ، منهم السيد علي الهاشمي دام علاه :

لَقَدْ فَقَدَ الْأَنَامُ بِفَقْدِ مُوسَى فُنُونَ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ الْعَمِيمِ

(١) المسماة حسينية الحائري قرب صحن سيدنا الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٥٦ .

(٣) سورة الرحمن ، الآيتان : ٢٦ - ٢٧ .

وَنَاحَ (الْحَائِرُ) السَّامِي عَلَيْهِ بِقَانِي الدَّمْعِ يَذْرِيه سَحِيمٍ
فَهَدَّ مُصَابُهُ الْأَطْوَادَ شَجْوًا وَهَزَّ نَعِيَهُ رُكْنُ الْخَطِيمِ
وَرُضْوَانُ بِهَا أَرَّخَ [يُنَادِي ثَوَى مُوسَى بِجَنَاتِ النَّعِيمِ]
١٣٦٤هـ

وقال جناب الشيخ محمد سعيد الشيخ موسى الخطيب سلمه الله :
لَقَدْ قَضَى مَنْ كَانَ يَرْعَانَا مُوسَى وَفِيهِ الدَّهْرُ أَرْزَانَا
وَصِحْتُ لَمَّا حَمَلْتُهُ الْوَرَى حَمَلْتُمُوا شَرْعًا وَقُرْآنَا
فَقُدَانُهُ أَوْرَثَ حَتَّى الْفَنَّا قُلُوبُنَا هَمًّا وَأَخْرَانَا
أَسْكَنَهُ اللَّهُ بِجَنَاتِهِ فَأَرَّخُوا [قِرَاهُ رُضْوَانَا]
١٣٦٤هـ

كانت له زوجتان : أولهما والدتنا المرحومة المؤمنة الطيبة ، وقد ماتت قبله بسنتين ، والأخرى بنت خاله المرحوم عباس علي ، وأنجب من والدتنا المرحومة اثني عشر ولداً ذكوراً وإناثاً ، ماتوا كلهم صغاراً ، وما عاش له منها إلا بنت واحدة ، وأولاد ذكور ثلاثة علماء : أولهم أكبرهم ، محرر الترجمة ميرزا علي ، وصي أبيه وخلفه ، والمصلي عليه بأمره . الثاني وسط أولاده محمد باقر المدعو ميرزا آقا ، مات قبل والدنا في تبريز سنة ١٣٥٣هـ في ١٢ من الربيع الأول ، ونقلت جنازته إلى كربلاء ، ودفن في مقبرة جدنا المفرزة من بيت جدنا أعلى الله مقامه ، وخلف ولدين : صادق وصالح وبنتين . وثالث الأولاد وهو أصغرهم سناً الميرزا حسن حفظه الله تعالى .

وأنجب والدنا من ابنة خاله المذكورة بنتين وولدين : الميرزا حسين
ومحمود ، ولم يكونا من أهل الفضل .

هذا مختصر ترجمة والدي أعلى الله مقامه ورفع في الخلد أعلامه .
علي بن موسى الحائري



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصَّلَاة والسلام على خير خلقه ، ومظهر لطفه محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين المعصومين ، ولعنة الله على أعدائهم ومخالفهم أجمعين إلى يوم الدين .

أما بعد :

فيقول المحتاج إلى كرم ربه الكريم : موسى بن محمد باقر بن محمد سليم ، عاملهم الله بفضلهم العقيم ومَنَّهُ الجسيم : إنه لما بُعِد العهد ، وطال الزمان بيننا وبين أمناء الرحمن عليهم الصَّلَاة والسلام ، واقتضت المشيئة الإلهية والمصلحة الربانية ، طول غيبة مولانا ، ولي العصر وصاحب الأمر ، الثاني عشر منهم ، عَجَّلَ الله فرجه ، وسَهَّلَ مخرجه ، ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾^(١) ، (وَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ، وليبلبل الناس بلبلة ، وليغربلوا غربلة ؛ وليساطوا سوط القدر ، حتى يعود أسفلهم أعلاهم ، وأعلاهم أسفلهم ، ويعود الإسلام كما بدأ غريباً^(٢)) ، وتحصل الفترة طوراً عجبياً ، ولم يكن في البين ظاهراً من يلَمُّ الشعث ،

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٤٤ .

(٢) نهج البلاغة ، ج ١ ص ٤٧ .

ويشعب الصَّدع ، ويرقع الخرق ، ويرتق الفتق ، وكلما حدث أدنى خرق كبر واتسع ، أو وجد أصغر مزق عظم وابتشع .

فمن هذه الجهة تشتت آراء تابعيهم الإمامية كثيراً ، وتشعبت ميولاتهم تشعباً وفيراً ، واضطربوا اضطراب الأرشية^(١) في الطوى البعيدة ، واختلفوا اختلاف السُّفن في الأهوية الشديدة ، حتى ما يُرى عالمان على رأي واحد ، ولا حاكمان على مسلك فارد . وزعم كلُّ أنه الناجي وصاحبه الهالك ، فتكثرت الطرق والمسالك ، ومال إلى كل مذهب فريق ، وصار في كل بحر غريق .

ومن أعظم ما حدث في هذا الزمان المتأخر حتى افترقت الإمامية على فرقتين عظيمتين ، هو الاختلاف الذي حدث من أوائل المئة الثالثة عشرة من الهجرة ، زمان اشتهار العالم العلامة الأوحـد الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي^(٢) قدس الله نفسه ، حيث إن الأساطين رضوان الله عليهم اختلفوا فيه على اختلاف عظيم ، فهم بين ممجّد ومفخّم ومجيز له إجازة معتبرة ، وهم أساطين علماء عصره ومشاهير فقهاء دهره ، كرئيس الفقهاء والمجتهدين مولانا الشيخ جعفر^(٣) صاحب (كشف الغطاء) ، وكسيد العلماء والمحققين مولانا السيد علي الطباطبائي^(٤) صاحب (الرياض) ،

(١) حبل الدلو .

(٢) راجع ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي .

(٣) الشيخ جعفر بن خضر بن محمد يحيى بن سيف الدين المالكي ، كاشف الغطاء (١١٥٦هـ - ١٢٢٨هـ) . فقيه إمامي ، يلقَّب بالشيخ الأكبر ، وسُمي باسم كاشف الغطاء نسبة إلى كتابه الشهير (كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء) .

(٤) السيد علي ابن السيد محمد علي بن أبي المعالي الصغير ، بن أبي المعالي الكبير ، وُلد =

وكحجة الإسلام والمسلمين مولانا السيد محمد مهدي بحر العلوم^(١)،
 وشيخ الفقهاء الكملين الرباني السيد محمد مهدي الشهرستاني^(٢)، وعمدة
 العلماء والمحدثين العلامة الشيخ حسين آل عصفور^(٣)، وغيرهم من
 الأطواد الأعلام (أعلى الله مقامهم، ورفع في الجنان أعلامهم)، حتى
 صرَّح بعضهم بأنه أهل لأن يجيز لا أن يستجيز^(٤).

وبين مكفر له، ومثبت عليه عقائد فاسدة، ومذاهب باطلة كاسدة،
 ومخرجه عن رتبة الإسلام، والطريقة الجعفرية، حتى كتبوا عليه رسائل
 وطوامير، وسطروا عليه أساطير، وهم من أهل زمانه بعض فحول علماء
 المعقول، وبعد زمانه جماعة منهم، ومن فقهاء المنقول.

وبين متوقّف في حقه، وساكت عنه، لا قاذح ولا ماح.

= سنة (١١٦١هـ) وتوفي سنة (١٢٣١هـ). من مؤلفاته: (رياض المسائل في تحقيق
 الأحكام بالدلائل).

(١) محمد مهدي بن مرتضى، ويرجع إلى إبراهيم الملقب بـ(طباطبا)، ويعود نسبه إلى
 الإمام الحسن بن علي عليهما السلام. وُلد في سنة ١١٥٥هـ، وتوفي سنة ١٢١٢هـ.
 أهم مؤلفاته: (مشكاة الهداية في الفقه)، و(تحفة الكرام في تاريخ مكة والبيت
 الحرام).

(٢) هو محمد مهدي ابن السيد أبي القاسم الشهرستاني الموسوي، وُلد سنة ١١٣٠هـ بمدينة
 أصفهان في إيران، وتوفي سنة ١٢١٦هـ بمدينة كربلاء المقدسة. قام بإصلاحات كثيرة
 في الحضرة الحسينية. من مؤلفاته: (الفضائل في شرح المدارك).

(٣) الشيخ حسين بن محمد بن أحمد آل عصفور الدرازي البحراني. وُلد في القرن الثاني عشر
 الهجري، وتوفي سنة ١٢١٦هـ. عالم وفقه ومحدث ومفسر ومرجع إمامي، من كبار
 علماء المدرسة الإخبارية، يقال إنه قتل على يد بعض الخوارج. من مؤلفاته: (عيون
 الحقائق الناضرة)، و(النفحة القدسية في الصلاة اليومية).

(٤) هذه الكلمة في إجازة الشيخ حسين العصفور.

ومنه تسرّى الاختلاف إلى طائفة العوام والجهال والأنعام ، فاتسعت دائرته واثارت نائرتة ، فضيّعوا في بعض الأمصار الحقوق الإسلامية ، وقطعوا الروابط الدينية ، وجعلوا يتنازرون بالألقاب ، ويتغامزون بلا توقف ولا حجاب ، بل ربما أدّى في بعضها إلى سفك الدماء ، وهتك الأعراض ، وتحليل الحرام ، وإعمال الأغراض ، حتى عوملوا في بعض البلاد معاملة أهل الحرب ، ولم يبالوا بكل أذية وقتل ونهب ، وصار المرء يتبرأ ويفر من جدّه وأبيه وأمه وأخيه ، وصاحبته وبنيه ، وفصيلته التي تؤويه .

وبالجملة ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾^(١) ، وخلفت ذرية زادت على سابقتها ، ولم يتفق إلى الآن مصلح بين الأمتين ، ولا جامع مع كثرة العلماء الكاملين والمراجع من الطرفين .

والأحقر الفاني ، منذ ميّزت الليل من النهار ، وعرفت اليمين من اليسار ، رأيت أن نائرة التشاجر والاختلاف آناً فآناً في ازدياد ، وشرارة التفرقة والفساد كل حين في اشتداد ، فكان عليّ همّاً عظيماً ، فما زال يزداد حتى أغصّني الشراب والطعام ، وأقلقني عن الوسادة والمنام ، وصرت كلما جالست المعاصرين من العلماء الأخيار ، ومارست كتبهم والآثار ، لم ألتجئ في ذلك إلى ركن وثيق ، وما هو بالإذعان حقيق ، بيد أنني رأيتهم أيضاً مختلفين ومضطربين ، مادحين لذلك الشيخ الأحسائي وقادحين ، بل بين مفرط ومفرط . قوم أفرطوا فيه ، وجعلوه معصوماً مصيباً لا يخطئ أبداً ، وقوم فرطوا حتى أبوا أن يحسبوه في عداد

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٣٨ .

العلماء ، وزمرة أهل الهدى ، ثم عطفت العنان نحو القادحين ، فرأيتهم أيضاً غير مجتمعين .

فقسم : اعتمدوا في ذلك فقط على الشهرة والقيـل ، ولم يأتوا ببرهان ولا دليل ، وذلك هو الغالب .

وقسم : ما رأوا شيئاً من كتبه والتصنيفات ، بل أرسلوا كفره إرسال المسلمات .

وقسم : كفروه لتجاوزه بزعمهم في رتب المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام عن النمط الأوسط ، وكونه ممن قال بالتفويض ، وغلا وأفراط .

وقسم : نسب إليه إنكار المعاد الجسماني ، وإنكار شق القمر والمعراج الجسماني .

وقسم : أثبت عليه كل اعتقاد فاسد ، واعترض على جميع كتبه واحداً بعد واحد .

وقسم : نسب غالب تصانيفه إلى الهجر والخراف ، وتلفيق الألفاظ من غير معنى والتحكم والجزاف .

وقسم : أخذوه بجرم الجار ، ونسبوا إليه عقائد المنتسبين إليه من الأغيار .

وكم من تصانيف في هذا المضمار صنفوها ، وكتب بلغات عديدة ألفوها وأبرزوها ، والكل ناطقة على كونه في طرفٍ عن الحق والحقيقة ، وخروجه عن الشريعة والطريقة ، على خلاف أولئك الأمجاد ، ومعاصريه الفحول الأطواد ، الذين أجازوه وصدقوه ، وأمروا بتقليده ووثقوه ،

وحيث إن التقليد في هذه الأمور غير مستحسن ، بل غير جائز ،
والتفحص والتثبت لازم على أهل العلم والغرائز ، إذ ربّ مشهور لا
أصل له ، وقال الإمام عليه السلام : (الفرق بين الحق والباطل أربعة
أصابع ، ما سمعته فكذبه ، وما رأيته بعينك فصدقه)^(١) .

فجعلت أتبع كتبه وتصنيفاته ، وأدقق النظر في رسائله وعباراته ،
بعين الدقة والإنصاف ، لا بعين الرضا ، ولا بعين السخط والاعتساف ،
مع أنني لم أكن أجنبياً عن غالب رسائله وعبارته ، لأنسي وعهدي بلحنه
واصطلاحاته ورطنه ، وقراءتي على الوالد الماجد العلامة قدس الله سره
بعض كتبه قراءة وتدريساً أياماً طويلة ، ومدة غير قليلة ، ومع ذلك كله لم
أعتمد على ذلك ، وجعلت أردد النظر فيها مرة بعد أخرى ، وأرجع
البصر كرة غب أولى ، وأجلت سارح فكري بكمال الإمعان فيما اعترضوا
وسطروا ، وقابلت بغاية الإقتان بما ذكر ما ذكروا ، فحسبما فهمت بيني
وبين خالقي والله على ما أقول وكيل : أن المعترضين بعضهم التبس عليه
الأمر كما هو الغالب والأكثر ، إما لعدم أنسه بالاصطلاح في المقام ، أو
لعدم إحاطته بأطراف الكلام ، وبعض عشر على كلام مجمل ، وغفل عن
سائر ما أفاد وفصل .

وبعضهم إنصافاً لم يكن خالياً عن أعمال الغرض في مقام الإبرام

(١) روي عن ميسر بن عبد العزيز قال : قال أبو جعفر عليه السلام : (سئل أمير المؤمنين عليه
السلام كم بين الحق والباطل ؟ فقال : أربع أصابع ، ووضع أمير المؤمنين يده على أذنه
وعينه ، فقال : ما رأيته عينك فهو الحق ، وما سمعته أذنك فأكثره باطل) . بحار
الأنوار . ج ٧٢ ص ١٩٥ - ١٩٦ . الخصال . ط ١ ، ص ٢٣٦ .

والنقض ، وبعضُ رتب عليه عقيدة الغير بعلاقة التلمذة والمجاورة ، غفلة عن أنه لا تزر وازرة وزر أخرى .

فعمدْتُ إلى تصنيف كتاب جامع لشتات كلمات القوم وعبارات الشيخ المذكور في كل مسألة ، ومبين للغفلات وبعض الاشتباهات في كل مرحلة ، ومفسّر وشارح لمقاصد الشيخ في بعض العبارات المجملة ببياناته المذيلة ، أو سائر عبارته المفصلة ، وتحقيق ما نسبوا إليه خطأ أو صواباً ، وما حسبه في حقّه ماءً أو سراباً ، وأنه هل أتى بعقائد فضيحة ، أو له عبارات في تلك ظاهرة أو صريحة ، وأن تلك الفضائح المشهورة في الألسنة ، أو التي في بعض الكتب مسجلة مبيّنة ، هل لها أصل وأساس أو من الغير فيها سراية واقتباس ؟ وهل فيها أو في بعضها اشتباه والتباس ؟ كل ذلك ببيان وافٍ واضح ، وتبيانٍ شافٍ لائح ، لا يخفى على العامي الجاهل فضلاً على العالم العاقل ، رجاء أن يقع مفيداً في بعض المواد ممن طلب معرفة الحق السداد ، واختلج فيه عرق الإنصاف والرشاد ، ورام الوقوف على الواقع الصحيح ، بدليل عربي فصيح ، عسى ولعل أن يرتفع النزاع من البين ، ويقع الصلح بين المنصفين من الفرقتين ، ويرتفع هذا الشقاق والتفرقة والعناد ، من بين مؤمني العباد ، ويشتغلوا عن الطعن بعضهم ببعض بما هو الأهم والفرض ، ويلتفتوا إلى سد ثغور المذهب والدين ، وطرد الأعداء والشياطين ، فقد استولوا علينا من كل جانب ، وتمكنوا من ديننا بل وأنفسنا بلا مانع ولا حاجب ، فالحكم لله العليّ الكبير .

فحيث إنني ما رأيت فيما وجدت مما كتبوا وألفوا ، وأثبتوا وصنفوا أحسن وأمتن مما ألف بالفارسية العالم العلام ، والفاضل القمقام ،

جامع المعقول والمنقول ، حاوي الفروع والأصول ، الفاضل النحرير المعاصر ، طيّب الله مرقد الطاهر^(١) ، ولم أصرح باسمه الشريف احتراماً وتعظيماً لمقامه المنيف ، لأنه - رحمه الله في رده لم يتجاوز الحدود والقواعد ، وراعى بنظره جانب الحق والإنصاف في الموارد .

وكفى فخراً له أن جدّه رفع الله شأنه ، ممن أجاز الشيخ الأوحد الأحسائي - رحمه الله - بإجازة معتبرة معروفة^(٢) ، ومع ذلك لم يتبع جدّه وأباه ، بل أتى بما عنده قرابة إلى الله ، فلهذا جعلت كلامه - قدس سره - غالباً هو المعتمد ، في مقام القبول والرد ، وربما تعرضت إلى كلام غيره أحياناً تكثيراً للفائدة وتوضيحاً وتبياناً . وكان تأليفه على طبق الكتاب المسمى بتنزيه الحق الذي ألفته باللغة الفارسية ، وتغييره بزيادة ونقصان ، حتى يعم النفع للعرب والعجم من الإخوان ، السنة السابعة والعشرين بعد الألف والثلاث مئة من الهجرة النبوية ، على هاجرها ألف صلاة وتحية ، وسميته بـ (إحقاق الحق) ، ورتبته على اثنتي عشرة مقالة ، وكل مقالة على فصول .

والمأمول أن يكون وسيلة النجاة ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ^(٣) .

(١) الفاضل المعاصر هو جناب الميرزا محمد حسين الشهرستاني من أعلام الإمامية وفقهائها ، نظم الشعر بالعربية والفارسية ، وُلد سنة ١٢٥٦ هـ وتوفي سنة ١٣١٥ هـ ، من مؤلفاته : (ترياق الفاروق) (بالفارسية) ، و (غاية المسؤول) ، و (الكوكب الدرّي - تاريخ المراقد) في رسالته (ترياق الفاروق) باللغة العربية .

(٢) راجع إجازة الميرزا الشهرستاني في ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي .

(٣) سورة الشعراء ، الآيتان : ٨٨ - ٨٩ .

المقالة الأولى

في المعاد

قدمت هذه المقالة ، لأهميتها وكثرة تداولها في ألسن
الخاص والعام ، وفيها عشرة فصول .

الفصل الأول

الواجب اعتقاده في المعاد

اعلم : أنه مما يجب الاعتقاد به - ومنكره منكر لضرورة الدين ، وخارج عن ربة المسلمين - هو المعاد الجسماني والجسداني . بمعنى : أن التي تحشر يوم القيامة ، وتعود للجزاء والثواب والعقاب هي هذه الأبدان الدنيوية ، المحسوسة الملموسة المرئية ، المباشرة في دار الدنيا للسيئات ، والحسنات ، والمعاصي ، والطاعات . وهي بعينها متعلق الثواب والعقاب ، وهي التي تدخل الجنة أو النار لا غيرها ، على ما يأتي تفصيله في ذكر الأقوال في المعاد الجسماني .

فمن قال بعود الأرواح فقط ، أو بأجساد غير هذه الأجساد الدنيوية التي هي مصدر القبائح أو المحاسن فقد قال قولاً باطلاً ، وخرج عن مذهب الإمامية ، بل عن الملة النبوية ، والآيات وغير واحد من الأخبار ، بل والدليل العقلي على ما بُيِّن في محله على ما ذكرنا دالة صريحة .

قال تعالى في ردِّ من أنكر عود العظام وهي رميم : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾^(١) ، وقال تعالى : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾^(٢) إلى غير ذلك .

(١) سورة يس ، الآية : ٧٩ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٥٦ .

والأخبار المصرحة في المعاد الجسماني معروفة مشهورة ، لسنا في مقام إيرادها ، وربما يمر عليك بعضها في بعض الفصول الآتية ، ونسب جماعة إلى الشيخ الأوحّد الأحسائي قدس الله سره إنكار المعاد الجسماني ، منهم : ملا رضا الواعظ الهمداني^(١) ، حيث قال في (هدية النملة) : قالت الشيخية^(٢) : إن الجسم جسمان ، والجسد جسدان .

الأول : جسد عنصري دنيوي ، وهو مخلوق من عناصر هذه الدنيا التي تحت فلك القمر ، وهذا يفنى ويلحق كل شيء إلى أصله ، ويعود إليه عود ممازجة واستهلاك ، فيعود ماؤه إلى الماء ، وهوؤه إلى الهواء ، وناره إلى النار ، وترابه إلى التراب ، ولا يرجع ولا يعود ، لأنه كالثوب يلتقى من الشخص .

والثاني : جسد أصلي من عناصر هورقلييا^(٣) ، وهو كامن في هذا المحسوس ، وهو مركب الروح ، فيقوم للحساب .

وهذا الجسد هو الذي يتألم ويتنعم ، وهو الباقي ، وبه يدخل الجنة أو النار . وهذه المقالة منهم متكررة في الكتب من غير عدّ ، وما سطرناه عين عبارة ابن صقر^(٤) في (شرح الزيارة) انتهى .

الإنصاف أن الشيخ وأتباعه من الاثني عشرية والإمامية ، فعنوانهم

(١) الشيخ محمد رضا بن علي تقي بن محمد أمين الهمداني ، (١٢٦١هـ - ١٣١٨هـ) . عالم وفقه إمامي ، إيراني ، من مؤلفاته : (هدية النملة إلى رئيس الملة) ، و (نخبة الصوارم في الفقه والأصول) .

(٢) يقصد من تبع الشيخ أحمد الأحسائي في فكره ومنهجه .

(٣) هورقلييا : لفظ سرياني ، ويعني ملك آخر ، ويعني هنا عالم البرزخ .

(٤) يعني به الشيخ الأوحّد الشيخ أحمد الأحسائي ، وصقر اسم أحد أجداده .

باسم الشيخية ، وجعلهم فرقة في قبال الإمامية ، مع دعواهم الاتفاق والاتحاد في الأصول ، والفروع ، والكتاب ، والسنة ، وعملهم بالكتب الأربعة التي هي الجامع ، بعيداً من المنتسبين للعلم وتنازب بالألقاب ، قال تعالى : ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾^(١).

والأعظم الذي هو عند أهل الفضل ذنب لا يغتفر ، تغييره العبارة في مقام نقل الكلام ، وتأليفه بما أراد ، فإن العبارة التي نقلها ، وادّعى أنها عين عبارة ابن صقر في (شرح الزيارة) ليست بعبارة الشيخ المذكور ، ولا لها عين وأثر ، لا في شرح الزيارة ، ولا في غيره .

وناهيك عين عبارته التي ننقلها في الفصل الآتي من (شرح الزيارة) ، فلاحظها تعرف حقيقة المطلب ، ولو قال : هذا مضمون عبارته ، ليوهم النقل بالمعنى ، لكان الخطب أهون . وأعظم من جميع ذلك أن غالب ما ادعاه في رسالته من هذا القبيل ، كما سيتبين - إن شاء الله تعالى - في المقالات الآتية ، ومع ذلك نسبها إلى رئيس الملة ، وجعلها باسم الهدية إلى حضرة رئيس العلماء العاملين ، عمدة الفقهاء والمجتهدين محيي الشريعة ومرجع الشيعة ، مولانا السيد محمد حسن الشيرازي^(٢) قدس الله نفسه الزكية ، ليوهم إلى أنظار عموم الخاص والعام أن رسالته كانت مرضية عنده ، ومقبولة لديه قدس سره . والحال

(١) سورة الحجرات ، الآية : ١١ .

(٢) السيد محمد حسن ابن السيد محمود الحسيني الشيرازي ، المعروف بالشيرازي الكبير . وُلد في سنة ١٢٣٠ هـ بمدينة شيراز في إيران ، وتوفي في سنة ١٣١٢ هـ بمدينة سامراء ، واشتهر بفتوى (تحريم التنبك) . من مؤلفاته : (منهج النجاة) ، و (زاد المتقين) (بالفارسية) .

أن المتواتر من تلاميذه الأجلاء المعتمدين ، ومن حضر مجلسه الشريف من الموثقين أنه قدس سره كان يتألم ويتضجر من هذه التفرقة والشقاق بين الإمامية ، بل المنقول عنه من غير واحد من العلماء المعبرين أنه قدس سره كان من الممجدين والمفخمين للشيخ المذكور كأستاده الأنصاري^(١) أعلى الله مقامه .

فمن زعم أن الرسالة المذكورة صارت بمرأى وموقع القبول منه قدس سره ، فقد اكتسب بهتاناً وإثماً مبيناً ، لأن هذا الزاعم إما بفرض قبوله قدس سره للهدية ، مع اطلاعه وكشفه بالدقة ، ومقابلته للعبائر المنقولة مع هذا الاختلاف الفاحش ، أو قبوله قدس سره بلا تأمل وتدبر منه ، بل بثوقه واعتماده على المٌهدي ، وكلاهما بعيدان عن ساحته الشريفة ، وآية ذلك أنه لم يقرّظ الرسالة بقلمه الشريف ، ولم يزيّنْها بخاتمه المنيف .

(١) هو الشيخ مرتضى الأنصاري ، (١٢١٤ - ١٢٨١هـ) ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري (رض) . ولد بمدينة ذرفول الإيرانية . من أساتذته : الشيخ الجواهري ، الشيخ محمد بن حسن المازندراني المعروف بشريف العلماء ، السيد صدر الدين محمد العاملي ، السيد محمد المجاهد ، الشيخ أحمد النراقي ، ومن تلامذته السيد محمد حسن الشيرازي المعروف بالشيرازي الكبير ، الشيخ الفاضل محمد الإيرواني ، الأخوند محمد كاظم الخراساني ، الشيخ حسين النوري الطبرسي ، السيد حسين الكوهكجري ، السيد حبيب الله الرشتي وغيرهم . استلم الشيخ الأنصاري زعامة الشيعة ومرجعيتها عام ١٢٦٦هـ إلى أن توفي عام ١٢٨١هـ . من مؤلفاته المكاسب المحرمة ، فرائد الأصول ، أصول الفقه ، الحاشية على قوانين الأصول ، الحاشية على عوائد النراقي ، رسالة في الخلل وغيرها . توفي في ١٨ جمادى الثانية ١٢٨١هـ بالنجف الأشرف ، وصلى على جثمانه السيد علي الشوشتري ، ودفن في الصحن الحيدري .

الفصل الثاني

رأي الشيخ الأحسائي في المعاد

قال الشيخ الأوحدي في شرح الزيارة في شرح فقرة : (وأجسادكم في الأجساد)^(١) ، وإن كانت العبارة طويلة ، لكننا سننقلها بطولها حتى يتضح الحال :

واعلمْ وَفَقَكَ اللهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَهُ جِسْمَانِ وَجِسْدَانِ ، فَأَمَّا الْجِسْدُ الْأَوَّلُ : فَهُوَ مَا تَأَلَّفَ مِنَ الْعُنَاصِرِ الزَّمَانِيَةِ ، وَهَذَا الْجِسْدُ كَالثَوْبِ يَلْبَسُهُ الْإِنْسَانُ وَيُخْلَعُهُ ، وَلَا لَذَّةَ لَهُ ، وَلَا أَلَمَ ، وَلَا طَاعَةَ ، وَلَا مَعْصِيَةَ .

ألا ترى أن زيدا يمرض ويذهب جميع لحمه ، حتى لا يكاد يوجد فيه رطل لحم ، وهو زيد لم يتغير . وأنت تعلم قطعاً ببداهتك أن هذا زيد العاصي ، ولم يذهب من معاصيه واحدة ، ولو كان ما ذهب منه له مدخل في ذهاب المعصية لذهبت أكثر معاصيه بذهاب محلها ومصدرها . وهذا - مثلاً - زيد المطيع لم يذهب من طاعاته شيء ، إذ لا ربط لها بالذاهب بوجه من الوجوه ، لا وجه عليّة ، ولا وجه مصدرية ، ولا تعلق ، ولو كان الذاهب من زيد لذهب بما يخصّه من خير وشر .

(١) شرح الزيارة ج ٤ ص ٢٤ . انظر : الوافي ، الفيض الكاشاني ، ج ١٤ ، ص ١٥٧٢ ح ١٤٦٥٤ ، ٢ .

وكذا لو ضعف وسمن بعد ذلك ، هو زيد بلا زيادة في زيد بالسمن ، ولا نقصان فيه بالضعف ، لا في ذات ، ولا في صفات ، ولا في طاعة ، ولا في معصية .

والحاصل : هذا الجسد ليس منه ، وإنما هو بمنزلة الكثافة في الحجر والقلی ، فإنهما إذا أذبا حصل زجاج ، وهذا الزجاج بعينه هو ذلك الحجر والقلی الكثيفان ، لما ذاب زالت عنه الكثافة . . . إلى أن يقول بعد سطر :

. . . وهذا الجسد كالکثافة في الحجر والقلی ، ليست من ذاتهما . ومثال آخر : كالثوب فإنه هو الخيوط المنسوجة ، وأما الألوان فهي أعراض ليست منه ، يلبس لوناً ، ويخلع لوناً وهو هو . . . إلى أن يقول :

وأما الجسد الثاني ، فهو الجسد الباقي ، وهو الطينة التي خلق منها ، ويبقى في قبره ، إذا أكلت الأرض الجسد العنصري ، وتفرق كل جزء منه ولحق بأصله . فالنارية تلحق بالنار ، والهوائية تلحق بالهواء ، والمائية تلحق بالماء ، والترابية تلحق بالتراب ، يبقى مستديراً كما قال الإمام الصادق عليه السلام . إلى أن يقول :

وهذا الجسد هو الإنسان الذي لا يزيد ولا ينقص ، يبقى في قبره بعد زوال الجسد العنصري عنه ، الذي هو الكثافة والأعراض ، فإذا زالت الأعراض عنه المسماة بالجسد العنصري ، لم تره الأبصار الحسية . إلى أن يقول :

فإذا أراد الله سبحانه بعث الخلائق ، أمطر على كل الأرض ماء من بحر تحت العرش ، أبرد من الثلج ، ورائحته كرائحة المني ، يقال له

صاد ، وهو المذكور في القرآن . فيكون وجه الأرض بحراً مَوْجاً ، فيتموّج بالرياح ، وتتصفى الأجزاء ، كل شخص تجتمع أجزاء جسده في قبره مستديرة ، أي على هيئة بنيته في الدنيا : أجزاء الرأس ، ثم تتصل بها أجزاء الرقبة ، ثم تتصل الرقبة بأجزاء الصدر ، والصدر بالبطن وهكذا . . . وتمازجها أجزاء من تلك الأرض ، فينمو في قبره كما تنمو الكمأة في نبتها ، فإذا نفخ إسرافيل في الصور تطايرت الأرواح ، كل روح إلى قبر جسدها ، فتدخل فيه ، تنشق الأرض عنه كما تنشق عن الكمأة ، فإذا هم قيام ينظرون . وهذا الجسد الباقي هو من أرض (هورقليا) ، وهو الجسد الذي فيه يحشرون ويدخلون به الجنة أو النار .

فإن قلت : ظاهر كلامك أن هذا الجسد لا يبعث ، وهو مخالف لما عليه أهل الإسلام من أنها تبعث ، كما قال تعالى : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾^(١).

قلت : هذا الذي قلت هو ما يقوله المسلمون قاطبة ، فإنهم يقولون : إن الأجساد التي يحشرون فيها هي هذه التي في الدنيا بعينها ، ولكنها تصفى من الكدورة والأعراض . إذ الإجماع من المسلمين منعقد على أنها لا تبعث على هذه الكثافة ، بل تصفى وتبعث صافية ، وهي هي بعينها . وهذا الذي قلت ، وإياه عنيت ، فإن هذه الكثافة تفنى ، يعني تلحق بأصلها ، ولا تعلق لها بالروح ، ولا بالطاعة والمعصية ، ولا باللذة والألم ، ولا إحساس لها ، وإنما هي في الإنسان بمنزلة ثوبه ، وهذه الكثافة هي الجسد العنصري الذي عنيت . فافهم . انتهى كلامه .

(١) سورة الحج ، الآية : ٧ .

والظاهر أن مراد الهمداني^(١) من العبارة المنقولة هي هذه العبارة ، فانظر أيها المصنف بعين الاعتبار ، هل هذه العبارة عين ما نقلها ، أو كلام مؤلف من نفسه منسوب إليه ؟ وهل هذا سيرة العلماء في مقام النقل ، أو نقل الكلام بالتمام والكمال ؟ حتى اختلاف النسخ . على كل حال ليس مقصودنا التعرض والمقابلة بمثل ما فعل ، ولا هذا شأننا ، بل المقصود والمرام وما عليه الهمة والاهتمام توضيح الكلام وبالله المستعان . فنقول :



شرح كلام الشيخ الأحسائي

أولاً : إن لفظ (هورقليا) في كلامه لغة (سريانية) ، وهو لغة (الصبة)^(٢) الموجودين في زماننا هذا ، النازلين في البصرة وحواليها ، والمراد منه : الواسطة والبرزخ . والمراد من عناصره عناصر عالم المثال الذي هو برزخ وواسطة بين عالم الملكوت وهو عالم النفوس ، وبين عالم الملك ، وهو عالم الأجسام والدنيا . يعني أن عناصر الجسد الأصلي لا من عالم الملكوت ، ولا من عالم الملك ، بل من عالم آخر متوسط بينهما ، وهو عالم المثال . بعبارة أخرى : ليس عناصر ذلك الجسد من عالم الملكوت الذي هو من المجردات ، إذ هو مجرد من المادة العنصرية والمدة الزمانية . ولا من عالم الملك الذي هو عالم

(١) ملا محمد رضا الواعظ الهمداني (معرف) .

(٢) أي الصابئة . معجم المصطلحات .

الدنيا والأجسام ، بل من عالم متوسط بينهما في اللطافة والكثافة ، وهو عالم المثال .

ولا يُستَوْحَش من هذه الكلمة إذا أطلقت وأريد منها ما ذكرنا ، إذ هي متداولة عند أهلها ، وإن لم تكن متداولة عند من لا أنس له بها ، وغريبة عند من لا دراية له بلغتها ، وكثيراً ما يطلقه في سائر تصانيفه ، ويصرِّح بكون المراد منها هو ما ذكرناه ، ثم إن المناقشة في التعبير والألفاظ ليس من ديدن أهل العلم وشأنهم .

وثانياً : إن المراد من الجسد العنصري الذي يفنى ولا يعود ، كما صرَّح به هنا وفي سائر تصانيفه ، ورسائله التي سيمر عليك بعض عبائرها ، هو الأعراض والكثافات الموجودة في بدن الإنسان ، المختلطة بلحمه ، وجلده ، وعظمه ، ومخه ، والمكدرّة له ، والمانعة من ظهور صفائه ولطافته ، وليس لها ربط بالبدن بوجه من الوجوه ، لا يزيد بوجودها ولا ينقص بفقدانها ، كالألوان المختلفة العارضة للثوب ، فهل لها مدخل فيه ؟ وهو عبارة عن الخيوط المنسوجة ، وتلك الألوان المختلفة أعراض طارئة له ، إذا غسلته من تلك الأعراض ، ونظفته منها ، يقال إنه هو ذلك الثوب بعينه ، إلا أنه لَطَف ونظف من أعراضه وكثافته . وهذه الألوان أيضاً كنفس الثوب مركبة من العناصر الأربعة ، فبعد غسل الثوب وذهاب تلك الألوان يقال : إن كل واحد من عناصر تلك الأعراض والألوان لحق بأصله : ماؤه بالماء ، وترابه بالتراب ، وهكذا . . . ، وبقي الثوب المحسوس الملموس المركب من العناصر أيضاً بعناصره .

وكذلك الإنسان بعد ما يوضع ويلحد في قبره تتلاشى أجزاؤه ، وتأكل الأرض تلك الأعراض والكثافات الموجودة فيه ، المختلطة بكل

جزء من بدنه ، ولا تلحق تلك الأعراض بالبدن عند قيامه للحساب ، إذ ليست منه ، ولا دخل لها به بكل وجه ، وتلحق تلك الأعراض ، - يعني عناصرها - كل واحد منها بأصلها : ماؤها بالماء ، وترابها بالتراب ، وهكذا . . . ، ولا تعود إلى البدن إذا قام للحساب ، والذي يعود هو الجسد الأصلي الذي هو المحسوس الملموس المبصر الدنيوي بلا تغيير فيه ولا نقصان .

ولا يُتَوَهَّم أن العناصر التي تفتنى وتذهب ولا تعود ، ويلحق كل واحد منها بأصله ، هي عناصر هذا الجسد المحسوس الملموس ، كما توهمه من لا دراية له ، ولذا أخذ في التكلم بما لا يليق ، بل التي تفتنى وتذهب ولا تعود هي عناصر تلك الأعراض والكثافات .

وأما الجسد الثاني الأصلي الذي هو المرئي المبصر الدنيوي ، فهو بعينه يعاد يوم القيامة ، ولا يذهب منه شيء ، ولا يتغير بوجه . نعم الذي يتغير منه هي الصورة التي هي الأعراض والكثافات ، كاللون في الثوب ، وتتبدل بأحسن منها مثلها . يعني كان في دار الدنيا في صورة كثيفة ، ويكون في الآخرة في صورة لطيفة ، كالغلام الأسود كان في الدنيا أسود ومتعفنًا ذا ريح نتنة وصورة قبيحة ، وفي الآخرة قطعاً لا يأتي بتلك الصورة ، بل يعود أبيض ، نورانياً ، صافياً ، براقاً ، شفافاً ، في أحسن صورة ، لكن من رآه يقول هو ذلك العبد الأسود القبيح المنظر والصورة بعينه ، إلا أنه أبيضٌ ولطيفٌ وزالت عنه كثافة السواد ، والريح ، والعفونة .

وهذا السواد العارض للعبد الذي لا يعود قطعاً ، مركبٌ أيضاً ، كنفس العبد من العناصر الأربعة باتفاق الحكماء ، فإذا مات ولحد في

قبره ، وتلاشت أجزاء بدنه ، يلحق كل واحد من عناصر السواد ، لا نفس العبد بأصله .

وهذا السواد مثلاً ، يسميه الشيخ الأوحى بالجسد العنصري ، والجسد الأولي ، ويقول : إنه لا يعود ، ويلحق كل واحد من عناصر السواد بأصلها : ماؤه بالماء ، وترابه بالتراب ، وهواؤه بالهواء ، وناره بالنار . وأما عناصر نفس العبد ، فهي التي تعود بلا زيادة ولا نقص ، وهي المحسوسة الملموسة الدنيوية ، وتسميته الأعراض والصورة بالجسد العنصري والجسد الأولي ، اصطلاح منه - رحمه الله - ولا مشاحة فيه ، ولا لأحد أن يعترض عليه في ذلك ، ومن لا معرفة له ولا أنس بكلماته واصطلاحاته توهم أن المراد من العناصر التي يلحق كل واحد منها بأصله ولا يعود ، هو عناصر نفس الإنسان ، غافلاً عن حقيقة الحال ، وأن مراده منها عناصر الأعراض والصورة ، لا نفس الإنسان ، ولذا قال ما قال .



خلاصة الكلام

الحاصل : هذا الجسد المحسوس الملموس المبصر الدنيوي ، الذي هو الجسد الأصلي المعاد ليوم الحساب ، الذي يسميه الشيخ بالجسد الثاني ، فيه أجزاء غريبة ، وأعراض وكثافات ، ويسمونها بالجسد العنصري تارة ، والجسد الأولي أخرى ، وهذه الأجزاء الغريبة والأعراض هي سبب الموت ، وعدم الخلود في دار الدنيا ، والسبب لخروج البدن الإنساني عن الاعتدال الطبيعي ، وعروض الفساد عليه دائماً ، كما يُرى وجداناً أن من كان رطوبياً وبلغمياً يعتره أمراض عجيبة ومفاسد غريبة غالباً ، وليست إلا لكثرة أعراضه الغريبة .

ومن كان مزاجه حاراً قَلَّتْ أمراضه الغريبة ، واعتدل مزاجه ، وليست
إِلَّا لِقَلَّةِ أعراضه الغريبة . فإذا مات الإنسان ولحد فرقت الأرض جسده ،
وجعلته أجزاء متلاشية ، وأكلت جميع أجزائه الغريبة ، وأعراضه ،
وكثافته ، وصيرته صافياً لطيفاً نورانياً خالصاً من جميع الأعراض
والكدورات ، قابلاً لدار الآخرة التي هي دار الخلود ، إذ لو لم يكن
صافياً لطيفاً ، وخالصاً عن الأعراض والغرائب ، لم يكن أهلاً للخلود
في دار الخلود ، ولما تَخَلَّدَ كما لم يتخَلَّدَ في دار الدنيا ، فلا بدَّ ، ولا
محيص من تصفيته وتلطيفه من الأجزاء الغريبة والأعراض العجيبة حتى
يعتدل مزاجه ، ويصفى ويتلطف ، ويكون أهلاً للخلود ، وقابلاً لدار
خلود الملك المعبود ، ولا يعتريه التغير والتبديل ، ولا يعترضه الموت
والفساد ، ولا تستولي عليه العلل والأمراض . كما أن المولود الفلسفي لا
يكمل ولا يعتدل إِلَّا بعد زوال الأعراض الغريبة ، والألوان المختلفة
العجيبة في الآلة العمياء التي هي قبره بالغسلات الثلاث في الغربي ،
والغسلات الست في المشرقي ، في مدة أسبوع وأسابيع ، ثلث وسبع
حملة وفصالة ، وإن زدته حولين زاد شباباً ، ثم بعد ذلك يكون كاملاً
منتهى الكمال ، ويعتدل مزاجه في غاية الاعتدال ، ولا يعتريه فساد ، ولا
تغيير حال ، ولا زوال ، ولا اضمحلال .

لِهَرْمِسُ أَرْضٌ تُنْبِتُ الْعِزَّ وَالْغِنَى إذا ما انتفى عنها غَرِيبُ الْحَشَائِشِ^(١)

وفي فصلٍ مخصوص نشير - إن شاء الله - إلى تطبيقه مع العالم
الصغير ، فانتظر ، كي ترى عجائب صنعه ، وغرائب حكمته .

(١) صحيفة الأبرار ج ١ ، ص ٦٨ .

ثم إن الإنسان لما خلص في قبره من الأعراض والأجزاء الغريبة ،
أمطر الله عز وجل من بحر الصّاد مطراً رائحته كرائحة المنى ، حتى يكون
وجه الأرض بحراً واحداً ، وتجتمع أجزاء جسد كلِّ أحدٍ في قبره ، وتنمو
الأجساد كنمو النبات ، ثم يقوم من قبره للحساب بهذا الجسد
المحسوس ، الملموس ، المبصر ، بلا زيادة ولا نقصان ، أصفى من
البلور ، بحيث يرى صورته في يده ، ثم يذهب إلى الجنة أو إلى النار ،
فيتنعم أو يتعذب بهذا الجسد الدنيوي لا بغيره .

وما ذكرناه هو مراد الشيخ الأوحدي في جميع تصانيفه ، وكتبه ،
ورسائله ، وما أجمع عليه المسلمون ، وسيمر عليك - إن شاء الله - بعض
كلماته ، وسائر أصحابنا الإمامية الصريحة فيما ذكرنا ، ثم نتوجه إلى
اعتقاد المعتز ، ونثبت أنه هو المخالف ، ومن سلك مسلكه لما أجمع
عليه المسلمون .



الفصل الثالث

جملة من أقوال بعض الأعلام

قد صرّح جملة من أصحابنا العظام ، وعلمائنا الأعلام بالمقصود والمرام ، وما عليه الهمة والاهتمام ، من عود عين هذه الأجساد الدنيوية التي هي الأجزاء الأصلية ، وعدم عود الأجزاء الفضلية التي ليست من الأجساد الأصلية ، بل هي أجزاء غريبة وأعراض طارئة ، ليس لها مدخل بالجسد الأصلي بوجه من الوجوه ، ويفهم من كلمات بعضهم أنه هو المتفق عليه بين المسلمين .

منهم : المحقق الطوسي ، خواجه نصير الدين ، رحمه الله^(١) ، خرّيت هذه الصناعة في كتاب (التجريد) ، حيث قال : والضرورة قاضية بثبوت الجسماني من دين محمد صلى الله عليه وآله مع إمكانه ، ولا يجب إعادة فواضل المكلّف .

ومنهم : القوشجي^(٢) الذي هو من جملة الشارحين للتجريد في شرح

(١) أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسن الطوسي المعروف باسم (نصير الدين الطوسي) . عالم فلكي ، وفيلسوف ، ومرجع إمامي . وُلد سنة ٥٩٧هـ ، وتوفي سنة ٦٧٢هـ . وله مؤلفات عديدة أهمها : (تجريد الاعتقاد) أو (تجريد الكلام في تحرير عقائد الإسلام) .

(٢) هو علاء الدين علي بن محمد القوشجي السمرقندي ، عالم فلكي ، ورياضي وفقيه حنفي ، له كتاب : (شرح التجريد) للطوسي .

هذه العبارة قوله : ولا يجب إعادة فواضل المكلف إشارة إلى جواب شبهة ، تقريرها : أن المعاد الجسماني غير ممكن ، لأنه لو أكل الإنسان إنساناً حتى صار جزء بدن الآكل ، فهذا الجزء إما لا يعاد أصلاً ، وهو المطلوب ، أو يعاد في كل واحد منهما ، وهو محال ، لاستحالة أن يكون جزء واحد بعينه - في آن واحد - جزءاً في شخصين متباينين . أو يعاد في أحدهما وحده ، فلا يكون الآخر معاداً بعينه . وهذا مع إفضائه إلى الترجيح بلا مرجح يثبت مقصودنا ، وهو أنه لا يمكن إعادة جميع الأبدان بأعيانها كما زعمتم .

تقرير الجواب : (إن المعاد إنما هو الأجزاء الأصلية ، وهي الباقية من أول عمره إلى آخره ، لا جميع الأجزاء على الإطلاق ، وهذا الجزء فضل في الإنسان فلا يجب إعادته فيه) انتهى .

ومنهم : المحقق الأردبيلي عليه الرحمة^(١) في حاشيته على هذه العبارة على فقرة وهو المطلوب . ظاهر كلامه ما نحن بصدد ، ولم تحضرني الآن عباراته .

ومنهم : العلامة الحلي آية الله في العالمين رحمه الله^(٢) أيضاً ، في

(١) الشيخ أحمد بن محمد الأردبيلي ، المشهور بـ (المحقق والمقدس الأردبيلي) . من أشهر فقهاء الشيعة ، توفي سنة ٩٩٣هـ . من أهم مؤلفاته : (مجمع الفائدة والبرهان) ، شرح (إرشاد الأذهان) للعلامة الحلي .

(٢) العلامة الحلي أبو منصور الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر ، وُلد سنة ٦٤٨هـ . وتوفي سنة ٧٢٦هـ ، فقيه ومتكلم شيعي ، هو أول من لقب بآية الله مؤلفاته تربو عن الخمسين ، ومن أهمها : (إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان) ، و (تذكرة الفقهاء) ، و (تهذيب الوصول إلى علم الأصول) . وكتاب (الجواهر النضيد في شرح كتاب التجريد) .

شرحه على التجريد ، في شرح فقرة (ولا يجب إعادة فواضل المكلف) ، حيث قال : (أقول : اختلف الناس في المكلف ، ما هو على مذهب الأوائل ، والنصارى ، والتناسخية ، والغزالي من الأشاعرة ، وابن الهضيم من الكرامية ، وجماعة من الإمامية والصوفية . ومنها قول جماعة من المحققين : إنَّ المكلف هو أجزاء أصلية في هذا البدن ، لا يتطرق إليها الزيادة والنقصان ، وإنما تقعان في الأجزاء المضاف إليها ، إذا عرفت هذا . فنقول الواجب في المعاد هو إعادة تلك الأجزاء الأصلية ، أو النفس المجردة مع الأجزاء الأصلية ، أما الأجسام المتصلة بتلك الأجزاء ، فلا يجب إعادتها بعينها) انتهى .

فانظر إلى كلامه رحمه الله كيف يصرّح بأن المعاد هو الأجزاء الأصلية ، وينفي عود الأعراض والأجزاء الغريبة ، ويعبر عنها بالأجسام .

ومنهم : السيد أشرف بن عبد الحبيب الحسيني أيضاً ، في شرح تلك الفقرة ، وعباراته على ما نقلها العالم الأزهر ميرزا حسن الشهير بكوهر^(١) عطر الله رمسه في شرح حياة الأرواح^(٢) ، هذه : (جماعتي أز محققين كفته اندكه مكلف : أجزاء أصلية أست در بدن كه راه زياد ونقصان در ان نيست ، ونقصان در أجزاء مضاف بر آنست) . إلى أن قال :

(١) الميرزا حسن كوهر بن علي الحائري القزاجة داغي . توفي سنة ١٢٦٦ هـ . رجل دين ، وفقه شيعي من أذربيجان . من مؤلفاته : (شرح حياة الأرواح) و (مخازن جواهر أسرار التنزيل) .

(٢) (صفحة : ٥٩٣) وهذا الكتاب هو شرح لكتاب حياة الأرواح للملا جعفر الأسترابادي رداً عليه ، وقد بين فيه اشتباهه في كثير من الأمور .

(وميكوثيم واجب در معاد إعادة أجزاء أصلية أوست ، نه هيكل متبدل در أكثر أوقات ، يا نفس مجردة أوست ، يا أجزاء أصلية ، وشك نیست : که أجزاء أصلية بدون إعادة نفس وجهی ندارد ، ولكن علامة چنانکه مذکور شد متردد میان أجزاء أصلية ونفس مجردة فرمود ، که چون در تجرد نفس بعضي خلاف نمودند در این صورت نفس داخل أجزاء أصلية خواهد بود ، وأما أجسام متصلة باین أجزاء پس إعادة این بعینها لازم نیست و غرض مصنف از این جواب از اعتراض فلاسفة أوست بر معاد جسماني تا اینکه اعتراض انها را ذکر کرده وميفرمايد .

وتقرير جواب : در هر دو واحد أوست وآن اینست که از برای هر مكلفي أجزاء أصلية هست که ممکن نیست که جزء وغير از او تواند بودو اگر کسی اورا غذا نماید جدا از أجزاء أصلية او میگردد ودر وقت عود أجزاء أصلية از برای هرکس که أجزاء اصلية أولا بود همان خواهد بود واین أجزاء باقیست از أول عمر تا آخر عمر) انتهى کلامه .

ومنههم : الإمام الرازي^(١) وعبارته على ما نقلها المجلسي رحمه الله في المجلد الثالث من البحار ، هذه : (إن الله تعالى يخلق من الأجزاء المتفرقة لذلك البدن بدنًا ، فيعيد إليه نفسه المجردة الباقية بعد خراب البدن ، ولا يضرنا كونه غير البدن الأول بحسب الشخص ، لامتناع إعادة المعدوم بعينه ، وما شهد به النصوص من كون أهل الجنة جرداً مرداً ، وكون ضرر الكافر مثل جبل أحد يعضد ذلك ، وكذا قوله تعالى :

(١) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي التيمي البكري ، الرازي ، المعروف بـ (فخر الدين) . وُلِدَ في سنة ٥٤٣هـ ، وتوفي سنة ٦٠٦هـ . من مؤلفاته : (شرح الإشارات والتنبيهات للعالم ابن سينا) .

﴿كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾^(١) ، ولا يبعد أن يكون قوله تعالى : ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾^(٢) إشارة إلى هذا .

فإن قيل : فعلى هذا يكون المثاب والمعاقب باللذات والآلام الجسمانية غير من عمل الطاعة وارتكب المعصية ، قلنا : العبرة في ذلك بالإدراك ، وإنما هو بالروح ، ولو بواسطة الآلات ، وهو باقٍ بعينه ، وكذا الأجزاء من البدن ، ولذا يقال للشخص من الصبا إلى الشيخوخة أنه بعينه ، وإن تبدلت الصورة والهيئات ، بل كثير من الأعضاء والآلات ، ولا يقال لمن جنى في الشباب ، فعوقب في المشيب إنها عقوبة لغير الجاني .

ومنهم : السيد الأواه ، سيد عبد الله^(٣) في مصابيح الأنوار في بيان موثقة عمار بن موسى الساباطي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (سئل عن الميت هل يبلى جسده ؟ قال : نعم ، حتى لا يبقى لحم ولا عظم ، إلا طينته التي خلق منها فإنها لا تبلى ، بل تبقى مستديرة حتى يُخْلَقَ منها كما خُلِقَ أول مرة)^(٤) ، وأطال الكلام في بيانه ، إلى أن قال : (وهذا يؤيد ما ذكره المتكلمون من أن تشخص الإنسان إنما هو

(١) سورة النساء ، الآية : ٥٦ .

(٢) سورة يس ، الآية : ٨١ .

(٣) هو المحدث الفقيه السيد عبد الله بن السيد محمد رضا شبر الحسيني الكاظمي النجفي (١١٨٨ هـ - ١٢٤٢ هـ) ولد في النجف الأشرف ، وتلمذ على علمائها الأفاضل . له سبعين مؤلفاً ، منها : حق اليقين ، الأنوار اللامعة ، ومصابيح الأنوار . توفي ودفن في البقعة الكاظمية .

(٤) الوافي : الفيض الكاشاني . ط ١ ، ج ٢٥ ، ص ٦٩٠ ، حديث ٢٤٨٢٢ .

بالأجزاء الأصلية ، ولا مدخل لسائر الأجزاء والعوارض فيه) ، إلى أن يقول : (ثم إن قلنا بعدم امتناع إعادة المعدوم لعدم قيام دليل على امتناعه ، فالأمر واضح . وإن قلنا بامتناعه ، فيمكن أن يقال : يكفي في المعاد كونه مأخوذاً من تلك المادة بعينها ، أو من تلك الأجزاء بعينها ، لا سيما إذا كان شبيهاً بذلك الشخص في الصفات والعوارض ، بحيث لو رأيته لقلت إنه فلان . إذ مدار اللذات والآلات فعلى الروح ، ولو بواسطة الآلات ، وهو باق بعينه . ولا تدل النصوص إلا على إعادة ذلك الشخص ، يعني أنه يُحْكَم عليه عرفاً بكونه هو ، كما يحكم على الماء الواحد ، إذا فُرِّغ في إناءين أنه هو الذي كان في واحد عرفاً وشرعاً ، والإطلاقات اللغوية ، والشرعية ، والعرفية ، لا تبني على الدقائق الحكمية والفلسفية ، والآيات والأخبار تشير إلى ذلك) انتهى .

ومنهم : العلامة الدواني^(١) في (شرح العقائد العضدية) ، بعد كلام طويل له في إثبات المعاد الجسماني ، قال : (فإن الذي دل على استحالة تعلق نفس زيد ببدن آخر لا يكون مخلوقاً من أجزاء بدنه ، وأما تعلُّقه بالبدن الموقوف من أجزائه الأصلية بعينها مع تشكيلها بشكل مثل الشكل السابق ، فهو الذي نعنيه بالحرش الجسماني ، وكون الشكل والاجتماع غير السابق لا يقدر في المقصود ، وهو حرش الأشخاص الإنسانية بأعيانها ، فإن زيدا مثلاً ، شخص واحد محفوظ وحدته الشخصية من أول عمره إلى آخره - بحسب العرف والشرع - ولذلك

(١) جلال الدين بن أسعد الدواني الشيرازي ، وُلد عام ٨٣٠هـ ، وتوفي عام ٩٠٨هـ .
فيلسوف إسلامي من كتبه : (شرح العقائد العضدية) .

يؤاخذ عرفاً وشرعاً بعد التبدل بما لزمه قبل) ، إلى أن يقول :
(والحاصل أن المعاد الجسماني عبارة عن عود النفس إلى بدن ، هو
ذلك البدن بحسب الشرع والعرف ، ومثل هذه التبدلات والمغايرات لا
تقدح في الوحدة بحسب الشرع والعرف ، ولا تقدح في كون المحشور
هو المبدأ . فافهم) انتهى .

ومنهم : العالم الكامل ملا مهدي النراقي رحمه الله^(١) في
(مشكلات العلوم) ، في بيان موثقة عمار الساباطي أيضاً ، وذكر في
المراد بالطينة وجوهاً أربعة ، وقال في الوجه الثاني : (إن المراد بالطينة
هو النطفة ، لأن النطفة هو الأصل الذي يخلق منه ، أي ما يتولد به
الأجزاء الأصلية ، من العظم ، واللحم ، والعصب ، والرباط ،
وغيرها) ، ثم يقول بعد أسطر : (فالمراد أن الأجزاء الفضلية والأصلية
تتفرق وتتلاشى بالموت البدني ، ويبقى ما به تتكون تلك الأجزاء وهو
النطفة بحالها ، لتكون كالمادة يخلق منها جسد الميت ، كما خلق منها
أول مرة ، إما بضم تلك الأجزاء إليها بعد التفتت والتشتت ، أو بإنشائها
منها مرة أخرى ، كما أنشأها منها في المرة الأولى . وقد ورد في بعض
الأخبار : (إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَ الْخَلْقَ أَمْطَرَ السَّمَاءَ عَلَى الْأَرْضِ
أَرْبَعِينَ صَبَاحاً ، فَاجْتَمَعَتِ الْأَوْصَالُ وَنَبَتَتِ اللَّحُومُ)^(٢) ، إلى أن قال
بعد الوجه الرابع ، بعد كلام طويل :

(١) محمد مهدي بن أبي ذر النراقي الكاشاني ، المعروف بالمحقق النراقي . وُلد بقرية
(نراق) من أعمال كاشان سنة ١١٢٨ هـ . وتوفي بالنجف الأشرف سنة ١٢٠٩ هـ . من
آثاره : (جامع السعادات) ، و(تجريد الأصول) ، و(الشهاب الثاقب) .
(٢) المجلسي بحار الأنوار ، ج ٧ ص ٣٣ . الصدوق ، الأمالي ط ١ ، ص ٢٤٣ . الفتال
النيسابوري ، روضة الواعظين ، ص ٤٩٨ .

(تنبيه : المستفاد من الخبر المذكور أنَّ المعاد إنما هو الأجزاء الأصلية ، وإعادة الأجزاء الفضلية غير لازمة ، وبذلك تندفع الشبهة المشهورة الموردة على المعاد الجسماني ، حتى ربما قد يتمسك بها بعض الملاحدة وأتباعهم من فُسَّاق المسلمين الذين هم أمثالهم في الباطن ، وأن يتميزوا عنهم في الظاهر على استحالة المعاد البدني : وهو أنه لو أكل إنسان إنساناً ، وصار جزء بدنه ، فيما أن لا يُعاد أصلاً وهو المطلوب ، أو يُعاد فيهما معاً ، وهو محال ، أو في أحدهما وحده ، فلا يكون الآخر بعينه معاداً . وهذا مع إفضائه إلى ترجيح من غير مرجح يستلزم المطلوب ، وهو عدم إمكان إعادة جميع البدن بعينها . ووجه الاندفاع أن المعاد إنما هو الأجزاء الأصلية الباقية ، دون الأجزاء الفضلية الفانية ، وهذا الإنسان المأكول الذي صار جزءاً لبدن الآكل ليس من أجزائه الأصلية ، بل إنما هو فضل فيه ، فلا يجب إعادته في الآكل قطعاً . نعم ، لو كان من الأجزاء الأصلية للمأكول ، أُعيد فيه ، وإلا فلا . وتقرير آخر ، نقول : أجزاء الإنسان المأكول أصلية وفضلية للإنسان الآكل ، فيعاد كل منهما مع أجزائه الأصلية ، فيُردُّ أصلية المأكول التي صارت فضلية الآكل إلى المأكول ، ويبقى أصلية الآكل معه ، فلا يمتنع العود... إلخ) . ولقد أحسن وأجاد في بيان أن الأجزاء الأصلية هي المعادة دون الأجزاء الفضلية الموجبة للفساد .

ومنهم : ملا محمد باقر المجلسي في المجلد الثالث من البحار ، حيث قال : (ذَكَرَ بعض المتكلمين أن تشخُّصَ الشخص إنما يقوم بأجزائه الأصلية المخلوقة من المني ، وتلك الأجزاء باقية في مدة حياته وبعد

موته ، وتفرق أجزائه فلا يعدم الشخص ، وقد مضى ما يومىء إليه من الأخبار . وعلى هذا فلو انعدم بعض العوارض غير المشخصة ، وأُعيد غيرها مكانه لا يقدر في كون الشيء باقيا بعينه . فإذا تمهّد هذا ، فاعلم أن القول بالحشر الجسماني على تقدير عدم القول بامتناع إعادة المعدم ، حيث لم يقم الدليل بيّناً لا إشكال فيه وأما على القول به ، فيمكن أن يقال : يكفي في المعاد كونه مأخوذاً من تلك المادة بعينها ، أو من تلك الأجزاء بعينها ، لا سيما إذا كان شبيهاً بذلك الشخص في الصفات والعوارض ، بحيث لو رأيت له لقلت إنه فلان . إذ مدار اللذات والآلام على الروح ، ولو بواسطة الآلات ، وهو باقٍ بعينه ، ولا تدل النصوص إلّا على إعادة ذلك الشخص ، بمعنى أنه يحكم عليه عرفاً أنه ذلك الشخص) انتهى .

وقال أيضاً : رفع مقامه في كتاب (حق اليقين) ، بعد هذه الآية الشريفة : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾^(۱) في مقام بيان الجواب عن شبهة الأكل والمأكول : (ووجهش انستکه در اکل أجزاء اصلیة هست که از منی بهم رسیده و اجزاء فضلیه هست که از غذا بهم میرسد و در مأكول نیز هر دو قسم هست پس اگر انسانیر انسانی بخورد اجزاء اصلی مأكول اجزاء فضلی اکل خواهد شد و اجزاء اصلی اکل آنها ست که پیش از خوردن انسان جزو بدن انسان بوده است و حق تعالی بهمه عالم است میداند که اجزاء اصلی و فضلی هر يك کدام است پس جمع میکند اجزاء اصلی اکل را و روح را دران میدمد و جمع میکند اجزاء

(۱) سورة يس ، الآية : ۷۹ .

أصلي مأكول را ونفخ روح در آن میکند وهمچنین اجزائیکه در بقاع وإصقاع متفرق شده أست بحکمة شامله وقدره کامله خود جمع میکند . . . إلخ). وإن أردنا نقل كلمات سائر أصحابنا ، لأدى إلى التطويل في المقام .

انظر كيف صرحوا بأن المعاد هو الأجزاء الأصلية من الإنسان ، لا الأجزاء الفضلية التي هي الأعراض ، وليست من الإنسان ، بل هي تفنى وتذهب وتلحق عناصرها كل واحد منها بأصله ! والشيخ الأوحده رحمه الله يُعبّر عن هذه الأجزاء الفضلية بالجسد العنصري مرة ، والجسد الأولي أخرى ، ويقول إنها لا تعود . ويُعبّر أيضاً ، عن الأجزاء الأصلية التي عبر الأصحاب عما به تشخّص الشخص ومدار الثواب والعقاب واللذة والألم ، بالجسد الأصلي مرة ، والجسد الثاني أخرى ، ويقول إنه هو الذي يعود ويخلد في الجنة أو النار . فهو رحمه الله كما ترى لم يقل إلّا ما قاله المسلمون ، ففي أي كلام خالفهم ؟ بل الذي نسب إليه الخلاف هو المخالف لما أجمع عليه المسلمون ، وصرّح به علماؤنا الإماميون ، ولم يكفه ذلك حتى نسب ما ذهب إليه إلى العلماء الإمامية والفرقة الحقّة الاثني عشرية .

والحال أنهم منزهون من ذلك الاعتقاد ، وأجل شأناً من أن يعتقدوا ما هو خلاف إجماع المسلمين . ويقول : إن المعاد يوم القيامة هو الموجود في دار الدنيا بجميع عوارضه ، وكشافته ، وقاذوراته ، ونجاساته ، وهو المخلد في الجنة بكل كفياته وشؤوناته ، ونقل عبائره وعبائر من شرب مشربه في الفصول الآتية إتماماً للحجة ، إن شاء الله .

الفصل الرابع

كلمات الشيخ أحمد في سائر مصنفاته

لما تبين مما ذكرناه أن مراد الشيخ الأوحّد من الجسد العنصري الذي لا يعود هو الصورة ، والكشافات ، والأعراض ، والأجزاء الفضلية ، التي ليس لها مدخل في جسد الإنسان ، وربط بوجه من الوجوه ، وأثبتنا أنه لم يقل إلا ما قاله الأصحاب ، ولم يخالفهم قط ، نتصدى الآن بنقل عبائره وكلماته من سائر رسائله ومصنفاته التي صرّح فيها بكون المراد من الجسد العنصري هو ما أوضحناه ، وأن المعاد هو البدن الدنيوي المحسوس المرئي الذي كان يأكل ويشرب ويمشي في السكك والأسواق ، حتى تظهر الحقيقة لكل أحد ويتضح الحال .

قال في المجلد الثاني من (جوامع الكلم) في الرسالة المعادية^(١) بعد السؤال عن الجسمين والجسدين : (اعلمْ هَذَاكَ اللهُ أَنِي ما ذَكَرْتُ إِلَّا ما هو رأي الأئمة عليهم السلام ، ومن يعترض ، إنما اعترضَ لأنه ما عرف المقصود ، ولا علم أيضاً أنه من كلام أئمتّه ، فلذا قال ما قال ، مع أَنِي لم أقل من هذا شيئاً ، ولكنه ما فهمَ مُرادِي ومعنى كلامي ، ومُرادي : هو أن الإنسان له جسدان وجسمان : الجسد الأول مركب من

(١) جوامع الكلم ج ٣ ط ١ ، ص ٤٧٠ .

العناصر الأربعة المحسوسة ، وهو الآن في هذه الدنيا عبارة عن الكثافة العارضة ، وفي الحقيقة هو الجسد الصوري ، ومثاله الخاتم من الفضة مثلاً ، فإنه إذا كان عندك خاتم من فضة ، فإن صورته هي استدارة حلقتة ، وتركيب موضع فص المركب منه مثلاً ، فإذا كسرتة وأذبتة وجعلته سبيكة ، أو سحلتة بالمبرد وجعلته سحالة ، ثم بعد ذلك صنعت تلك الفضة - أعني السبيكة أو السحالة - خاتماً على هيئته الأولى ، فإن الصورة الأولى التي هي الجسد الصوري لا تعود ، ولكن صنعتها على صورةٍ كالأولى . فهذا الخاتم في الحقيقة هو ذلك الخاتم الأول بعينه من حيث مادته ، وهو غيره من حيث صورته . ونعني بالجسد العنصري الذي هو الكثافة البشرية هذه الصورة التي هي الجسم الصوري ، لأن اعتقادنا الذي ندين الله به ، ونعتقد أن من لم يقل به ليس بمسلم ، هو أن هذا الجسد الذي هو الآن موجود محسوس بعينه هو الذي يعاد يوم القيامة ، وهو الذي يدخل الجنة أو النار ، وهو الخالد الذي خُلِقَ للبقاء ، وهو الذي نزل إلى هذه الدنيا من ألف ألف عالم ، حتى وصل إلى التراب ، ثم أخذ ليصعد من النطفة ، والعلقة ، والمضغة ، والعظام . وهكذا صاعداً في مقابلة تلك العوالم ، ألف ألف رتبة من الترقى ، آخرها لا انتهاء له ، فهي باقية بقاء الله سبحانه بلا نهاية . فهذا الجسد المحسوس هو بعينه المعاد ، وهو بعينه متعلق الثواب أو العقاب ، لا يشك في ذلك إلا من يشك في إسلامه ، لأن هذا من أصول الإسلام ، ولكن أصله مادة نورية ، كلما نزلت جمدت ، مثل الحجر الأسود الذي كان في الأصل ملكاً ، فلما نزل كان حجراً ، ومثل جبرائيل الذي هو جوهر مجرد عن المادة العنصرية والمدة الزمنية ، فإذا نزل لبس صورة دحية الكلبي أو

غيره . فكذلك هذا الجسم كان نورياً مجرداً عن المادة العنصرية والمدة الزمنية ، فأخذ يتنزل إلى أن وصل إلى الزمان والعناصر ، فلبس هيئتها وكثافتها - أعني الصورة المعبر عنها بالمادة العنصرية والكثافة البشرية - مثل الماء الذي هو لطيف ، فإذا جمد لبس الصورة الثلجية ، فإذا ذاب عاد إلى أصله من غير أن يختلف ، إلا محض الصورة المعبر عنها بالجسد العنصري ، فإذا جمد ذلك الماء مرة ثانية ، لم يعد إليه الجمود الأول ، ولبس جموداً ثانياً ، مع أنه بعينه هو ذلك الماء لم يتغير ، مع أنه قد تغير جموده ، وهذا هو مرادنا بذهاب الجسد الأول الذي لا يعود . فالموجود في الدنيا بعينه ، هو جسد الآخرة بعينه وهو المرئي بالبصر ، لكنه كُسِرَ في أرض الجزر ، أرض القابليات) . إلى أن قال رحمه الله :

(فكان إنساناً في هذه الدنيا ، ثم يُكسر في القبور ، ثم يُصفى في الأرض) ، بمعنى أن الأرض تاكل جميع ما فيه من الغرائب ، والأعراض ، والكثافات ، المعبر عنها بالجسد العنصري ، ويخرج يوم القيامة هذا الجسد بعينه ، أعني الموجود في الدنيا بعينه هو الذي يخرج يوم القيامة بعد أن يصفى . ومعنى قولنا : (بعد أن يصفى) هو أن يذهب عنه الجسد العنصري ، ومعنى قولنا : (هو أن يذهب عنه الجسد العنصري) يعني تذهب عنه الكثافات الغريبة ، وهو الصورة الأولى ؛ لأنه إذا صيغ ثانياً لا تعود الصورة الأولى ، فافهم . فهذا مرادي وأبرأ إلى الله من غير هذا ، وهذا مذهب أئمة الهدى عليهم السلام ، ﴿إِنْ أَفْتَرَيْتَهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾^(١) ، إلى أن قال رحمه الله ، بعد ذكر

(١) سورة هود ، الآية : ٣٥ .

الأخبار الواردة في المقام ، وبيان المراد من الجسد الثاني الباقي :
 (فنقول : هذا الإنسان له جسدان وجسمان : فالجسد الأول من العناصر
 المحسوسة ، ونريد به هذه الصورة والتركيب في الدنيا ؛ لأنه إذا مات
 وكان تراباً ذهبت هذه الصورة ، فإذا أعيد على هذه الصورة بعينها ليست
 هي الأولى ، مثل ما مثلنا لك في الخاتم ، ومثل ما مثل الإمام عليه
 السلام باللبنة . وهذه الصورة الأولى هي الجسد الأولي الذي لا يعود ،
 وهو مخلوق من العناصر المحسوسة وهي الكثافة . والجسد الثاني هو
 الباقي ، وهو الذي يعود ، وهو مخلوق من عناصر « هورقليا » - أعني
 العالم الذي قبل هذا العالم - وفيه جنان الدنيا ، والجنان المداهمتان ،
 وإليه تأوي أرواح المؤمنين ، وهورقليا معناه مُلْك آخر) ، إلى أن قال :
 (لعن الله من قال بغير هذا ، فافهم . فإن من لا يفهم المراد الحق من
 هذه العبارات المكررة المرددة لا ينتفع بغيرها) ، انتهى . فانظر إلى
 عباراته المختلفة كيف يعبر عن (الجسد العنصري) الذي لا يعود مرة
 بالكثافات ، وتارة بالأعراض الغريبة ، ومرة بالصورة ، وطوراً بالكثافة
 البشرية ، ومرة بالغبار ، ودفعة بـ (جرك) الذي يطلق في اللغة العجمية
 على الوسخ والكثافة ، حتى لا يشبه أحد في أن مراده بالجسد العنصري
 هو ما ذكره ، لا الجسد الدنيوي الظاهري كما اشتبه على بعض .

وقال أيضاً رحمه الله في رسالة مختصرة في جواب المسائل
 المختلف فيها : (وأما الأجسام والأجساد ، فالاعتقاد أن هذه الأجسام
 والأجساد الموجودة في الدنيا الملموسة المرئية جميعها تعاد ، حتى أن
 كل شخص يُعرف باسمه وصورته في الدنيا ، فلا تبقى ذرة من الأجساد
 والأجسام من جميع المكلفين إلا وتُعاد بعينها ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ

كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿١﴾ ، انتهى .

وقال أيضاً أعلى الله مقامه في جواب السؤال عن هذه المسألة بخصوصها^(٢): (اَعْلَمْ أَيُّهَا النَّازِرُ فِي رَسَائِلِي وَكُتُبِي أَنِّي بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ مَا كَتَبْتُ فِيهَا إِلَّا مَا فَهِمْتُهُ عَلَى نَحْوِ الْيَقِينِ أَنَّهُ مَذْهَبُ أَهْلِ الْعَصْمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَمَا تَوَهَّمَهُ مُخَالَفًا مِنْ كَلَامِي ، فَلَيْسَ مُنَافِيًّا لِدَلِيلِ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ مَعًا ، لَكِنَّهُ عَلَى اصْطِلَاحِ غَيْرِ مَأْنُوسٍ عِنْدَكَ ، وَذَلِكَ فِي مِثْلِ قَوْلِي : إِنَّ لِلْإِنْسَانَ جَسَدَيْنِ وَجَسْمَيْنِ ، وَإِنَّ الْجَسَدَ الْأَوَّلَ يَكُونُ مِنَ الْعُنَاصِرِ مِنْ كُلِّ مَا تَحْتَ فَلَكَ الْقَمَرُ ، يَلْحَقُ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ حَرَارَتِهِ إِلَى النَّارِ ، وَمِنْ هَوَائِهِ إِلَى الْهَوَاءِ ، وَمِنْ مَائِهِ إِلَى الْمَاءِ ، وَمِنْ تَرَابِهِ إِلَى التَّرَابِ وَهَذَا لَا يُرْجَعُ ، وَهَذَا كُتِبَ لِأَهْلِهِ ، وَمُرَادِي مِنْهُ - وَاللَّهُ الشَّاهِدُ عَلَيَّ - أَنَّهُ الْجِسْمُ التَّعْلِيمِيُّ . وَهُوَ ذُو الْأَبْعَادِ الثَّلَاثَةِ مِنْ دُونَ مَادَّةٍ ، كَالصُّورَةِ فِي الْمِرْآةِ ، فَإِنَّهَا أَعْرَاضٌ ، وَالْأَعْرَاضُ الْغَرِيبَةُ الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ ذَوَاتِ الشَّيْءِ لَا تَعَادُ مَعَهُ . أَلَا تَرَى إِلَى جِلْدِ كِتَابِكَ إِذَا كَانَ أَحْمَرَ ، ثُمَّ عَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الشَّاةِ ، فَلَا تَعُودُ الْحُمْرَةُ مَعَهُ ، لِأَنَّهَا أَجْنَبِيَّةٌ مِنَ الْجِلْدِ وَالشَّاةِ . وَلَا يَقَالُ إِنَّكَ قَلْتَ مِنَ الْعُنَاصِرِ ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ الْجَوَاهِرَ ، لِأَنَّا نَقُولُ : كُلُّ مَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِمَّا تَحْتَ فَلَكَ الْقَمَرُ ، كُلُّهَا مِنَ الْعُنَاصِرِ : جَوَاهِرُهَا ، وَأَعْرَاضُهَا . وَالْأَعْرَاضُ الْغَرِيبَةُ مِنَ الشَّيْءِ كُلُّهَا مِنَ الْعُنَاصِرِ ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا تَعُودُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ ذَلِكَ الشَّيْءِ . أَلَا سَمِعْتَ مَا كَتَبْتُ فِي كَثِيرٍ مِنْ كُتُبِي ، فَإِنِّي كَتَبْتُ الْجِسْمَ الَّذِي يَعَادُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَوْ

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٤٧ .

(٢) جوامع الكلم ج ٣ ص ٥٠٥ .

وزن بهذا المرئي الموجود في هذه الدنيا ، الملموس ، لم ينقص من هذا الذي في الدنيا قدر ذرة . ولو كان مرادي به الجسم ولم أرد العرض ، لكان المبعوث ينقص إذا وزن البتة . وأن يخفى عليك ، فهم مرادي ، فانظر في هذه المسألة في كتب العلماء : كالتجريد وشرحه للعلامة ، وكتب المجلسي^(١) ، مثل : حق اليقين ، وغيرها مما هو متفق عليه بينهم . وقد أشار سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الأعرابي إلى تلك الفضلات التي قال العلماء إنها لا تعاد . قال عليه السلام حين سأله الأعرابي : (فقال له : يا مولاي ما النباتية ؟ قال : قوة أصلها الطبائع الأربع ، بدو إيجادها عند مسقط النطفة ، مقرها الكبد ، مادتها مؤلف من لطائف الأغذية ، فعلها النمو والزيادة ، وسبب فراقها اختلاف المولدات ، فإذا فارقت ، عادت إلى ما منه بُدِئَتْ عَوْدَ مِمَّا زَجَّةٍ لا عَوْدَ مجاورة)^(٢) الحديث ، وهو معروف عند أهل الفن ، مقبول لا رادَّ له منهم . وهذا المعنى الذي أشار إليه عليه السلام هو مُرادي في قولي :

(١) المجلسي ، وهو محمد باقر المجلسي المشهور بالعلامة المجلسي أو المجلسي الثاني . وُلِدَ سنة (١٠٣٧هـ) ، وتوفي سنة (١١١١هـ) . أنهى دراسته في حوزة أصفهان . من كبار علماء الشيعة الإمامية ، ومؤلفاته أكثر من سبعين مؤلفاً باللغتين العربية والفارسية . اشتهر بكتاب (بحار الأنوار) ، وله كتب عديدة ، منها : (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول صلى الله عليه وآله) .

(٢) روى أيضاً عن أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام أنه سأله أعرابي عن النفس فقال عليه السلام : (. . . يا مولاي ما النامية النباتية ؟ قال عليه السلام قوة أصلها الطبائع الأربع ، بدو إيجادها عند مسقط النطفة ، مقرها الكبد ، مادتها من لطائف الأغذية ، فعلها النمو والزيادة ، سبب افتراقها اختلاف المتولدات ، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عود مِمَّا زَجَّةٍ لا عود مجاورة . . .) . (ملا هادي السبزواري شرح الأسماء الحسنى ج ٢ ، ص ٤٥ - ٤٦)

(أنه يلحق كل شيء من حرارته إلى النار ، ومن هوائه إلى الهواء . . . الخ) . والحاصل المنصف يعرف من هذا الكلام ونحوه ، اعتقادي في ضميري في جميع كتبي ، ولعنة الله على من يعتقد غير هذا الذي كتبه هنا : مني ومن غيري . والله على ما أقول وكيل ، وهو شاهد عليّ ، وكفى بالله شهيداً ، وهو حسبنا ونعم الوكيل : ﴿إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾^(١) ، حسبي الله وكفى . وكتب المسكين أحمد بن زين الدين الهجري الأحسائي في ثامن ذي القعدة ١٢٤٠هـ) .

نقلنا الرسالة بتمامها ؛ لئلا يُحتمل أن في السابق واللاحق عبارة تدل على خلاف المقصود والمرام ، وما هو المطلوب في المقام . وقال أيضاً في (شرح العرشية)^(٢) في الأصل الخامس في شرح قوله : عن هذا البدن : (فمختصر تفصيله على طريقتنا أن زيدا له جسدان وجسمان : فالجسد الأول هو الظاهر المؤلف من العناصر الأربعة السفلية ، وفيه يشارك الشجر ، وهذا بعد الموت يتلاشى في قبره شيئاً فشيئاً ، وكلما تحلل منه شيء لحق بأصله ، فيمتزج به ، فتلحق ترابيته بالتراب فيمتزج به ، وتلحق مائيته بالماء فيمتزج به ، وتلحق هوائيته بالهواء فيمتزج به ، وتلحق ناريته بالنار فيمتزج بها . والجسد الثاني وهو الطينة التي عنها الصادق بقوله عليه السلام : (تبقى طينته التي خلق منها في قبره مستديرة)^(٣) ، ومعنى استدارتها أن تكون أجزاء رأسه مما يلي رأس قبره ، وتليها أجزاء رقبته ، وتلي أجزاء رقبته أجزاء صدره ، وتليه أجزاء

(١) سورة هود ، الآية : ٣٥ .

(٢) شرح العرشية ج ٢ . ص ٢٤٥ .

(٣) الكافي : الشيخ الكليني . ط ١ ، ١٣٦٧هـ . ج ٣ ، ص ٢٥١ .

بطنه ، وتليه أجزاء رجليه ، حتى لو أكله السمك أو السباع ، أو قطع ووضع في مواضع مختلفة ، أو خولف ترتيب أجزائه المنقطعة ، إذا تفكَّك أجزاء هذا الجسد من الأجزاء العنصرية ، وخلصت ، ترتبت في قبره على هذا الترتيب ، ولو لم يقبر ، ترتبت في قبره . إذ المراد بالقبر الموضع الذي أخذت منه تربته التي مائها الملك في نطفتي : أبيه وأمه . وما لم يتخلص منها يجمعه الماء النازل من بحر صاد ، عند نفخة الصور الثانية - نفخة الفزع - وهذا الجسد تلبسه الروح يوم القيامة . فإن قلت : ظاهر كلامك هذا ، أنَّ الجسد الأول لا يُعاد ، ويلزم منه القول بنفي المعاد الجسماني . قلت : ليس حيث تذهب ، لأننا نريد بالجسد الثاني المعاد ، هو هذا الجسد المرئي الملموس بعينه ، وهو جسد الآخرة ، ولكنه يُكسر ، ويصاغ صيغة لا تحتمل الفساد والخراب . وهذه الصيغة الدنيوية تفسد ، فإذا كُسرت ذهبت الصورة الأولى المعبر عنها بالعناصر ، التي أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام كما تقدم في حديث النفوس . قال عليه السلام في النفس النباتية في الإنسان : (فإذا فارقت ، عادت إلى ما منه بُدئَتْ ، عَوْدَ مِمَّا زَجَّة لا عود مجاورة) . والحاصل ، نريد بالجسد الأول العنصري الأعراض الدنيوية ، فإن الجسد الثاني الذي يُحشر فيه لما نَزَلَ إلى الدنيا لحقَّه أعراضٌ عنصرية ، كالثوب إذا لبسته ، لحقه وسخ عارض ليس منه ، فإذا غسلته ذهبت أعراضه ، ولم يذهب منه شيء أبداً . فتأمل ، وافهم مذهب أئمتك وهداتك) ، انتهى .

كفانا ما أردنا إيراد من كلماته الشريفة : من كتبه ورسائله ، في إثبات ما ادعيناه ، وتأكيده ما ذكرناه . ولو نظرت إلى شرحه للعرشية لا سيما الأصل الخامس والسادس منه ، لوجدته مشحوناً بالتصريح

والإشارة ، والتلويح على المقصود ، ولا حاجة إلى نقل . أزيد مما نقل . فلنشرع الآن بنقل جملة من كلمات بعض تلاميذه ، ومن يحذو حذوه ، والسالكين مسلكه ، حسماً لمادة الفساد ، وقطعاً لأعداء أهل اللجاج والعناد .

قال تلميذه الأرشد السيد كاظم الرشتي^(١) أنار الله برهانه في رسالة (كشف الحق)^(٢) ، بعد نقل عبارة أستاذه الشيخ الأوحـد التي نقلناها أولاً : (وقد ملأ كتبه ، ومصنفاته ، وأجوبته للمسائل ، من هذا البيان للجسد الأول الذي لا يعود . وهل يبقى مع هذه الأكيدة والتأكيدات البليغة في بيان مراده من الجسد ، أنه هو الصورة والهيئة الدنيوية لمسلم مؤمن يخاف الله ، ويراقب دار الآخرة ، شكاً وشبهة ، في أنه القائل بأن هذا الجسم المرئي المحسوس بالأبصار ، والمدرك بالإحساس يحشر يوم القيامة ؟ وإنما سُمي الصورة جسداً ، كما هو أحد معانيه في اللغة ، على ما ذكره في مجمع البحرين والقاموس : الجسد هو الهيئة ، وقوله تعالى :

(١) السيد كاظم بن قاسم بن حبيب الحسيني الرشتي ، (١٧٩٣ - ١٨٤٣) عالم إمامي ، تلميذ العلامة أحمد بن زين الدين الأحسائي لازمه طوال أيام حياته في حله وترحاله ، ولم يفارقه ، بنهل من فيض علومه ، وحفظ أسرارـه . أجازـه الشيخ الأوحـد ، والآغا محمد شريف الكرمانـي والشيخ موسى بن جعفر النجفي ، والسيد عبد الله شبر ، بلغت مؤلفاته أكثر من ٢٣٠ مصنفاً . توفي مسموماً سنة ١٢٥٩ هـ ، وصلى عليه تلميذه الميرزا حسن كوهـر ، ودفن في الحضرة الحسينية بكر بلاء المقدسة . من أهم مؤلفاته : (شرح الخطية التطنجية) ، و (إكسير العبادات وأسرار الشهادات) ، و (دليل المتحيرين) (الشرح الكبير لآية الكرسي) ، (شرح دعاء السمات) .

(٢) راجع المجلد الثاني من مجموعة الرسائل (تبريز - ١٢٧) للسيد كاظم الرشتي ص ٥٢ .

﴿عَجَلًا جَسَدًا﴾^(١)، أي ذا هيئة ، وهو الجسم التعليمي ، والجسد التعليمي المشتهر بين العلماء كاشتهار الشمس في رابعة النهار ، وهو البدن النوري ، كما في الحديث في معنى الأشباح النورانية .

وهل مسلم موحد يقول : إن الصورة الدنيوية ، والهيئات المعوجة العنصرية تعود يوم القيامة ، فيعود لقمان الحكيم عبداً أسود على صورة غير مستحسنة ؟ ويعود أبو بصير ليث المرادي الذي هو من الأوتاد الأربعة ، والأركان الأربعة والسفن الجارية في البحر القمقام يوم القيامة ، وهو أعمى ؟ ويعود الكافر الذي في دار الدنيا على الصورة الحسنة والشمائل المستحسنة يوم القيامة ، حسن الصورة جميل الشكل ؟ وفي هذا القول تكذيب للشريعة ، وتكذيب لله سبحانه وتعالى على الحقيقة ، ومخالفة لعامة المسلمين ، والله سبحانه يقول : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾^(٢) ، فكيف يحشرهم الله (أعمى) وقد كانوا على غير تلك الصورة في الدنيا ، ولست أدري أي صورة دنيوية يوم القيامة تُحشر : صباه ، أو صورته في حال بلوغه ، أو صورة شبابه ، أو صورة شيخوخته ، أو صورة هرمه ، أو صورة صحته ، أو صورة سقمه ؟ في أي صورة تُفرض تبقى صور دنيوية لم تحشر ، فثبت أن تلك الصورة لم تعد . وإن كانت هي الصورة التي يموت عليها ، فيلزم أن تحشر الخلائق يوم القيامة مرضى على ضعف شديد ، لا يقدرّون على النهوض ، خصوصاً

(١) سورة طه ، الآية : ٨٨ .

(٢) سورة طه ، الآيات : ١٢٤ - ١٢٦ .

إذا كان المرض دماغياً ، أو من جهة الإسهال ، فمن المثاب والمعاقب ؟
والضرورة قاضية ببطلان هذا الكلام السخيف ، فإن كانت هذه الصُّور لا
تعود ، فقد أقررت بأن من الصورة الدنيوية لا تعود . والحاصل أن هؤلاء
المعترضين قد أغمضوا أعينهم ، وأرادوا أمراً يأبى الله ذلك ، وإلا فليس
في الكلام غبار . فإن استشكلوا في قوله أعلى الله مقامه : (إن الجسد
العنصري لا يعود ، فتلحق النار بمركزها ، والهواء والماء والتراب
كذلك) فمراده - حشرنى الله معه - في الصورة والكيفيات العارضة
المسماة في عرف الأطباء بالحرارة الغريبة والرطوبة الغريبة ، وعنده أعلى
الله مقامه جميع الكيفيات تنقسم إلى : غريبة وغريزية . فبالغريزية يقوم
الشيء والبدن ، وبالغريبة يفسد . فيأتي الطبيب ، فيسكن تلك الكيفية
الزائدة من الحرارة والرطوبة وغيرهما ، فتلحق بأصلها ، فتعدل البنية .
فكما أن تلك الكيفيات في الدنيا تأتي عند المرض ، وتذهب عند
الصحة ، ولما كان دار الآخرة لهي الحيوان ، ليس فيها مرض ، ولا
موت ، تذهب تلك الكيفيات الغريبة عند الموت ، فلا تعود يوم القيامة
كما لا تعود في الدنيا فيمن لم يمرض . فمن قال بهذه المقالة أي محذور
يخافه ؟ وأي كفر يخشاه ؟ ولكن الأمر كما قال عز وجل : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا
فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا
تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾^(١) . انتهى
كلامه .

(١) سورة الحج ، الآية : ٤٦ .

(٢) مخطوط ضمن مجموعة رسائل للسيد الرشتي قدس سره في مكتبة آية الله الميرزا علي
الحائري في كربلاء .

وقال أيضاً ، في جواب سؤال الشيخ علي بن قرين عن المسائل المختلف بها بين الفريقين^(١) : (ومنها مسألة المعاد الجسماني . زعموا أنه أعلى الله مقامه لا يذهب إليها ، ويذهب أن المعاد ليس بهذا البدن العنصري ، وأن الجسد العنصري يذهب ولا يعود . فقالوا إنه يقول : إن المعاد بجسم آخر غير الجسم الموجود في الدنيا . ألا وقد كذبوا ، وافتروا ، وقالوا زوراً وبهتاناً . بل المعاد عنده أعلى الله مقامه هذا الجسم المحسوس الملموس المرئي ، لكنه تتفاوت الصور كتفاوت الصور في هذه الدنيا ، واعترائها على الجسم ، وهو على ما هو عليه ، كصورة الرضاع ، والفطام ، والصبا ، والمرأهقة ، والبلوغ ، والتمام ، والكمال ، والشباب ، والشيب ، والصحة ، والمرض ، وغيرها من الصور . وكذلك الصورة الدنيوية ، قد لا ترجع في الآخرة . ألا ترى أن لقمان كان عبداً أسوداً ، أتظن أنه يُحشر يوم القيامة أسود الوجه والبدن ؟ وأبو بصير ليث المرادي البحتري كان أعمى ، أتظن أنه يحشر أعمى ؟ والكفار الذين هم في هذه الدنيا ظهرُوا على صورة حسنة ، أتظن أنهم يحشرون عليها ؟ والله سبحانه وتعالى ، يقول : ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿٢﴾ الآية ، وتغير الصورة مما لا يستوحش منه عاقل ، إلا أن يخرج من العقل ويدخل في سلك المجانين ، وهذه الصورة هي المسماة عنده أعلى الله مقامه بالجسد التعليمي العنصري ، كما أنها هي المسماة عند الحكماء المشائين والمتكلمين بالجسم التعليمي . وحيث إنهم لم يفهموا المراد ، أراد القوم من أهل العراق - على سابق

(١) سورة طه ، الآيتان : ١٢٤ - ١٢٥ .

طريقتهم مع أمير المؤمنين عليه السلام - التمويه على الناس ، والعداوة مع هذا العالم الرباني ، لَمَّا وسوس في قلوبهم الخناس ، قالوا : إنه أعلى الله مقامه ينكر المعاد الجسماني ، حاشا ثم حاشا ، بل هو الذي أنكر على المنكرين لهذا المعاد ، وأبطل شُبُهَهُمْ ، وأثبت المعاد الجسماني بالبدن الجسماني الدنيوي ، بالبراهين القطعية من : العقلية والنقلية . مع اعتراف الحكماء بالعجز عن البرهان العقلي على المعاد الجسماني ، واكتفائهم بما نطقت الشريعة من إثباتها ، ومن الذين نص عليه ابن سينا^(١) في جملة من كتبه : ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(٢) ، ونسبة إنكار المعاد الجسماني إليه كنسبة قبح الصورة إلى يوسف الصديق^(٣) ، ونسبة حماقة إلى أياص^(٤) ، والسفاهة إلى قس بن ساعدة^(٥) ، وهل يرضى بذلك ذو روية ، أو يركن إليه ذو بصيرة وطوية ، وإلى الله المشتكى) انتهى كلامه . وقد ملأ كتبه ورسائله بما صرَّح به هنا ، وفي الرسالة السابقة تبعاً لأستاذه ، ويكفي في إثبات المرام ما نقلناه في المقام .

-
- (١) أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا . اشتهر بالطب والفلسفة . وُلِدَ في بخارى سنة ٣٧٠هـ ، وتوفي في همدان سنة ٤٢٧هـ . ترك العديد من الكتب الفلسفية والطبية ، أهمها : (كتاب الشفاء) ، و (كتاب القانون في الطب) .
- (٢) سورة يونس ، الآية : ٣٥ .
- (٣) يوسف الصديق ، هو النبي يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام .
- (٤) أياص بن معاوية بن قرة المزين . وُلِدَ سنة ٤٦هـ ، وهو من أعلام التابعين . اشتهر بالذكاء ، حتى صار يُضرب به المثل . توفي سنة ١٢٢هـ .
- (٥) قس بن ساعدة بن حذافة بن زهير بن إياد بن نزار الإيادي ، من حكماء العرب قبل الإسلام . توفي سنة ٦٠٠ ، للميلاد الموافق لسنة ٢٣ قبل الهجرة .

وسئل أيضاً ، ابنه الأرشد جناب الشيخ علي^(١) نور ضريحه عن هذه الفقرة : (الجسد العنصري لا يعود) ، ما مراد والدك الأوحده منها ؟ ، وأجاب أيضاً ، بأن المراد من (الجسد العنصري) هو الصورة والجسم التعليمي ، وأوضح مراد والده الأوحده بأوفى بيان وأوضح تبيان ، بحيث لم يبق محلاً للإيراد ، ولا مجالاً للإنكار والعناد . ولم يحضرني الآن الرسالة حتى أنقل منها العبارة^(٢) - وقال أيضاً ، مولانا الأجل الأزهر

(١) هو الشيخ علي نقي بن الشيخ الأوحده أحمد بن زين الدين الأحسائي أعلى الله مقامهما ، ولد في الأحساء في سنة ١١٩٣ للهجرة تقريباً ، كان يلقب ببدر الإيمان ، أجاز من والده بإجازة مع أخيه الشيخ محمد نقي ، تولى المرجعية بعد وفاة أبيه في سنة ١٢٤١ للهجرة ، اشتهر بقوة حافظته حيث كان يحفظ الكثير من الأحاديث بأسانيد مضافاً إلى ما كان يحفظه من متون الكتب والرسائل ، قال في حقه السيد كاظم الرشتي أعلى الله مقامه : (كان من العلماء المبرزين ، والفضلاء المتبحرين ، وكان من حملة الأسرار) . له من المؤلفات : كتاب نهج المحجة ، وكتاب منهاج السالكين ، ورسالة في الرد على من اعترض على والده في المعاد ، وله ديوان شعر ، وكشكول كبير ، توفي في الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة ١٢٤٦ للهجرة ، في مدينة كرمان شاه بإيران .

(٢) هو الشيخ السديد الشيخ علي نقي ابن الشيخ الأوحده الأحسائي ، قال في آخر رسالته المعادية : (وذلك الراجع في الآخرة هو الجسد الذي في الدنيا بلا تغيير في مادته ، ولا زيادة ولا نقصان فيها ، وإنما التغيير يقع على الصورة العرضية ، أعني الهيئة . . . وتلك العرضية تتبدل والمادة مع مقوماتها باقية . . . فمن نظر بعين الإنصاف عرف أن والذي رحمه الله وقدس روحه لم يرد بالتصفية إلا أنسلاخ مواد الأغذية التي عبر عنها بالجسد العنصري ، وليس مراده أن جسد الإنسان لا عناصر له ، وأن عناصره تلحق بأصلها من العناصر البسيطة كما ظنه الجاهل الغبي ، وإنما عنى العناصر اللاحقة للإنسان بالاكْتساب من مواد الأغذية من غيره وغير عناصره ، فكانت هذه العبارة فتنة للجاهلين ومستمسكاً للمعاندين . والله فكل من له أدنى روية ومعرفة إذا لم يطبع على قلبه يعلم أن مراده ما ذكرته . . . إلخ) انتهى . وهي رسالة مطولة توجد في مخطوطات مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام العامة في النجف رقم (٢٢٢ - ٥٦) . الطبعة الحديثة ص ١٠٦ ، ص ١١٩ .

ميرزا حسن الشهير بكوهر ، وهو أحد أجلاء تلاميذه ، في شرح (حياة الأرواح) رداً على ملا محمد جعفر الإسترابادي^(١) ، وإثباتاً لمقصود أستاذه ، وتوضيحاً لمذهبه واعتقاده ، حيث قال^(٢) : هو يريد - أي أستاذه - إن هذا البدن المحسوس الملموس هو الذي يُعاد يوم المعاد بعد تصفيته عن الأعراض والغرائب التي هي الصورة الدنيوية والبرزخية ، فإن هذا البدن ، إذا تفككت أجزاؤه ذهبت تلك الصورة التي كانت عليها ، فإذا اجتمعت الأجزاء المتفككة المتفرقة ، عادت تلك الأجزاء على صورة كالصورة الأولية . فعبر عن الصورة الدنيوية : بالجسد العنصري ، وعن الصورة البرزخية : بالجسم الأول . واشتبه على الناس مراده ، حتى ظن أنه لم يقل بالمعاد الجسماني ، مع أنه صرح في كثير من كتبه ورسائله بأن البدن الذي يعود هو هذا البدن المرئي المحسوس الملموس ، فلو وُزِنَ هذا البدن المحسوس في هذه الدنيا قبل ذهاب هذه الصورة الدنيوية ، ثم يُوزَنَ بعدما يعود يوم القيامة ، لم ينقص العائد في القيامة عن هذا الذي هو موجود في الدنيا مقدار حبة خردل ، لأن المادة التي بها الوزن والخفة والثقل ، هي موجودة في الدنيا وفي الآخرة . وأما الصورة التي لا مدخل لها لذات الشيء في الوزن والخفة والثقل ، فهي التي تزول بعد الموت ،

(١) محمد جعفر شريعت مدار بن سيف الإسترابادي الطهراني (١١٩٧هـ - ١٢٦٣هـ) . عالم إمامي كان مقيماً في كربلاء ثم انتقل إلى طهران وبقي فيها منشغلاً بالتدريس والقضاء والفتيا إلى آخر أيامه ، له العديد من المصنفات ، ترجم له ووثقه : عباس القمي ، وعلي البروجردي ، وثقة الإسلام التبريزي وغيرهم . من مؤلفاته : (حياة الأرواح) ، و (القواعد الفقهية) ، و (البراهين الفاطمية في شرح تجريد العقائد الساطعة) ، وغيرها .

(٢) شرح حياة الأرواح ص ٧٩٣ .

وتلبس تلك المادة يوم المعاد صورة على هيئة هذه الصورة الدنيوية ، بحيث إذا رأيت زيدا يوم القيامة ، تقول هذا هو زيد الذي رأيت في الدنيا . . . إلخ .

وصرّح بعد هذه العبارة أيضاً مراراً عديدة على ما نحن بصده بأوضح من العبارة ، وفي سائر كتبه ورسائله أيضاً ، التي لا حاجة لنا إلى نقل عبارتها خوفاً من الإطالة والخروج عن الوضع في المقالة . وصرح أيضاً سائر تلامذته ، ومن سلك مسلكه طابق النعل بالنعل بما صرح به هو والتلميذان^(١) في مصنفاتهم ، ومؤلفاتهم ، وبالجمل .

فظهر من بياناته - رحمه الله - الشافية ، وتصريحاته الوافية ، وتوضيح ولد بطنه ، وولديه الروحانيين كلماته اللائحة بالأدلة والبراهين الواضحة أن مراده رحمه الله بـ (الجسد العنصري الذي لا يعود ، ويلحق كل واحد من عناصره إلى أصله) هو الصورة الدنيوية التي هي دائماً في التغير ، والتبدل ، والكشافات ، والأوساخ ، والأعراض ، التي يعبر عنها الأصحاب رضوان الله عليهم بالأجزاء الفضلية والأجزاء الغربية . وقد مرّت عليك عباراتهم وكلماتهم الصريحة في ذلك ، ولم يبقَ بعد ، لأحد شبهة ولا إشكال ، ولا لأهل الغرض والافتراء مجال ، وعليك بالإنصاف وترك الاعتساف ، هل بعد هذه التصريحات العديدة ، والتأكيدات الأكيدة منه ، يمكن لأحد أن يقول : إن الظاهر من لفظ الجسد العنصري الذي لا يعود في كلماته رحمه الله هو هذا البدن الظاهري المحسوس ، وهو حقيقة فيه ، والتكليف بظاهر اللفظ كما

(١) هما كاظم الرشتي ، وحسن گوهر .

تمسك العالم المعاصر التحرير عطر رسمه في رسالته ، غافلاً عن حقيقة الحال أن ظاهر اللفظ في إرادة المعنى الحقيقي حجة إذا لم ينصب المتكلم قرينة متصلة أو منفصلة في كلامه على إرادة خلاف الظاهر ؟ ! .

والحال ، أنه رحمه الله كما رأيت صرّح بعد قوله (الجسد العنصري) بإرادة خلاف ظاهره في موارد عديدة ، فضلاً عن نصب القرائن المفيدة . فالتمسك بالظاهر في هذا المقام من منسجات ضعاف الأوهام ، ثم إن أهل اللغة ذكروا في تعداد معاني الجسد أنه يطلق على الصورة ، في القاموس : الجسد محرّكة جسم الإنسان ، والجن ، والملائكة ، والزعفران ، وعجل بني إسرائيل ، والدم اليابس ، وفي مجمع البحرين قوله تعالى : ﴿عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ﴾^(١) ، أي ذا جسد ، أي صورة لا حراك فيها ، إنما هو جسد فقط . فظهر أن من جملة معاني الجسد لغة (الصورة) أيضاً ، وهو حقيقة فيه أيضاً ، فلاح وهنّ الدليل ، وضعف الممسك العليل .



(١) سورة طه ، الآية : ٨٨ .

الفصل الخامس

الأقوال في المعاد

الذين قالوا بالمعاد الجسماني اختلفوا على أقوال أربعة :

الأول : أن المعاد هو الصورة ، وإن تتغير المادّة وتبدّل .

الثاني : أن المعاد هو الصورة الدنيوية لا المادة ، وهذان القولان في الحقيقة مرجعهما قول واحد وإن أمكن الفرق بينهما ، ولكنّا لسنا بصدد تفصيل الأقوال ، وتمييز بعضها من بعض .

الثالث : أن المعاد هو الروح مع المادة ، وإن تغيرت وتبدلت الصورة .

الرابع : أن المعاد هو هذا الموجود الدنيوي بمادته وصورته ، بحيث لا يتغير ولا يتبدل بوجه .



الصورة الدنيوية

أما القول الثاني ، فهو مذهب الملا صدرا الشيرازي^(١)

(١) ملا صدرا ، محمد بن إبراهيم القوامي الشيرازي (٩٨٠هـ - ١٠٥٠هـ) . خاتمة حكماء الشيعة ، جمع بين فرعي المعرفة : النظري ، والعملي . له كتاب (الحكمة المتعالية) ، =

وتابعيه^(١)، وهو باطل عقلاً ونقلاً . والمتدين بالشرعية النبوية لا يشك في فساده وبطلانه ، إذ ذكرنا سابقاً أن الصورة عرض وهيئة للمادة ، والصورة ليست بنفس الشيء ، ولا ربط لها به بوجه ، والمورد للثواب والعقاب واللذة والألم هو المادة ، لا هي ، لأن الصورة تتغير وتتبدل بلا نهاية . ولو كانت هي المعاد لا المادة للزم أن لا يكون في الحشر والبعث ثمرة وفائدة ، إذ متعلق الثواب والعقاب الذي هو المادة على مدعاه لا يعود . فالمعاد بصورة لا ثواب له ولا عقاب ، لأن الطاعة والمعصية متعلقهما المادة ، وهي لا تعود . ثم إن الإنسان من عالم النطقة إلى عالم القبر يتصور بآلاف الصور ، فالمعاد إن كان هو الصورة - ليت شعري - أي واحد منها يعود ، حتى لا يلزم ترجيح بلا مرجح ؟ ومن هنا ظهر بطلان القول الأول أيضاً ، ويتأكد بإثبات القول الحق .



الروح مع المادة

وأما القول الثالث : فهو مذهب الشيخ الأوحده رحمه الله ومن يحذو حذوه ، بل جميع أصحابنا الإمامية ، بل الإسلامية . كما مر عليك شطر

= يعرف بصدر المتألهين ، من أساتذته الشيخ البهائي العاملي ، والسيد محمد باقر الحسيني المعروف بالمحقق الداماد ، ومن تلامذته : الشيخ محمد محسن المعروف بالفيض الكاشاني ، والشيخ عبد الرزاق اللاهيجي .

(١) قال الملا صدرا في كتابه (العرشية) . ص ٤٦ ، (الأصل الأول : أن تقوم كل شيء بصورته لا بمادته ، وهي عين ماهيته ، وتمام حقيقته ، ومبدأ فصله الأخير ، فهو بصورته لا بمادته ، حتى لو فرض تجرد صورته عن مادته ، لكان هو بعينه باقياً عند ذلك التجرد . . .) .

من كلماتهم وتصريحاتهم ، بأن محل الاعتبار ، ومناطق التكليف والمثاب والمعاقب ، هو المادة لا الصورة ، لكن اختلفوا في التعبير عن الصورة ، فالأصحاب عبّروا بالأجزاء الفضلية والغريبة ، والحكماء المشائيون بالجسم التعليمي ، والشيخ الأوحّد ، وتابعوه ، بالجسد العنصري ، والجسد الأولي ، ولا ضير في ذلك إذ لا مشاحة في الاصطلاح ، عباراتنا شتى وحسنك واحد . والمقصود ، وهو تصريحهم بعدم الاعتبار بالصورة التي يلبسها ويخلعها الإنسان في كل وقت وأوان ، بحسب اختلاف الزمان من عالم النطفة إلى القبر ، كصورة النطفة ، والعلاقة ، والمضغة ، وإنشاء اللحم ، والرضاع ، والفطام ، والطفولية ، والمراهقية ، والبلوغ ، والشباب ، والكهولة ، والشيخوخة ، والصحة ، والمرض ، والطول ، والقصر ، والكبر ، والصغر ، وغيرها من الصور إلى ما لا نهاية لها .

ومعلوم أن الإنسان صدر منه في هذه الصور من أوان البلوغ إلى القبر ما يوجب الثواب والعقاب ، من الطاعة والمعصية . فمن قال بعود الصورة فقط ، إن كان يقول بعود هذه الصور كلها ، فقد خالف العيان وأطلق في ميدان الجهل العنان . وإن يقل بعود واحدة منها - معينة أو غير معينة - يلزمه أن يقول بثواب المعاد أو عقابه ، بالطاعة أو المعصية التي فعلها في هذه الصورة التي عاد بها ، لا ما فعلها في سائر الصور ، فإن عوقب أو أثيب في هذه الصورة وفي غير هذه الصورة من الصور ، لكان ظلماً قبيحاً ، لأنه لم يطع أو لم يعص فيها ، حتى يثاب أو يعاقب فيها ، وهو أيضاً لا يقول بذلك قطعاً ، فلزمه أن يقول بما قلنا أن الأصل والمعاد المثاب والمعاقب هو المادة بتبعية الصورة ، وهو الأجزاء

الأصلية التي نزلت من خزانة غيب الله عز وجل ، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا
عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾^(١) . وهذه الأجزاء الأصلية المعادة هي هذا البدن
المحسوس الملموس المبصر الدنيوي ، لا أنها موجودة في هذا البدن ،
أي في غيبه ، وهذا البدن كالصندوق لها ، كما يظهر من بعض كلمات
المرحوم الحاج محمد كريم خان^(٢) وتابعيه ، التي نذكرها في الفصول
الآتية إن شاء الله ، ونشير إلى ما فيها . لكن هذا البدن المحسوس
الأصلي لما كان فيه أجزاء غريبة فضلية ، وكثافات عرضية أماته الله عز
وجل ، حتى يصوغه صوغاً لا فساد فيه ، ويركبه تركيباً لا كسر يعتريه .
ولما دخل قبره ، ومكث فيه مدة ، سلط الله عليه الأرض فأكلته ،
وفككت أعضائه ، وأزالت عنه الأوساخ ، والكثافات العرضية ،
والأجزاء الفضلية التي عرضته واعترفته من أول نزوله من خزانة غيب الله ،
من عالم إلى عالم ، إلى نزوله إلى عالم القبر ، وليس لها ربط ودخل بهذا
البدن بوجه من الوجوه ، حتى يكون أهلاً وقابلاً ليوم الحساب الذي هو
دار الحيوان ، ويستحق الدخول والخلود في الجنان والنيران . ولما
خلص وصفي من جميع ما فيه من الأعراض الطارئة ، أحياه الله بمادته
الأصلية التي هي هذا الموجود الدنيوي ، خالصاً من الأعراض ، صافياً
من الكدورات ، شفافاً ، براقاً ، لم ينقص منه مثقال ذرة .

(١) سورة الحجر ، الآية : ٢١ .

(٢) هو الحاج محمد كريم خان بن إبراهيم خان الكرمانى ، ولد في الثامن عشر من محرم سنة
١٢٢٥ هـ ، وتوفي في الثاني والعشرين من شعبان سنة ١٢٨٨ هـ ، في إحدى قرى كرمان ،
ثم نقل جسده إلى كربلاء ، له مؤلفات ، منها : كتاب فصل الخطاب ، وإرشاد العوام ،
والفطرة السليمة ، والجامع لأحكام الشرايع .

ولما كانت المادة قائمة بالصورة قيام ظهور ، وهي من دون صورة لا تظهر ولا تتشخص ، ألبسها الله عز وجل أحسن الصور ، وهي صورة الشباب الأمرد ، وإلا فلا اعتبار للصورة ، وليس مناطاً للتكليف ، ولذا ، إذا ترك العبادة في أيام الشباب ، وقضاها في أيام الكهولة أو الشيب قبلت منه . وإذا قتل أحداً عمداً في شبابه ، واقتص منه في حالة شبابه صح ، لأن مناط التكليف هو الأجزاء الأصلية والمادة ، وهي محفوظة من أول نزوله إلى هذا العالم ، إلى قبره ، وهي هذا المحسوس الظاهري الدنيوي ، سواء كان طفلاً رضيعاً ، أم مفطوماً ، أم كهلاً ، أم شايئاً ، أم مريضاً ، أم غيرها من الصور التي لا نهاية لها .



المادة والصورة

وأما القول الرابع : وهو القول بعود المادة والصورة ، من دون تغيير وتبديل في الصورة بوجه من الوجوه ، فبطلانه أظهر من الشمس ، وأبين من الأمس ، والأدلة النقلية ، واتفاق أصحابنا المتشعبة على خلافه . إذ من البين ، أن كثيراً مما يعاد يوم الحشر تتغير صورته ، كصورة كلب أصحاب الكهف ومن تلبس بصورته . ولا شك أن الصورة الكلبية لا تدخل الجنة ، وهي ليست محلها ، والأخبار المستفيضة صريحة في أن بعض الناس يعود في صورة القردة والخنازير ، والمتكبرين يحشرون بقدر الذر . فانظر إلى المجلد الثالث من البحار في صفة المحشر تره مستوفياً لها ، والتفاسير في تفسير الآية الشريفة في سورة النبأ : ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ

أَفْوَاجاً^(١)، فلا حاجة إلى نقلها ، ويلزم من هذا القول مفسد كثيرة ، سنشير إلى بعضها عن قريب إن شاء الله .

ولم نطلع على أحد من أصحابنا المتقدمين والمتأخرين (رضوان الله عليهم) ممن يقول بهذا القول الفاسد ، والمذهب الكاسد ، إلا شذمة قليلة ممن لا يعتبر بهم ولا يعتمد بقولهم ، ولم يطلعوا على الأخبار الواردة عن الأئمة الأطهار ، والآثار العلية المروية عن معادن الأسرار ، ولا جاسوا خلال تلك الديار ، كالسيد جعفر الدارابي^(٢) في (سنا برقه) وملا رضا الهمداني في (هدية النملة) . ثم إنه لم يكفه اعتقاده بذلك حتى نسبته إلى الإمامية ، حاشاهم ثم حاشاهم أن يقولوا بذلك ، أو يعتقدوا بما هنالك ، كما عرفت في الفصول السابقة من كلماتهم الصريحة فيما قلناه ، الناصّة على ما رُمناه وذكرناه . قال في رسالته (هدية النملة) ، في الفصل الأول من المقصد الرابع ، قالت الإمامية : (إن المعاد هو الإنسان ببدنه الشخصي الدنيوي وروحه ، والبدن هو من العناصر التي هي تحت فلك القمر ، ويقولون : ينفخ في الصور ، فيموت كلُّ من في الأرض ، ويفنى كلُّ من في السماوات ، فإذا أراد الله إنشاء النشأة الثانية أحيا الله إسرافيل بكلمة (كن) ، فيلتقم الصور ، ويقول : أيها العظام البالية ، والأعضاء المتفرقة ، والشعور المنفصلة ، هلموا إلى

(١) السيد جعفر بن أبي إسحاق ، إبراهيم بن عبد الله بن عبد الكريم (ابن المتكلم الحكيم) محمد العلوي الموسوي الدارابي المعروف بـ (الكشفي) ، المتوفى سنة ١٢٦٧هـ . له : (إجابة المضطربين في أصول الدين) ، و (البلد الأمين في أصول الدين) ، و (سنا برق في شرح البارق من الشرق) .

العرض على الله تبارك وتعالى ، وقبل ذلك يزلزل الأرض ، فيجتمع تراب الروحانيين في قبورهم ، لا يعزب عن عمله مثقال ذرة ، فيمطر من المزن أربعين صباحاً مطر له رائحة المني) ، انتهى محل الحاجة من كلامه .



مناقشة كلام الهمداني

أقول : الذي يُستفاد من الآثار ويُفهم من الأخبار أن إسرائيل عليه السلام ينزل إلى الأرض ومعه الصُّور ، وله طرفان ، فينفخ من طرفه الذي إلى الأرض ، فلا يبقى فيها ذو روح إلّا ويموت ، ويخرج الصوت من طرفه الذي إلى السماء ، فلا يبقى فيها ذو روح إلّا ويموت ، ولا يُبقي إلّا إسرائيل عليه السلام . ثم يأتيه النداء بأنه : مت ، فيموت . ثم ينادي الجبار بصوتٍ من قبله : لمن الملك ؟ فلا يجيبه أحد . فعند ذلك يقول الله عزَّ وجلَّ مجيباً لنفسه : ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(١) . ثم ينفخ الجبار نفخة أخرى في الصور ، فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي السماء ، فلا يبقى أحد إلّا حياً وقام . ومن تلك الأخبار المصرحة - بما ذكرنا - ما رواه علي بن إبراهيم^(٢) في تفسيره عن علي بن الحسين عليه السلام ، ونقله المجلسي رحمه الله منه ، في المجلد الثالث من البحار ، والسيد هاشم البحراني^(٣) في البرهان القاطع ، ولا حاجة لنقله لطوله .

(١) سورة غافر ، الآية : ١٦ .

(٢) علي بن إبراهيم القمي . راوٍ وفقه ومفسر ، روى أحاديث أهل البيت عليهم السلام ، عن والده إبراهيم بن هاشم . روى عنه الكليني في الكافي أكثر من سبعة آلاف رواية ، وتوفي سنة ٣٢٩ هجرية .

(٣) أبو المكارم ، هاشم بن سليمان بن إسماعيل الكتكاني البحراني . توفي سنة ١١٠٧ هـ =

نعم ، في المجلد المذكور في باب إثبات الحشر عن ابن عباس^(١) :
يأمر الله إسرائيل عليه السلام ، فينفخ في الصُّور ، فيخرج الخلائق كلهم
من قبورهم ، لكن قوله ليس بحجة إلَّا أن يُسند إلى معصوم . على كل
حال ، لم نطلع في الأخبار والآثار ومؤلفات أصحابنا المعتمدين الأخيار
ما يدل على ما ذكره الهمداني ، إلَّا ما في البرهان القاطع للسيد هاشم
البحراني عن بستان الواعظين عن النبي صلى الله عليه وآله ، والخبر طويل
محل الحاجة : (. . . ثم يقول الجبار جلَّ جلاله ، ليبعث إسرائيل ،
فيقوم إسرائيل حياً بقدرة الله تعالى ، فيقول الجبار لإسرائيل التقم
الصُّور ، والصُّور قرن من نور ، فيه أُنقاب على عدد أرواح العباد ،
فتجتمع الأرواح كلها ، فتُجعل في الصُّور . ويأمر الجبار إسرائيل أن
يقوم على صخرة بيت المقدس ، وينادي في الصُّور ، وهو في فمه قد
التقمه ، والصخرة بأقرب ما في الأرض إلى السماء ، وهو قوله :
﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾^(٢) ، ويقول إسرائيل عليه
السلام في أول ندائه : أيتها العظام البالية ، واللحوم المنقطعة ،
والشعور المتبددة ، والشعور الملتزقة ، ليقمن على العرض على الملك

= أو ١١٠٩ هـ . وهو عالم ومحدِّث ومؤرِّخ شيعي بحراني . له كتاب (البرهان في تفسير القرآن) ، وكتاب (حلية الأبرار في أقوال محمد وآله الأطهار) ، وغيرها .

(١) ابن عباس ، عبد الله بن عباس عم الرسول صلى الله عليه وآله ابن عبد المطلب ، من كبار الصحابة ، ومعروف بحبر الأمة . روى روايات عديدة عن أمير المؤمنين عليه السلام . واشتهر بتفسير القرآن . وُلد قبل الهجرة بثلاث سنوات ، وتوفي سنة ٦٨ هجرية ، وله مواقف مشهودة .

(٢) سورة ق ، الآية : ٤١ .

الديان ، ليجازيكم بأعمالكم^(١)... إلخ .

هذا الخبر وإن كان صريحاً فيما يقوله الهمداني ، إلا أنه نبوي ، ومخالف لما أجمع عليه المسلمون ، وأصحابنا الإماميون ، منهم : العلامة الحلي^(٢) آية الله في العالمين ، في آخر كلام له في شرحه على التجريد ، فيما نقلناه سابقاً : (الواجب في المعاد هو إعادة تلك الأجزاء الأصلية ، أو النفس المجردة مع الأجزاء الأصلية ، أما الأجزاء المتصلة بتلك الأجزاء ، فلا يجب إعادتها بعينها) . انتهى كلامه الشريف .

ولا شك أن الشعور المتبددة والملتزقة من الأجزاء المتصلة ، بالأجزاء الأصلية هي كالأوساخ ، والكثافات ، والأظافر الزائدة التي ليس لها ربط ودخل بالإنسان ، ولا تلتذ بنعمة ، ولا تتألم بعذاب ، ولا يقول أحد من المسلمين بعودها . وعلى فرض قوته وصحته ، لا يُقاوم الأخبار التي عمل بها الأصحاب الفحول ، وتلقوها بالقول ، ومنها : موثقة علي بن إبراهيم في تفسيره . ثم إن إعادة الشعور المتبددة والملتزقة ، المنفصلة من البدن من أول نشوئه إلى حين موته مع البدن يوم الحشر ، لزم أن تعود أيضاً ، سائر الكثافات ، والأوساخ ، والأظفار ، بل القاذورات المنفصلة أيضاً ، إذ لا فرق بين الشعور المنفصلة وبينها ، وكلها من البدن الشخصي الدنيوي وجزء منه ، وكلها من العناصر التي من تحت فلك القمر . فمن قال بعود الشعور المنفصلة ، يقتضي أن يقول بعود ما ذكر أيضاً مع البدن ، ولزم أن يعود الإنسان الذي هو في دار الدنيا بقدر سبعة أشبار طويلاً ،

(١) البرهان في تفسير القرآن : السيد هاشم البحراني . ج ٤ ، ص ٧٣١ ، حديث ٩٢٩٠ .

(٢) معرّف ص ٧٤ .

وثلاثة أشبار عرضاً ، وهو كالجبل ، وشعره وأظفاره بقدر مئة ذراع أو أزيد ، وبطنه مملوء بالكثافات في أقبح صورة وأنجس هيئة . عليك بالإنصاف ، أيُّ جاهل يلتزم بهذه اللوازم الفاسدة ، والمذاهب الكاسدة التي لم يقل بها أحد من المسلمين ، فضلاً عن الإماميين ؟ !

الحاصل ظهر مما ذكرنا أن الهمداني قائلٌ بعود المادة مع الصورة بلا تغيير وتبديل فيها بوجهٍ ، حيث قال بعود الشعور المنفصلة المستلزم لما ذكر من اللوازم ، ووافقه في مقالته ، بل زاد عليه ، بتصريحه باللوازم المذكورة والتزامه بها : السيد جعفر الدارابي في (سنا برقه) ، ولا يحضرني الآن كتابه حتى أنقل عين عبارته ، وإن اطلعت في سابق الزمان على إفادته ، لكن أنقل ما ذكره العالم العلامة ميرزا محمد تقي حجة الإسلام أنار الله برهانه من حاصل كلامه في كتاب (صحيفة الأبرار)^(١) ، قال : (فلم يجبك المخاص إلى القول بعود الصور دون المواد ، كالحكيم الشيرازي ، ولا إنكار عود الأجسام رأساً لبعض المتفلسفة ، ولا التكلم فيه بما يضحك منه الثكلى ، كبعض القاصرين من المعاصرين ، فإنه بعد ما شدد النكير فيه على جُلِّ الحكماء والعلماء من الإسلاميين وغيرهم ، لا سيما على من قال بأن الإنسان له أجزاء أصلية هي أصل جسده ، وأجزاء فضلية ليست من أجزاء أصل جسده ، والمبعوث في المعاد هو الأول دون الثاني ، كالمحقق الطوسي ، والفاضل العلامة ، والمولى الأولي المجلسي ، والشيخ العلامة الأحسائي قدس الله أرواحهم ، فإنه بعدما زيف أقوالهم ، ونطق في

(١) صحيفة الأبرار: الجزء الأول ص ٣٦٨.

حقهم بما يليق بمثله لا بمثلهم ، جلس في صدر التحقيق ، وفتح عن جراب التدقيق ، وأخرج منه خزعات لا يليق ذكرها في الكتاب ، ولا في المسألة عنها جواب ، لأنه نشد غير ضالته ، وطلب غير سائمته ، فظل يختبط في الظلمات ، ويرتاب في الشبهات لغير هدى ، ولا كتاب منير . وحاصل معنى كلامه بعد تخليصه من الفضول أن الأجسام تُعاد يوم القيامة بما هي عليه في الدنيا ، بعد ما يعود وينضم إليها جميع الأجزاء المتحللة منها ، من بدو تولدها إلى يوم وفاتها ، ويضاعف إلى ذلك أجزاء من فاضل فضل المبدأ المعيد الوهاب ، ولم يقنع بذلك حتى قال : إن الأطفال الذين يموتون في الصغر ، ولا يكون لهم كثير أجزاء متحللة ، ينبغي أن يفيض إليهم الكريم جميع ما كان مقدراً لهم في خزانة التقدير من الأجزاء ، لأن تلك الأجزاء المفارقة المتفرقة كلها من أجزاء الجسد الأصلية ، وإن فارقت في الدنيا مدة يسيرة ، فإنها لا بد لها من عودها إلى الجسد ، ورجوعها معه إلى الله تعالى ، وإلا للزم أن يكون لفعل الله تعالى تعطيل بالنسبة إلى تلك الأجزاء ، ولا قبح فيما يلزم من ذلك من تعظم الأجساد ، لأن جسم الآخرة ينبغي أن يكون كذلك لسعة فضائها ، وعظم ما فيها من أنواع النعيم والعذاب ، فيجب أن يكون المتنعم والمتألم أيضاً كذلك ، هذا حاصل معنى كلامه بعبارتنا لا بعبارته من غير أن تغير من مراده شيئاً وكفى بالله شهيداً) ، انتهى كلامه قدس سره .

ومن كان له أدنى مسكة واطلاع بكلمات الأصحاب ، والآيات ، والأخبار الواردة في الباب ، عَلِمَ بلا شك منه وارتياح ، أن قائل هذا القول مخالف لما ورد عن أئمتنا الأطياب ، وقال به علماؤنا الفحول ، بل جميع الملل وذوو العقول ، إذ لم يقل أحد بأن المعاد هو الإنسان مع

جميع أجزائه المتحللة في الدنيا في حال حياته إلى حين مماته ، وأن الأجزاء المتحللة منه كلها أصلية ، حتى أن الطفل الميت في صغره ، يلحقه يوم القيامة جميع ما كان مقدراً له في خزانة التقدير من الكثافات ، والشعور ، والأظفار ، فراجع إلى ما نقلناه من كلمات الأصحاب في الفصول السابقة ، كيف صرّحوا رضوان الله عليهم بأن الأجزاء الفضلية والأجزاء الغريبة التي عبّر عنها الشيخ الأوحّد بالجسد العنصري والجسد الأولي لا تعود ، وأنها ليست من الإنسان ، وليس لها ربط به بوجه من الوجوه ، ففي الحقيقة هذا القول من الدارابي والهمداني تخطئة ما ورد لعلماء الدين وأساطين الشرع المبين ، وتخريب لما أسسه سيد المرسلين ، وإنكار لآثار أوصيائه الطيبين الطاهرين .



الأدلة على بطلان قول الهمداني والدارابي

ليت شعري ، كيف غفلوا عن مثل هذا ، ولم ينكر عليهم أحد من العلماء الأعلام ! ولنورد شطراً من الآيات والأخبار الصريحة في إبطاله ، وإثبات ما ذكرناه حتى يتضح الحال .

في البحار عن تفسير العياشي^(١) ^(٢) ، وفي شرح العرشية^(٣) عن

(١) صحيفة الأبرار : ج ١ ص ٣٦٨ بحار الأنوار ، ج ٧ ص ٣٨ نقلاً عن كتاب الاحتجاج .

(٢) أبو النصر ، محمد بن مسعود العياشي السمرقندي ، عالم إمامي ومفسر ، من رواة الأحاديث ، وهو تميمي الأصل ، وهو ثقة عند علماء الإمامية ، وثقه ابن النديم ، والعياشي ، والطوسي ، وغيرهم . اشتهر بالتفسير ، وله كتب أخرى . وُلد سنة (٢٤٠هـ) ، وتوفي سنة (٣٢٠هـ) .

(٣) شرح العرشية ج ٢ ص ١٩٨ .

احتجاج الطبرسي ، عن حفص بن غياث^(١) ، قال : شهدت المسجد الحرام ، وابن أبي العوجاء^(٢) يسأل أبا عبد الله عن قوله تعالى : ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾^(٣) ما ذنب الغير ؟ قال : (ويحك ، هي هي ، وهي غيرها ، فقال : فمثل لي ذلك شيئاً من أمر الدنيا ، قال : نعم ، أرأيت لو أن رجلاً أخذ لبنه فكسرها ، ثم ردها في ملبنها ، فهي هي ، وهي غيرها)^(٤) ، انتهى .

وفي البحار ، عن أمالي الشيخ ، عن حفص بن غياث ، قال : (كنت عند سيد الجعافرة جعفر بن محمد عليهما السلام لما أقدمه المنصور^(٥) ، فأتاه ابن أبي العوجاء وكان ملحداً ، فقال له ما تقول في هذه الآية : ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ ، هَبْ هذه الجلود عَصَتْ فَعُذِّبَتْ ، فما ذنب الغير ؟ قال أبو عبد الله : (ويحك ، هي هي ، وهي غيرها ، قال : أعقلني هذا القول ، فقال له : أرأيت لو أن رجلاً عمد إلى لبنه فكسرها ، ثم صبَّ عليها الماء ، وجعلها ، ثم ردها إلى هيئتها الأولى ، لم تكن هي هي ، وهي غيرها ؟ فقال : بلى ، أمتع الله بك) ، انتهى .

-
- (١) أبو عمر حفص بن غياث بن مالك ، الإمام الحافظ العلامة القاضي النخعي الكوفي . وُلِدَ سنة (١١٧هـ) ، وسمع من العديد من الرواة ، منهم : عاصم الأحول ، وسليمان التيمي ، ويحيى بن سعيد ، وروى عنه العديد من المحدثين ، توفي سنة (١٩٤هـ) .
- (٢) عبد الكريم بن أبي العوجاء الشيباني ، كان في البصرة وهو من المشهورين بالزندقة .
- (٣) سورة النساء ، الآية : ٥٦ .
- (٤) بحار الأنوار ، ج ٧ ص ٣٨ . نقلاً عن كتاب الاحتجاج .
- (٥) أبو جعفر عبد الله المنصور (٧١٢هـ - ٧٧٥هـ) . واسمه الكامل عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم . ثاني حكام بني العباس .

وفي الكافي ، بسنده عن عمار بن موسى ^(١) ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : (سئل عن الميت يبلى جسده ؟ قال : نعم ، حتى لا يبقى له لحم ولا عظم ، إلّا طينته التي خلق منها ، فإنها لا تبلى ، تبقى في القبر مستديرة ، حتى يخلق كما خلق أول مرة) ^(٢) ، انتهى .

وقال المجلسي في البحار ، في توضيحه : (وهذا يؤيد ما ذكره المتكلمون ، من أن تشخّص الإنسان إنما هو بالأجزاء الأصلية ، ولا مدخل لسائر الأجزاء والعوارض فيه انتهى . ثم قال بعد ورق في تفصيل الفذلكة : نعم ، ذكر بعض المتكلمين أن تشخّص الشخص إنما يقوم بأجزائه الأصلية المخلوقة من المني ، وتلك الأجزاء باقية في مدة حياة الشخص ، وبعد موته ، وتفرق أجزائه ، فلا يعدم التشخص ، وقد مضى ما يؤمّي إليه من الأخبار ، وعلى هذا ، فلو انعدم بعض العوارض الغير المشخصة ، وأعيد غيرها مكانها ، لا يقدح في كون الشخص باقياً بعينه) ^(٣) انتهى .

ويظهر من كلامه هذا اختيار ما ذهب إليه المتكلمون ، كما صرح به في كلامه السابق المنقول منه ، وهو الحق الصحيح .

وفي تفسير علي بن إبراهيم ، قيل لأبي عبد الله عليه السلام كيف تبدل جلودهم غيرها ؟ قال : (رأيت لو أخذت لبنة فكسرتها ، ثم صيرتها

(١) عمار بن موسى الساباطي من أعلام القرن الثاني الهجري ، كوفي ، سكن المدائن ، روى عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام . ذكره الكشي في رجاله ، ومدحه ويعد من أصحاب الكاظم عليه السلام .

(٢) الكافي ج ٣ ص ٢٥١ ح ٧ . بهار ١٣٦٧ .

(٣) بحار الأنوار ج ٧ ص ٤٣ .

تراباً ، ثم ضربتها في القالب ، أهي ذلك ، وحدث تغير آخر ؟^(١) ، انتهى .

فلاحظ هذه الأخبار ، كيف صرّحت بتغير الصورة ، وأن الأجساد الأخروية هي الأجساد الدنيوية من حيث المادة ، وهي غيرها من حيث الصورة ، وهي تتغير وتتبدل ، وتزول عنها الأجزاء الفضلية والغريبة ، وكيف أوضح الإمام تغير الصورة دون المادة بمثل اللبنة ، وهل اجتهد بقال نصّه عليه السلام ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾^(٢) ؟ .

وبالجملة ، ظهر مما ذكرنا أن الهمداني في (هديته) ، والدارابي في (سنا برقه) ، قد خبطا خبط عشواء ، وابتليا بهذه البلوى ، حيث قالوا بعود الأجساد الدنيوية مع جميع أجزائها المتحللة المنفصلة ، من ابتداء تولده إلى يوم وفاته . ثم لم يكتفِ الثاني بما أبدعه ، حتى قال في الأطفال الذين يموتون في صغرهم ، ينبغي لله الكريم أن يفيض عليهم ما هو مقدر لهم في خزانة تقدير من الشعر ، والكثافات ، والأجزاء الغريبة الفضلية ، نعوذ بالله مما قالوا به من الاعتقاد الكاسد ، والمذهب الفاسد الذي لم يقل به أحد من أهل الملل والمذاهب .

* * *

(١) الرواية كما وردت في البحار : فقليل لأبي عبد الله عليه السلام كيف تبدل جلود غيرها ؟ قال : (أرأيت لو أخذت لبنة فكسرتها وصيرتها تراباً ثم ضربتها في القالب أهي التي كانت ؟ إنما هي ذلك ، وحدث تغير آخر والأصل واحد) . ص ١٢٩ . بحار الأنوار :

المجلسي ج ٨ ، ص ٢٨٨ ، ح ٢٠ .

(٢) سورة ص ، الآية : ٧ .

أي الصور تعود على قولهما

ثم إن كان ما ذُكرًا من عدم تغيير الصورة صحيحاً ، يلزم أن يأتي الطفل يوم القيامة في الصورة الطفلية الرقيقة اللطيفة ، لا في الصورة القبيحة العظيمة كالجبل ، وشعره مقدار مئة ذراع ، وأظافره كذلك ، كما يظهر من كلامهما ، فلزم من كلامهما التغير في الصورة أيضاً ، فوقها فيما فرا منه ، ولزم أيضاً أن يأتي لقمان ، وبلال ، ونحوهما ، يوم القيامة بسواد ظاهرهما ، وأبو بصير ونحوه أعمى ، والأعرج ، والمقعّد ، ومقطوع اليدين والرجلين أصلاً ، والبطين ، والضعيف ، والنحيف ، والعليل السقيم ، وقبيح الصورة والمنظر ، والأصم ، والأخرس ، والأبكم ، والأعمى ، ونحوهم ، كلهم بهذه الصورة الموجودة في الدنيا .

فإن قالوا : بتغيير هذه الصور ، فقد وقع فيما فرا منه ، وثبت ما قلناه وبرهنناه ، وإلا ، فقد خالفا العيان والأعيان ، وأنكرا الوجدان والبرهان . والأخبار الناصة في حشر الإنسان بأنهم كلهم جرد مرد حسان ، ولما التفت الفاضل المعاصر عطر رسمه إلى ما في عود الصورة من المفاسد واللوازم القبيحة ، قال في رسالته : (بأن النزاع بين الفرقتين لفظي) ، وإن لم يُصَبِّ الواقع في المورد الآخر ، ونسب ما هو خلافه ، كما يظهر لك ، إن شاء الله ، في المقالات الآتية مفصلاً مبرهنًا .



الفصل السادس

العلة والسبب من تفكك البدن

لو كان جميع هذا البدن الشخصي بشعره ، وظفره الزائد ، وأوساخه ، وكثافته ، أجزاء أصلية ، ولم يكن فيه أجزاء غريبة فضلية ، فما السبب في بلائه ، وتفكك أعضائه ، وتشتت أجزائه ، بعد بقاءه مدة قليلة في قبره تحت الأرض ؟ والحال أن الأجزاء الأصلية لا تبلى تحت الأرض ، ولا تتفرق ، ولا تتلاشى ، ولا يؤثر فيها التراب ، ولا يأكلها بوجه ، كما في المعصومين عليهم السلام والأنبياء ، لا تأكل الأرض لحومهم ، ولا تفرق ولا تشتت أعضاءهم أبداً ، وليس إلا لصفاء أجسادهم الشريفة ، وخلوصها عن الكدورات والأعراض الغريبة ، والأجزاء الفضلية المختلطة بجميع أجزائهم الأصلية ، المحتاجة في زوالها إلى تفككها ، وتأثير التراب والأرض فيها بأكلها وتشتيتها . كما نبرهن عليه إن شاء الله فيما بعد . فانتظر .

ولو كان هذا الجسد مركباً من الأجزاء الأصلية والفضلية ، كما هو الحق المصرح به في كلمات الأصحاب رضوان الله عليهم ، كما عرفت ، والموافق للآيات والأخبار وضرورة المسلمين ، فقد ثبت المطلوب ، وظهر أن الشيخ الأوحّد لم يخالف في المقام ضرورة الإسلام ، ولا أحداً من العلماء الأعلام ، كما عرفت في الفصل السابق ، وهل من الإنصاف

أن يُقال في حقّه ما قد قيل ، برؤية كلام واحد متشابه على زعمه ، وذو وجوه صحيحة ومحامل مليحة ، مع التصريح بالمراد في موارد عديدة والنص به في مقامات متعددة ؟ وهل يمكن التجاسر في حق علماء الدين وأساطين الشرع المبين رضوان الله عليهم ، مع كثرة ما سبقت به أقلامهم في مصنفاتهم ، مما هو صريح خلاف الحق . كما ترى في فصل مخصوص من المقالات الآتية ، أو يحمل ما صدر منهم على المحامل الصحيحة ، تنزيهاً لساحتهم عما هو خلاف الحق الواضح ؟ .

والحاصل ، لا يسوغ للمسلم العاقل ، إذا اطلع على مطلبٍ باحتمالٍ باطلٍ في كلمات العلماء الربانيين ، أو صريحٍ فيه ، أن يسبق إلى التجاسر في حقهم بما لا يليق ، من دون الاطلاع على سائر كلمات القائل ، والتحقيق عن مراده واصطلاحه ، إذ لعله نصب قرائن متصلة على مراده الصحيح وخفيت عليك ، أو أتى في بيان المقصود باصطلاح جديد لم تطلع عليه ، أو نصب في سائر كلماته قرائن منفصلة ما تتبعها حتى تقف عليها ، أو زاغ عنها البصر .

نعم لو اطلعت على مراد القائل ، والقرائن الخارجة والداخلية : المتصلة والمنفصلة ، الدالة عليه ، يجوز لك أن تنسب إليه ما تنسب ، وإلا فلا . فعليك بسيرة الأصحاب في كتبهم ومصنفاتهم كيف يدققون النظر والتأمل في فهم المراد من الكلمات المنقولة ، أو الموجودة في مصنفاتهم ، وتشخيص القول من بين الأقوال وتعيينه ، لاسيما إذا كان مخالفاً للمشهور أو الإجماع ، وكان صاحبه ممن يعتد به ويعتنى منه . فيحتالون بالمحامل الصحيحة والقرائن الخارجة ، ولو كانت بعيدة في رده إلى المشهور أو المجمع عليه ، وإلا فينسبون إليه ما هو نص كلامه

أو ظاهره ، من دون تعرض له بالقدح والطعن فيه ، والافتراء عليه بما ليس فيه .



تنزل مادة الإنسان إلى عالم الشهادة

الحاصل ، فصريح كلمات الشيخ الأوحدي في جميع كتبه ومصنفاته أن الله عزَّ وجلَّ اخترع مادة الإنسان لا من شيء ، ثم أنزلها من خزائن غيبه إلى عالم الشهود ، فخلطها بالنباتات ، فأكلها الأبوان ، وتغذيا بها ، واستقرت المادة التي هي الأجزاء الأصلية في منازل جسدي الأبوين من المعدة ، والكبد ، والعروق ، وغيرها ، إلى أن صار منياً ، ثم بواسطة اجتماع الأبوين انتقل إلى رحم الأم ، واستقر فيه ، وصار بقدره الله نطفة ، ثم علقه ، ثم مضغه ، ثم عظاماً ، ثم كسي لحماً ، وتمت بنيته ظاهراً وباطناً ، ثم ولج فيه الروح ، ثم بقي مدة ، وخرج من بطن أمه ، وتلك الأجزاء الأصلية التي هي المادة في هذه المنازل والعوالم المختلفة ؛ بسبب تنزلها من عالم أعلى إلى الأسفل ، وتغذي الأبوين بالأغذية النباتية والحيوانية ، قطعاً تعثرها الأجزاء الغربية الفضلية وتصاحبها .



تصفية المادة الأصلية من الأعراض

ولما كانت تلك الأعراض الطارئة ، بعد نزولها إلى هذا العالم ، تتحلل بمرور الدهور ، احتاجت في بقائها للأجزاء الأصلية إلى البدل من هذه الأغذية الدنيوية إلى حين موته . فكلُّ ما يأكله الإنسان يكون صافياً

ولطيفاً ، بدلاً وعوضاً عما تحلل من تلك الأعراض ، وما دام الاعتدال باقياً في تلك الأعراض التي هي الأجزاء العرضية الفضلية يبقى الإنسان حياً ، ولما فسدت ومات وقبر ، فرقت الأرض جميع أجزائه وبدنه : الأصلية منها ، والعرضية الفضلية ، وأكلت العرضية منها ، التي هي من الأجزاء الغذائية الطارئة على الأجزاء الأصلية ، التي نزلت من خزانة الغيب ، حتى يصفى هذا البدن الدنيوي ، ويخلص من جميع كدوراته وأوساخه وكثافته وأعراضه ، ولا يبقى فيه غير العوارض البرزخية ، التي يعبر عنها الشيخ الأوحى بالجسم الأول ، وتزول هي أيضاً منه فيما بين نفختي الصعق والبعث . ولما صفى وخلص من جميع العوارض والكثافات الدنيوية والبرزخية ، بحيث لم يبق فيه أثر منها بوجه ، أمطر الله عز وجل السماء أربعين صباحاً من بحر الصاد ، ورائحته رائحة المني ، وجمع جميع أجزاء جسده الأصلية ، التي هي هذا الجسد الدنيوي المؤلف منها لو كانت متفرقة في قبره ، ونما الجسد كما ينمو النبات .

ولما كُمل وتمّ ، ودخل فيه الروح ، وقام من قبره ، وأتى إلى أرض المحشر صافياً من جميع الكدورات ، خالصاً من كل الكثافات ، وهو هذا الجسد الدنيوي المحسوس الملموس المبصر المرئي الذي يأكل ويشرب ، ويمشي في السكك وفي الأسواق ، إلا أنه لطيف وصافٍ من الكثافات والأعراض ، وخالص من العوارض الدنيوية والبرزخية . ثم يدخل بهذا الجسد إلى الجنة أو إلى النار ، ويشمله نداء : يا أهل الجنة خلود ولا موت ، يا أهل النار خلود ولا موت . فهل فيما ذكرناه وبيناه ما هو خلاف الضرورة أو إجماع المسلمين ؟



التفكك والتصفية لغير المعصومين

الحاصل ، هذا كله في حق غير المعصومين ، وأما المعصومون ، فأجسادهم الشريفة في غاية الصفاء والكمال ، ونهاية اللطافة والاعتدال ، من بدو نشوء خلقتهم ، ولم يتطرقهم في العوامل التي نزلوها ، والمنازل التي مروا بها ، عند إقبالهم على الخلق لهدايتهم وتربيتهم إلى إدبارهم عنهم ، عوارض وكثافات بوجه .

نعم ، لما كانوا مأمورين لهداية الخلق وتأديبهم ، ولم يتحملوا أنوار صورهم الأصلية ، ولم يطبقوا النظر إليها بوجه ، لبسوا في هذا العالم الظاهر صورة مناسبة له ، وهو الصورة البشرية ، حتى يتمكن الخلق من مشاهدة أنوار جمالهم ، وينتفعوا منهم ما هم محتاجون إليها من الفيوضات الشرعية ، ويكتسبوا منهم عليهم السلام معالمهم الدينية .

وهذه الصورة البشرية التي اتخذوها لباساً ، تبليغاً للأوامر الإلهية ، والفيوضات السبحانية ، أيضاً ، كانت في غاية الرقة واللطافة ، وتعلقها بأجسادهم الشريفة كان في نهاية الضعف ، ولم تكن مانعة من التصرفات الكونية ، كالصعود إلى السماء ، والنزول إلى الأرض ، وطبي ما بين المغرب والمشرق في طرفة عين ، والحضور في العوالم ، ومد اليد أو الرجل إلى الشامات ، وغيرها من عجائب التصرفات ، وخوارق العادات . إذ عوارض بشريتهم وأعراض صورهم ، كانت مستهلكة في جنب أنوار أجسادهم الأصلية ومضمحلة عندها . فلذا ، إذا وقف نبينا صلى الله عليه وآله قبال الشمس ، لم يكن له ظل .



قدرة أهل البيت عليهم السلام

فباختيارهم يلبسون تلك الصورة ويخلعونها ، وليسوا سلام الله عليهم مقهورين تحت حكم الصور والأعراض البشرية كغيرهم ، حتى لا يتمكنوا من خلعها عن أنفسهم ورفعها عن أجسادهم ، ويكونوا مضطرين إليها كسائر الخلق .

لكن مراتب المعصومين متفاوتة بالنسبة إلى تعلق تلك الصور إلى أجسادهم ، ومختلفة في طرو الأعراض إليها : كثرة وقلة ، ضعفاً وقوة . أما المعصومون الأربعة عشر صلوات الله عليهم ، فقطعي أن تعلق تلك الأعراض ، وطروها إليهم أقل وأضعف من التعلق والطرو إلى سائر الأنبياء والأوصياء ، وفيهم أشد وأكثر منهم عليهم السلام . ولذا ، لم يتمكنوا ولم يقدرُوا على ما يقدر عليه ويفعل محمّد وأهل بيته الطاهرون من عجائب الأفعال ، والحالات ، وخوارق الأمور ، والعادات .

الحاصل ، لما كانت أجسادهم الشريفة في غاية الصفاء واللطافة من الأعراض ، وكانت العوارض بالنسبة إلى أجسادهم صورياً وعرضياً ، ولم تكن مخلوطة بأجسادهم كغيرهم ، بل كانت على أجسادهم كالغبار الرقيق على المرأة ، ولم يكونوا مقهورين تحت حكمها ، يلبسونها ويخلعونها باختيار منهم . فلذا ، يخلعونها بعد انقضاء مدة التبليغ وتأديبهم وهدايتهم للخلق ، ومفارقتهم لدار الدنيا ، وانتقالهم إلى عرش وسماوات قبورهم ، وتبقى أجسادهم الشريفة في عرش قبورهم كسبيكة الذهب ، من دون تفكيك الأعضاء ولا تلاشي الأجزاء . إذ السبب للتلاشي والتفكيك - كما ذكرنا - هو خلط جميع أجزاء الجسد بالأعراض

والكدورات ، فإذا صفى الجسد وخلص منها ، فليس للأرض أن تأكل من لحومه ، وتشتت أجزائه وتفكك أعضائه ، كما ترى وجداناً أن مثقالاً من الذهب ، إذا خلط بمثقال صفر ، وبقي تحت الأرض مدة من الزمان ، وأخرج ، لم يبق إلا المثلقال من الذهب ، وأكل التراب ما هو مخلوط به ، وأما إذا كان صافياً من الخلط ، ولم يكن مشوباً بشيء ، كلما بقي تحت الأرض لم ينقص منه شيء ، ولم يزد إلا صفاء ، ولا يأكل التراب منه شيئاً .



السّر في حرمة لحوم أهل البيت على الأرض

وهذا هو السر لما ورد في الأخبار من أن الله حرّم لحوم المعصومين على الأرض ، في (بصائر الدرجات) ^(١) ، عن عبد الله بن سنان ^(٢) ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : (قال النبي صلى الله عليه وآله يوماً لأصحابه : حياتي خير لكم ، ومماتي خير لكم ، قال : فقالوا : يا رسول الله هذا حياتك نعم ، قالوا : فكيف مماتك ؟ فقال : إن الله حرم لحومنا على الأرض أن يطعم منها) . وفيه أيضاً ، عن أبي عبد الله عليه السلام ،

(١) محمد بن الحسن الصفار ، بصائر الدرجات ج ٢ ص ٣٤٦ رواية ١ .

(٢) عبد الله بن سنان بن طرف ، من أصحاب الإمام الصادق والإمام الكاظم عليهما السلام . مولى بني هاشم وهو من أعلام القرن الثاني الهجري ، عدّه الشيخ المفيد في رسالته العددية من الفقهاء الأعلام ، وقال الكشي : (كان من ثقات رجال أبي عبد الله عليه السلام) ووثقه النجاشي والعلامة الحلي ، ولم تحدد المصادر تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته .

قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وآله : حياتي خير لكم ، ومماتي خير لكم . فأما حياتي فإن الله هداكم بي من الضلالة ، وأنقذكم من شفا حفرة من النار . وأما مماتي ، فإن أعمالكم تعرض علي ، فما كان من حسن ، استزدت الله لكم ، وما كان من قبيح ، استغفرت الله لكم . فقال له رجل من المنافقين : وكيف ذلك يا رسول الله ، وقد رمت ؟ - يعني صرت رميمًا - فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : كلا ، إن الله حرم لحومنا على الأرض ، فلا تطعم منها شيئاً)^(١) انتهى .

فصريح هذين الخبرين أن أجسادهم الشريفة تبقى تحت الأرض محفوظة من التلاشي ، وتفتت الأعضاء ، وتصرف الأرض بالتغيير والتبديل ، كما شوهد من حال دانيال النبي^(٢) عليه الصّلاة والسلام ، لما وجده المسلمون عند فتح الأهواز في قبة مقفولة على سرير ، وكتبوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فأمرهم بدفنه . وما شوهد أيضاً من حال شعيب بن صالح^(٣) رسول شعيب^(٤) النبي إلى قومه ، في القبر الذي حفر في زمان عبد الملك^(٥) ، وقد رأوه واضعاً يده على رأسه ، وكلّما حرّكوه سال الدم من رأسه .

(١) بصائر الدرجات ج ٢ ص ٣٤٦ رواية ٢ ط ١ ، ١٣٦٢ هـ - ١٤٠٤ هـ . ق .

(٢) من أنبياء بني إسرائيل ، أسر إلى بابل ، موجود ذكره في العهد القديم .

(٣) شخصية مذكورة في الروايات ، أنه رسول النبي شعيب إلى قومه ، وهناك روايات كثيرة أنه من أصحاب الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه .

(٤) النبي شعيب عليه السلام ، رسول الله إلى أهل مدين ، وكان يدعو إلى التوحيد ، وإلى تقويم السلوك الاجتماعي . ورد ذكره في القرآن الكريم ﴿وإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾

[سورة الأعراف ، الآية : ٨٥] .

(٥) عبد الملك بن مروان الأموي القرشي (٢٦ هـ - ٨٦ هـ) خامس حكام الأمويين .

وقال العالم الرباني السيد محمد مهدي القزويني^(١) قدس سره ، في كتاب الصوارم بعد نقل القضيتين : (إنه شوهده في غير الأنبياء أيضاً بقاءهم تحت الأرض على صورتهم الدنيوية ، إجلالاً لأمرهم ، وتعظيماً لشأنهم . كما شوهده من حال جملة من شهداء كربلاء على مشرفها ألف تحية وثناء ، قيل : إن بعض سلاطين العجم احتفر قبر الحر^(٢) رضوان الله عليه ، فوجده طرياً في رأسه عصابة ، فلما حلها من رأسه جرى منها الدم ، وشوهده أيضاً ، من أحوال العلماء وجملة من الفاطميين بعد السنين المتطاولة عدم بلاء أجسادهم ، كما نقل أن بعض وزراء بغداد احتفر قبر الكليني^(٣) رحمه الله ، فوجده طرياً ، وقد شاهدنا من العلماء وعوام الناس أيضاً ، في قبورهم على هيئاتهم الدنيوية بعد مدة لا يبقى البدن فيها بمقتضى القاعدة الأغلبية . فإذا كان حال الرعايا ذلك ، فكيف حال الأنبياء والأوصياء سلام الله عليهم ؟ والأخبار الواردة في أن الجسد يبلى حتى لحمه وعظمه ، واردة في غيرهم لا فيهم ، كما دلت عليه البراهين القطعية) . انتهى .

(١) السيد محمد مهدي بن صالح بن أحمد الكشوان الموسوي الكاظمي القزويني ، (١٢٨٢هـ - ١٣٥٨هـ) . عالم إمامي ، عراقي الأصل ، استوطن الكويت . له مؤلفات عديدة منها : (هدى الغافلين إلى الدين المبين) ، و (غفلة الوهابية عن الحقائق الدينية) ، وغيرها . حضر في معركة الجهراء التي في زمن الشيخ سالم المبارك في الكويت .

(٢) الحر بن يزيد الرياحي اليربوعي التميمي ، شهد واقعة كربلاء مع الإمام الحسين عليه السلام وقصته مشهورة .

(٣) الشيخ محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني . وُلد في النصف الثاني من القرن الثالث بقرية (كلين) على بعد ٣٨ كيلومتراً من مدينة ري ، الواقعة في جنوب العاصمة طهران ، وهو من محدثي الشيعة المشهورين . توفي سنة (٣٢٩هـ) . وله كتاب (الكافي) .

أقول : الأخبار الصريحة الواردة في عدم بلاء أجسادهم الشريفة ، وأن الله حرّم لحومهم على الأرض ، كالخبرين السابقين ، والخبر الطويل على ما في الفقيه ، والخبر المروي عن الصادق عليه السلام على ما في الفقيه أيضاً : (إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عِظَامَنَا عَلَى الْأَرْضِ ، وَلِحَوْمَنَا عَلَى الْوَحْشِ ، فَلَا يَطْعَمُ مِنْهَا شَيْئاً)^(١) ، حاكمة على الأخبار الواردة في بلاء مُطلق الأجساد ، بل واردة عليها ، إذ يمكن أن يقال بقطعيتها ، بمقتضى القرائن الأخرى الخارجة . وأما الخبران الدالان على حمل نوح^(٢) عليه السلام عظام آدم^(٣) من مكة أو سرانديب إلى النجف ، وحمل موسى^(٤) عظام يوسف^(٥) إلى بيت المقدس ، فليس فيهما دلالة على بلاء جسد الأنبياء ، كما ستري إن شاء الله في الفصل الآتي مفصلاً مشروحاً .



(١) الرواية كما وردت : (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عِظَامَنَا عَلَى الْأَرْضِ ، وَحَرَّمَ لِحَوْمَنَا عَلَى الدُّودِ أَنْ تَطْعَمَ مِنْهَا شَيْئاً) . الصدوق : من لا يحضره الفقيه . ط ٢ ، ج ١ ، ص ١٩١ ، حديث ٥٨١ .

(٢) نوح عليه السلام ، من أنبياء أولي العزم ، ورد ذكره في القرآن وفي الكتب المقدسة . اشتهر بالطوفان . وهو الحفيد التاسع أو العاشر لآدم عليه السلام ، وكان الأب الثاني للبشرية . عاش ٩٥٠ سنة على أقل الروايات .

(٣) آدم عليه السلام أبو البشر .

(٤) موسى عليه السلام ، من أنبياء أولي العزم ، بُعث في بني إسرائيل أيام وجودهم في مصر ، وقصته مع فرعون مشهورة .

(٥) يوسف عليه السلام ، هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، وقصته مع إخوته مشهورة .

براءة الشيخ الأحسائي مما نسب إليه

والعجب كل العجب من الفاضل المعاصر التحرير المرحوم ، حيث نسب إلى الشيخ الأوحده أنه قال ببلاء أجساد المعصومين عليهم السلام ، والحال أنه ملأ مصنفاته وكتبه بالرد على من يقول به ، وأنكر ذلك أشد النكير .

والظاهر أن الفاضل المرحوم لما رأى عبارة (شرح الزيارة) ، ولم يلتفت إلى المقصود منها ، لعدم أنسه - على ما اصطلاحه الشيخ - ولم يطلع على سائر تصانيفه ورسائله ، نسب ما نسب إليه ، ولو لم أطلع على الرسالة التي بقلمه - وأظنها نسخة الأصل - لما كنت أعتمد على نقل الغير ، بل أكذبه اعتماداً على فضل المنقول عنه وعلمه .

وبعد ، هذه النسبة من مثله كمن ليس له في إحقاق الحق باع ، ولا دراية في تحرير محل النزاع . قال رحمه الله في رسالته في المسألة التاسعة عشرة ، مسألة : (إن بعض كلمات الشيخ مستفاد ميثود كه أبدان بشرية عنصريه أئمة عليهم السلام بعد أز فوت در قبر متفرق ميثود أجزاء أن وهر عنصري بأصل خود عود ميكند وايشان بأبدان اصليه خود در قبور باقي ميمانند چنانچه در شرح فقرة (لايذ بقبوركم) كفته : لأن أجسادهم وأجسامهم كقلوب شيعتهم في اللطافة ، بل ألطف ، وإنما ظهوروا بصورة البشرية الكثيفة التي هي من العناصر الأربعة ، لانتفاع الناس بهم ، وهي من آثار آثارهم . فلما انتهت الحاجة ، ولم يكن لها فائدة ، ألقوها في أصولها الأربعة ، كل في أصله ، فكشف منهم ما أخفته البشرية ، فكانوا

كما كانوا في عالم الأنوار . ملخصاً و بنابر این فرقی ما بین إمام ورعیت و مؤمن و کافر نمیباشد زیرا که أبدان أصلية همه ایشان باقی میماند در قبر و بنای متشرعه در این نسبت بلکه میگویند أبدان بشرية أئمة علیهم السلام أصلاً خراب نمی شود متلاشی نمی شود و محفوظ است بلکه علماء و صلحا را نیز چنین میدانند و قضیه حر شهید و شیخ صدوق و ابدان شهداء کربلاء و شیخ کلینی مشهور است) تم محل الحاجة .

فيا للعجب إن كان مثل الفاضل المرحوم لم يلتفت إلى مراد الشيخ مع تكررات عبارته وتأكيداته في رسائله ومصنفاته ، وينسب ما ينسب فكيف بغيره ؟ ولا بأس أن نشير إلى بعض اشتباهاته فنقول :



بيان اشتباهات الميرزا الشهرستاني

أولاً : أنه نعم ، ليس فرق في عدم بلاء الأبدان الأصلية ، بمعنى عدم أكل التراب والأرض من لحومهما وعظامهما شيئاً بين المعصوم وغيره من الرعية ، إن كان البلاء هو الفناء ، كما في المجمع^(۱) : (بلي الميت : أفنته الأرض) ، وإن كان فرق من جهات كثيرة . وأما إن كان بمعنى الاندراس ، كما في الكنز : بالية پوسیده وکهنه شده ، وهو تفكك الأعضاء ، وتشتت الأجزاء وتفرقها بعضها من بعض ، ففرق واضح لوجود الاندراس في الرعية ، لشوب أبدانهم بالأعراض والأوساخ التي ليست منها ، وعدمه في المعصومين عليهم السلام لخلوص أبدانهم

(۱) مجمع البحرين : الشيخ فخر الدين الطريحي . ج ۱ ، ص ۶۲ .

الشريفة وأجسادهم البشرية اللطيفة من شوب العوارض الغريبة الفضلية ، كما عرفت سابقاً .

والفرق الآخر : إن أبدان المعصومين وأجسادهم كلها أصلية ، يعني بدن كل واحد منهم بتمامه وكماله بدن أصلي ، ليس فيه عرض ، إلا مثل الغبار الرقيق فوق المرآة الذي اتخذه هو لنفسه ، لتمكن تعلم الخلق ، وانتفاعهم ، وتكسبهم معالم دينهم منه ، وليس مقهوراً تحت حكمه ، إن أراد خلعه وإن أراد لبسه . وأما بدن الرعية ، فهو مشوب ومخلوط بالعرض . يعني الأعراض موجودة في جميع أجزائه ، وتمام أعضائه : من لحمه ، وعظمه ، ومخّه ، وعروقه ، ودمه ، وغيرها . فلذا ، يحتاج إلى التفرق والتفكك ، حتى يأكل التراب ما ليس منه من الأعراض والكثافات . وهل يخفى على ذي حجب هذا الفرق العظيم ؟ ثم إنه يمكن أن يرجع المعنى الأول من البلى إلى الثاني ، بكون المراد من الفناء هو الاندراس ، إذ ما دخل في ملك الله عزّ وجلّ لا يخرج منه إلى غيره ، ولا يكون معدوماً أيضاً ، وإن كان مقدوراً لله سبحانه . والقول بعدم انقلاب الحقائق ، وإن كان ينفعنا في المقام ، لكنه لا محصل له ، ويلزمه سلب القدرة التي هي من الصفات الذاتية عن الله سبحانه ، وفساده بيّن ، والملزوم مثله ، ونتعرض له إن شاء الله في آخر المقالات ، فانتظر . فتعين أن المراد من الفناء هو الاندراس ، إذ يطلق عليه أيضاً ، بل ليس المراد منه في المقام إلا هو ، فَرَجَعَ المعنيان إلى واحد ، وظهر الفرق البين للبصير الناقد بين المعصوم - لا سيما الأربعة عشر - وبين الرعية فرقاً لا يخفى على أحد .

وثانياً : أن الشيخ الأوحد في أي كتاب ، أو أي رسالة ، أو أي

عبارة ، قال : إن الأبدان البشرية العنصرية من الأئمة عليهم السلام بعد الوضع في القبر أجزاؤها تتلاشى وتتفرق ؟ كما نسب إليه في أول تلك العبارة ، وقال : (إن بعض كلمات شيخ مستفاد ميسود كه أبدان بشرية عنصرية أئمة عليهم السلام بعد أز فوت در قبر متفرق ميسود أجزاء أن . . . إلخ) ، إن كان مراده من بعض الكلمات ما نقله هنا من شرح الزيارة ، كما صرح به أيضاً ، فأنت ترى أنه ليس فيما نقله ، وإن لم يكن تمام عبارة الكتاب ، بل ملخصها بتعبيره رائحة ما نسبته إليه ، ولا دلالة بوجه ، بل على خلاف ما رامه ونسبه أدل ، ولا يظهر صدق ذلك إلا بنقل أصل العبارة ، وإن كان مفصلاً .



قول الشيخ الأحسائي في شرح الزيارة

قال الشيخ رحمه الله في شرح فقرة : (لائذ بقبوركم)^(١) في الجمع بين الأخبار الدالة على رفعهم إلى السماء ، أو إلى العرش بعد الوضع في قبورهم ، وبين الأخبار الدالة على أنهم في حفرهم : (اعلم أن أجسادهم وأجسامهم عليهم السلام في غاية اللطافة ، بحيث لا تدركها الأبصار ، بل ، ولا البصائر) . فقد روي عنهم عليهم السلام : (إن الله خلق قلوب شيعتهم من فاضل أجسامهم)^(٢) ، وفي رواية : (إن الله خلق أرواح شيعتهم من فاضل طيبتهم ، أو أجسامهم ، وخلق أرواحهم من فوق ذلك ،

(١) شرح الزيارة ج ٣ ص ١٤٩ . المجلسي : بحار الأنوار . ج ٩٩ ، ص ١٣١ .

(٢) محمد بن الحسن (الصفار) ، بصائر الدرجات ، ص ٣٨ .

وخلق أرواح شيعتهم من دون ذلك^(١)، وتقدم الإشارة إلى ذلك مراراً . وإنما ظهروا للناس بما لبسوا من الصورة البشرية التي هي محل التغيير والتبديل ، وهي صورة كثيفة من العناصر الأربعة التي تحت فلك القمر ، وإنما لبسوها ، ليتم ما أراد الله من انتفاع المكلفين بهم ، ولولاها لما قدر أحد من الخلق أن يراهم ويدركهم ، أو ينتفع بهم ، من قوله تعالى : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبُسُونَ﴾^(٢) ، وكانت الصورة البشرية ، وإن كانت لهم عارضية لأنها ليست منهم ، وإنما هي من آثارهم ، فلما انتهت الحاجة إليها وانقضت ، ولم يكن لها فائدة ولا مصلحة ، ألقوها في أصولها الأربعة كل في أصله ، فلما ألقوها كُشِفَ منهم ما أخفته البشرية بكثافتها ظاهراً ، فكانوا كما كانوا في أعالي عالم الأنوار ، معلقين في أوائل عِلَلِهِمْ ، من الأمر الذي قام به كل شيء . ومثال ظهورهم بالبشرية وما بعده ، مما أشرنا عليه ، الصورة التي ظهرت منك في المرأة ، فإن جرم الشيشة الصقيل للصورة بمنزلة الصورة البشرية لهم ، أي لظهورهم عليهم السلام ، إذ لولا جرم الشيشة وصقالته ، لما ظهرت الصورة . مع أنها موجودة في ظلك ، وإنما توقف ظهورها على الصورة البشرية التي هي الشيء الصيقل ، كالمرآة والماء وما أشبههما . فالصورة

(١) عن فضيل بن الزبير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : (يا فضيل أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إنا أهل بيت خلقنا من عليين ، وخلق قلوبنا من الذي خلقنا منه ، وخلق شيعتنا من أسفل من ذلك ، وخلق قلوب شيعتنا منه . وإن عدونا خلقوا من سجين ، وخلق قلوبهم من الذي خلقوا منه ، وخلق شيعتهم من أسفل من ذلك ، وخلق قلوب شيعتهم من الذي خلقوا منه . . .) المجلسي بحار الأنوار ، ج ٥ ص ٢٤٩ - بصائر الدرجات محمد بن الحسن الصفار . ص ٣٦ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٩ .

شبحك ، معلق بك ، مستقر في ظلك ، عارض لك ، لا ذاتي ؛ لأنه نورك وشعاعك ، فإذا ذهبت المرأة خفي الشبح لعدم شرط ظهوره ، فكان كما كان في أعالي عالم ظهورك ، الذي هو عالم أنوارك ، أي أنوار أفعالك ، معلقاً في أوائل علله من الأمر الذي من فعلك ، أي ظهورك الذي قام به كل شيء من آثار ذلك الفعل . فافهم . . . إلخ) .



شرح كلام الشيخ

وتوضيح مقصوده رحمه الله : أن المعصومين الأربعة عشر لما أمروا لهداية الخلق ، وخطبوا بخطاب (أدبر) ، وطووا العوالم والمنازل إلى أن نزلوا هذا العالم ، أخذوا لباساً مناسباً له ، وهو الصورة البشرية ، حتى يتمكن الخلق بواسطة هذا اللباس الذي من سنخهم وجنسهم من الانتفاع منهم ، وأخذ معالم دينهم ، والتكسب والتعلم منهم . ولما انقضت مدة تعليم الخلق ، وتأديبهم ، وتربيتهم بهذه الصورة ، وخطبوا بخطاب (أقبل) ، ولم يكن لها ثمرة ولا فائدة ، ألقوها في أصولها ، أي خلعوها ، وبقوا على الحالة الأولية ، وهي أعالي عالم الأنوار قبل أن يلبسوا هذه الصورة البشرية ، المناسبة لهذا العالم ، ومن جنسه وسنخه ، لا أن أبدانهم الدنيوية تتفرق وتتلاشى ، بل تبقى في قبورهم وحفرهم محفوظة من كل تغيير وتبديل ، وتفرق وتشتت ، وإنما ألقوا هذه الصورة في أصولها . يعني لما كانت الصورة البشرية العرضية ، واللباس الذي أخذوه ؛ لتمكن انتفاع الخلق منهم ، مركباً من العناصر الأربعة الدنيوية التي تحت فلك القمر ، وليس له ربط لأجسادهم وأبدانهم الشريفة ، بل

إنما كان كالغبار الرقيق على المرأة ، يلبسونه باختيارهم ، ويخلعونه باختيارهم ، نزعوه ، وألقوه في أصوله ، يعني رجع كل واحد من عناصر تلك الصورة ، لا البدن ، ولحق بأصله ، كالسواد في العبد المركب من العناصر الدنيوية ، وليس له ربط للعبد ، وليس منه ، إذا وضع في القبر تتفرق وتلحق عناصر ذلك السواد إلى أصولها ، ولم ترجع يوم القيامة ، لا عناصر نفس العبد ، كما توهم من لا مشعر له .

وإن أردت زيادة التوضيح بالمثال نقول : إن صورة دحية الكلبي^(١) التي كان يلبسها جبرائيل^(٢) عليه السلام باختياره عند نزوله على النبي صلى الله عليه وآله بعض الأوقات ، ويخلعها عند صعوده إلى مقامه الأعلى ، وليس لها ربط بجبرائيل عليه السلام ، وليست منه مركبة من عناصر الدنيا ، إذ هي من الصورة الدنيوية ، إذا خلعها وصار في أعالي عالمه ، وهي عالم الأنوار ، تفرقت تلك الصورة ، وتلاشت قطعاً ، ولحق كل واحد من عناصرها بأصله . فهل يقال في هذه الصورة : إن جسم جبرائيل عليه السلام تفرق وتلاشى ؟ أو يقال وهو الحق المقصود : إن جسمه محفوظ من كل تغيير وتبديل ، والذي تفرق هو صورة دحية الكلبي ، التي أخذها مدة من الزمان لباساً لنفسه باختياره ، ولما انقضت تلك المدة ، ولم يكن لها ثمر وفائدة خلعها ، وألقاها في أصولها ؟ فكذلك المعصومون عليهم السلام أخذوا برهة من الزمان هذه الصورة البشرية تعليماً للخلق وانتفاعهم منهم عليهم السلام ، ولما انتهت

(١) دحية بن خليفة الكلبي ، من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ورسوله إلى هرقل ملك الروم ، كان جبرائيل عليه السلام إذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله يتشبه به .

(٢) جبرائيل عليه السلام ملاك الوحي .

مدة التعليم ، وانقضت أزمدة التعلم والانتفاع منهم ، وفارقوا هذا العالم ، وانتقلوا إلى العالم الأعلى لهم ، وتوجهوا امتثالاً لأمر خالقهم بالإقبال إليه والإدبار على الخلق ، ولم يكن لهم حاجة هنالك بالتلبس بهذا اللباس العرضي ، وللتصور بهذه الصورة الصورية ، خلعوا هذه الصورة ، وأطلقوا عنانها ، ولحقت بأصلها . وهو عناصر هذا العالم المأخوذة من تحت فلك القمر ، وبقوا على ما هم عليه ، وأجسادهم وأبدانهم محفوظة في قبورهم وحفرهم ، طريةً من دون تغيير وتبديل ، وتفرق وتلاشٍ بوجهٍ من الوجوه ، كما قلنا في المثال : بصورة دحية الكلبي وجبرائيل . ومن أحاط خبراً بكلمات الشيخ علم أنه لم يقل بصريح عبائره إلا ما قلناه وأوضحناه ، ولم يقل بما نسب إليه الفاضل المعاصر المرحوم من تفرق أبدانهم البشرية وتلاشي أجزائها بعد الوضع في القبر ، لا صراحة ، ولا إشارة ، ولا تلويحاً ، ولا كناية . ثم كيف يكون صحيحاً ، وقد صرح بفساده في موارد عديدة ، ورسائل متعددة ، منها : ما قال في الرسالة القطيفية في جواب السؤال عن الرواية الشريفة : (فحمل نوح عليه السلام عظام آدم من مكة إلى الغري) :

(إن المراد من العظام هو الجسد ، لا العظام المجردة عن اللحم)^(١).

(وإطلاق العظام عليه كثير في محاورات العرب واستعمالاتهم)^(٢) ،
واستشهد بقول الشاعر :

(١) جوامع الكلم : ج ٩ ص ٤٦٨ .

(٢) جوامع الكلم ج ٣ ص ٢٧ .

رَحِمَ اللَّهُ أَعْظَمًا دَفَنُوهَا بِسَحْجَتَانِ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ^(١)

حيث قال : أعظماً ، وأراد بها الجسد .

وننقل عبائره في الفصل الآتي ، ونثبت أن صريح كلماته أنه لا تبلى أجسادهم الشريفة بوجه ، ولا تأكل الأرض من لحومهم عليهم السلام ، نعم ، قال ببلاء أجسادهم وأبدانهم الدنيوية الحاج محمد كريم خان ، والحاج محمد خان^(٢) ، المرحومان ومن يتبعهما ، لما قالوا : إن تمام البدن الدنيوي الظاهري من الإمام وغيره عرضي ، ولم يفرقاً فيه بين الإمام والرعية ، كما ستعرف في الفصل الآتي . ولا يلزم من قولهما بذلك ، قول الشيخ^(٣) والسيد^(٤) ، ومن تبعهما به ، بل إنهما بريئان منه ، وممن يقول به ، ﴿وَلَا تَزُرْ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى﴾ .

الحاصل ، لما لم يطلع الفاضل المعاصر على كتب الشيخ الأوحد ، ومصنفاته ، ورسائله ، نسب إليه ما نسب ، وفرع عليه ما فرع ، لكن اللازم في مقام نسبة مطلب من المطالب - جزئياً كان أم لا - إلى أحد ، لا سيما ممن جلس مجلس التحقيق ، وتصدر في موارد التدقيق أن يحيط

(١) الشاعر هو : عبيد الله بن قيس الرقيات ، وطلحة الطلحات هو طلحة بن عبد الله بن خلف ، وُسْمِي طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ لأن أمه أم طلحة بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة ، كان أموي الهوى .

(٢) الحاج محمد خان بن محمد كريم خان الكرمانى أصله من كرمان بإيران ، ولد في التاسع عشر من محرم سنة ١٢٦٣ هـ ، وتوفي في العشرين سنة ١٣٢٤ هـ له مؤلفات منها : كتاب مصباح السالكين ، وهداية المسترشد ، والكتاب المبين .

(٣) الشيخ أحمد زين الدين .

(٤) السيد كاظم الرشتي .

بموارد ذلك المطلب ، ويتعب نفسه بالتأمل فيها تمام التعب ، ويدقق النظر مرة بعد مرة ، وكرة بعد كرة في كلمات المقابل ، كما هو شأن الأواخر والأوائل في كتبهم والرسائل ، ثم ينسب ما ينسب إلى القائل ، حتى يتمكن من الجواب يوم الجزاء والخطاب ، ويكون معذوراً لدى العتاب من الله الملك الوهاب ، إن ظهر ما نسب خلاف الصواب ، ولا ينسبه أيضاً أهل العلم والفضل ، إلى التجري والجهل ، وعدم المبالاة في القول والعمل ، نعوذ بالله من زلل الأقلام ، وخطل الأوهام .



الفصل السابع

رأي الشيخ كريم خان في المعاد

ذكرنا سابقاً ، وأثبتنا مفصلاً ، أن المستفاد من كلمات الشيخ - وسائر مشايخنا ، والأصحاب رضوان الله عليهم ، بل صريح كلماتهم - أن الجسد الموجود الدنيوي مركب من الأجزاء الأصلية ، والأجزاء الغريبة الفضلية ، التي يعبر عنها الشيخ الأوحى بالجسد الأولي ، والجسد العنصري ، وعن الأول بالجسد الثاني . بعبارة أخرى : إن هذا الموجود الدنيوي هو الجسد الأصلي الذي يعود ، إلا أنه يُصَفَّى من العوارض والأجزاء الغريبة الفضلية المخلوطة به ، التي ليست منه ، ولا ربط لها به . وخالفهم فيما ذَكَرَ الحاج محمد كريم خان المرحوم ، وتَابِعُوهُ صراحةً . قال في رسالته (العوائد) : (إن هذا البدن المستعار الدنيوي لا يعود) ، وقال في رسالته الأخرى العجمية : (إن هذا البدن بالنسبة إلى الجسد الأصلي كالصندوق) ، وقال ابنه الحاج محمد خان المرحوم ، في كتابه (هداية المسترشدين) في صفحة (٢٣٤) من طبعة بمبي ما حاصله : (إن هذا الجسد الذي تراه جسد عرضي ، والجسد الأصلي في داخله وجوفه) . ويصرح أيضاً في سائر أماكن هذا الكتاب : (بأن هذا البدن كله عرضي ، والأصلي في جوفه) . وقال في كتاب (شرح الحديثين) ، في شرح فقرة (وأوداج الحسين عليه السلام تشخب دماً) ما حاصله : (إن الدم من الأعراض ، ويوم القيامة عالم اللطافة لا يكون

فيه عرض) ، ثم يُؤوّل الدم بتأويلات بعيدة ، وليس الكتاب حاضراً
عندي الآن ، حتى أنقل عين العبارة . وإذا لاحظت سائر كتبهما ، سيما
فصول (الإرشاد) في مسألة المعاد ، تراها واضحة المفاد ، في أن هذا
البدن كله لا يعاد ، وإن ما يشتمله من اللحم ، والدم ، والعظم ،
وغيرها ، كلها أعراض .

وقد عرفت سابقاً تصريح الشيخ والسيد بخلافهما ، وأن المعاد هو
هذا البدن الدنيوي الشخصي المركب من اللحم ، والعظم ، والدم ،
وغيرها ، لكن بعد زوال الأعراض ، والكثافات ، والأوساخ ، وأنه هو
صريح الآيات والروايات .

وبالجملة ، لما قال جناب الحاج محمد كريم خان وابنه ومن يتبعه
بعرضية تمام هذا البدن الدنيوي ، ولم يفرق فيه بين المعصوم وغيره ، قال
ببلاء أجساد الأنبياء والأئمة عليهم السلام ، وتلاشي أجزائها ، وتفرقها
في قبورهم . قال في كتاب (إرشاد العوام) ، في المجلد الأول منه ، في
فصل من فصوله في المطلب الرابع ، بعد بيان ، أن البدن الإنساني له :
أصلي ، وعرضي . والأصلي فيه كنور الشمس في المرآة : (چون اين
مطلب را دانستی میگوئیم که باو جودیکه بدن شخصی حضرت امیر علیه
السلام یکیست ممکن است از برای ان بزرگوار که ان اعراض این دنیا در
چندین جا مظهری قرار دهد مانند اینه ودر هر يك از انها نور مقدس او
بکلی ظاهر باشد وهمه را معصوم ومظهر دارد وهمه رخسار وچشم
وگوش خدا باشند بی تفاوت چرا که حرکت این اعراض بحرکت بدن
اصلیست ودر عصمت وطاعت ومعصیت تابع او است پس چون بدن
اصلی معصوم شد اعراض هم با این واسطه معصوم میشود واز آنچه

عرض شد معلوم شد که لازم نکرده است که بصورت علوی جلوه کند بلکه ممکنست که بصورة غیر علوی جلوه نماید از صورت غیر انسان یا بلکه صورة حیوانهای طیب و نباتهای طیب و از همه شنوا و گویا و توانا میتواند باشد و این يك قسم از ظهورات ایشانست) انتهى محل الحاجة ، یعنی : لما عرفت هذا المطلب نقول : إن البدن الشخصي لعلی عليه السلام وإن كان واحداً ، لكن يمكن له أن يجعل من أعراض هذه الدنيا مظاهر عديدة في محال متعددة كالمرأة ، ويظهر في كل منها نوره المقدس بالكلية ، ويجعل الكل معصوماً ومطهراً ، ويكون كلها وجه الله ، وعينه ، وأذنه ، بلا تفاوت ، لأن حركة هذه الأعراض بحركة البدن الأصلي ، وتابعة له في العصمة ، والطاعة ، والمعصية . فلما كان البدن الأصلي معصوماً ، كانت الأبدان العرضية أيضاً معصومة ، وتبين مما ذكرنا أنه لا يلزم أن يتجلى بالصورة العلوية ، بل يمكن أن يتجلى بصورة غير العلوية من غير الإنسان ، كصورة الحيوانات الطيبة والنباتات الطيبة ، ويكون سامعاً ، وناطقاً ، وقادراً ، من كلها ، وهذا قسم من ظهوراتهم عليهم السلام ، انتهى .



المطالب المترتبة على القول بعرضية بدن المعصوم

ويظهر من هذه العبارة مطالب أربعة كلها خلاف الواقع والحق .

المطلب الأول : أن تمام هذا الجسد الدنيوي الشخصي من المعصوم وغيره عرضي ، والأصلي فيه كنور الشمس في المرأة ، وأن هذا الدنيوي

الشخصي الظاهري لا ربط له بالأصلي ، بل بإشراقه تحرك العرضي ، الظاهري ، الدنيوي ، ومفاده أنه للأصلي كالصندوق - كما يصرح به في بعض رسائله - ولا يعود منه شيء ، لأن كله عرض ، بل يفنى ويعود كل من عناصره إلى أصله عودَ ممازجةٍ واستهلاك ، لا عودَ مجاورة . وهو كما عرفت خلاف مذهب المسلمين ، والعلماء الراسخين ، ومشايخنا الكلمين ، والآيات والآثار الواردة عن المعصومين .

المطلب الثاني : أن الظاهر من الكلام المنقول : (أن بدن المعصوم من الإمام عليه السلام ، والأنبياء عليهم السلام كليّ ، لا شخصي جزئي) ، يعني : أن الإمام أو النبي الذي كان يمشي في أسواق مكة والمدينة والكوفة وغيرها ، يصعد المنابر ، ويخطب ، ويأكل ، ويشرب ، وينام ، ويجاهد في سبيل الله ، ويبلغ أحكامه ، ليس النبي أو الإمام الحقيقي ، بل إنما هو عرض وشبح ذلك النبي أو الإمام الكلي ، الذي ملأ فضاء العالم بكليته . كما يصرّح به في الفصل الذي بعد ذلك الفصل ، والمنقول منه العبارة في الفصل الرابع : (چون دانستی که حضرت پیغمبر صلی الله علیه وآله در همه جا حاضر است یعنی خداوند بر کرده است فضای اسمان وزمینر ابو جود شریف ایشان تایگانگی خود را ظاهر کند وایشان در همه جا بدن خود ظاهر کند وحاضر وموجود چرا که بدن ایشان کلیست مانند جسم که در همه عالم اجسام است وهیچ جا نیست که جسم نباشد همچنین ایشان در همه جاهستند الی ان یقول پس بمقتضای جسم اصلی در همه جا بود نداز زمین اسما وبمقتضای عرض خود در همان موضع معین یودند وانعرضی در غیران موضع معین نیست وممكن نیست که در دو جا ظاهر شود) . إلخ .

يعني : لما عرفت أن النبي صلى الله عليه وآله حاضر في كل مكان ،
يعني : أن الله ملاً فضاء السماء والأرض بوجودهم الشريف ، حتى يُظهر
وحدانيته ، وهم عليهم السلام ببدنهم ظاهرون ، وحاضرون ،
وموجودون في كل مكان ، إذ بدنهم كلي ، كالجسم الذي هو في جميع
عالم الأجسام ، وليس محل لم يكن فيه جسم . فكذا هم عليهم
السلام موجودون في كل مكان ، إلى أن قال : فبمقتضى الجسم الأصلي
كانوا حاضرين في كل مكان من السماوات والأرضين ، وبمقتضى
عرضيهم كانوا في ذلك الموضع المعين ، وذلك العرض ليس في غير
الموضع المعين ، ولا يمكن أن يظهر في مكانين .

فانظر كيف يصرح : بأن النبي أو الإمام الذي هو آية وحدانية الله ،
وملاً العالم هو النبي أو الإمام الأصلي الكلي ، كالجسم الذي ملاً عالم
الأجسام ، وأن هذا الدنيوي الظاهري عرض لا يمكن أن يتعدد ويحضر
في مكانين ، ويقول أيضاً : بكلية الملائكة في ذلك الفصل ، ويمثل
بجبرائيل عليه السلام ، ويقول : كلما هو في عالمه ولم يلبس صورة دحية
الكلبي ، ملاً فضاء العالم بجسمه الأصلي ، وكلما لبس صورة دحية
الكلبي كانت تلك الصورة عرضياً له ، ولم يتمكن أن يتعدد بها ، لأن
كلها عرض ، ولا ربط لها بجبرائيل الأصلي الحقيقي ، بل إنما هي
تتحرك بإشراقه .

الحاصل ، فهذا الاعتقاد في حق المعصومين عليهم السلام
والملائكة أيضاً ، خلاف ضرورة المسلمين ، وظواهر الآيات والأخبار ،
وصريح كلمات الأصحاب . والمتفق عليه أن هذا النبي أو الإمام
الشخصي الجزئي الذي كان بين أظهر الخلق ، وكان يأكل ، ويشرب ،

ويتكلم مع الناس ، ويعظهم ، ويخطب لهم على المنابر ، ويمشي ويتردد في السكك والأسواق ، هو النبي أو الإمام المبعوث والمنصوب للخلق أجمع ، وهو الولي والحجة في كل العوالم على جميع ما فيها ، وهو المظهر للمعاجز والبراهين ، وخوارق العادات لا غيره ، حتى يكون هذا الشخص الظاهري عرضاً ، وشبهاً ، وقالباً لذلك ، كما هو مدعاه صريحاً ، وبإشراقه يتحرك .

وليس لنا نبي أو إمام غير هذا المدعي للنبوة والإمامة الظاهر الشخصي ، وهو الذي يجب أن يكون معصوماً ، من أول عمره إلى آخره - من الخطأ والمعصية ، لا الكلي المدعى ، وأن يكون منزهاً من دناءة الأبوين ، والأخلاق الرذيلة ، والعيوب الخلقية البدنية . وهذا الظاهر الشخصي هو الذي ملأ عالم الإمكان بوجوده الشريف ، وبلغ جميع أهله أحكام الله ، وأوامره ، ونواهيه ، لا ما يدعيه من الكلي الذي هو في عالم الأنوار ، وبإشراقه يتحرك هذا الدنيوي الشخصي . وبما ذكرنا يكون النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام عليه السلام مظهر القدرة الإلهية ، ويثبت له الفضيلة التامة والقدرة الكاملة العامة . لا بما ذكره إذ بمدعاه لم يكن فرق بين النبي أو الإمام ، وبين الملائكة ، والجسم الكلي ، وبين الأثر والمؤثر ، والعلة والمعلول . والفرق بين واضح ، وظاهر لائح لا يحوم حوله غبار الاشتباه ، عند من له أدنى فطنة وانتباه .



مدرك الاعتقاد بعرضية بدن المعصوم

الحاصل : إن مدرك هذا الاعتقاد أنه لما رأى الأخبار الكثيرة الواردة ، في أن المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام يحضرون في آنٍ واحد ، في أماكن متعددة ، وعوالم عديدة ، ولم يمكنه إنكارها ، لاستفادتها ، وأطلع أيضاً على ما يقوله الحكماء : إن كون الشيء وحضوره في الآن الواحد ، في الأمكنة المتعددة محال ، وأراد أن يجمع بينهما ، تكلف باعتقاد أن النبي أو الإمام له بدنان : أصلي كلي ، وظاهري عرضي شخصي . فالذي ملأ فضاء العالم هو النبي أو الإمام الكلي الأصلي الحقيقي ، الذي في آن واحد يحضر في أماكن عديدة ، وحمل على هذا المقام تلك الأخبار الكثيرة .

والذي يقول الحكماء بمحالية تعدده في آن واحد في أمكنة متعددة ، هو البدن العرضي الشخصي ، الذي كان يأكل ، ويشرب ، ويمشي في الأسواق ، ويتحرك ، ويبلغ بإشراق ذلك الكلي الأصلي الحقيقي على مدعاه ، لكن غفل عن حقيقة الحال ، وترك ظواهر تلك الأخبار الواردة في هذا المضممار ، بل صريح بعضها كخبر حارث الهمداني^(١) وغيره : في أن الحاضر على الأموات هو هذا البدن الظاهري الدنيوي الشخصي .



(١) أبو عبدالله ، الحارث الهمداني . من كبار التابعين ومن أصحاب الإمام علي عليه السلام وخاصة ، وهو من فقهاء الصحابة أخذ العلم عن الإمام علي عليه السلام ، وعن ابن مسعود ، وقرأ عليه أبو إسحاق السبيعي . وقصته مع الإمام علي مشهورة ، وقوله له عليه السلام : (يا حارِ همدان من يمت يرني ...) .

النتائج الفاسدة على هذا الاعتقاد

ثم إن مفسد هذا الاعتقاد وفضائح ما أفاد وأراد ، أكثر من أن تحصى وأزيد من أن تستقصى :

منها : أن الداخل في الجنة من النبي أو الإمام ليس هذا الذي كان يُرى في دار الدنيا ، إذ هو بتمامه - على مدعاه - من الأعراض ، والجنة ليست محل الأعراض ، بل الذي يدخل هو الكلي .

ومنها : أن النبي أو الإمام الكلي كالجسم الكلي - على مدعاه - قد ملأ فضاء العالم (الدنيا والآخرة) ، فما معنى الدخول في الجنة ؟

ومنها : عدم رؤية أحد من أهل الجنة إياهم ، إذ لو تراؤوا لهم لتراؤوا بغير كليتهم ، لأن الكلي لا يدرك ، وغير الكلي هو العرض - على مدعاه - ، والجنة ليست محل الأعراض .

ومنها : أنهم عليهم السلام يتولون حساب الخلائق يوم الحشر ، ويراهم كل أحد في ذلك اليوم . إن قال : إنهم يحضرون في ذلك اليوم ، ويظهرون بكليتهم ، قلنا : كيف يراهم الخلق ، والكلي لا يُرى ولا يُدرك ! . وإن قال : بغير البدن الكلي ، قلنا : على مدعاه ، غير الكلي عرض ، ويوم الحشر ليس محل الأعراض ، بل تبقى في دار الدنيا ، كما يقول هو أيضاً به .

ومنها : أن النبي أو الإمام الظاهر الدنيوي لو لم يكن حقيقة ، لزم أن لا يتولد ظاهراً من الأبوين ، بل إذا أراد الظهور في كل مكان وزمان ، أخذ عرضاً وقالباً ، وبعد رفع الحاجة به ألقاه ، ورجع إلى أصوله . إن قال : إن هذا البدن العرضي مأخوذ من عناصر تحت فلك القمر ،

ومقتضى هذا العالم التولد من الأبوين ، قلنا : يلزم أن يتولد آلاف آلاف مرة من الأبوين ، إذ في هذا العالم - غير العوالم الأخرى - في آن واحد يحضر في أماكن ، لا تعدد بهذا الدنيوي العرضي على مدعاه ، والحال أنهم لم يتولدوا إلا مرة ، ولم يقل بهذه المفاصد اللازمة على كلامه أحد من المخالفين والملل الخارجة .

فظهر أن لا مفر ولا ملجأ منها ، إلا بالقول بأن النبي أو الإمام الحقيقي هو الموجود الدنيوي الشخصي المتولد من الأبوين ظاهراً ، لا الكلبي الذي لا يدرك ، المستلزم لتلك اللوازم الباطلة ، أو المفاصد العاطلة بالبدهاة والضرورة .

المطلب الثالث : أن صريح كلامه كما عرفت : أن حضور الإمام في الأمكنة العديدة في الآن الواحد بالأبدان العرضية ، يعني : أنه عليه السلام بحسب العوالم والأزمنة والأماكن : اتخذ لنفسه أبداناً عرضية وقوالب تحكي ذلك الإمام الأصلي الكلبي ، وبإشراقه وحركته تتحرك وتفعل تلك القوالب والأبدان العرضية ، ويمثل للكلبي الأصلي بالشمس ، والأبدان العرضية والقوالب والمظاهر بالصور والنور الظاهر في المرايا العديدة من الشمس ، كما عرفت من تصريحه في العبارة السابقة ، وهذا قول قشري مخالف للأخبار والنصوص الواضحة الدالة على أنهم عليهم السلام بهذه الأبدان الدنيوية يحضرون عند الموت . ثم إنه لما قاس أبدانهم الشريفة الدنيوية بأبدان سائر الناس ، وقال : إن أبدانهم الدنيوية بتمامها عرضية ، كما صرح به آنفاً ، قال : بأنهم عليهم السلام لا يتمكنون من الحضور في المكانين في آن واحد بأبدانهم الدنيوية ، فيحتاجون في كل مكان إلى بدن وقالب عرضي يحضرون به .

وقد برهننا أولاً : أن أبدانهم الدنيوية الموجودة بين الناس هي بعينها الأصلية الحقيقية لا العرضية المتهومة . كيف لا ، وقد ورد أن أهل الجنة لا يشغلهم شأن عن شأن ، وخلق أبدانهم من شعاع أبدان الأنبياء ، وأبدانهم من شعاع أبدان المعصومين الأربعة عشر سلام الله عليهم . والفرع أنزل من أصله بسبعين مرتبة - كما نبرهنه إن شاء الله في المقالات الآتية - .

فإذا كانت أبدانهم الشريفة الدنيوية ألطف من أبدان أهل الجنة بسبعين مرتبة ، فكيف يشغلهم الحضور في مكان ، ويمنعهم من الكون والحضور في مكان آخر ؟ ثم ذكرنا آنفاً أن أبدان سائر الخلق مقهورين تحت حكم الأعراض ، لا تنفك عنهم ، فتمنعهم عن الذوبان ، وأما المعصومون سلام الله عليهم ليسوا بمقهورين تحت حكمها ، بل باختيارهم يلحقون الأعراض بأنفسهم ، ويخلعونها إذا أرادوا ، وأينما أرادوا ، فلا تمنعهم عن التكثر ، والتعدد ، والذوبان . ثم إن أعراضهم مقدرة بمقدار لا يمنعه عن التصرف والتعدد ، بل هي فيهم بمنزلة الغبار الرقيق فوق المرآة غير المانع عن انطباع الصورة فيها ، يرتفع عنها بأدنى انجلاء .

وبالجملة ، هذا الاعتقاد من جملة تفريعات القول بالكلية ، وقد أبطلناه بمقتضى اللوازم الفاسدة بالضرورة . نعم ، قال به جملة من العلماء ، لكن لم يقولوا بكلية النبي أو الإمام أو شخصيتهما ، ولم يفرقوا بينهما ، وظاهر كلامهم كون البدن الدنيوي الشخصي الظاهري عن النبي أو الإمام هو الأصلي . والعجب من السيد الجليل السيد مرتضى علم

الهدى^(١) عليه الرحمة حيث اختار مسلك الحكماء ، وقال بقولهم ورفع اليد عن ظواهر الأخبار والسنة الآثار . والشيخ النبيل شيخ حسن بن سليمان الحلبي^(٢) الذي هو من جملة تلاميذ الشهيد الأول^(٣) رحمه الله ، قد صنف كتاباً سمّاه : كتاب المحتضر^(٤) ، وأبطل فيه هذا القول الفاسد ، وأثبت أن حضورهم عند الموت بأعيانهم الشريفة ، لا بالمثال القلبي ، والوجود العرضي ، بالأدلة : العقلية والنقلية . وكثيراً ما ينقل المجلسي رحمه الله في البحار ، والشيخ عبد الله^(٥) تلميذه في العوالم من عبائره وكلماته . ولسنا في هذا المختصر في صدد تحقيق هذه المطالب

(١) مرتضى علم الهدى . أبو القاسم علي بن طاهر ذي المناقب . يعود نسبه للإمام موسى الكاظم عليه السلام ، من علماء وفقهاء الإمامية . وُلد سنة (٣٥٥هـ) ، وتوفي سنة (٤٣٦هـ) . اشتهر بالعلم والكرم وحسن الأخلاق . درس على الشيخ المفيد ، ومن تلامذته : أبو جعفر الطوسي رضوان الله عليهم . بلغت تصانيفه مئة وسبعة عشر مصنفات ، من أهمها : (رسائل الشريف المرتضى) .

(٢) الشيخ أبو محمد ، حسن بن سليمان بن محمد الحلبي . لم تحدد المصادر تاريخ ولادته . وكانت وفاته في حدود (٨٠٦هـ) . درس عند الشيخ محمد ابن مكي العاملي ، المعروف بالشهيد الأول . محدث جليل فقيه نبيل . من أهم مؤلفاته : (مختصر بصائر الدرجات) ، و(كتاب الرجعة) .

(٣) الشهيد الأول ، شمس الدين أبو عبد الله ، محمد بن جمال الدين مكي العاملي ، من أبرز فقهاء الشيعة . ترك آثاراً واضحة ، وتصانيف عديدة ، أبرزها : (اللمعة الدمشقية) ، التي ما زالت تدرس في الحوزات العلمية قتل في أحد سجون قلعة الشام بعد أن سجن سنة كاملة ، وكانت وفاته سنة (٧٨٦هـ) .

(٤) كتاب المحتضر ، ص (١ - ١٥) النجف ، ١٣٧٠هـ .

(٥) لعله ، الشيخ عبد الله بن عبد الله ، قرأ على العلامة المجلسي كتاب (الاستبصار) أو عبد الله المدرس المشهدي ، كان من تلامذته العلامة المجلسي ، وكان يدرس في بعض مدارس مشهد الرضا عليه السلام .

وتنقيحها ، بل ذُكرنا لهذه المسألة وأمثالها استطرادي ، فلذا نختصر في المقال .

المطلب الرابع : الظاهر من عبارته السابقة أيضاً ، بل صريحها : إن النبي أو الإمام كما يتخذ لنفسه من هذه الأبدان الدنيوية للإنسان أبداناً عرضية ، وقوالب ظاهرية يتجلى ويظهر فيها ، كذلك يتخذ من صور الحيوانات والنباتات الطيبة ألبة وقوالب يظهر فيها ، ويتجلى للحيوانات والنباتات . بعبارة أخرى واضحة : إن النبي أو الإمام كما له من أبدان الإنسان في سلسلة الإنسان أبدان عرضية يسمّى : بالنبي أو الإمام ، كذلك له في سلسلة الحيوانات والنباتات صور وقوالب منهما تسمى بنبي الحيوانات والنباتات وإمامهما . بعبارة أوضح : إنه لما كان النبي والإمام كلياً على زعمه ، قال : بأنه لا بدّ في كل سلسلة من سلاسل الإنسان ، والحيوان ، والنبات ، والجماذ ، نبياً أو إماماً من سنخها وجنسها ، فنبئ الإنسان أو إمامه من سنخه وجنسه ، ونبئ الحيوان من سنخه ، ونبئ النبات من سنخه وصورته ، ونبئ الجماذ من سنخه وصورته ، وكذا الإمام .

الحاصل : فهذا أيضاً اعتقاد مخالف لضرورة مذهب الشيعة ، ولم يقل به أحد من العلماء الإمامية رضوان الله عليهم ، وغيرهم أيضاً ، وليس في الآيات والأخبار الصادرة من الأئمة الهداة إليه إشارة وتلويح ، فضلاً عن النص والتصريح . والنبئ أو الإمام أجل شأناً من أن يتصور بصورة غير الإنسان من النبات والجماذ والحيوان ، ويظهر ويتجلى به في العيان ! فاعتبروا يا أولي الأبصار .

أليس المعصومون الأربعة عشر أشرف المخلوقات ؟ والصورة

الإنسانية أشرف الصور؟ فكيف يتصور أشرف المخلوقات وأفضلها وأعلاها في صورة أردى المخلوقات وأخسها وأدناها ، ويظهر ويتجلى بها ويتلبس بلباسها ، ويسمى : حيواناً نبيّاً ، ونباتاً نبيّاً ، وجماداً نبيّاً؟ هل سمعتم بذلك؟ أو هل ذكر في كتاب ، أو جرى في خطاب؟ فإن كان الأمر كما ذكر ، لزم أن يكون أحد من الحيوانات الذي تجلى فيه النبي أو الإمام أيضاً ، معصوماً ، ومنزهاً من جميع العيوب الخلقية ، ودناءة الأبوين ، وغيرهما ، مما هو شرط في النبي أو الإمام . والحال أنه لم نعهد حيواناً مسمى بنبي ، ومتصفاً بهذه الصفات .

وبالجملة ، فهذا أيضاً من تفريعات القول والاعتقاد بكلية النبي أو الإمام ، - ونذكره إن شاء الله في مقالة خاصة - ، ونطيل الكلام في إبطاله ، وننزه منه ساحة الشيخ ، وسائر مشايخنا الفخام ، ونثبت - أن ضروري مذهبنا - أن النبي أو الإمام على جميع ما سوى الله من الدرّة ، إلى الدرّة هو هذا الظاهر الدنيوي الشخصي ، الذي كان يأكل ويمشي في الأسواق ، ويخطب على المنابر والأعواد ، ويبلغ أحكام كل مرتبة من مراتب المخلوقات ، من الإنسان إلى الجمادات ، بلسان عربي مبين ، ويأخذ كل مرتبة تكليفه من ذلك الخطاب بذلك اللسان ، وذلك لأن الله عزّ وجلّ جعله مظهراً لقدرته التامة الكاملة . فإذا خاطب المكلفين من كل مرتبة بذلك اللسان ، كملهم فوراً عند الخطاب ، ورقّاهم إلى مقام صاروا أهلاً للأخذ والتلقي ، للتكاليف والفيوضات من صاحب النبوة والولاية الكاملة العامة ، لا أن النبي أو الإمام يتنزل إلى مرتبة الحيوانات والنبات والجماد ، ويتجلى في صورة واحدة من أفراد تلك المراتب ، ويتلبس بلباسه ، ويبلغ تكاليفهم بتلك الصورة وذلك اللباس . إذ كمال صاحب

القدرة الكاملة ، والنبوة ، والولاية التامة الشاملة ، يظهر بما ذكرنا من
تكميل المكلفين وترقيهم إلى مقام تلقي الأحكام والفيوضات من صاحب
ذلك اللسان بذلك البيان ، لا بما ذكره جناب الحاج محمد كريم خان
رحمه الله ، ومن يتبعه من أولاده ، وغيرهم ، من تنزل النبي أو الإمام إلى
أخس الصور وأدناها ، والتجلي به إلى أهل مرتبته ، تعالياً عن ذلك علواً
كبيراً . حاشا وكلا ، ليس لنا نبئ ولا إمام في صورة حيوان أو نبات أو
جماد . فانتظر لما وعدناك من توضيح هذا المطلب ، وإبطاله بأوضح
بيان وأتم تبيان ، نعوذ بالله من زلل الأقلام ، وخطل الأوهام ، ومزال
الأقدام .



الفصل الثامن

أبدان المعصومين لا تتفكك ولا تتلاشى

تبين مما ذكرنا وشرحنا : أن أبدان غير المعصومين الدنيوية هي الأبدان الأخروية ، لكن بعد إزالة الأجزاء الغريبة الفضلية العارضة على تلك الأبدان الدنيوية الأصلية ، لا أن تمامها عرضية فضلية ، وهي كالصندوق للأصلية . وأن أبدان المعصومين عليهم السلام الدنيوية هي بعينها الأصلية الحقيقية ، وعوارضها ليست مخلوطة بأجزاء البدن كالرعية . بل إنما هي فيهم عليهم السلام كالغبار الرقيق على المرأة صورية ، يلبسونها إذا شاؤوا حتى يدركهم الرعية ، ويتمكنوا من الأخذ والتكسب منهم معالمهم الدنيوية : الدينية منها والأخروية ، ويخلعونها متى شاؤوا بغير أذية ، وأنهم ليسوا بمقهورين تحت حكم تلك الأعراض ومنجمدين بها كسائر الناس ، كما أنك تلبس الثياب وتخلعها عند الحاجة إليها باختيار منك ، ولست مقهوراً تحت حكمها . ولما دخلوا إلى حفرهم وقبورهم الشريفة ، ولم يكن لهم حاجة إلى تلك العوارض الصورية ، وانقضت مدة حاجتهم إليها ، ألقوها في أصولها ، يعني باختيارهم خلعوها ، ولم يكن تغيير في أبدانهم بوجه من الوجوه ، بل تبقى طرية في حفرها بلا تغيير ، ولا تفكك ، ولا تشتت ، ولا تلاش . كما أن جبرائيل عليه السلام إذا خلع صورة دحية الكلبي ، ورفّع إلى صورته الأصلية لم يكن فيه تغيير ، وتلاشي أعضاء ، ولا تفكك أجزاء ،

بل يلبس تلك الصورة عند الحاجة إليها ، ويخلعها عند عدم الحاجة ، وانقضاء مدتها ، ويلقيها في أصولها . فلاحظ المثل حتى لا تضطرب وتستوحش مما ذكرنا في الممثل .



رأي الحاج كريم خان

ولما قال الحاج محمد كريم خان المرحوم ، ومن تبعه . بكلية النبي والإمام ، وعرضية تمام أبدان المعصومين الدنيوية ، وكونها قوالب مثالية للكلبي الأصلي ، وأنها تنفعل وتتحرك بإشراقه ، كما عرفت آنفاً ، التزم بأن يقول ببلاء أجسادهم وأبدانهم الدنيوية في قبورهم ، وتلاشي أعضائها ، وتشتت أجزائها كسائر الخلق من الرعية بلا فرق ، قال في الرسالة الموضوعية لجواب أسئلة جناب الحاج ميرزا جعفر القزويني داغي^(١) المرحوم في جواب المسألة الثالثة ، بعد ذكر الرواية المروية في الفقيه^(٢) عن الصادق عليه السلام : (إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى بن عمران أن أخرج عظام يوسف من مصر فاستخرجه من شاطئ النيل في صندوق مرمر فحمله إلى الشام)

(١) هو الميرزا جعفر بن رضا القزويني داغي . سأل أسئلة اعتقادية فلسفية من الحاج كريم خان الكرمانلي ، فكتب أجوبتها في سنة ١٢٧٦ هـ ، ووصفه بأنه صاحب المكارم والمفاخر ، ومالك أزيمة المآثر : ويبدو أن الميرزا جعفر كان عارفاً بالعلوم العقلية متتبعاً في العلوم النقلية ، وكان يميل إلى آراء الشيخ أحمد الأحسائي مطلقاً على كتبه وأقواله . ولم تحدّد المصادر تاريخ ولادته ووفاته .

(٢) من لا يحضره الفقيه ، الصدوق ، ط ٢ ، ج ١ ص ١٩٤ .

الخبر : (فلو كان جسده باقياً على حاله لم يقل عظام يوسف ، وتأويل العظام بالجسد على خلاف الظاهر) ، انتهى .

انظر كيف صرّح ببلاء أجساد الأنبياء بالتمسك بهذا الخبر ، وقوله بعده : (فلو كان جسده باقياً على حاله ، لم يقل عظام يوسف) ، واعترض على الشيخ الأوحد أيضاً ، حيث قال - الشيخ الأوحد - : (فسمى جسده المدفون بسجستان أعظماً ، واستعمال ذلك غير منكور في لغة العرب)^(١) ، كما ترى في نقل عبائره قريباً بقوله - كريم خان - : (وتأويل العظام بالجسد على خلاف الظاهر) ، ولم يصرح باسمه خوفاً من السائل وغيره . ونظير هذا الخبر ما تواتر معنى : أن نوحاً على نبينا وآله وعليه السلام استخرج عظام آدم عليه السلام عند الطوفان^(٢) من سرانديب^(٣) أو من مكة على اختلاف الروايتين ، وأتى بها إلى أرض الغري ودفنها فيها . لكن المراد من العظام في الخبرين هو الجسد ، وإطلاق لفظ العظام عليه تجوّز شائع في كلمات العرب وغير منكور عندهم ، والعلاقة المصححة وهي علاقة الكل والجزء موجودة ، وشرطها وهو انتفاء الكل بانتفاء الجزء في المقام حاصل ، إذ هي معظم الجسد ، فهو ينتفي بانتفائها قطعاً ، ويؤيده ذكرها مع البدن والجسم في خبر مفضل بن عمر^(٤) في سياق واحد ، حيث قال الصادق عليه السلام :

(١) جوامع الكلم ج ٣ ، ص ٢٨ .

(٢) كامل الزيارات : جعفر بن محمد بن قولويه القمي . ط ١ ، ١٤١٧ هـ . ص ٩٠ .

(٣) (سرنديب) : كلمة أطلقها العرب على بلاد سيلان (سريلانكا) . معناها : تسلسل أحداث تُقوّم لحدث كريم أو عظيم أو مطلوب .

(٤) هو أبو عبد الله ، المفضل بن عمر الجعفي الكوفي ، من أصحاب الإمام الصادق ، =

(فاعلم أنَّكَ زَائِرُ عِظَامِ آدَمَ ، وَبَدَنَ نُوحٍ ، وَجِسْمِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ)^(١) . مضافاً إلى عدم القول بالفصل ، وهو أقوى دليل في المقام ، والقرائن الدالة على إرادة الجسد منها في الخبرين قوية ، كما عرفت وستعرف . بل بإعانة الأخبار الصريحة : بأن الله حرّم لحوم الأنبياء على الأرض أن يطعم منها شيئاً قطعياً . فيأذن إرادة الجسد منها ليست على خلاف الظاهر ، بل هي الظاهر بمعونة القرائن المتصلة والمنفصلة ، كبقائها في الأرض الرطبة ، وعدم بلائها في المدة الطويلة أربع مئة سنة ، وأزيد ، وغيرها .



كلمات الشيخ الأوحدي في عدم بلاء جسد المعصوم

ولا بأس أن نشير إلى بعض كلمات الشيخ الأوحدي في المقام ؛ حتى يتأيد المقصود والمرام ، ويتضح مخالفة المرحوم الحاج محمد كريم خان وتابعيه له صراحة ، قال قدس سره في المجلد الثاني من (جوامع الكلم) ، في جواب سؤال الشيخ الأجل^(٢) ، عن الجمع بين الأحاديث بعد كلام طويل : (.) وقد ثبت بالإجماع والأخبار المتواترة

= والإمام الكاظم ، والإمام الرضا عليهم السلام . لم تحدد مصادر التاريخ تاريخ ولادته ، كان راوياً لأحاديث الأئمة ، وثقه معظم رجال الحديث الشيعة ، ولم تحدد المصادر تاريخ وفاته .

(١) بحار الأنوار . ج ٩٧ ص ٢٥٨ . حسين الطباطبائي البروجردي : جامع أحاديث الشيعة ، ج ١٢ ص ٣١٦ .

(٢) جوامع الكلم : ج ٣ ص ٢٦ .

معنى بأن النبي نوحاً على محمد وآل محمد وعليه السلام عند الطوفان استخرج عظام آدم عليه السلام من سرانديب أو من مكة على اختلاف الروايتين ، وحمله في السفينة على الجودي في ظهر الكوفة ، فهو الآن ضجيع نوح خلف قبر أمير المؤمنين عليه السلام . وكان عمر آدم عليه السلام - على ما رواه الصدوق في الإكمال - سبع مئة سنة وثلاثين ، والمستفاد من كلام مروج الذهب للمسعودي^(١) مع انضمامه إلى الرواية المذكورة أن بين موت آدم عليه السلام ، وحمل نوح عليه السلام لجسده في السفينة ألف سنة وخمس مئة سنة وأربع عشرة سنة . وقد ثبت بالغة العربية استعمال لفظ العظام في الجسد ، لأنها معظم الجسد ، ولذا ، ورد وجوب صلاة الأموات على مجموع العظام ، كما وجبت على الجسد ، وإن لم يكن فيها شيء من القلب ، كما في صحيح علي بن جعفر^(٢) عن أخيه موسى عليه السلام . وأيضاً روي في المشهور المقبول من الروايات : أن موسى عليه السلام حمل عظام يوسف عليه السلام من شط نيل مصر ، ودفنه في بيت المقدس ، وكان بينهما أربع مئة سنة تقريباً أو تنقص قليلاً ، وكان يوسف عليه السلام من عباد الله الصالحين ، فلا ينقص عن حال آدم عليه السلام . والمراد بإخراج عظامه إخراج جسده ، وإنما عبر عنه بها لأنها معظم الجسد ، واستعمال ذلك

(١) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، وكنيته : أبو الحسن ، ولقبه : قطب الدين ، وهو من ذرية عبد الله بن مسعود . مؤرخ مشهور . وُلد سنة (٢٨٣هـ) ، توفي سنة (٣٤٦هـ) . له مؤلفات عديدة ، أشهرها : (مروج الذهب) .

(٢) علي بن جعفر الصادق عليه السلام .

كثير في كلام العرب في خطاباتهم ومحاوراتهم وفي أشعارهم ، ومنه ما قال الشاعر يرثي طلحة بن عبيد الله بن خلف ويسمى طلحة الطلحات ، لأن أمه صفية بنت الحارث بن أبي طلحة بن عبد مناف :

رَحِمَ اللَّهُ أَعْظَمًا دَفَنُوهَا بَسَجِسْتَانِ طَلْحَةَ الطَّلِحَاتِ

فسمّي جسده المدفون بسجستان أعظماً ، واستعمال ذلك غير منكور في لغة العرب . وأنت إذا عرفت ما حققنا لك قبل ، لم تشك في أن الذي حمله نوح وموسى عليهما السلام هو الجسد لا العظام . . . إلخ) .

وقال أيضاً في المجلد الأول من (جوامع الكلم) ، في رسالة (العصمة والرجعة)^(١) في صفحة ٩٨ : (. . . وَأَمَّا أَبْصَارُ الْمُعْصومِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَيَرَوْنَهَا ، فَلَوْ نَبَشَّهَا الْمُعْصومُ وَجَدَهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَلِهَذَا نَبَشَّ نُوْحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَكَّةَ أَوْ مِنْ سِرَانْدِيبَ ، وَحَمَلَهُ إِلَى النَجَفِ الْأَشْرَفِ . فَإِنْ قُلْتَ : إِنَّمَا حَمَلَ عِظَامَهُ ، قُلْتَ : إِنَّ الرِّوَايَاتِ الْوَارِدَةَ فِي رَفْعِهَا إِلَى السَّمَاءِ مُصَرَّحَةً بِرَفْعِ اللَّحْمِ وَالْعِظَامِ وَغَيْرِهِمَا ، وَأَيْضاً الْمُرَادُ بِالْعِظَامِ : جَمِيعُ الْجِسَدِ . وَالْعَرَبُ يَعْبُرُونَ عَنِ الْجِسَدِ بِالْعِظَامِ ، قَالَ الشَّاعِرُ يَرِثِي طَلْحَةَ الطَّلِحَاتِ ، وَهُوَ طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفٍ قَالَ :

رَحِمَ اللَّهُ أَعْظَمًا دَفَنُوهَا بَسَجِسْتَانِ طَلْحَةَ الطَّلِحَاتِ

سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ أُمَّهُ صَفِيَّةَ بِنْتَ الْحَارِثِ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ مَنْفٍ ، قَالَ الشَّاعِرُ : رَحِمَ اللَّهُ أَعْظَمًا ، وَيُرِيدُ بِهِ الْجِسَدَ ، وَأَيْضاً لَوْ

(١) جوامع الكلم : ج ٤ ص ٢٩٥ .

كانت تُرْفَع أو تُبْلَى لم يجدها نوح عليه السلام ، وكان بين موت آدم عليه السلام وحمل نوح عليه السلام بجسده - على ما رواه المسعودي في مروج الذهب - ألف سنة وخمس مئة سنة وأربع عشرة سنة ، وكذلك موسى عليه السلام ، حمل يوسف عليه السلام من النيل إلى بيت المقدس ، وبينهما تقريباً أربع مئة سنة (إلخ) .

وقال أيضاً في الرسالة القطيفية^(١) منه : (. . . وَأَمَّا مَا نُقِلَ مِنْ أَنْ نوحاً عليه السلام حَمَلَ عِظَامَ آدَمَ عليه السلام ، فالظاهر منه : أن المراد منه جسده ، وأطلق عليه العظام لأنها أشرف ما فيه ، حتى أن جميعها يقوم مقام الجسد حتى في الأحكام ، كما رُويَ من وجوب الصَّلَاة على جميع عظام الميت إذا وجدت ، وإن لم يكن فيها قلب أو صدر . وكذلك ما رُويَ في نقل موسى عليه السلام عظام يوسف عليه السلام . . . (إلخ) .



دليل مؤيد

كفانا شاهداً ومؤيداً ما نقلناه من كلماته الصريحة في عدم بلاء أجساد الأنبياء والمعصومين ، وأن المراد من العظام في الخبرين هو الجسد تجوزاً ، لا العظام حقيقة ، وأن إرادة الجسد من العظام غير منكور عند العرب ومستعملة عندهم ، وليس خلاف الظاهر ، كما زعمه من لا دراية له في كلمات المشايخ ، بل الظاهر هو الجسد بمعونة القرائن القطعية : المتصلة منها والمنفصلة . ويؤيد ما ذكرنا أيضاً ، الخبر المروي

(١) جوامع الكلم : ج ٩ ص ٤٦٨ .

في البرهان القاطع^(١) للسيد هاشم البحراني عن محمد بن مسلم^(٢) ، قال : (قُلْتُ لأبي جعفر عليه السلام : كَمْ عاشَ يعقوبُ مَعَ يوسفَ بمصرَ بعدما جمع الله ليعقوبَ شمله ، وأراه تأويل رؤيا يوسف الصادقة ؟ قال : عاشَ حولين ، قلت : فمن كان يومئذ الحجة لله في الأرض يعقوب أم يوسف ؟ قال : كان يعقوب الحجة ، وكان الملك ليوسف ، فلما مات يعقوب حمل يوسف عظام يعقوب في تابوت إلى أرض الشام ، فدفنه في بيت المقدس ، ثم كان يوسف بن يعقوب الحجة) ، انتهى .

فسياق الخبر - كما ترى - يصرح بأن المراد من عظام يعقوب عليه السلام جسده الشريف ، إذ لم يكن بين موت يعقوب وحمل يوسف أباه إلى بيت المقدس - بحسب العادة الجارية ومقتضاها - فاصلة كثيرة طويلة ، توجب بلاء لحمه وتلاشيهِ ، مع أن العادة تعجيل حمل الجناز ونقلها شرعاً وعرفاً ، لا سيما في يعقوب ، وفي أمثاله .

ودفن جسده الشريف مدة طويلة ، وحمله بعدها بحيث لا يبقى منه إلا العظام احتمال بعيد مع كثرة أولاده ، وتمكن يوسف وسلطنته وعدم المانع من حمله . فظهر أن المراد من العظام في الخبرين السابقين : هو

(١) البرهان في تفسير القرآن . السيد هاشم البحراني ، ج ٣ ، ص ٢٠٨ ، ح ٥٣٨٥ / ٥٤ .

(٢) هناك خمسة من أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام ، يسمون : محمد بن مسلم . وهم : محمد بن مسلم بن رياح الثقفي ، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، ومحمد بن مسلم بن هرمز الطائفي ، ومحمد بن مسلم العبدي ، ومحمد بن مسلم الحميري . والمقصود هنا هو محمد بن مسلم بن رياح ، وكنيته أبو جعفر كان على درجة عالية من العلم والفقاهة . وقع في إسناد (٢٢٧٦) مورداً عن الأئمة الباقر والصادق والكاظم عليهم السلام . توفي عام ١٥٠ هـ .

الجسد ، والتعبير عنه بالعظام متعارف بين القوم ، وفي محاوراتهم ، وليس بمنكور عندهم .

ثم إن المدة الفاصلة - على ما ذكر - بين موت آدم عليه السلام وحمل نوح إياه إلى الغري ، وموت يوسف عليه السلام وحمل موسى إياه إلى بيت المقدس مدة طويلة كما عرفت ، لا يعقل بمقتضى القاعدة الأغلبية بقاء العظام فيها وعدم بلائها ، لاسيما إذا كانت في الأرض الرطبة كشاطئ النيل ونحوه ، فتمتئى بقائها بمقتضاها عشرون أو ثلاثون سنة إلى المئة . فكيف بقيت عظام آدم عليه السلام تحت الأرض ألف وخمس مئة وأربع عشرة سنة ؟ وكذا عظام يوسف في الأرض الرطبة أربع مئة سنة ولم تبل ؟ وحملت من مكان إلى مكان .



سؤال وجواب

فإن قلت : إنه رُوي في كتاب ثاقب المناقب^(١) وخرائج الراوندي^(٢)

(١) ابن حمزة الطوسي ، الثاقب في المناقب ، ط ٢ ، ص ٥٧٥ .

ابن حمزة الطوسي المعروف بعماد الدين الطوسي . من أكابر فقهاء الإمامية في القرن السادس ، من مؤلفاته : (الثاقب من المناقب) ، و (الرائع في الشرائع) ، وغيرها . وتاريخ ولادته ووفاته مجهولان .

(٢) قطب الدين الراوندي ، الخرائج والجرائح ، ط ١ ، ج ١ ص ٤٤١ - ٤٤٢ .

قطب الدين الراوندي ، أبو الحسين وقيل أبو الحسن سعيد وقيل سعد بن عبد الله الراوندي الكاشاني من مؤلفاته : (الخرائج والجرائح) و (نوادر المعجزات) وغيرها . لم يعرف تاريخ ولادته . وتوفي في سنة ٥٧٣هـ ، ودفن في قم .

عن علي بن الحسن بن سابور^(١)، قال : (فَحَطَّ النَّاسُ (بِسْرِ مَنْ رَأَى) فِي زَمَنِ الْحَسَنِ الْأَخِيرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ الْحَاجِبُ وَأَهْلُ مَمْلَكَتِهِ أَنْ يَخْرُجُوا إِلَى الْأَسْتِسْقَاءِ ، فَخَرَجُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مُتَوَالِيَةٍ إِلَى الْمَصْلَى يَسْتَسْقُونَ وَيَدْعُونَ ، فَمَا سَقُوا . فَخَرَجَ الْجَاثَلِيُّ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ إِلَى الصَّحْرَاءِ ، وَمَعَهُ النَّصَارَى وَالرَّهْبَانُ ، وَكَانَ فِيهِمْ رَاهِبٌ ، فَلَمَّا مَدَّ يَدَهُ هَطَلَتِ السَّمَاءُ بِالْمَطَرِ ، فَشَكََّ أَكْثَرَ النَّاسِ ، فَعَجَبُوا ، وَصَبُّوا إِلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ . فَأَنْفَذَ الْخَلِيفَةُ إِلَى الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَ مُحَبُّوساً ، فَاسْتَخْرَجَهُ مِنْ حَبْسِهِ ، وَقَالَ : الْحَقُّ أُمَّةٌ جَدُّكَ ، فَقَدْ هَلَكْتَ ، فَقَالَ : (إِنِّي خَارِجٌ فِي ذَلِكَ ، وَمَزِيلُ الشُّكِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَخَرَجَ الْجَاثَلِيُّ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ وَالرَّهْبَانُ مَعَهُ ، وَخَرَجَ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا بَصَرَ بِالرَّاهِبِ وَقَدْ مَدَّ يَدَهُ ، أَمَرَ بَعْضَ مَمَالِيكِهِ أَنْ يَقْبِضَ عَلَى يَدِهِ الْيُمْنَى ، وَيَأْخُذَ مَا بَيْنَ أَصْبَعَيْهِ ، فَفَعَلَ ، وَأَخَذَ مِنْ بَيْنِ سَبَابَتِهِ وَالْوَسْطَى عَظْماً أَسْوَدَ ، فَأَخَذَهُ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : اسْتَسْقِ الْآنَ ، فَاسْتَسْقَى وَكَانَتِ السَّمَاءُ مَغِيْمَةً ، فَتَقَشَّعَتْ ، وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ بَيَاضاً ، فَقَالَ : مَا هَذَا الْعَظْمُ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ؟ قَالَ : هَذَا رَجُلٌ مَرَّ بِقَبْرِ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، فَوَقَعَ فِي يَدِهِ الْعَظْمُ ، وَمَا كَشَفَ عَنْ عَظْمِ نَبِيٍّ إِلَّا وَهَطَلَتِ السَّمَاءُ بِالْمَطَرِ)^(٢) ، انْتَهَى .

فَإِنْ كَانَ لَا تَأْكُلُ الْأَرْضُ لَحُومَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَلَا تَتَلَاشَى تَحْتَ الْأَرْضِ ،

(١) من محدثي الشيعة ، روى عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ، ومنهم الإمام الحسن العسكري عليه السلام .

(٢) مدينة المعاجز : ج ٧ ص ٦٢١ . بحار الأنوار : ج ٥ ، ص ٢٧١ . الثاقب في المناقب : ص ٥٧٥ .

فكيف وقع هذا العظم بيد هذا الراهب ، واستسقى به ؟ قلت : يحتمل أن هذا الراهب مر بقبر نبي ، ونبش واستخرج عضواً من أعضائه ، وكشف اللحم وأزاله عن العظم ، لهذا السر العظيم المعلوم عنده بقراءته في الكتب السماوية وغيرها ، والدليل على ذلك سواد العظم كما في الخبر ، إذ لو كان كشف اللحم عنه ببلائه تحت الأرض ، لكان العظم أبيض ، كما هو المرئي المبصر في سائر العظام المبلى لحمها تحت الأرض من الإنسان والحيوان . واحتمل ما ذكرنا أيضاً الشيخ الأوحدي في آخر سؤال الشيخ الأجل القطيفي^(١) في المجلد الثاني من (جوامع الكلم) .

فإن قلت : إنك ذكرت سابقاً : أن أجساد الأنبياء والأئمة عليهم السلام إذا وضعت في القبور لا تراها أعين الناس ، فكيف رأى الراهب جسد النبي وقطع عضواً من أعضائه ؟ قلت : يحتمل أن يكون القاطع آباء وأجداد ذلك الراهب في الأيام التي تراهم أعين الناس في قبورهم ولا يحجبون عنها ، ونسبة العسكري عليه السلام القطع إلى الراهب لا تنافي الاحتمال ، إذ ينسب الفعل كثيراً إلى من يرضى بالفعل ، ولو لم يفعل ، لاسيما إذا كان الراضي من جنس طينة الفاعل ، ولذا ورد عنهم عليهم السلام : (أن بقية الله عجل الله تعالى فرجه إذا ظهر يقتل من رضي بقتل الحسين عليه السلام ، وأفعال القاتلين قصاصاً)^(٢) ، وليس ذلك إلا

(١) هو الشيخ أحمد بن صالح القطيفي . عالم فاضل علماً وعملاً . وصفه الطهراني ، من مصنفي عصره ، بالعالم الفقيه النبيه الأمجد . له عدة مسائل بعثها على فترات إلى أستاذه الشيخ أحمد الأحسائي تحتوي على ست وثلاثين مسألة . ترجم له : أنوار البدرين ، وروح النسيم في أحكام التسليم . توفي بعد سنة ١٢٤٥ هـ .

(٢) عن عبد السلام بن صالح الهروي قال : قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام : =

لرضاهم ومساواتهم مع القتاتلين في النية ، وهو سرّ ما ورد ما معناه :
(أن رجلاً لو قتل رجلاً في المشرق ، ورضي رجل بذلك في المغرب
كان شريكاً في دمه ويؤاخذ به)^(١).



خلاصة ما سبق

فتلخص مما ذكر : أن المراد من العظام في الخبرين الشريفين هو
الجسد قطعاً ، بمقتضى القرائن القطعية ، وأن أجساد الأنبياء
والمعصومين عليهم السلام لا تُبلى ، ولا تأكل الأرض من لحومهم
وعظامهم أبداً ، ومثلهم مثل سبيكة الذهب لا تغير الأرض منها شيئاً .
وأن الأخبار الواردة بأن الجسد يبلى ، حتى لا يبقى لحم ولا عظام ،
واردة في غيرهم من المعصومين والأنبياء ، وأنها مخصصة بما ذكرناه في

= (يا بن رسول الله ، ما تقول في حديث روي عن الصادق عليه السلام . أنه قال : إذا خرج
القائم عليه السلام قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائهم ؟ فقال عليه
السلام : هو كذلك . فقلت : وقول الله عزّ وجلّ : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ ما
معناه ؟ قال : صدق الله في جميع أقواله ، ولكن ذراري قتلة الحسين عليه السلام يرضون
بأفعال آبائهم ويفتخرون بها ، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه ، ولو أن رجلاً قُتل بالمشرق
فرضي بقتله رجل في المغرب لكان الراضي عند الله عز وجل شريك القتال ، وإنما يقتلهم
القائم عليه السلام إذا خرج لرضاهم بفعال آبائهم . . .) . الصدوق ، علل الشرائع .

ج ١ ، ص ٢٢٩ . الصدوق ، عيون أخبار الرضا عليه السلام . ج ١ ، ص ٢٤٧ .

(١) قال صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين : (لو أن رجلاً قُتل بالمشرق وآخر رضي
بالمغرب كان كمن قتله واشترك « وشرك » في دمه) . المجلسي : بحار الأنوار . ج ١٠١
ص ٣٨٤ . الفتال النيسابوري : روضة الواعظين . ص ٤٦١ .

الفصل السابق من الأخبار والأدلة العقلية . وبما ذكرنا ظهر فساد تفرقة الفاضل الثراقي رحمه الله في كتاب (مشكلات العلوم) بين المعصومين الأربعة عشر وبين الأنبياء ، حيث قال : بعدم بلاء أجساد المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام تمسكاً بالأخبار السابقة ، وكونها مخصصاً لما ورد من بلاء الجسد مطلقاً ، وببلاء أجساد الأنبياء عليهم السلام تمسكاً بظاهر لفظ العظام في الخبرين المذكورين في خصوص آدم ويوسف عليهما السلام .

ويمكن أن يُقال : إن الأمر بالتأمل - في ختام كلامه - إشارة إلى ما ذكرنا من عدم الفرق والتسوية ، وإن المراد من العظام فيهما : هو الجسد ، والظاهر أنه هو الوجه فيه لا غيره ، كما يلوح من سياق كلامه قدس سره ، فأنحصر القول ببلاء أجساد المعصومين الأربعة عشر والأنبياء عليهم السلام بالحاج محمد كريم خان رحمه الله ومن يتبعه ، اعتماداً على أصله الفاسد ، وهو القول بكلية المعصومين والأنبياء ، وعرضية تمام أجسادهم الدنيوية المرئية . فافهم ، وتبصر .



الفصل التاسع

أدلة القول بفناء جسد المعصوم والرد عليها

لما ذكر الحاج المذكور ما اعتقده ، مما انفرد به من المذهب ، كما عرفت ، أيده بما هو أوهن من نسج العنكبوت من قوله ، بعد قوله السابق بلا فصل : (ويؤيد ذلك ما رُوي أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام دُفِنَ في قبر نوح عليه السلام ، فلو كان جسده العنصري باقياً ، ما كان يُنبَشُّ ، ويؤيد ذلك ما روي أنَّ الإمام عليه السلام يبقى في قبره ثلاثة أيام ، ثم يرفع إلى العرش ، فلو كان جسده العنصري الذي كان يُرى في حياته باقياً ، لكان في قبره) ، انتهى .

اعلم ، أنَّ المشهور أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام دفن في قبر أدَّخره له جدُّه نوح عليه السلام ، كما يدل عليه خبر محمد ابن الحنفية^(١) ، قال : (فلما انتهيا ، يعني : الحسن والحسين عليهما السلام إلى قبره ، وإذا مقدم السرير قد وضع ، فوضع الحسن عليه السلام مؤخره ، ثم قام الحسن ، وصلى عليه ، والجماعة خلفه ، فكبر سبعاً ، كما أمره به أبوه ،

(١) محمد بن علي بن أبي طالب ، وأمه الحنفية ، خولة بنت جعفر . وُلد سنة ١٦ هجرية ، وتوفي سنة ٨١ هجرية ، وقيل غير ذلك . له صفات معروفة ، ومواقف مشهودة . وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وعن الإمام علي عليه السلام روايات كثيرة ، وكان من أفضل أبناء الإمام علي عليه السلام بعد الحسن والحسين عليهما السلام .

ثم زحزحنا سريره ، وكشفنا التراب ، وإذا نحن بقبر محفور ، ولحد مشقوق ، وساجة منقورة ، مكتوب عليها : هذا ما ادّخره له جدّه نوح النبي ، للبعد الصالح الطاهر المطهر^(١) . إلخ .

وإن كان الخبر لا يؤثر عن معصوم عليه السلام ، لكن يصححه وصية الأمير عليه السلام للحسن : (. . . ثم ضَعْنِي عَلَى سَرِيرِي ، فهو موضع قبري ، ثم تقدّم يا أبا محمد ، وصلّ عليّ ، يا بني ، يا حسن وكبرّ عليّ سبعاً ، واعلم أنه لا يحلّ ذلك على أحد غيري ، إلّا على رجل يخرج في آخر الزمان اسمه : (القائم المهدي) من ولد أخيك الحسين ، يقيم اعوجاج الحق . فإذا أنت صليت عليّ يا حسن ، فنح السرير عن موضعه ، ثم اكشف التراب عنه ، فترى قبراً محفوراً ، ولحداً مشقوقاً ، وساجة منقورة ، فأضجعني فيها ، فإذا أردت الخروج من قبري ، فتفقدني ، فإنك لا تجدني . . . إلخ)^(٢) .

وهذا ، كما ترى ، صريح في أن قبره الشريف غير قبر جدّه نوح ، وكذلك أيضاً الأخبار الأخر الكثيرة .

(١) بحار الأنوار المجلسي : ج ٤٢ ، ص ٢٩٥ .

(٢) (. . . ثم ضَعْنِي عَلَى سَرِيرِي ، ولا يتقدم أحد منكم مقدم السرير ، واحملوا مؤخره ، واتبعوا مقدمه ، فأني موضع وضع المقدم ، فضعوا المؤخر . فحيث قام سريري فهو موضع قبري . ثم تقدم يا أبا محمد ، وصلّ عليّ يا بني ، يا حسن وكبرّ عليّ سبعاً ، واعلم أنه لا يحلّ ذلك على أحد غيري إلّا على رجل يخرج في آخر الزمان اسمه القائم المهدي من ولد أخيك الحسين ، يقيم اعوجاج الحق ، فإذا أنت صليت عليّ يا حسن ، فنح السرير عن موضعه ، ثم اكشف التراب عنه ، فترى قبراً محفوراً ولحداً مثقوباً وساجة منقوبة ، فأضجعني فيها ، فإذا أردت الخروج من قبري فتفقدني ، فإنك لا تجدني . . .) .

منها : خبر أبي عبد الله الجدلي^(١) في وصيته أيضاً للحسن عليه السلام ، قال : (... فإذا صليت فخط حول سريري ، ثم احفر لي قبراً في موضعه ، إلى منتهى كذا وكذا ، ثم شُقَّ لحداً ، فإنك تقع على ساحة منقورة ادَّخَرَهَا لي أبي نوح ، وضعني في الساحة ... إلخ)^(٢) .

ومنها : خبر (فرحة الغري^(٣)) بسنده عن أم كلثوم بنت علي عليه السلام ، قالت في بعض كلامها : (فضرب ، يعني : الحسن عليه السلام ضربةً فانشقَّ القبرُ عن ضريح ، فإذا هو بساحةٍ مكتوب عليها سطران بالسريانية : بسم الله الرحمن الرحيم هذا قبرُ قَبْرُهُ نوح النبي لعلِّي عليه السلام ، وصيَّ محمدٌ قبل الطوفان بسبع مئة عام ... إلخ)^(٤) .

ومنها أيضاً : خبر (فرحة الغري) بسنده عن مولى لعلِّي عليه السلام ، قال : (فلما مات ، أخرجناه ، وجعلنا نحمل مُؤَخَّرَ السرير ، ونُكْفَى مَقْدَمَهُ ، وجعلنا نسمع دويّاً وحفيفاً ، حتى أتينا الغريين ، فإذا صخرة بيضاء تلمع نوراً ، فاحتفرنا ، فإذا ساحة مكتوباً عليها : هذا ما ادَّخَرَهُ نوحٌ لعلِّي بن أبي طالب ، فدفناه فيها ... إلخ)^(٥) .

بحار الأنوار : المجلسي . ج ٤٢ ، ص ٢٩١ - ٢٩٢ .

(١) أبو عبد الله الجدلي ، واسمه عبدة بن عبد الله بن عبد الله بن أبي يعمر . ويرجع نسبه إلى مضر ، وقيل اسمه : عبد بن عبد ، مشهور بكنيته ، من رواة الشيعة ، ووثقه علماء الرجال السنة . روى عن سلمان الفارسي ، وعن علي عليه السلام . وروى عنه الشعبي ، وأبو إسحاق السبيعي ، وآخرون . قيل : إنه كان في شرطة المختار الثقفي . غير معلوم تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته ، ولكنه من رجال القرن الأول .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار . ج ٤٢ ، ص ٢١٥ - حديث ١٦ .

(٣) الغري ، ظاهر النجف الأشرف ، مقام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

(٤) ابن طاوس : فرحة الغري . ص ٦٣ - ٦٤ .

(٥) ابن طاوس : فرحة الغري . ص ٦٥ - ٦٦ .

ومنها : خبر (الخرائج) فيما أوصى للحسن والحسين عليهما السلام ، قال : (ستران صخرة بيضاء تلمع نوراً ، فاحتفرا ، فوجدا ساجةً مكتوباً عليها : هذا مما ادّخرها نوح لعلي بن أبي طالب ، فدفناه فيه . . . إلخ)^(١).

إلى غيرها مما هو صريح في المطلوب ، ولا ينافيها خبر حماد بن عيسى^(٢) ، عن رجل ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : (قبر علي عليه السلام في الغري ما بين صدر نوح ، ومفرق رأسه ، مما يلي القبلة . . .)^(٣) ، انتهى .

إذ الظاهر منه أنه عليه السلام ، دُفِنَ قُدَّامَ نوح من صدره إلى رأسه ، وهو يحصل بانفراد قبره الشريف أيضاً ، وفي التعبير بقبر (علي) في الغري إشعار بذلك أيضاً . ثم تحديد الإمام عليه السلام لقبر جدّه بأنه ما بين صدر نوح ، ومفرق رأسه ، إشعار تام ببقاء جسد نوح عليه السلام في قبره الشريف ، وعدم بلائه إلى حين دُفِنَ أمير المؤمنين عليه السلام في هذه المدة البعيدة .

واحتمال أن تحديده عليه السلام - باعتبار أول دفن نوح - وعلمه

(١) قطب الدين الراوندي ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ ، الخرائج والجرائح ج ١ ص ٢٣٤ .

(٢) حماد بن عيسى أبو محمد الجهني ، مولى ، وقيل عربي . روى عن أبي عبدالله عليه السلام عشرين حديثاً . وعن أبي الحسن والرضا ، ومات في حياة أبي جعفر الثاني عليه السلام . ثقة في حديثه صدوقاً . له كتاب (الصلاة) ، وله كتاب فيه مواعظ وتنبهات ، وفصول من الكلام في التوحيد ، وغيرها .

(٣) ابن طاوس : فرحة الغري . ٩٨ - ٩٩ . بحار الأنوار المجلسي . ج ٩٧ ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ، رواية ٤٢ .

بذلك بعيد جداً ، وإن كان عالماً بذلك . إذ هذا التحديد منه عليه السلام بيان لفضل جدّه على نوح عليه السلام ، فإن كان قد بلي جسد نوح وصار تراباً ، فلا فضل لمن دفن قُدَّامه عليه في الواقع ، - باعتبار أول دفنه - وفرض وجوده طرياً وعدم بلائه ، ولذا ، لو نبش قبر المؤمن بعد بلائه ، فليس بحرام بلا خلاف ، فظهر أن قبر الأمير عليه السلام منفرد قُدَّام قبر نوح عليه السلام ، ولو كان دُفِنَ عليه السلام في قبره ، لزم النبش المحرم لعدم بلاء أجساد الأنبياء ، لما ذكر من الأدلة العقلية والنقلية ، ولا ينافي ما ذكرنا أيضاً ، ولا يدل على مُدَّعى الخصم فقرة الزيارة الشريفة (السلام عليك ، وعلى ضجيعيك آدم ونوح) إذ الضجيع بمعنى الصاحب ، ويقال لمن يقرب من الآخر .

نعم ، يدل صريحاً على مُدَّعى الخصم رواية أبي بصير^(١) قال : قلت لأبي عبد الله : أين دُفِنَ أمير المؤمنين عليه السلام ؟ قال : دفن في قبر أبيه نوح . قلت : وأين قبر نوح ؟ الناس يقولون : إنه في المسجد ، قال : لا ، ذلك ظهر الكوفة^(٢) ، انتهى .

ولكن لا يقاوم ما دل على انفراد قبره الشريف ، لاستلزامه النبش المحرم بناءً على عدم بلاء أجساد الأنبياء ، وهو الحق الصحيح . وتساوي مدفني أمير المؤمنين عليه السلام ونوح في الفضل والشرف ،

(١) أبو بصير كنية مشتركة لرواة شيعة من أصحاب الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام هم : يحيى بن أبي القاسم الأسدي ، وليث بن البختری المرادي ، ويحيى بن أبي القاسم المكفوف . توضيح المقال في علم الرجال الملا علي كني ص ١٦٣ .

(٢) المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ٩٧ ص ٢٤٨ - ٢٤٩ رواية ٢٩ . الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ط ٢ ، ج ١٤ ص ٣٨٦ .

بناءً على مُدَّعى الخصم ، وهو البلاء . وقد أثبتنا في محله : أن فضل مدفن كل واحد من المعصومين على الآخر وعلى غيرهم ، كفضلهم على الآخر وعلى غيرهم . ثم يحتمل لاتحاد باب القبرين ، وإن كانا منفردين ، يصدق أن قبريهما واحد ، كما هو المتعارف السائغ في زماننا ، لاسيما في الروضات المطهرة على مشرفيها آلاف التحية والصلاة ، ويصرِّح بذلك أيضاً ، كلام الشيخ الأوحد المنقول سابقاً ، حيث قال : (فهو الآن - أي آدم عليه السلام - ضجيع نوح عليه السلام خلف قبر أمير المؤمنين عليه السلام . . . الخ)^(١) ، فلو لم يكن القبر منفرداً ، لما قال : (خلف أمير المؤمنين عليه السلام) ، فتنبه . وأما تأييده مدعاه بما رواه : أن الإمام يبقى في قبره ثلاثة أيام ، ثم يرفع إلى العرش ، فالظاهر أنه لا ربط ، ولا دخل له به ، إذ مدعاه أن عدم بقاء أجساد الأنبياء في قبورهم لبلائها وتشتتها ، لا لارتفاعها إلى السماء أو إلى العرش ، فلا وجه لتأييده به ، فتبصر .



معنى ارتفاع المعصومين عليهم السلام بعد دفنهم

وأما ارتفاع الأئمة عليهم السلام إلى السماء بعد وضعهم في قبورهم ، فكثير فيما ورد عنهم عليهم السلام ، لكنها مختلفة ، ففي بعضها أنهم لا يبقون إلا ثلاثة أيام ، ثم ترفع إلى السماء ، كالمروي في التهذيب عن أبي الجلال ، عن أبي عبد الله قال : (ما من نبي ولا وصي يبقى في الأرض بعد موته أكثر من ثلاثة أيام ، حتى تُرفع روحه ، وعظمه ،

(١) جوامع الكلم ج ٣ ط ١ ص ٢٧ .

ولحمُّهُ ، إلى السماء . . .)^(١) ، وفي بعضها ، أنهم لا يبقون أزيد من أربعين يوماً ، كالمروي في كتاب (الزيادات من التهذيب) عن عطية الأبراري قال : (سمعت أبا عبد الله عليه السلام ، قال : لا تَمُكُّ جَنَّةُ نبيِّ ولا وصيِّ نبيِّ في الأرض أكثر من أربعين يوماً)^(٢) ، وفي بعضها ، أنهم لا يبقون إلا ساعة ، كالمروي في التهذيب أيضاً ، عن الصادق عليه السلام ، قال : (إنه لما أُصِيبَ أمير المؤمنين عليه السلام ، قال للحسن والحسين عليهما السلام : غسِّلاني وكفِّناني ، وحنطاني ، واحملاني على سريري ، واحملا مُؤَخَّرَهُ تكفيان مقدمه ، فإنكما تنتهيان إلى قبر محفور ، ولحد ملحد ، وَلَيْنِ موضوع ، فالحداني واشرجا اللَّبْنَ عليَّ ، وارفعوا لبنةً مما يلي رأسي ، فانظرا ما تسمعان ؟ فأخذا اللَّبنةَ من عند الرأس بعدما أشرجا عليه اللَّبْنَ فإذا ليس في القبر شيء . . .)^(٣) ، انتهى .

وبالجملة ، فالمراد من ارتفاعهم إلى السماء هو الارتفاع المعنوي ، وتعلقهم من العرش ، كما في أخبار آخر هو الكون في قبورهم ، فقبورهم هي العرش والسماء في الرتبة ، فشبه الارتفاع المعنوي بالارتفاع الظاهري ، أي قبورهم بالعرش والسماء . والمقصود أنهم عليهم السلام لما دخلوا في قبورهم ، تعلقوا بالعرش ، وارتفعوا إلى السماء ، يعني : خلعوا عن أنفسهم العوارض التي ألحقوها بأنفسهم ، ليدركهم الناس ،

(١) الشيخ الطوسي ، تهذيب الأحكام ، ط ٤ ، ج ٦ ص ١٠٦ رواية ٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٦ ص ٨٤ رواية ١ .

(٣) الشيخ الطوسي ، تهذيب الأحكام ط ٤ ، ش ج ٦ ص ٨٥ رواية ٣ .

عطية الأبراري : عده الشيخ من أصحاب الصادق عليه السلام ، وعلى هذا المبنى يكون القول منسوباً إلى الإمام عليه السلام . رجال الطوسي ٢٦١ / ٢٢٠ .

وينتفعوا منهم ، وبقوا في قبورهم في أعالي عالم الأنوار .
 ويزورهم الزوار في تلك الحفر والقبور ، لكن إن نُشِ قَبُورهم لا يراهم
 أعين الخلق غير أعينهم ، إلا إذا أرادوا أن يتراؤوا واقتضت المصلحة
 ذلك ، كالمروي في كتاب (الصوارم) للعالم الرباني السيد مهدي
 القزويني (عطر رمسه) : أن المتوكل (عليه اللعنة) أمر بنش قبر الحسين
 عليه السلام ، فُنِشَ ، ورأوه في قبره الشريف .



توضيح وبيان تعلقهم بالعرش

وتوضيح ذلك : إن المراد من تعلقهم بالعرش ، وارتفاعهم إلى
 السماء بعد الوضع في قبورهم ، والدخول في حفرهم الشريفة ، أنهم
 عليهم السلام خلعوها عن أنفسهم باختيارهم الأعراض التي كان يدركهم
 الخلق بواسطتها ، ويأخذون معالم دينهم منهم عليهم السلام ، ويكتسبون
 منهم ما فرض الله لهم بسببها ، وبقوا في أعالي عالم الأنوار ، لأنهم
 ليسوا كسائر الناس مقهورين ومجبورين تحت حكم تلك الأعراض ، حتى
 لا يتمكنوا من رفعها وخلعها كغيرهم ، بل باختيارهم إذا اقتضت
 المصلحة للبسها ، كتأديب الخلق ، وتربيتهم ، وتعليمهم ، وهدايتهم ،
 لبسوها وألحقوها بأنفسهم ، وإذا اقتضت المصلحة لخلعها - كانقضاء مدة
 مأمورية الهداية ، والتأديب ، والتعليم للخلق من الله عزَّ وجلَّ - خلعوها ،
 ولحقوا بأعالي عالم الأنوار ، كما مثلنا سابقاً بجبرائيل عليه السلام أنه
 عند اقتضاء المصلحة كان يلبس الصورة البشرية ، وهي صورة دحية
 الكلبي ، ويراه الناس ولا يعرفونه ، وعند اقتضاء خلعها وعدم الحاجة

إليها ، كان يخلعها ، ويلحق بعالمه ، وهو عالم الأنوار ، ولا يراه أحد إلا من هو أعلى منه أو من سنخه ، وكذلك هم عليهم السلام إذا دخلوا في قبورهم ، وانقضت مدة بقائهم في الصورة المرئية ظاهراً ، وخلعوها لعدم الحاجة إليها ، لا يراهم عين أحد من الخلق لكثافتها ، إلا عينهم وعين من هو من عالم الأنوار ، إذ كيف يُدرك مَنْ ليس هو مِنْ عالم الأنوار غير سنخه ، وجنسه ، ويشاهده ؟

فالمراد من رفعهم إلى السماء ، أو تعلقهم بالعرش بعد دخولهم في قبورهم أربعين يوماً ، أو ثلاثة أيام ، أو ساعة واحدة ، هو خلعهم تلك الصورة ، غير محتاجين إليها بعد تلك المدد والأزمنة ، وأما فيها ، إذا نشوا يتراؤون بتلك الصورة المرئية . ووجه اختلاف أخبار مدة الخلع هو : بيان تفاوت مراتبهم عليهم السلام فيما بينهم ، وإن كانوا فيما يحتاج إليه الخلق من الفيوضات الكونية والشرعية متساوين ، فالذي أفضل الكل يخلعها في آن واحد ، كما أن الحسن والحسين بعد وضعهما أمير المؤمنين في قبره الشريف ، ولحدهما له ، رفعا لبنةً من طرف رأسه الشريف ، وما رأياه في القبر ، يعني : باللباس البشري ، وإلا فكيف لا يريانه ، وهما من سنخه وجنسه ، ولا يمنعهما من الرؤية ما فيهما من الصورة البشرية ، لأنها بالنسبة إلى نوريتهما كالذرة ! ويدل عليه خبر البرسي^(١) عليه الرحمة في مشارق الأنوار^(٢) ، قال : (رُوي عن الحسن

(١) الشيخ الحافظ رضي الدين رجب بن محمد بن رجب البرسي الحلي ، (توفي سنة ٨١٣هـ) . عالم وفقه ومحدث شيعي عراقي ، له : مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين عليه السلام ، وغيرها من المؤلفات .

(٢) وجدنا الرواية في كتاب بحار الأنوار المجلسي ، ج ٤٢ ص ٣٠١ نقلاً عن مشارق الأنوار .

بن علي عليهما السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام قال للحسن والحسين عليهما السلام : إذا وضعتما في الضريح ، فصليا ركعتين قبل أن تهيلا عليّ التراب ، وانظرا ما يكون ، فلما وضعاه في الضريح المقدس ، فعَلَا ما أمر به ، نظرا ، وإذا الضريح مُغَطَّى بثوب من سُندُس ، فكشف الحسن عليه السلام مما يلي وجه أمير المؤمنين عليه السلام ، فوجد رسول الله صلى الله عليه وآله وإبراهيم يتحدثون مع أمير المؤمنين عليه السلام ، وكشف الحسين مما يلي رجله ، فوجد الزهراء ، وحواء ، ومريم ، وآسية ، عليهن السلام يَنْحَنَ على أمير المؤمنين عليه السلام وَيَنْدُبُهُ ، انتهى .

والذي هو أفضل بعد أمير المؤمنين عليه السلام من الباقي ، يخلع الصورة المرئية بحسب تحمل الناس وقابليتهم ، كالحسنين عليهما السلام مثلاً بعد ثلاثة أيام ، والذي بعدهم أربعين يوماً .

الحاصل ، فالمراد من رفعهم إلى السماء ، أو تعلقهم بالعرش ، هو ما ذكرنا ، لا الرفع الظاهريّ الحسيّ ، كما زعمه الحاج المرحوم الكرمانى على ما يظهر من كلامه السابق .



كلام الشيخ الأحسائي في معنى تعلقهم عليهم السلام بالعرش

ويصرّح بما ذكرنا في أماكن عديدة من مصنفاته وكتبه : الشيخ الأوحّد الأحسائي نور الله ضريحه ، لا بأس أن نذكر بعض تصريحاته وبياناته كنساً لغبار أوهام الضعفاء ، قال في (شرح الزيارة) في شرح

فقرة : (لا تذقبوركم)^(١) : (. . .) وأما قشر الجواب : فاعلم أنهم أنوارٌ لا كثافة في أجسامهم بوجهٍ ، بحيث لا تدركها الأبصارُ ، بل أكثر البصائر ، وهي حينئذ في رتبة لطافة العرش ، فإذا زالت الكثافة البشرية التي هي علة الإدراك ، قلنا : إنهم معلقون بالعرش ، وهم في حفرهم . . .) إلى أن قال : (. . . فأجسادهم عليهم السلام في قبورهم في رتبة الأجساد من اللطافة ، وهو معنى تعلقها بالعرش ، أي : في الرتبة واللطافة ، فلو وجدت الصورة البشرية الآن وجدتهم في قبورهم ، فلما خلعوها في أصولها لم يجدهم في قبورهم أحد ، إلا أن يكون واحداً منهم عليهم السلام ، فإنه يدرك ذلك لكونه من هنالك ، ولا يمنعه ما فيه من الصورة البشرية التي بها نجده ، لأنها إذا نُسبت إلى نُورِيَّتِهِ ، كانت كالذرة في هذا العالم ، ولهذا صعد النبي صلى الله عليه وآله ليلة المعراج بجسمه الشريف مع ما فيه من البشرية الكثيفة ، وبثيابه التي عليه ، ولم يمنعه ذلك عن اختراق السماوات والحجب وحجب الأنوار لقلته ما فيه من الكثافة ، ألا تراه يقف في الشمس ، ولا يكون له ظل ، مع أن ثيابه عليه ؟ لاضمحلالها في عظيم نوريته ، وكذلك حكم أهل بيته الثلاثة عشر المعصومين عليهم السلام ، ومثال ذلك : أنك لو وضعت مثقالاً من التراب في مثقال من الماء ، أو أقل أو أكثر بقليل ، كان الماء كدراً لكدورة كثافة التراب ، ولو وضعت مثقال التراب المذكور في البحر المحيط لم يظهر لمثقال التراب أثر ، بل يكون وضعه وعدمه بالنسبة إلى البحر المحيط سواء ، نعم لو نظرت إلى مثقال التراب في قدره من البحر

(١) جوامع الكلم ج ٣ ط ١ ، ص ١٥٢ .

المحيط قبل تموجه واستهلاكه أدركته ، كذلك هم عليهم السلام حال تعلق البشرية ، تدرك منهم ما تلبست به الكثافة البشرية حال إرادتهم التلبس ، والآن ، لم يريدوا التلبس ، وخلعوها في أصولها ، فأجسادهم في قبورهم معلقون بالعرش . وبعبارة أخرى أجسادهم في السماء ، وفي قبورهم ، وحفرهم المعلومة التي تأتي إليها زوار شيعتهم المؤمنين . . . الخ) .

وقال في المجلد الثاني من (جوامع الكلم)^(١) في الجمع بين الأخبار : (فيجب المصير إلى ما قلنا ، فإنه إذا خلع الصورة البشرية ، فقد رفع بذلك إلى السماء في الرتبة وإلى العرش ، كما في قصة الحسين . . . الخ) ، وقال فيه^(٢) أيضاً ، بعد هذه العبارة : فإذا خلع الجسد الثاني (الباقي) الجسد العنصري الثقيل في محله من القبر ، الذي يدركه العوام ، بقي الجسد الباقي في سمائه من ذلك القبر فيأتون الزوار محل القشر الملقى ، ولعمري أن الجسد الباقي فيه ، وفي غيبه إلى يوم القيامة عند ربه يرزق) ، انتهى .

وقال أيضاً في المجلد الأول منه في رسالة الرجعة^(٣) : (وإذا فارقت الصورة البشرية التي هي الكثافة ، لم تر الأجساد ، ولو نُبِشت لم توجد ، وإن كانت في محالها للطافتها ، فلا تراها إلا عين المعصومين ، ويُعَبَّرُ عن هذه الغيبوبة التي حصلت من خلوعها الكثافة بالرفع إلى السماء ، وبالنزول إلى الأرض بلبسها الكثافة البشرية ، فافهم هذه القاعدة ، واعرف منها كلما ورد من هذا النحو) ، انتهى .

(١) جوامع الكلم ج ٣ ، ص ٣٢ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٣ ص ٣٤ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢٩٥ .

انظر ، كيف صرَّح بالمقصود والمراد ، وأوضح سبيل الرشد والسداد ، بعبارات بينة وافية ، وكلمات صريحة شافية ، فلاح من تصريحاته أيضاً : أن المراد من رفعهم إلى السماء أو تعلقهم بالعرش في الأخبار ، هو الرفع والتعلق المعنوي ، وهو الكون في قبورهم من دون تغيير وتبديل ، بحيث لا تراه عين أحد غيرهم ، إلّا إذا أرادوا لمصالح تقتضى ، وبه يجمع بين ما مضى ، وبين ما يأتي من الأخبار ، لا الرفع الظاهريّ الحسيّ ، كما زعمه جناب الحاج المذكور . والأخبار المصرّحة أيضاً على أنهم عليهم السلام في حفرهم وقبورهم كثيرة ، لا تخفى على من مارس الأخبار ، وجاس خلال تلك الديار بعين الإنصاف والاعتبار ، كفقرة : (السلام عليك وعلى ضجيعيك آدم ونوح)^(١) ، وما روي^(٢) : (إنك تأتي الحسين وتزوره في قبره ، وتشير إلى قبره ، وتخاطبه ، وتقول : أشهد أنك ترى مقامي ، وتشهد كلامي ، وتردّ علي سلامي) . وخبر مفضل بن عمر في مزار البحار^(٣) ، قال : (دخلت على أبي عبد الله عليه السلام ، فقلت : إني أشتاق إلى الغريّ ، قال : وما شوقك إليه ؟ قلت : إني أحبُّ أن أزورَ أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال لي فهل تعرف فضل زيارته ؟ قلت : لا يا ابن رسول الله ، فتعرّفتي ذلك ، قال : إذا زرت أمير المؤمنين عليه السلام ، فاعلم ، أنك زائرٌ عظام آدم ،

(١) الشيخ عباس القمي ، مفاتيح الجنان ، ص ٥١٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦١٩ : (يا أبا عبد الله أشهد أنك تشهد مقامي وتسمع كلامي . . .) .

(٣) المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ٩٧ ص ٢٥٨ ، ابن قولويه القمي ، كامل الزيارات ، ط ١ ، مؤسسة نشر الفقاهة ، ١٤١٧ هـ ، ص ٩٠ .

وبدنَ نوح ، وجسمَ عليّ بن أبي طالب . . . الخ) ، وغيرها الصريحة أو الظاهرة في كونهم في قبورهم وحفرهم .

* * *

بيان وتوضيح

بيان ما لعله يحتاج إلى بيان : فالمراد من العظام ، والبدن ، والجسم في الخبر ، شيء واحد ، وهو : الجسد . إذ الجسم هو : البدن ، كما في القاموس والمجمع ، والبدن هو : الجسم ، والعظام هو : الجسد أيضاً على ما حققناه في بيان المراد منها في الخبرين السابقين ، فظهر أن المراد من الكل شيء واحد ، ومعنى واحد ، هو : الجسد ، لكن في تعبير الإمام عليه السلام عنه بالعبارات المختلفة والألفاظ المتعددة سرٌّ دقيق ، وتحقيق خفي عن غير أهله رشيق ، وهو الإشارة إلى اختلاف المراتب .

ولا بأس أن نشير إليه مختصراً ، وهو : أن آدم على نبينا وآله ، وعليه السلام لما توقف في حمل الأمانة المعروضة عليه ، وعلى السماوات ، والأرضين ، وما فيهما ، توقفاً ظاهرياً لا باطنياً ، وإلا لما كان خلق ، ولم يتبعهم عند عرضها عليه بجميعه : ظاهره وباطنه ، كما تبعهم في قبولها أولو العزم الذين سموا بذلك ، لذلك على خبر ، بل تبعهم بباطنه دون ظاهره ، حيث قُرِبَ من الشجرة المنهي عنها ، عبّر الإمام عليه السلام عنه بالعظام ، لأنه أصل البدن وباطنه . وأما نوح لما لم يتوقف في قبول ولايتهم لا ظاهراً ولا باطناً ، بل تبعهم بكله ، عبّر عنه بالبدن الشامل للظاهر والباطن . وأما الجسم ، وإن كان هو البدن ، لكن لما كان يستعمل غالباً فيما تعلق به الروح ، بخلاف البدن ، كما لا يخفى على من تتبع موارد استعمالها عبّر به عن الأمير عليه السلام .

الحاصل ، ظهر من جميع ما فصلناه : أن المراد من العرش أو السماء هو قبورهم الشريفة ، والرفع والتعلق هو المعنوي لا الظاهري ، وأن أجسادهم الشريفة باقية في قبورهم وحفرهم - التي يأتي إليها الزائرون - بدون تغيير ، وتبديل ، وتفكك ، وتشتت أعضاء ، إلا أنه لا تراها أعين غيرهم لشدة لطافتها ، وغلبة نوريّتها ، ونهاية صفائها وبهائها ، وغاية دقتها وسنائها . ليت شعري ، من قال : بكلية وجود الأنبياء والأئمة صلى الله عليهم أجمعين ؟ وأن أجسادهم الظاهرة في دار الدنيا بتمامها أعراض وقوالب ومثل للكلّي تبلى تحت الأرض ، بحيث لا يبقى منها أثر بوجه ، وترجع عناصرها إلى أصولها ، لأنها أخذت من تحت فلك القمر ، فهو لمن يزور في البقاع المطهرة والروضات المنورة ؟ إن كان يقصد بزيارته النبي أو الإمام الكلّي ، فهو على زعمه ملاً كل العوالم ، فلا اختصاص له بالروضات المنورة ، وإن كان يقصد بزيارته المحل الملقى فيه عرض ذلك الكلّي ، وقاله المبلى ، بحيث لم يبق منه أثر بوجه - على اعتقاده وزعمه - فما الفرق بينه وبين مخالفينا ؟ بل ربما المخالفون يعتقدون أن النبي صلى الله عليه وآله جسده الظاهري الدنيوي لا يبلى ، بل هو طري باقٍ في قبره الشريف المنور ، وإن كانوا يشاركونه في الأئمة عليهم السلام فلم يكن زيارته إلا تقبيل الضريح ، وزيارة المحل الملقى فيه عرض الإمام وقاله الخالي منه أيضاً ، لبلائه وعدم بقاءه بوجه ، فلم يبق لتحريض الناس في الأخبار وترغيبهم عليهم السلام إلى زيارة الأئمة في المشاهد المشرفة ، والحث العظيم عليها سبب ولا علة ، ﴿اعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾^(١) ، عصمنا الله وإياكم من زلل الأقدام ، وخطل الأوهام .

الفصل العاشر

المولود الفلسفي

قد ظهر لك من جميع ما ذكرنا في الفصول السابقة : أن المعاد يوم القيامة هو هذا البدن المحسوس الملموس المرئي المبصر الدنيوي ، لكن بعد زوال الأعراض والعوارض اللاحقة له التي ليست منه ، ويعبر عنها الأصحاب رضوان الله عليهم كما عرفت من كلماتهم وعباراتهم المنقولة عنهم : بالأجزاء الغريبة الفضلية ، والشيخ الأوحى الأحسائي : بالجسد العنصري الأولي تارة ، وبالجسد العنصري أخرى . وظهر لك أيضاً ، أنه لم يقل : ما هو خلاف الضرورة وإجماع المسلمين ، بل قال بما قاله المسلمون ، ودان بما دانه علماؤنا الإماميون ، ولم يخالفهم إلا من اشتبه وحاد عن الحق ، وقال : بأن المعاد هو هذا الموجود الدنيوي ، بلا ذهاب شيء من عوارضه وفضلاته ، حتى أوساخه ، وكثافته ، وأظفاره ، وقاذوراته .

وبالجملة ، من اشتتم جزئياً من روائع العلم الطبيعي ، وأطلع قليلاً على تولد المولود الفلسفي الذي هو الأصل والأساس في هذه المسألة ، فقد أصاب الواقع ، ورأى من وراء الحجب الحق اللامع ، ولم يقل بالخرافات المضحكة ، والعقائد الفاسدة الركيكة . ولا بأس أن نختم هذه المقالة بتطبيق العالمين والمولودين العزیزين ، وإن لم أكن من فرسان

هذا الميدان ، وغواص بحر السرّ بعد العيان ، ونظّار مرآة الحكماء وعُلام أسرار الأمناء ، لكنني لما وقفت بالنظر بما سطوروا ، ودخلت من الباب الذي أمروا ، وطلبت الوصول ممن منحوا ، ورجوت ممن عن اللغو صفحوا ، اهتديت إلى فهم كلمات الراسخين ، واستنباط ما خفي عن الغير من كلمات الماضين ، وإظهار الدرر المكنونة تحت رموز الكملين ، وتلقي فيض رشحات بحار العارفين ، والاطلاع على ما ستره الله عن أنظار الذين ما أدركوا إلّا القشر المستبين ، والسراب المشتبه بالماء المعين ، إذ لا يناله إلّا من كان من المعرضين ، وفي أنظار الخلق من المحقّقين ، وذلك مما منّ الله عليّ بفضلِهِ العظيم ومنه الجسيم ، والحمد لله على نعمه وآلائه ، حمداً يليق بعزه وجلاله . والمقصود الأهم من كشف بعض الحجب عن هذا السر العظيم ، الذي أمروا بستره وإخفائه ، وتطبيقه مع العالم الصغير ، هو إثبات ما برهنناه على وجه العيان ، وتوضيحه بطريق الوجدان ، عند من فاز بهذا العلم العزيز ، وأطلع على أسرارهِ ، وتوفّق لرؤيته وجماله ، بحيث لا يمكنه إلّا القبول والتصديق بما نقول .

اعلم ، أن العالم الصغير ، وهو الإنسان مطابق مع العالم الوسيط ، وهو الولد الشجاع الكريم العزيز ، كما أنه مطابق مع العالم الكبير ، وهو عالم الكون ، كما يقول الأمير عليه السلام فيما ينسب إليه من أشعاره :

أَتَزْعُمُ أَنَّكَ جُرْمٌ صَغِيرٌ وَفِيكَ انْطَوَى الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ

كما أن الإنسان مركب من العناصر الأربعة الأصلية التي نزل بها من عالم الغيب والخزانة الغيبية الإلهية ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا

نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ^(١)، ومن العناصر العرضية العارضة له في كل واحد من العوالم عند نزوله وطيه للعوالم ، ومن عالم العقل إلى هذا العالم ، بحيث لا تنفك عنه إِلَّا في القبر ، وهي التي يسميها الأصحاب : بالأجزاء الغربية والأجزاء الفضلية ، والشيخ الأوحـد : بالجسد العنصري والجسد الأولي ، كذلك هذا المولود العزيز ، الذي هو مظهر الأسرار وآية الجبار ، ومأمول كل أمل ، ومطلوب كل عاقل وجاهل ، مركَّب من العناصر الأصلية والغريبة الفضلية ، فعناصره الأصلية هي التي سُئِلَ عنها أمير المؤمنين عليه السلام ، وأجاب عنها بقَسمٍ عظيم . روى ابن شهر آشوب في مناقبه أن علياً عليه السلام سُئِلَ عن الصنعة ، وهو يخطب على المنبر ، فقال : (هِيَ أُخْتُ النُّبُوَّةِ وَعِصْمَةُ المَرُوءَةِ ، الناس يتكلمون فيها بالظاهر ، وإنني لأعلم ظاهرها وباطنها ، هي والله ، ما هي إِلَّا ماء جامد ، وهواء راكد ، ونار حائلة ، وأرض سائلة)^(٢) ، والمراد من هذه العناصر التي أجاب بها الأمير عليه السلام لا شك ، أنها الأصلية التي هي أركان ذلك المولود ، إن نقص واحد منها لم يتولَّد ، بل لم تنعقد نطفته ، إذ السؤال عن الحقيقة ، والجواب يجب أن يكون مطابقاً معه في الجواب عن حقيقته وأصله ، ولا ضير إذا أشرنا إلى بيانها إجمالاً .



(١) سورة الحجر ، الآية : ٢١ .

(٢) ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب ، ج ١ ص ٣٢٩ .

عناصر العالم الوسيط

الأول : الماء الجامد

أولها : الماء الجامد . والقوم يعبرون عنه : بماء الحياة ، وماء الحيوان ، وماء ذي الوجهين ، وماء الملح ، وماء أجاج ، وماء إلهي ، وغيرها . ومن شأنه أنه إذا وصل إلى الأرض الميتة أحيائها ، وطهرها من الأوساخ ، وهو روح الجسد المعبر عنه (بالحجر المكرم) ، وهو مفتاح هذا العلم الشريف ، وبه يحصل الفعل والانفعال ، والركن الأعظم من العمل ، ويفسد بدونه ، وطبيعته حار رطب ، طبيعة الهواء والحياة . وبه يتبيّض الجسد ، ويكلس لا بغيره . وفي أول وضع (الحجر المكرم) في الآلة العمياء التي هي قبره ، ومصاحبته مع ذلك الماء الإلهي ، يكون صافياً سيالاً ، بحيث لو أردت أن تنظر من سمائها إلى نجومها التي في قعرها لرأيته ، إلا إذا جلّلتها السحاب فلا تراها ، ومحيطاً بالجسد كإحاطة البحار بالأرضين ، ولا يظهر الجسد منه إلا مقدار الربع ، ولذا ، يسمّى : بالبحر المحيط .

ثم بعد الأنس بالحجر المكرم ، والمواصلة بينهما ، ووقوع الازدواج ، وتغسيله به بالغسلات الثلاث أو الستّ ، والطواف أسبوعاً أو أسبوعين ، ينجمد في يوم الجمعة ، الذي هو أفضل الأيام ، ومن الأعياد العظام انجماداً تاماً ، بحيث يكون أشدّ من الصخرة الصماء ، وأصلب من جميع المعادن والفلزات ، ولذا ، قال مولى الموالى عليه السلام : (ماء جامد) .

وأما في بدو العمل لم يكن جامداً ، إذ الجامد لا يفعل ولا ينفع
أبداً ، بل الجمود بعد الفعل والانفعال ، وإلا لفسد وسقط ، فما كان
دهناً ذائباً فهو فاسد ، وما كان ماء جامداً فهو صالح .

فَأَعَجَبُ بِمَاءٍ صَارَ صَخْرًا وَصَخْرَةً تَجَسَّدُهَا بِالْمَخْضِ مِنْ لَبَنِ الْمَخْضِ
يُذَوِّبُهَا لَيْنُ الْحَرَارَةِ فِي الْهَوَاءِ وَيُجَمِّدُهَا يَبْسُ الْبُرُودَةِ فِي الْأَرْضِ

وكما أن هذا الماء الإلهي - الذي هو روح الجسد - لا بد أن يكون
أربعة أجزاء ، واليبوسة التي هي الحجر المكرم جزءاً واحداً ، أي خُمساً
وأربعة أخماس حتى يجمدا ، بحيث لو زاد كل من الجزأين على القدر
المعلوم لفسد ولم ينعقد ، فكذلك (المولود الإنساني) في بدء خلقته ،
كما صرح به الحكماء ، لا بد أن يكون كذلك ، يعني : يأخذ الله عزَّ
وجلَّ بمشيئته أربعة أجزاء من رطوبة هواء أرض الجواز ، المسماة بالبلد
الميت ، والأرض الجرز ، وأرض القابليات أيضاً ، وهي التي تحت
الإمكان الراجح ، وفضائه الذي لا نهاية له المسمَّى (بالعمق الأكبر) ،
كما في (دعاء السمات) ، وجزءاً واحداً من هباء أرض الجواز ، فينحلُّ
هذا الجزء من اليبوسة الذي هو الصورة في الأجزاء الأربعة من الرطوبة ،
التي هي المادة لغلبيتها عليه ، فينعقد كلاهما ، فيكونان ماءً واحداً ،
وبمقتضى مفاد آية : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ﴾^(١) ،
وآية ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾^(٢) يجعله في أرض القابليات ، ثم يخرج
الزرع والثمرات .

(١) سورة السجدة ، الآية : ٢٧ .

(٢) سورة فاطر ، الآية : ٩ .

الثاني : الهواء الراكد

الثاني : الهواء الراكد ، وهو المماسن بربع الجسد ، وظاهر البحر المحيط المائي ما بين الأرض والسماء ، بحيث لا يكون فيه حركة ولا تموج بوجه ، ولا يتصرف فيه الهواء الخارج وإلا لفسد ، ويسد عنه جميع الأبواب ، إلا ما أمر الله سبحانه بفتحها ، ويكون الدخول والخروج منها عجلًا سريعًا ، إياك ثم إياك أن يتموج الهواء الراكد ، ويدكدك الجبال ، ويخالف ما قاله سيد الأوصياء والآل ، ويفسد ما ينتظر في المآل ، ولذا ، نهى سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله عن شرب الماء مكشف الرأس ، فافهم ، واغتنم .



الثالث : النار الحائلة

الثالث : النار الحائلة ، والمراد من الحائلة هو : أن يكون بين النار و (الحمام المارية) فاصلة ، حتى يحتر ماء الخزانة بانحصار حرارة النار فيها ، ولا يتصل النار بلا فاصلة ب (الآلة العمياء) ، فيفسد الحمل ، ويسقط المولود ، إذ يقول ابن أرفع رأس^(١) في تغسيل أوساخ الجسد ، وتطهيره منها :

(١) هذه الأبيات في الكيمياء لابن أرفع رأس من مخطوطات مكتبة آية الله الميرزا علي الحائري دام ظله .

ابن أرفع الرأس : هو علي بن موسى بن علي بن خلف أبو الحسن الأندلسي الجيائي نزيل فاس . وهو صاحب كتاب شذور الذهب في صناعة الكيمياء ، وهو عبارة عن مجموعة قصائد في علم الكيمياء . توفي سنة ٥٩٣ هـ .

وَتَحْرِقُهُ بِالْمَاءِ وَالنَّارِ بُرْهَةً لِتَظْفَرَ مِنْ أَجْزَائِهِ بَغَازٍ
 ويقول في مقام آخر :
 وَنَارٌ بِهَا اسْتَبْكَى لَمِيَّتِهَا الْحَيَا هُبُوبُ الصَّبَا فَاسْتَضَحَكَتْ زَهْرَاتُهَا
 * * *

الرابع : الأرض السائلة

الرابع : الأرض السائلة ، وهي أرض القابليات ، والأرض الميتة
 والجسد ، إذا تقاطرت عليها الروح ، وانغسلت عن أوساخها بالغسلات
 الثلاث ، أو السّت ، أحييت ، وأنبتت وأثمرت .
 فَيَا لَكَ مِنْ أَرْضٍ تَكُونُ لِحَيِّهَا مِهَاداً ، وَلِلْمَوْتَى مَعَاداً كَفَاتُهَا
 وكما أن المولود الإنساني مثلث الكيان ، مُرَبَّع الكيفية ، يعني كونه
 من ثلاثة أشياء : النفس ، والروح ، والجسد . وكيفياته أربع : الرطوبة ،
 واليبوسة ، والحرارة ، والبرودة . كذلك المولود الطبيعي مثلث الكيان
 مُرَبَّع الكيفية .

* * *

روح العالم الوسيط

روحه ماء الحياة ، وطبيعته طبيعة الحياة ، حار رطب ، ولذا ، يحيي
 الأرض بعد مماتها ، ويعيدها كسيرتها الأولى .
 هَلِ الْمَاءُ مَاءُ الْقَطْرِ إِلَّا حَيَاتُهَا أَمِ الْمِلْحُ مِلْحُ الْبَحْرِ إِلَّا حَمَاتُهَا
 سَيُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ وَيُبْعَثُ حَيّاً حِينَ صَارَ تُرَاباً

ووزنه بلحاظ ثمانون ، وبلحاظ عشرون ، وبلحاظ أربع مئة وثمانون ، والقوم لا يدخلون (الكلب الحارس) في الحساب ، إذ عينوه للحفظ عن الذئب والتحرز عنه ، ومن حيث هو لا ربط له بالعمل أصلاً .
وبالجملة ، فتلك الروح بقوة حرارة النفس تتصاعد إلى أعلى القباب ، وتكون سحاباً متراكماً ، ثم تمطر ، وتتقاطر إلى البلاد والأجساد الميتة ، والأراضي الهامدة ، وتتكرر هكذا ، إلى أن تطهرها من الأدران والأدناس ، ويحييها مرة أخرى ، ويسميها جابر في كتاب الملك : (بطبيب البحر) ، وجسده (أرض القابليات) التي تحيي بدخول الروح فيه ، وتعلقها به بعد مماته ، وهو آية حياة الإنسان بعد مماته ، وعوده بعد وفاته ، وَنَفُخَ الرُّوحُ فِيهِ مَرَّةً أُخْرَى عِنْدَ بَعْثِهِ وَقِيَامِهِ .

وَيَنْفُخُ فِيهِ بَعْدَ تَطْهِيرِ جَسْمِهِ وَتَهْدِيهِ فِي مَيَّةِ الرُّوحِ نَافِخٌ
فَيُبْعَثُ بَعْدَ الْمَوْتِ حَيًّا كَأَنَّهُ جَزِينٌ بَدَأَ عِنْدَ الْوِلَادَةِ صَارِخٌ



جسد العالم الوسيط

وهو (الحجر المكرم) الذي حار في تركيبه أفهام الفحول ، وتاه فيه عقولهم ، ولذا ، اختلفت آراؤهم ، وتششت أقوالهم ، بعض قال : بتكونه من الحيوانات ، كالبيض ونحوه ، وبعض قال : بتكونه من النباتات ، وكل ذلك فاسد بالبداهة والوجدان ، إذ لا صبر لهما على النار ، والذهب والفضة صابران بلا كلام ، ثم إننا نرى بداهة ، أن الذهب والفضة يتكوَّنان تحت الأرض ، وليس هناك نبات ولا حيوان .

لَقَدْ ضَلَّ مَنْ يَبْغِي مِنَ الْبَيْضِ مِثْلَهُ وَمَا يَبْتَغِي مِنْ بَيْضٍ مَا هُوَ فَارِخٌ

والحقّ الحقيق ، أنه مركّب من المعادن التي هي إحدى المولّدات الثلاث ، ويشير إليها الشيخ الأوحّد رحمه الله بشعر رأس الإنسان^(١) ، وغيره بغيره بقوله :

هي البيضة الشّقرَاءُ أمّا مُعِيبُهَا فَرَاهِ وَأَمّا أَنْفُهُ فَهُوَ شَامِخُ
ويقول في مقام آخر :

ولا تَحَسَبَنَّ الصَّبْغَ فِي بَيْضِ طَائِرٍ فَلَا صِبْغَ فِيْمَا بَاضَ إِلَّا لِقَالِقِهِ
الحاصل ، في مقام يستعار عنه بالبيضة لبياضه ، وفي مقام بالشعر لارتفاع محله ، وفي مقام بآخر لمناسبة أخرى (عباراتنا شتى ، وحسنك واحد) . فظهر أن ليس المراد من الشّعْر في كلام الشيخ الأوحّد هو الشعر حقيقة ، كما توهمه من لا دراية له في المقام :

وَلَا تَرَيْنَ الشَّعْرَ مِفْتَاحَ عِلْمِنَا وَإِنْ ضَمَّ فِيهِ النَّارَ وَالْمَاءَ خَالِقُهُ
فَلَوْ كَانَ مِنْ أَحْجَارِنَا الشَّعْرُ لَمْ يَكُنْ لِيَطْرَحَهُ فَوْقَ الْمَزَابِلِ خَالِقُهُ

(١) يشير إلى الرسالة الموضوعية في علم الصنعة للشيخ أحمد الأحساني المطبوعة في (جوامع الكلم) الجزء العاشر ص (٢٠٩) ! حيث قال الشيخ الأوحّد . . . الطريق الأول : إنا نأخذ من الشعر ممن له ما بين خمسة عشر إلى ثلاثين ، والشعر الأسود أحسن من الشعر الأبيض ، وأغسله من الأوساخ وأقرضه بالمقراض ناعماً ، وضعه في القرع إلى نصفه وضع عليه الإنبيق وقطره . . . إلخ ، وأن تعبّره بالشعر استعارة ورمز ، وليس حقيقة كما أوضح المؤلّف رحمه الله فراجع .

نفس العالم الوسيط

وأما نفسه : فهو البخار المتصاعد مع الروح إلى السماء ، والمتنازل معها إلى الجسد ، وأرض الموات مثلثة أمواها ورمالها ، مربعة غدرانها وحلاتها ، وأما كيفياتها الأربع ، فقد ظهرت من البيانات السابقة ، فلا حاجة إلى التكرار . وكما أن الإنسان له حلان وعقدان : حله الأول : في مقام الماء والمولود النباتي . وعقده الأول في الفواكه والمطاعم . وحله الثاني : في المعدة ، والقوى ، والكبد ، وأصلا بآباء . وعقده الثاني : في أرحام الأمهات . فكذا هذا المولود العزيز ، له حلان وعقدان : فحله الأول : في الصنعة التي هي نصف الكيف المكتوم ، وعقده الأول : في مقام التزويج ، يزوّج أولاً بزوجه الذي هو مثله ، ثم بالزوجات الثلاث المساويات كما وكيفاً . وحله الثاني : الجوهرات الست ، والمناخل الأكسيرية . وعقده الثاني في مقام التساقي الثلاث التي هي السبع في الغربي ، والست التي هي أربع عشرة في الشرقي ، إن كان كل غسلة ثمان وعشرين ، وإن كان أقل كان التساقي أزيد ، على كل حال ، فالأمر واحد ، لا يفرق بالزيادة والنقصان .

وكما أن المولود بعد تولده يحتاج إلى الرضاع مدة معلومة ثم يفطم ، كذلك هذا المولود العزيز بعد تولده من نصف الكيف ، يحتاج إلى الرضاع باللبن العذراء يوماً فيوماً إلى مدة ، ثم أسبوعاً فأسبوعاً إلى مدة ، ثم شهراً فشهرًا إلى مدة ، كلما طال عمره ، قلّ غذاؤه ، إلى أن يصل إلى حدّ الفطام ، فيفطم .

فَأَرْضِعْهُ حَتَّى لَا يُرِيدَ لِرَبِّهِ سِوَى لَبَنِ الْعَذْرَاءِ مِنْكَ شَرَابًا

وفطامه يكون في أواخر الغسلة الثالثة في المولود العزيز ، والغسلة السادسة في الأعز منه ، فلما زال عنهما الأعراض والكثافات ، وانغسلا عن تمام الأوساخ والفضلات ، وطهرا عن تسعة رهط المفسدين في الأرض المباركة ، صار درة بيضاء ، وياقوتة حمراء تسران الناظرين ، وتذهبان الشك عن قلوب المرتابين .

وكما أن الإنسان متقلب الأحوال من أول عمره إلى آخره ، يتصور بصور مختلفة ، ويتلبس باللبسة غير مؤتلفة ، ويتشكّل بأشكال متعددة ، ويظهر بهيئات عديدة ، كالرضاع ، والفطام ، والطفولية ، والشباب ، والشيخوخة ، والكهولة ، والضعف ، والقوة ، والمرض ، والصحة ، كذلك هذا المولود ، كما يقول ابن أرفع رأس :

وصيره شيخاً بالفطام فإنه إذا شبَّ عن سنِّ الرضاعة شابا

لكنَّ الفرقَ أنه كلما شاب زاد في القوة والشباب ، وكلما شبَّ نقص عن القوة وشاب . وكما أن الإنسان في بدو نشوئه يكون نطفة ، ثم علقه ، ثم مضغة ، ثم عظاماً ، ثم يكسى لحماً ، ثم يتم ويدخل فيه الروح ، كذلك هذا المولود . وكما أن الإنسان في أول عمره وشبابه يكون شعره الذي هو من جملة عوارضه أسود ، كلما أخذ بالشيخوخة ابيضَّ جميع شعر جسده ، كذلك هذا المولود ، في شبابه يعتريه السواد الحالك الذي هو من عوارضه ، ثم إذا أخذ في الشيب ابيضَّ واعتري جميع جسده البياض المفرط ، وتلاّأ منه النور الأبيض في القبة الظلماء ، كالأنجم الزهر في الليلة السوداء ، يا لها من ساعة يخطف فيها الأبصار ، ويجلوها عن الغشاوة والغبار !

وبالجملة ، إذا أردنا تطبيق المولودين من كل جهة ، خرجنا عن

وضع الكتاب إلى غير جهة ، إنما المقصود والمرام وما عليه المهمة والاهتمام ، بيان أن كلاً منهما طبق الآخر في كل مقام ، ويكفي هذا المقدار من البيان ، فلنلزم العنان ، فللحيطان آذان .



تقلبات العالم الوسيط

ولا ضير أن نشير إلى بعض تقلباته مجملاً ، وهو : أنه بعد ما ترَّكَّب من المقدار المعلوم من المعادن المبذولة في كل بيت وبلد ، المباعه بأبخص قيمة ، وهو (الواو) ، و (الดาล) ، و (الباء) ، و (الألف) ، يزوّج أولاً بمثله ، ثم بالزوجات الثلاث المتساوية ، ثم يشقُّ نصفين في التزويج الأخير ، وصرَّح بذلك بعض أهل الفن ، بقوله :

قَسَمًا بِمَنْ شَقَّ الْقَمَرَ وَبِخَمْسَةٍ فِيهَا اسْتَقَرَّ

ثم تصيده بالشبك ، بعدما تقص جناحيه خوفاً من الطيران ، وتحبسه في مكان مظلم ، بحيث لا يستنشق الهواء إلّا وقت حاجته ، وإذا اشتم الهواء خرج الروح من جسده ، وبقي الجسد بلا روح ميتاً لا يحيى أبداً ، ثم تضعه في آلة عمياء مبطنة بالعاج ، أو كانت عاجاً مبطناً ، ولا بأس أن يُرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، ثم تجعل لها باباً واحداً ، باطنه فيه الرحمة وظاهره في مقبله العذاب .

مَغَيَّبَةٌ فِي ظَرْفِ عَاجٍ مُبَطَّنٍ تُسْقَى عَلَى بَحْرَيْنِ قَانٍ وَمُبَيَّضِ

ثم تضيف إليه (الماء الإلهي) الذي هو روح الجسد وحامل نفسه ، ويهديك إلى مقداره الهادي ، ويرشدك الودود ، ثم تحفظه عن ذئب النار

والمفسدين للأرض الطيبة بالكلب الحارس ، وإن لم يكن له ربط للحساب ، لا في المبدأ ، ولا في المآب ، فاعتبروا يا أولي الألباب . ثم تدخله في (الحمام المارية) على طريق الركن ، حتى يعرق دائماً ، ويتناثر منه كاللؤلؤ الرطب ، ولا ينشف أبداً ، ويلزمه الحمى اللازمة ، وإن فتر حماه في بعض الأحيان فلا ضير فيه ، وإن كان العدم أحسن ، إذ المقصود أن تكون حماه لصقة متصلة ، حتى يتسبب به إلى اعتدال غير متناهٍ ، وكمال لا يتناهى ، ويترقى إلى أعلى مدارج القوة والكمال ، ويعرج إلى أقصى معارج الصحة في المال ، ثم تلاحظه في أيام رضاعه دائماً بطريق العدل الواضح ، والميزان البين الراجح ، وتسقيه من اللبن العذراء إذا عطش ، إلى حين فطامه ، وأيام بلوغه ، وتمامه في الفصول الأربعة ، إياك أن تغفل عنه إذا عطش ، إذ يهيج عليه الحرارة ، واليبوسة ، فيهلك . ثم إنه من أول رضاعه إلى حين فطامه ، يغسل ويطهر من الأدناس والأوساخ التي تعتريه في هذه المدة بالغسلات الثلاث أو الست .

فهذه الأرجاس والكثافات الطارئة في أثناء مسافة سيره الزائلة بالتساقى بهذه الغسلات مرغبة أيضاً ، كنفسه من العناصر الأربعة ، وليست منه ، ولا ربط لها به بوجه ، بل إنما هي أعراض ، وأجزاء غريبة تأتي وتزول ، لا يزيد هو بعروضها ، ولا ينقص بزوالها ، فما وضع في الأول يؤخذ في الآخر بلا زيادة ونقيصة ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾^(١) . وهو يقوم من قبره بعد التساقى والغسلات طاهراً من كل رجس ، ومغسولاً من

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٢٩ .

كل دنس ، وعارياً من الأجزاء الغريبة الفضلية ، صافياً براقاً كالدرة البيضاء ، أو ياقوتة حمراء ، يرى ظاهره من باطنه ، وباطنه من ظاهره ، بحيث لم يبقَ فيه أثر من العوارض الطارئة .

ثم علامة صحة العمل وإنتاج المقدمات المذكورة ، هي أن يكون في اليوم الأول أسود كالقير ، ولذا قيل : وآية ثباته القير ، ويتساوى فيه الليل والنهار كوادي الظلمات . وفي اليوم الثاني أسود مائلاً إلى الزرقة ، وفي اليوم الثالث أزرق مائلاً إلى السواد ، وفي اليوم الرابع أزرق خالصاً ، وفي اليوم الخامس أزرق مائلاً إلى البياض ، أو الحمرة ، وفي اليوم السادس أبيض أو أحمر مائلاً إلى الزرقة ، وفي اليوم السابع وهو أعظم الأيام والأعياد يكون أبيض تاماً ، أو أحمر تاماً ، وقطعة واحدة كالدرة البيضاء ، أو الياقوتة الحمراء يكاد يخطف الأبصار ، ويتلألأ في الليل والنهار .

إِذَا مَا مَحَى الْأَظْلَامَ بِالنُّورِ بَدُرُهَا مَحَى الْبَدْرُ بِالْأَسْفَارِ ضَوْءُ ذِكَايِهِ
عَدِيمَةٌ مَثَلٍ لَمْ يَبْحَ عَقْدُ سِرِّهَا لِحِنْ وَلَمْ يَعْلَقْ لِإِنْسٍ بِهَا طَمْتُ
إِذَا لَحَظْتُ فَالسَّحَرُ فِي لَحْظِ طَرْفِهَا وَإِنْ لَفَظْتُ فَالدُّرُ فِي لَفْظِهَا الْحَنْتُ

ثم لما وصل إلى مقام الكمال والقرار ، وهو البياض أو الاحمرار ، وصار ولداً كريماً ، هو بالشجاعة موصوف ، يهزم الصفوف ، ولا يكثر بالألوف ، ومن شاهد ذلك المقام ، فليسجد شكراً لذي الفضل والإنعام ، ويعص نفسه ، ويخالف هواه ، ويواسي المساكين ، ويتبع أمر مولاه ، إنه من أعظم الامتحانات وأشد الاختبارات .

ولعمري ، إنني ما قصرت في إثبات الحق ، وإيضاح الصدق كيفاً

وكمّا ، حتى كاد أن يكون حراماً ، إذ أمروا بالكتمان ، ونهوا عن البيان ، لكن لما كان المقصود إثبات المدعى ، ولم يكن ذلك إلا برفع بعض الحجب والأستار ، وإظهار ما لعله من الأسرار ، أشرنا إلى بعض ما خفي على الفطن الذكي ، فضلاً عن الجاهل الغبي .



النتيجة

فلنرجع الآن إلى ما نحن بصددده ، ونقول : إنك عرفت أن هذا (المولود الفلسفي) الذي هو طَبَق المولود الإنساني ، يتركب في بدء خلقته وتكونه من العناصر الأربعة ، كما قال مولى الموالى عليه السلام ، ثم يتنزل من عالم إلى عالم ، وينتقل من صورة إلى صورة إلى أن يقبر ، ويعتريه أيضاً في قبره أعراض ، وكثافات ، وأوساخ ، وتبدلات ، وألوان مختلفة عجيبة ، وصور متعددة غريبة ، إلى حين حياته وخروجه من قبره وبعثه ، وكونه صافياً براقاً كاللؤلؤ بل أصفى ، وأبهى منه .

فإن كانت هذه الأعراض الغريبة والعوارض العجيبة - الطارئة له - في أثناء مسافة سيره من المولود ، لزم أن ترجع معه أيضاً كعناصره الأصلية الراجعة معه . وقد عرفت أنه لم يرجع إلا هو بعناصره الأصلية ، مجرداً عن جميع ما عرضه في مدة عمره من عوارضه ، كأوساخه ، وألوانه ، وكثافته الطارئة له حين التركيب وفي القبر إلى وقت بعثه ، إذ هي ليست منه ، ولا ربط لها به بوجه .

فظهر أن المولود الإنساني أيضاً ، كذلك يرجع هو بعناصره الأصلية الموجودة الملموسة الدنيوية ، والعوارض التي يسميه الشيخ الأوحـد

الأحسائي (بالجسد العنصري) ، والأصحاب رضوان الله عليهم (بالأجزاء الفضلية) التي تعرضه ، ويعتريه في العوالم النازل منها ، وهذا العالم والقبر من الهيئات المختلفة ، والأوساخ ، والكثافات الطارئة لا ترجع معه يوم البعث ، بل تذهب وترجع إلى أصولها ، إذ هي ليست منه ، بل إنما لحقته في أثناء مسافة سيره ، ونزوله إلى هذا العالم ، ولذا ، يسميه أصحابنا رضوان الله عليهم بالأجزاء الفضلية والغريبة ، يعني : أنها غريبة عن الأجزاء الأصلية وأجنبية عنها ، وزائدة عليها ليست منها بوجه .

ثم إن علماء الفن الشريف بأجمعهم - بلا استثناء منهم - صرّحوا : بأن المولود العزيز ، من أول رضاعه إلى آخر فطامه ، يحتاج في كل يوم ، أو أسبوع ، أو شهر ، أو أقلّ ، أو أزيد ، إلى الغذاء بلبن العذراء ، وتغسيله وتطهيره وتربيته به ، فإن يلاحظ غذاءه من أول عمره إلى آخره ، ربما يكون كمّاً مقابل المولود بألف مرة ، فإن رجع المولود بفضلاته التي منها غذاؤه ، لزم أن يعود أمناً . وقد صرحوا بأنه لا يزيد في عوده وبعثه على المقدار الذي بذلته في حقه ، ووضعته في (الآلة العمياء) ، ولا ينقص عنه مقدار ذرة . وأما الغذاء ، والأوصاف ، والألوان المختلفة ، والهيكل العجيبة ، والصور الغريبة ، فإنها تزول عنه تدريجاً في القبر ، ولا يبقى إلى وقت بعثه إلّا ما وضع أولاً ، عارياً عن تلك الأعراض ، وهو عناصره الأصلية الأولية ، كما أشار إليها مولى الموالى عليه السلام .

وكيف لا تزول عنه تلك العوارض واللواحق ، والحال أنها إن بقيت وعادت معه ، لا يتحملها ، لا (الآلة العمياء) ، ولا (حمام المارية) .

وكذلك المولود الإنساني الذي هو طَبْقُهُ ، فجميع أعراضه وكشافته الطارئة له تزول عنه في قبره ، وتضمحل وترجع إلى أصولها تدريجاً ، ولا يعود يوم القيامة إلا بعناصره الأصلية الأولية ، التي هي المحسوس الملموس المرئي الدنيوي ، شفافاً براقاً خالياً عن الكدورات والأوساخ ، عارياً عن الأعراض الغريبة الفضلية .

وبالجملة ، من لم يطلع على تفاصيل تولّد هذا المولود العزيز ، ولم يطفح عليه شيء من رشحات هذا العلم الشريف ، وأراد أن يحقق فوق ظواهر أخبار أهل العصمة والطهارة فرط كملاً صدرًا ، أو الحاج محمد كريم خان ، وتابعيهما الذين قالوا بعود الصورة لا المادة ، يعني : بصورة كالصورة الدنيوية ، وأما المادة الدنيوية فلا تعود . أو أفرط كملاً جعفر الإسترابادي ، والسيد جعفر الدارابي ، وملا رضا الهمداني ونظائريهم ، الذين قالوا بعود الإنسان بجميع عوارضه وكشافته الدنيوية ، حتى الشعر والأظفر ونحوهما ، الزائلة عنه من أول عمره إلى آخره ، والموجودة معه حين موته كالجبل العظيم ، وكلماتهم الصريحة في ذلك نقلت في الفصول السابقة ، فراجع .

فظهر أن النمط الأوسط ، والطريقة الحقة الوسطى التي هي مذهب الشيخ الأوحّد ، وعلمائنا المحققين ، أساطين الشرع المبين ، والمطابق للعالم الطبيعي (والمولود الفلسفي) ، وما ذكرناه وأيدناه بالآيات والأخبار الصريحة الدالة ، وهو عود هذا الإنسان الموجود المحسوس الدنيوي ، لكن بعد إزالة الأعراض والأوساخ والكشافات التي ليست منه ، ونبتراً إلى الله من غير ما ذكر من الاعتقاد ، ومن دان واعتقد بغيره ، من منكري المعاد الجسماني .

ثم إنني ما قصرت في توضيح كلمات الشيخ الأوحّد ، وبيان مقصوده منها بالبيانات الواضحة والعبارات الصريحة ، وإثبات أنه لم يخالف علماءنا الحقّة الإمامية رضوان الله عليهم ، وضرورة المسلمين مقدار شعرة ، ولم يحذّ إلّا حذوهم ، وإن أتى باصطلاح جديد غير اصطلاح القوم ، والمناقشة في الاصطلاح بعد وضوح المقصود مناقشة في الألفاظ ، ليست من دأب أهل العلم والإنصاف ، وإثبات أن مدعي الوفاق هو الذي من أهل الخلاف .

ولم يبقَ بعدما برهنا لأهل الجدل محلّ جدال ، ولا لذي مقال مقال ، إلّا من كابر عقله ، وأطلق في ميدان العناد جهله ، ولا يهاب ربه ، ولا يخاف عقابه ، من شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر .



المقالة الثانية

في المعراج الجسماني

وفيها فصول :

الفصل الأول

مقدمة

كلية المعراج - على نحو الإجمال - مما اتفقت عليها كلمة المسلمين على أصنافهم ، ونطقت بها أخبارهم ، وصريح القرآن المجيد ، من عمدة معاجز نبينا صلى الله عليه وآله ، وإنكاره إنكاراً لضرورة الدين . وأما التفصيل من حيث كيفية المعراج بأنه : هل كان بالروح فقط ، أو مع الجسم والجسد بلوازمه ؟ ومن حيث المسافة ، بأنه : هل كان إلى المسجد الأقصى أي البيت المقدس فقط ، حتى يكون طياً في الأرض ، ويكون إطلاق المعراج عليه تجاوزاً ، أو للعروج المعنوي ، أو هو مع العروج إلى بعض الكرات والسموات ، أو جميعها إلى العرش ، حتى دنا فتدلى فكان من ربه كقاب قوسين أو أدنى ؟ ومن حيث زمانه بأنه : هل كان بعد البعثة بسنتين ليلة المبعث ، أي ليلة السابعة والعشرين من شهر رجب أو غير ذلك ؟ ومن حيث مدة المعراج : بأنها مقدار لمحة ، أو شطر من الليل ، أو ثلث الليل ، أو جميعه حتى مطلع الفجر ؟ فغير خالٍ عن الكلام والتأمل من فرق المسلمين . في تلك الشقوق يظهر لمن تتبع السير ، والتواريخ ، والأخبار ، وكتب الكلام في هذا المقام ، لسنا في صدد التعرض لجميع الشقوق ، إنما المهم والعمدة ، والمعرفة للآراء والأفكار ، ومحط البحث والأنظار ، هو : الكلام في المعراج من حيث كيفيته ، هل هو روحاني أو جسماني وجسداني ؟

إجمال كيفية المعراج الجسماني

والذي نعتقده وندين به ، وهو في الجملة ضروري مذهب الإمامية :
 أن نبينا محمد بن عبدالله بن عبد المطلب ، المتولد من آمنة بنت وهب^(١)
 في مكة ، الذي كان يأكل ، ويشرب ، ويمشي في الأسواق ، وسكك
 مكة والمدينة ، وكان يحوي مقداراً من الأرض ، عرج في تلك الليلة
 بروحه وجسده الظاهري الشخصي ، وهيكله البشري الدنيوي المحسوس
 المبصر الملموس ، مع ثيابه وعمامته ونعليه ، وجاز الكرات وصعد إلى
 السماوات ، وخرق الحجب والسرادات ، ووصل إلى العرش وشرّفه
 وزيّنه ، وصعد إلى مقام قاب قوسين ، لحكم ومصالح لا تعد ولا
 تحصى ، راجعة لنفسه الشريفة ، وراجعة إلى الخلق ، ودرك جميع تلك
 المصالح والحكم ربما يكون خارجاً عن طوق البشر ، وربما يمر عليك
 ذكر بعضها ، فمن أنكر عروجه صلى الله عليه وآله بهذا البدن وهذا
 الجسم ، فعليه لعنة الله ، ولعنة اللاعنين .

والذي أعرفه وأفهمه من بيانات وعبائر الشيخ الأوحّد الأحسائي
 قدس سره ، وكلمات تلامذته وتابعيه : أنه أيضاً ممن يقول بمقالتنا ،
 ويعتقد بالمعراج الجسماني والجسداني ، ويشدّد النكير على المنكرين
 لذلك ، كما سيمر عليك بعض عبائره وعبائر تلامذته في الفصل الآتي .
 ولكن نسب إليه المعراج الروحاني : ملا رضا الهمداني في رسالته (هدية

(١) آمنة بنت وهب الزهرية القرشية ، أم رسول الله صلى الله عليه وآله ماتت وعمره الشريف ٦ سنوات سنة ٤٥ قبل الهجرة .

النملة) ، وعروج الجوهر النوري الكامن في هذا الجسم جناب الملا جعفر الأسترابادي في رسالته (حياة الأرواح) .

قال الأول في رسالته المذكورة : (قالت الشيخية بما هو لفظ الشيخ في رسالته المسماة بالقطيفية أو الرشتية والترديد مني لعدم حضور الكتاب ، قال : إنه صلى الله عليه وآله لما أراد العروج ألقى في كل كرة ما منها ، وألقى ترابه في التراب ، وماءه في الماء ، وهواءه في الهواء ، وناره في النار ، وكل قبضة من السماء في تلك السماء ، ثم لما رجع أخذ من كل كرة ما ألقى فيها ، وصرح بمثله في جميع كتبه) ، انتهى .

ولا ينقضي تعجبي من هذا الرجل ، ما أجرأه على الله ، وعلى انتهاك حرمة العلماء ! كيف يدعي . ويقول . بما هو لفظ الشيخ ، بلا خوف ولا رهب ، وينسب إليه ما نسب ، وهذه العبارة التي ذكرها ليست بعبارة الشيخ الأوحده ، لا بعينها ولا بمثلها ومضمونها ، كما ستعرف في الفصل الآتي ، نعم فيها بعض مفردات الألفاظ .

وقال جناب الملا جعفر الأسترابادي في (حياة الأرواح)^(١) ، بعد نقل عبارة الشيخ الأوحده قدس سره من الرسالة القطيفية (أقول : لا يخفى أن مقتضى كلماته السابقة : عروج الجوهر النوري المكنون الكامن في هذا الجسم ، كما هو مذهبه في المعاد . . . الخ) .

ومنشأ اشتباه هذا وأمثاله ، إنما هو العبارة التي في رسالته القطيفية ، حيث إنهم لم يفهموا المقصود مما عبر ، ولم يدققوا النظر في سابق العبارة وما تأخر ، ولم يراجعوا رسائله وسائر تصنيفاته ، وهي تنادي

(١) حياة الأرواح : ص ٢٩٢ .

بأعلى صوتها بالمعراج الجسماني كما بيّنّا ، وإثبات ذلك وبيان اشتباه المشتبهين ، يتوقف على نقل عبائره من تلك الرسالة بطولها ، ويحتاج إلى توضيح مقصوده منها ، لعل من سبقت له الرحمة الإلهية ، والعناية الربانية ، يهتدي إلى معرفة كلامه ، ويلتفت إلى مقصوده ومرامه ، ونسأل الله تعالى أن يحفظنا من زلل الأقلام ، وخلل الأفهام ، إنه كريم وهاب .



الفصل الثاني

كلام الشيخ الأوحّد في المعراج

قال الشيخ الأوحّد الأحسائي رحمه الله في (الرسالة القطيفية)^(١) ،
في جواب السؤال عن حقيقة المعراج :

أقول : إن حقيقة المعراج هو العروج على ظاهره ، ولا جهل فيه ،
وإنما الجهل في معرفة جسد النبي صلى الله عليه وآله ، وفي معرفة
الأفاعيل الإلهية ، وفي معرفة الخرق والالتئام .

فنقول : اعلم أن الله (سبحانه) خلق قلوب المؤمنين من فاضل طينة
جسم محمد وأهل بيته عليهم السلام ، والفاضل إذا أطلق في الأخبار ،
وفي عبائر العارفين بالأسرار يراد به الشعاع ، وهو واحد من سبعين ،
مثلاً ، جسم النبي صلى الله عليه وآله قرص الشمس ، وقلوب شيعتهم
خلقوا من الشعاع الواقع على الأرض من قرص الشمس ، فإذا عرفت
هذا عرفت أنه يصعد بجسمه ، ولا يكون خرق ولا التئام .

بقي شيء ، وهو أننا نقول : الجسم هو كذلك ، ولكنه لبس الصور
البشرية التي تحس ، وهي متجسدة ، وحكمها حكم سائر الأجسام
الجمادية ، والصعود بها يلزم منه الخرق والالتئام .

(١) جوامع الكلم ، ج ٩ ص ٣٥٦ .

ونجيب : بأن الصورة البشرية - عند إرادة صعوده - يجوز فيها احتمالان ، في الواقع هما سواء ، وفي الظاهر الأول أبعد من العقول ، والآخر أقرب .

فالأول : أن الصاعد كلما صعد ألقى منه عند كل رتبة ما منها فيها ، مثلاً : إذا أراد تجاوز كرة الهواء ألقى ما فيه من هواء فيها ، وإذا أراد تجاوز كرة النار ألقى ما فيه منها فيها ، وإذا رجع أخذ ما له من كرة النار ، فإذا وصل الهواء أخذ ما له من الهواء . لا يقال : على هذا أن هذا قول بعروج الروح خاصة ، لأنه إذا ألقى ما فيه عند كل رتبة لم يصل منه إلا الروح ، لأننا نقول : إننا لو قلنا بذلك ، فالمراد بها أعراض ذلك ، لأن ذوات تلك لو ألقاها بطلت بنيته بالكلية ، فيجب أن يكون ذلك موتاً ، لأن القائلين بعروج الروح يقولون : إن بنيته باقية لا تتفكك ، وإنما مرادنا أن الجسم بالنسبة إلى عالم الفساد يتلطف إذا صعد إلى عالم الكون ، وإلا فهو على ما هو عليه من التجسّد والتخطيط .

والثاني : إن الصورة البشرية التي هي المقدار والتخطيط تابعة للجسم في لطافته وكثافته ، فإن الملك الأعظم مثل جبرائيل إذا خرج في صورة البشر كصورة دحية بن خليفة الكلبي يخرج بقدر دحية ، مع أنه يملأ ما بين السماء والأرض ، ولو شاء حينئذ دخل في ثقب الإبرة وأصغر ، لأن الأجسام اللطيفة النورانية تكون بحكم الأرواح لا تزاحم فيها ولا تضايق ، ولهذا يبلغ المعصوم عليه السلام من مشرق الدنيا إلى مغربها في أقل من طرفة عين ، ولا يستغربه السامع ، وهذا هو ذلك بعينه ، فافهم ، انتهى محل الحاجة من كلامه .



توضيح وبيان كلام الشيخ الأوحّد

ولنشر الآن إلى توضيح بعض عبائره ، ثم نتوجه إلى مقصوده ومراده منها بأوفى بيان ، قوله : (اعلم أن الله خلق قلوب المؤمنين من فاضل طينة جسم محمد وأهل بيته عليهم السلام . . . الخ) ، تأسى في قوله : (من فاضل طينته) بقول بقية الله الحجة ابن الحسن عجل الله تعالى فرجه : (اللَّهُمَّ إِنَّ شَيْعَتَنَا خُلِقُوا مِنْ فَاضِلِ طِينَتِنَا وَعُجِنُوا بِمَاءِ وَلَايَتِنَا)^(١) ، والمراد من الفاضل ، كما هو صرّح به أيضاً : الشعاع ، كما هو صريح قول أمير المؤمنين عليه السلام في (العوالم) ، و (رياض الجنان) عن ابن عباس ، قال : قال أمير المؤمنين : (اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ ، قَالَ : قُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَيْفَ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ ؟ قَالَ : لِأَنَّا خَلَقْنَا مِنْ نُورِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَخَلَقَ شَيْعَتَنَا مِنْ شُعَاعِ نُورِنَا)^(٢) . ولو كان المراد منه معناه اللغوي لزم أن يكونوا مع شيعتهم من سنخ وجنس واحد ، والحال أن طينتهم بقدرهم لا تزيد عليهم ، حتى يجعل لغيرهم فيها نصيب ، وفي خبر الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام : (. . . لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً . . .)^(٣) .

وتفصيل ذلك : إن الله عزَّ وجلَّ خلق أولاً المعصومين الأربعة عشر صلوات الله عليهم أجمعين - كما ذكره مفصلاً في المقالات الآتية إن

(١) (اللهم إن شيعتنا منّا ، خلقوا من فاضل طينتنا ، وعجنوا بماء ولايتنا . . .) . بحار الأنوار ، ج ٥٣ ص ٣٠٣ .

(٢) بحار الأنوار ، ج ٢٥ ص ٢١ رواية ٣٢ .

(٣) الكافي ، ج ١ ، ط ٣ مصححة ، ص ٤٥٣ رواية ٢ .

شاء الله ، ولا يضرنا خلاف الشيخ المفيد عليه الرحمة ، إذ هو خلاف صريح الأخبار المستفيضة وضرورة مذهبنا الآن - ثم خلق من شعاع نور أجسامهم حقائق الأنبياء ، ونسبة حقائق الأنبياء إلى أجسامهم كنسبة نور الشمس إليها ، وهي الواحد من سبعين ، كما هو شأن الآثار إذا نسبت إلى مؤثراتها ، والصفة إلى موصوفها ، وذلك لأن كل شيء ذو سبعة ، يعني مربّع الكيفية : الحرارة ، والرطوبة ، والبرودة ، واليوسة ، ومثلث الكيان : الجسم ، والروح والنفس . فإذا نسب المؤثر والموصوف إلى مرتبة أنزل منها وهي الصفة والأثر ، وهي المرتبة الثانية كان سبعين ، لأن السبعة في المرتبة الثانية سبعون ، كما أن السبعة التي هي في مرتبة الآحاد ، إذا نزلت إلى مرتبة العشرات صارت سبعين .

ثم خلق من شعاع نور الأنبياء حقائق الشيعة بالمعنى الأعم ، وإلى هذا يدل الخبر المروي في (رياض الجنان) عن جابر بن عبد الله الأنصاري^(١) ، قال : (قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله : أوّل شيء خَلَقَ الله ما هو ؟ فقال : نور نبيك يا جابر ، خلقه الله ثم خلق منه كل خير) ، إلى أن قال : (. . .) ثم نظر إليه بعين الهيبة ، فَرَشَحَ ذلك النور ، وَفُطِرَتْ منه مئة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة ، فخلق الله من كل قطرة روح نبي ورسول ، ثم تنفست أرواح الأنبياء ، فخلق الله من أنفاسها أرواح الأولياء والشهداء والصالحين^(٢) الخبر .

(١) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة ، صحابي جليل من الأنصار ، شهد بيعة العقبة الثانية وهو طفل ، وكان من الموالين لأهل البيت ، وزيارته قبر الحسين عليه السلام مشهورة .

(٢) وجدناها في بحار الأنوار ج ٢٥ ، ص ٢١ - ٢٢ رواية ٣٧ ، وفي مستدرک سفينة البحار ج ٢ ، ص ١٤ .

ثم خلق من شعاع نور الشيعة المؤمنين من الجن ، وهكذا إلى آخر السلسلة الثمانية على التفصيل الذي ذكره ، إن شاء الله ، في مقالة العلل الأربع . وكل واحدة من هذه المراتب نورٌ لما فوقها ، إلى أن ينتهي إلى نور الأنوار عليه الصَّلَاة والسلام ما دام نور وظلام ، ومنير للمرتبة السافلة إلى أن ينتهي إلى أسفل المراتب ، وهو الجماد .

ويمتنع أن يصل النور إلى مقام منيره ، ويتجاوز عن حده ، إذ كل واحد منها يقرأ حروف نفسه ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾^(١) ، ويقول الأمير عليه السلام : (إِنَّمَا تَحْدُ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا ، وَتُشِيرُ الْأَلَاتُ إِلَى نَظَائِرِهَا)^(٢) ، ولذا ، حرّم على جميع المراتب من الجماد إلى الأنبياء تمني رتبة أهل بيت العصمة والطهارة ، والأخبار الناطقة بذلك متظافرة . ثم يلزم على ذلك انقلاب الحقائق ، يعني : يجوز أن يخرج النور في حال كونه نوراً عن النورية ، والمنير حال كونه منيراً عن المنيرية وهو محال . ويلزم أيضاً أن تكون النبوة والإمامة كَسَيِّتَيْنِ لَا إِرْثِيَّتَيْنِ من الله عز وجل ، كما ذهب إليها جماعة من صوفية العامة ، ويظهر من الحاج محمد خان رحمه الله في كتابه مصباح السالكين أيضاً .

وهذا هو المراد مما ذهب إليه الشيخ الأوحدي : من كون المعصومين الأربعة عشر عللاً مادية لمؤمنني تمام الطبقات ، لأنهم خلقوا من شعاع نور أجسامهم ، وكفارها أيضاً ، لأنهم خلقوا من عكس شعاعهم على التفصيل الآتي ، إن شاء الله .

(١) سورة الصافات ، الآية : ١٦٤ .

(٢) الطبرسي ، الاحتجاج ، ج ١ ص ٢٩٩ . بحار الأنوار ، ط ٢ ، ج ٤ ص ٢٥٤ .

قوله : (بقي شيء ، وهو أنا نقول : هو كذلك ، ولكنه لبس الصورة البشرية التي تحسّ وهي متجسّدة ، وحكمها حكم سائر الأجسام الجمادية ، والصعود بها يستلزم منه الخرق والالتئام . . . الخ) . مراده : أن النبي صلى الله عليه وآله عرج بجسمه الشريف إلى السماوات ، ولم يلزم منه الخرق والالتئام ، لأن جسمه الشريف علة لكل الأشياء والأفلاك منها ، وهو ألطف منها قطعاً ، وإلا لما كان علة (لولاك لما خلقت الأفلاك)^(١) ، والأجزاء الفلكية عند محاذاة جسمه الشريف وقت العروج تفنى كفاء النور عند ظهور منيره ، وجسمه الشريف عند المحاذاة يقوم مقام تلك الأجزاء في إيصال الفيوضات إلى السفليات ، فلا يلزم خرق ولا التئام ، وإن لم يكونا محالين ، كما هو أعلى الله مقامه يصرّح بجوازهما ، ويكثر القول فيمن قال بمحاليتهما في كثير من مصنفاته ، وننقل عبائره منها في مقالة مخصوصة ، ويقول : إن القول بالمحالية قول الزنادقة والفلاسفة . ومثال عروجه من دون خرق والتئام نفوذ شعاع الشمس من الزجاج والبلور ، والحرارة من الصخرة والقدر ، فلكون الشعاع ألطف من الزجاج والبلور ، وكذلك الحرارة من الصخرة ، والقدر لم يمنع الزجاج والبلور من نفوذه . وكذلك الصخرة والقدر ، وما فيه من الماء وغيره من نفوذ الحرارة ، إذ الكثيف ليس له قوة منع نفوذ اللطيف ، وهو ينفذ من الكثيف دائماً ، ولا يلزم الخرق والالتئام .

ولما كانت الصورة البشرية التي هي النسبة بين النبي صلى الله عليه

(١) بحار الأنوار، ج ١٦ ص ٤٠٦. ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ١ ص ١٨٦.

وآله وبين الأشياء الثقيلة السفلية ، ومقتضاها الخرق والالتئام ؛ لأنها مركبة من العناصر الأربعة السفلية تحت فلك القمر ، ومقتضى العنصر السفلي الثَّقَلِيَّة والخرق ألقى وقت المعراج تلك النسبة التي هي الثَّقَلِيَّة والجمود المركَّبة من العناصر السفلية تحت فلك القمر ، الموجبة للخرق والالتئام ، وعرج ، يعني : ألقى كل واحد من عناصر تلك النسبة ، وهي الجمود والثَّقَلِيَّة في كرته ، ألقى في كرة التراب تراب تلك النسبة ، وفي كرة الماء ماء تلك النسبة ، وكرة الهواء هواء تلك النسبة ، وكرة النار نار تلك النسبة ، وعرج . ولما نزل أخذ كل واحد منها مما ألقى فيها ، لا أنه ألقى في تلك الكرات عناصر جسمه الشريف ، كما توهم من كلماته ، إذ أولاً : عناصر جسمه الشريف ليست مأخوذة من تلك الكرات ، حتى يلقيها فيها ، لأنها خلقت قبل خلق الكرات بآلاف الأعوام .

وثانياً : لو كان يلقيها فيها لزمه صلى الله عليه وآله الموت ، فكيف عَرَجَ ، وهو يصرِّح بذلك بقوله : لأنَّا نقول : إنَّا لو قلنا بذلك ، أي إلقاء عناصر جسمه في الكرات ، فالمراد بها أعراض ذلك ، لأن ذوات تلك لو ألقاها بطلت بنيته بالكلية ، فيجب أن يكون ذلك موتاً . . . إلخ .

فظهر أن مراده هو ما ذكرناه من إلقاء عناصر تلك النسبة التي هي الثَّقَلِيَّة والجمود المأخوذة من كرات تحت فلك القمر فيها ، لا عناصر جسمه الشريف وجسده اللطيف ، كما توهمه من لاحظ له في التحقيق ، وتكلم عليه بما لا يليق ، فتنبه ، يا أيها الأخ الشفيق ، جعل الله لك التوفيق خير رفيق ، والتقوى خير زاد الطريق .



عود في التحقيق بطريق رشيق

اجمع حواسك ، واجعل الإنصاف نصب عينيك ، واحسن الظن بعلماء الدين وقوَّام الملة والشرع المبين ، ولا تصغِ إلى ترنمات المترنمين ، ونغمات المغرضين ، إذ لا تفيدانك يوم الدين ، عند الوقوف بين يدي رب العالمين ، ولا تنجيانك عن هول البرزخ والمنكر ، وشدائد يوم المحشر ، يوم لا تقبل فيه الأعذار ، ويرد كل قول بوار .

واعلم أن الأعراض الطارئة على الإنسان على قسمين :

الأول : هو العرض الذي يعرض لنفس الجسم ويعتريه لذاته .

الثاني : العرض الذي يعرض لصفة الجسم .

أما القسم الأول فهو على قسمين أيضاً :

الأول : هو العرض الذي يعرض لذات الجسم ويغيره بالكلية ، كما أن الإنسان لو قسم نصفين يتغير بالكلية .

الثاني : هو الذي يعرض لنفس الجسم ولا يغيره تغييراً كلياً ، كالإنسان إذا قطع إصبعه مثلاً .

وأما القسم الثاني وهو طرو الأعراض على صفة الجسم لا ذاته ، فهو على قسمين أيضاً :

الأول : هو طرو العرض وعروضه على صفة الجسم ، بحيث يخرج الصفة عن الصِّفَتِيَّة ، كعروض السواد على الجسم ، بحيث يغير الجسم من الحمرة مثلاً إلى السواد ، فالجسم يتغير من حيث الصفة ، لكن المادة باقية على حالها ، إذ الألوان أعراض خارجة عن ذات الشيء ومادته ، ولا ربط لها به بوجه .

الثاني : وهو مقصودنا هو طرو العرض على صفة الجسم ، بحيث لا يغير الصفة عن الصّفتية ، بل يبقّيها عليها ولا يخرج الجسم عمّا هو عليه ، لا ذاتاً ولا صفة بوجه ، كما أنك إذا جلست في مكان حار وانفتحت منافذ جسمك ومساماته ، وخرجت الأبخرة من باطنك إلى ظاهرك . أو جلست في مكان بارد وانسدّت المنافذ والمسامات ، وانحبست الأبخرة في باطنك .

فهاتان الصفتان العارضتان لجسمك وجسدك من مجاورة المكان البارد والحار ، والجلوس فيهما لا تُغيّرُك ، ولا تخرجان جسدك عمّا هو عليه إلى غيره ، إذ لا ربط لانسداد المنافذ وانفتاحها بجسدك ، وأنت هو ذاك ، على ما أنت عليه من طولك ، وقصرك ، وسوادك ، وبياضك ، وسمنك ، وضعفك ، وصحتك ، وسقمك ، وغيرها من صفاتك وأعراضك .

نعم هاتان الصفتان العارضتان على جسدك بواسطة الحرارة والبرودة إنما تحدثان في جسمك الجمود والذوبان ، اللذين لا يغيران مادة جسمك ولا صفته بوجه ، مثل أن جسمك في فصل الشتاء يجمد ، ومنافذه تنسد ، والأبخرة تنحبس . وفي الصيف يذوب ويلين ، ومنافذه تنفتح . فأنت في الشتاء هو الإنسان الذي كنت في الصيف ، وفي الصيف هو الشخص الذي كنت في الشتاء ، ما تغيرت بالحر والبرد بوجه ، إلّا أنك اتصفت بصفة الذوبان مرة ، وصفة الجمود أخرى ، وهما لا يغيران منك شيئاً بوجه ، وأنت على ما كنت عليه . وهذا هو المراد بقوله : (ولكنه لبس الصورة البشرية التي تحس وهي متجسدة . . . إلخ) .

ولما كانت النسبة الموجودة بينه وبين سائر الأجسام التي هي الصورة

البشرية والجمود من الأمور المتحققة والمتأصلة عند الشيخ الأوحد خلافاً للحكماء ، حيث قالوا : بكونها من الأمور الاعتبارية ، قال بتركبها من العناصر السفلية تحت فلك القمر الموجبة للجمود ، المستلزم للخرق والالتئام ، ولَمَّا عَرَجَ ألقى كل واحد من عناصر هذه النسبة في كرتة وعرج ، ولما نزل أخذ من كل واحد من الكرات ما ألقى فيه . لا أنه صلى الله عليه وآله ألقى في الكرات تحت فلك القمر عناصر جسمه الشريف ، في كل واحدة منها ما هو من جنسها ، وعرج ، بل إنما عرج صلى الله عليه وآله بعناصر جسمه الشريف كلاً وطراً ، وعباءته ، وألبسته ، ونعليه اللذين من جلد البعير .

فظهر أن المراد من قوله في الاحتمال الأول : أن الصاعد كلما صعد ألقى منه كل رتبة ما منها فيها . . . الخ هو ما ذكرناه ، من إلقاء عناصر تلك النسبة والصفة ، وهي الجمود والثقلية البشرية في كراتها ، ومن طرو صفة الذوبان عند العروج ، وأخذ عناصر تلك الصفة والنسبة من كراتها ، والاتصاف بصفة الجمود ، حتى يتمكن الخلق من النظر إليه والاكتساب والانتفاع منه عند الرجوع .

فعلم أن معتقده هو ما ذهب إليه المسلمون ، عروج النبي صلى الله عليه وآله بهذه الصورة البشرية ، الدنيوية ، المحسوسة ، المبصرة ، من دون تغيير في جسمه وجسده الشريف ، إلا بعروض صفتي الذوبان والجمود عروجاً ورجوعاً ، كعروض هاتين الصفتين لك شتاءً وصيفاً ، اللتين لا تُغيّران من جسده الشريف شيئاً بوجه أبداً ، كما لا تغيّران جسدك عند عروضهما في الفصلين بوجه ، فالتفت جداً إنه من مزال الأقدام .

ولما علم رحمه الله : أنه يتوهم من قوله : (إن الصاعد كلما صعد ألقى منه . . . الخ) مَنْ لا إطلاع له بحقيقة الحال ، القول بعدم المعراج الجسماني استدركه بقوله : (لا يُقال على هذا إن هذا قولٌ بعروج الروح خاصة ، لأنه إذا ألقى ما فيه عند كل رتبة لم يصل إلّا الروح ، لأننا نقول : إننا لو قلنا بذلك فالمراد أعراض ذلك ، لأن ذوات تلك لو ألقاها بطلت بنيته بالكلية ، فيجب أن يكون ذلك موتاً . . . الخ) . انظر إلى كلامه كيف يصرّح بأن المراد من إلقاء العناصر إلقاء أعراضها وهي النسبة والثقلية وصفة الجمود ، التي لا ربط لها بوجه إلى الجسم كما ذكرنا .

ثم إن جميع الأعراض كالجمود والثقلية وغيرهما ، كلاً محكومات بحكم المعصومين الأربعة عشر ، ومجبورات تحت تصرفهم وفي حكمهم ، كلما أرادوا إزالتها عن أنفسهم أزالوها ، وكلما أرادوا إلحاقها ألقوها ، وليسوا كسائر الخلق مقهورين تحت حكم الأعراض حتى ينجبروا بالاتصاف بصفة الجمود ، ولا يتمكنوا من الاتصاف بصفة نقيضه ، وهو الذوبان ، إذا أرادوا إلّا بمشقة تامة كسائر الناس ، كما برهنه في مسألة المعاد ، فراجع .

فإن قلت : إن ثقلية وجمود العبا والنعلين وألبسته الشريفة قطعاً أكثر من جمود بشريته صلى الله عليه وآله ، فكيف أخذها معه ، ولم يلزم الخرق والالتئام ؟

قلت : أولاً : يحتمل كما أنه رَفَعَ الجمود عن نفسه ، واتصف بصفة الذوبان ، كذلك رفع الجمود والثقلية عن الأشياء التي صاحبته وكمّلها ولطفها ، بحيث تجاوز بها السماوات ولم يلزم المحذور .

وثانياً : اتبعها لنفسه الشريفة ، واستهلكت ظلماتها ، وثقليتها ،

وجمودها عند نور وجوده المبارك ، بحيث لم يبقَ لها أثر مما لها من اللوازم ، حتى تُمنع من عروجها ، ويلزم منها المحذور ، كما أن عباءته الشريفة الثقيلة الغليظة إذا كان يلبسها ، ويقابل الشمس ، لم يكن ظلاً لها كوجوده الشريف ، وإذا أُلقِيَتْ على الأرض أو عُلقَتْ ، كان لها ظل ، كما أن الجنَّ إذا صحب شيئاً ثقیلاً كثيفاً ، كما أنه هو لا يُرى الشيء الكثيف أيضاً ، لا يُرى تبعاً له ، ويخرج به من المكان المحفوظ من كل طرف والحائط ، ولا يلزم خرق في الحائط ولا التئام . وهذا الاحتمال الثاني هو الذي يصرّح به الشيخ الأوحدي في كلامه السابق بقوله : (والثاني : أن الصورة البشرية التي هي المقدار والتخطيط تابعة للجسم في لطافته وكثافته) ، ثم يمثل بجبرائيل عليه السلام بأنه إذا دخل في صورة دحية الكلبي ولبس تلك الصورة ، فمع تصوره بها يملأ ما بين السماء والأرض ، ويدخل في ثقب الإبرة ، بل أصغر منه ، لأن الأجسام اللطيفة النورانية حكمها حكم الأرواح ، لا تزاحم فيها ولا تضايق .

وبالجملة ، كما نجيب بهذين الاحتمالين عن لزوم الخرق والتئام ، فيما صاحبها في المعراج ، من العباء ، والنعلين ، والألبسة ، في قبال من يقول بمحاليّة الخرق والتئام في الأفلاك ، فكَذلك نجيب بهما أيضاً في معراجهِ صلى الله عليه وآله بجسده البشري الدنيوي في قبال القول بالمحالية ، كما صرّح بهما الشيخ الأوحدي في كلامه السابق ، وهذان الاحتمالان في الحقيقة مجارة ومماشاة منه مع أهل ذلك القول ، وإلا فلا حاجة عنده إلى الجواب بهما ، إذ ليس عنده الخرق والتئام في الأفلاك محال ، بل هو جائز عنده بلا إشكال منه ، كما ترى من تصريحاته في كتبه ومصنفاته مراراً عديدة .

فظهر مما ذكرنا أن مذهب الشيخ الأوحّد ومعتقده ، هو معراج نبينا صلى الله عليه وآله بجسمه وجسده الشريف ، الدنيوي المحسوس الملموس المبصر ، بل بعبائه ، وألبسته ، ونعليه اللذين من جلد البعير ظاهراً ، وليس في عبائره وكلماته ما يوهّم المعراج الروحاني . ومن توهم إنما هو لأجل عدم أنسه باصطلاحه ، أو عدم غوره في كلامه بالدقة والنظر ، أو عدم مبالاته فيما ينسبه . والظاهر أنّ توهم الأسترابادي في (حياة الأرواح) ، والهمداني في (هدية النملة) من القسم الثالث ، بل من نظر إلى رسالتيهما ، ربما علم أن ما نسبنا إلى الشيخ الأوحّد ليس لتوهم منهما من كلماته الشريفة ، بل لأغراض فاسدة دنيوية . ولما تبين لك مقصوده ومراده من تلك العبارات المنقولة من (الرسالة القطيفية) بأوفى بيان ، وأحسن تبيان ، توجه الآن إلى نقل سائر عبائره الصريحة من سائر رسائله وكتبه الرشيدة .



الفصل الثالث

كلمات الشيخ الأوحى الأخرى في المعراج

قد عرفت مما ذكرنا ، وصريح كلامه رحمه الله : أن النبي صلى الله عليه وآله عَرَجَ إلى السماوات ، وطواها بجسمه الشريف الدنيوي ، وألبسته ، وأن ما نسباً إليه اشتباه صرف ، وليس هذا من الهمداني بعجيب ، إذ باعه في العلم قصير ، وبضاعته مزجاة . وتلك العبارات العلمية والمطالب الحكمية ربما يعجز عن فهمها كثير من الفحول ، فإذا حام حولها مثل هذا المسكين ، فغير بعيد أن يكون بعيداً عن الواقع . لكن العجب من الإسترابادي ، حيث كان ممن يعتمد عليه ، ومقلداً ومرجعاً في قيد حياته ، كيف نسب إلى الشيخ الأوحى في رسالته القول : بعروج الجوهر النوريّ ، الممكنون ، الكامن ، في هذا الجسم ؟ ألم يتفطن أن جمود الثياب ، والعباء ، والنعلين ، وثقلتيها ، وكثافتها قطعاً ، أكثر من بدنه الشريف العنصري والصورة البشرية ، بل ولا نسبة ؟ فكيف يسوغ له نسبة ذلك القول إلى الشيخ الأوحى ، مع تصريحه بمعراجه صلى الله عليه وآله بما هو عليه من ثيابه ، وعبائه ، ونعليه ؟ هل الثوب ثوب للروح ، أو الجوهر النوري ؟ وهل العباء عباء لهما ، وهل النعل نعل للروح أو الجوهر النوري ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم .

هَبْ أنه يحتمل من عباراته المنقولة سابقاً ما نسبته إليه ، فهل بعد

تصريحه بمراده مما ذكر في معراجه صلى الله عليه وآله يبقى للاحتمال محل أو مجال؟ أو لأهل القيل مقال؟ ومن جملة تصريحاته ما قاله رحمة الله عليه في جواب السؤال عن المعراج^(١)، قال: (إن رسول الله صلى الله عليه وآله عَرَجَ بجسده الشريف وعليه ثيابه إلى الحجب، حتى كان من ربه قاب قوسين أو أدنى)، وساق الكلام، إلى أن قال: (....). وجسمه الشريف ألطف من كل ما ذكرنا، حتى يقف في الشمس، ولا يظهر له ظل، وعليه جميع ثيابه، وصعد إلى ما وراء الحجب وعليه ثيابه، فإنه ما صعد عارياً، كما وقف في الشمس وليس بعارٍ، ولا يمنع كثافة ثيابه، نوريته إذا وقف في الشمس، ولا لطافته إذا خرق الحجب، لقلّة كثافة ثيابه، إذا نسبت إلى لطافة جسمه ونوريته)، انتهى.

ومن جملتها ما في (شرح العرشية)^(٢)، في جواب الاعتراض السابع من اعتراضات منكري حشر الأجساد. قال: (والحاصل، ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير؟ ثم على كل حال، ما معنى المنع من تداخل الأجسام؟ والمنع من الخرق والالتئام؟ والملائكة والشياطين تخترق السماوات، وسيدنا محمد صلى الله عليه وآله صعد إلى السماء بجسمه الشريف، بثيابه، وعمامته، ونعليه، وإدريس عليه السلام رفعه بجسمه إلى السماء، وعيسى عليه السلام رفعه الله بجسمه.... إلخ).

ومن جملتها ما في (شرح الزيارة الجامعة)^(٣)، في شرح فقرات

(١) جوامع الكلم: ج ١٠ ص ٢٠.

(٢) جوامع الكلم: ج ٢ ص ٣٨٨.

(٣) جوامع الكلم: ج ٣ ص ١٥٣.

(مُسْتَجِيرٌ بِكُمْ ، زَائِرٌ لَكُمْ ، عَائِدٌ بِكُمْ ، لَائِدٌ بِقُبُورِكُمْ) ^(١) ، قال في أواخر شرحها : (ولهذا صعد النبي صلى الله عليه وآله ليلة المعراج بجسمه الشريف ، مع ما فيه من البشرية الكثيفة ، وبثيابه التي عليه ، ولم يمنعه ذلك من اختراق السماوات والحجب وحجب الأنوار ، لقلة ما فيه من الكثافة ، ألا تراه يقف في الشمس ولا يكون له ظل مع أن ثيابه عليه ، لا ضمحلالها في عظيم نوريته ، وكذلك حكم أهل بيته الثلاثة عشر المعصومين عليهم السلام . ومثال ذلك : أنك لو وضعت مثقالاً من التراب في مثقال من الماء ، أو أقل وأكثر بقليل ، كان الماء كدراً ، لكدورة كثافة التراب ، ولو وضعت مثقال التراب المذكور في البحر المحيط ، لم يظهر للمثقال التراب أثر ، بل يكون وضعه وعدمه بالنسبة إلى البحر المحيط سواء . . .) إلخ . كفانا ما نقلناه من كلماته .

انْظُرْ إِلَيْهَا ، كيف يُصَرِّح فيها بالمعراج الجسماني ، وهل يمكن التعبير عنه بأصرح مما ذكره ، ليت شعري كيف نَسَبَا إليه ما نسباه ؟ فالذي يَصْرِّح بمعراجهِ ، بثيابه ، وألبسته ، ونعليه ، وعمامته ، كيف يمكن في حقّه أن يُقال : إنه يقول بعروج الروح ، أو الجوهر النوري ؟ ومن البديهي الوجداني أن جمود وكثافة الثياب التي هي من القطن أو الصوف ، والعمامة كذلك ، والنعلين اللذين من الجلد ، أكثر وأشد من الصورة البشرية بمراتب ، فالذي يقول : إن النبي صلى الله عليه وآله أخرج هذه الأشياء الكثيفة الثقيلة من مراكزها وكراتها ، وأوصلها إلى مقام قاب

(١) الصّدوق : عيون أخبار الرضا عليه السلام . ج ٢ ، ص ٣٠٨ . ورد أيضاً ميرزا حسين النوري الطبرسي : مستدرك الوسائل . ج ١٠ ، ص ٤٢٢ .

قوسين أو أدنى ، هل يمكن أن يُنسب إليه أنه لا يقول بالعروج الجسماني ، أو لم يتصور المناسب أن الروح أو الجوهر النوري ، لا يحتاج إلى الثياب والعمامة ، والنعلين ظرفي الرجلين ؟ ألم يعلم أنها من الأشياء التي تحتاج إليها الصورة البشرية ومن مقتضياتها ؟

فالحري للإنسان لا سيما لمن تصدى للتصنيف والتدقيق ، وجلس في صدر التحقيق ، إذا أراد أن ينسب مطلباً إلى أحد من العلماء ، - لا سيما العالم المتمعن - أن يدقق النظر في أطرافه وجوانبه ، ويحقق التأمل في سابقه ولاحقه ، ويكرر التأمل والنظر في عباراته مرة بعد أخرى ، كما هو سيرة العلماء وديدنهم ، ثم يوجِّهها مهما أمكن بتوجيهات حسنة ، ويحملها على محامل صحيحة متينة ، وإن لم يمكنه هذا كله ينسب ما ينسب ، ويسطر ما يسطر ، لا أنه يتفوه بما لا يليق ، أو يسطر ما ليس بحقيق ، بلا دقة ونظر دقيق ، أو ينقل من عبارته بتحريف منه بزيادة ونقيصة ، وإسقاط ما هو موضح للإبهام ، ومفصل لإجمال المقام ، ولا يهاب حساب يوم الدين ، وعقاب رب العالمين .



الفصل الرابع

كلمات تلامذة الشيخ الأوحّد

لما عرفت من تصريحاته قدس سره : أن ما نسبوه إليه خلاف الواقع ، وليس في كلماته ما يوهم ذلك ، فضلاً عن التصريح أو الإشارة والتلويح ، فلنشرع الآن بنقل كلمات بعض تلامذته .



كلمات السيد كاظم الرشتي

منهم : السيد الأجل الأُمجد أنار الله برهانه ، الذي هو أعظم تلامذته ، وعمدة من انتفع من إفاداته في جواب سؤال الشيخ الجليل الشيخ علي بن قرين^(١) عن المسائل الثلاث المختلف فيها ، قال : (منها مسألة المعراج : زعموا ، بل مؤهّوا على الناس أنه أعلى الله مقامه يذهب إلى أن المعراج ليس بهذا الجسم الدنيوي ، بل هو إما روحاني أو جسماني بجسم شفاف آخر ، غير هذا الجسم الذي كان عليه صلى الله عليه وآله مع الناس ، وهذه الشبهة إنما دخلت عليهم من عبارة ما عرفوا قراءة لفظها ، بل قرأوا غلطاً ، وفرعوا عليه باطلاً ، والفرع والأصل

(١) علي بن صالح بن محسن بن علي القريني الأحسائي من علماء الإمامية .

كلاهما باطلان ، وقولهم سواد في سواد ، سبحانه ، هذا بهتان عظيم . بل الذي سمعنا منه مشافهة ، وملاً به كتبه ومصنفاته : أن رسول الله صلى الله عليه وآله إنما عرج بهذا الجسم الدنيوي الذي كان مع الناس ، بل بثيابه ، ولباسه ، ونعله ، صعد إلى السماوات ، وخرق الحجب والسراقات ، ووصل إلى العرش ، وصعد إلى مقام قاب قوسين . فمن أنكر عروجه صلى الله عليه وآله بهذا البدن ، وهذا الجسم ، فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين ، ولعنة الله على الكاذبين والمفترين ، وهذا مذهب شيخي ، وأستاذه ، ومذهبي ، به ألقى الله يوم القيامة ، من أنه صلى الله عليه وآله عرج بجسمه الدنيوي ، وثيابه التي كانت عليه إلى السماوات السبع ، والكرسي ، والحجب ، والسراقات إلى أن بلغ منتهى العرش ، وهذا مذهب الفرقة المحقة . ولكن الجماعة أرادوا إيقاع الفتنة ، وقد أركسوا فيها (إلخ) .

وقال أيضاً في رسالة (كشف الحق)^(١) ، في أولها : (إن مسألة المعراج لنبينا صلى الله عليه وآله مما لا ينكرها إلا الملحدون ، ولا يجحدها إلا المعاندون ، وهي من أركان الدين المعروف بين المسلمين ، ومنكرها كافر على اليقين ، ومخلد في النار أبد الأبد . وممن أصرَّ على وقوع العروج الجسداني حتى بثيابه ونعله ، ورَدَّ على المنكرين ، وأبطل شبه المخالفين ، وأوضح وكشف عن حقيقة الواقع ، وشرح وأجاب عن جميع الشبهات ، وزيف أدلة أصحاب الجهالات ، وأثبت

(١) راجع المجلد الثاني من مجموعة الرسائل للسيد كاظم الرشتي الحسيني .

العروج الجسدي الجسمي ، وجميع الحالات ، مولانا ، وأستاذنا ، وسنادنا ، ومعتمدنا ، أعلى الله مقامه ، ورفع في الخلد أعلامه ، وأسكنه بحبوة جنانه ، وأوصله إلى أعلى الدرجات ، حيث بين وأوضح ، وذكر وأفصح ، وفصل وشرح في غير موضع من رسائله ، وكتبه ، وأجوبته للمسائل ، وسائر مباحثاته ، بحيث كل من سمع منه وحضر لديه ، صار وقوع هذا المعراج عنده من أجل البديهيّات وأبين البيّنات ، فما ذكره أعلى الله مقامه ما في (شرح الزيارة الجامعة) عند قوله (مستجير بكم) ، - وساق الكلام إلى أن قال - (وهل يتوهم عاقل بعد ملاحظة هذه الكلمات ، مع هذه التصريحات الشديدة ، والمبالغة الأكيدة نسبة الإنكار إليه عطر الله تربته للمعراج الجسماني والجسداني ؟ حاشا وكلا ، إلا أن ينكر حسّه ، ويعاند نفسه . . . الخ) ، ويكفيها أيضاً هذا المقدار من كلماته عطر الله رسمه .



كلمات الميرزا حسن كوهر

ومن أجل تلامذته وعمدة من استفاد من مباحثاته أعلى الله مقامه النور الأزهر ، صاحب المقام الأنور ، ميرزا حسن الشهير بگوهر نور الله ضريحه ، الذي هو من جملة أساتذة ومشائخ إجازة الوالد الماجد العلامة قدس الله سره وعطر رسمه في (شرح حياة الأرواح) للملا جعفر الأسترابادي رحمه الله ، قال : (قد ثبت بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة ، أن نبينا صلى الله عليه وآله عرج بتمام جسمه الشريف إلى الأفلاك ، وصعد بجسمه على العرش الأعظم ، وكان في رجليه نعلاه ،

حتى أن العرش تشرف بنعليه صلوات الله عليه ، وهذا اعتقادنا . . . إلخ^(١) ، وقال أيضاً ، في موضع منه ، في مقام إبطال نسبة المصنف عروج الجوهرى النورى ، إلى الشيخ الأوحى ، نور الله ضريحه : (هذا غلط محض ، لأنه لا يفهم شيئاً من معنى عباراته أطال الله بقاءه ، وقد افترى عليه بهتاناً عظيماً بقوله : (العروج الجوهرى النورى) ، لأنه أطال الله بقاءه صرح في غير موضع من كتبه ورسائله ومباحثاته : أنه صلى الله عليه وآله عرج إلى السماء بثيابه ونعليه ، وسأذكر لك بعض إفاداته أطال الله بقاءه ، فالذي يقول بأنه عرج بثيابه ونعليه ، كيف يقول بأنه لم يصعد السماء بجسمه ؟ هل هذا إلا بهتان عظيم . . . إلخ^(٢) ، ثم أخذ في ذلك الكتاب بنقل كلمات أستاذه الأعظم ، وتوضيح مقصوده منها بآتم بيان وأوضح تبيان ، ولعمري أنه أجاد وأفاد ، في رفع ما أبهم من كلمات أستاذه بالبيان الشافى والتوضيح الوافى ، بحيث رفع كل الاشتباه والالتباس ، وقطع سبيل تدليس الخناس ، الذى يوسوس فى صدور الناس ، وقمع أساس كل معاند بتحقيقاته الرشيقة ، وأصل كل مكابدة بتدقيقاته الأنيقة ، تليق أن تكتب بالتبر على الأحداق ، لا بالحبر على الأوراق .



(١) راجع شرح حياة الأرواح للمولى الميرزا حسن گوهر صفحة ٢٧٣ .

(٢) صفحة ٢٩٢ من المصدر السابق .

کلمات المیرزا محمد باقر الأسکوئی

وممن صرَّحَ بالمقصود والمرام في هذا المقام ، والدي الماجد
العلام ، (قدس الله نفسه الزكية) ، في بعض رسائله في جواب السائل
عن العبارة المنقولة للشيخ الأوحدي في مسألة المعراج ، قال : (كلام
شيخ قدس الله روحه در أماكن عديده اين طور است فرمودند كه خاكيرا
بخاك وهواثيرا بهواء ومائثرا بماء وناريرا بنار بياء نسبي ذكر ميمانيه مراد
شيخ آنست كه آنچه لوازم وخواص خاك بود از ثقل و سنگيني وعدم
اقتدار از اينكه از گره خاك تجاوز كند همه آنها را در گره خاك گذاشته
و خود عنصر خاك را بالا برد وهمچنين هواء خودش را بدون خواص
ولوازم هواء ومائثرا بدون لازمه ماء ونار را منسلخ از خواص نار هريكي
را از گره خود صعود داده بأعلى مراتب اجسام رساند واز آنجا تجاوز
كرده ودر همه عوالم سير كرده تا بمقام قاب قوسين أو ادنى رسیده وبعد
از مراجعت در عبور از گره خواص انرا كه گذاشته بود بر داشت تا باخر
نزول رسيد) ، تم كلامه رفع مقامه . ولو أردنا نقل كلمات سائر تلامیذه
وتابعیه ، لأدى إلى الخروج عما نحن فيه ، والبعد عما نحن بصدد
وإظهار خافیه ، ولنكتف بما نقلناه في إثبات ما أردناه .

فانظر إلى هذه العبارات المختلفة الواضحة ، والبيانات الشافية
اللائحة ، وتصريحاته أعلى الله مقامه ، وتصريحات تابعيه ، ومن حضر
مجلسه الشريف ، واستفاد منه شفاهاً ، ونال ما نال من إفاداته سماعاً ،
﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ

الْبَصْرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ^(١)، فهل ترى فيها ما يُوهم ما نسبوا إليه من الاعتقاد الفاسد، والمذهب الكاسد؟ وهل يبقى بعد تصريحه وتصريح تلاميذه وتابعيه محل لهذه النسبة؟ إن هو إلاَّ اجتهد في قبال النص والبيان، وخروج عن لوازم الإسلام والإيمان، ولما كان المقصود من وضع الكتاب رفع اشتباهات المشتبهين، وتنزيه ساحة المشايخ العظام عن لوث أهل الغرض في المقام، أعرضنا عن سائر تفاصيل المعراج.



(١) سورة الملك، الآيتان: ٣ - ٤.

الفصل الخامس

عتاب ونصيحة

اعلم أن كل علم من العلوم كالصرف والنحو والمنطق ، والمعاني والبيان والبديع ، والأصول والفقه والتفسير ، وعلم الحديث والكلام والحكمة ، والحساب والهيئة والنجوم ، والجفر والأعداد والحروف ، والعلم الطبيعي وغيرها ، وكل صنعة من الصنائع له اصطلاحات مخصوصة ، وألفاظ مختصة يتكلم أهل كل فن بها في محاوراتهم ، ويؤدون بها مقاصدهم في مصنفاتهم ، ومن تكلم بغير ما هو مختص بذلك الفن نسبوه إلى الجهل ، بل لم يعتمدوا على مقالته ، ولم يصغوا إلى إفادته ، ولم يجيبوا لسؤالاته .

فإذا رأيت لفظاً أو اصطلاحاً في كلمات أهل فن خاص ، كما إذا رأيت لفظ المبتدأ والخبر في كلمات النحويين لا يمكن لك أن تحملهما على المعنى اللغوي ابتداءً ، إذ يحتمل أن يكونا من اصطلاحاتهما المخصوصة .

نعم إن تفحصت عن اصطلاحاتهم بالسؤال والرجوع إلى كلماتهم ، أو دلت القرائن الخارجية أو الداخلة على أنهما ليسا منها ، حملتهما على المعنى اللغوي .

ويعظم الخطب إن كان العلم غريباً ، واصطلاحاته أيضاً غريبة

موحشة جديدة العهد ، ما طَرَقَتْ أَسْمَاعَ غالب أهل العلم والفضل ، فضلاً عن عموم الناس ، مثلاً ، إذا سمعت لفظ (الجسد العنصري) ، أو بصرت به في قول الشيخ الأوحـد (الجسد العنصري لا يعود) لا يمكنك أن تقول بمحض الرؤية أو السماع : إن الجسد في اللغة هو هذا البدن الموجود المركب من العناصر الدنيوية ، لا يعود يوم القيامة ، إذ طرق سمع أكثر الشيعة لا سيما علمائهم : أن الشيخ الأوحـد العلام الذي هو من جملتهم قد أتى بمطالب كثيرة ، مدعيّاً أنها مستنبطة من آثار أهل بيت العصمة والطهارة ، وتحقيقات شريفة ، وتدقيقات مبتكرة لطيفة ، وله تصانيف عديدة ، وكتب ، ورسائل متعددة ، محتوية على اصطلاحات خاصة جديدة ، وتتلّمذ على يده كثير من الفحول ، وحصلوا من بياناته وإفاداته من المعقول والمنقول ، واطَّلَعُوا على مقصوده من اصطلاحاته ، ونالوا بالحظ الأوفى من مراداته ، وانتشروا إلى الأقطار ، واستقروا في البلاد والأمصار ، وملاؤوا بها أَسْمَاعَ أهل البقاع ، وحرار فيها عقل كل ذي باع ، وصارت من مطارح الأنظار لدى ذوي العقول والاعتبار ، في المنابر ، والمجالس ، والمباحث ، والمدارس ، فإذا سمعت أو رأيت هكذا لفظاً ، واحتملت قوياً ، بل ظننت أن المراد من هذا اللفظ غير معناه اللغوي ، لما تسمع من أفواه مريديه وتابعيه - من علمائهم وغير علمائهم - : أن المراد منه خلاف ظاهره ، فكيف تتمكن حينئذ من حمله على معناه اللغوي ، وتقول : إن مقصود المتكلم هو هذا لا غير ، وإنه خلاف ضرورة المسلمين والقائل به كافر . والحال ، أن صاحب هذا الفن ينادي بأعلى صوته في كتبه ومصنفاته وتابعيه على المنابر والمحافل ، وفي كتبهم والرسائل : أن المراد منه خلاف ظاهره المتبادر

إلى بعض الأذهان ، وظاهره ليس بمقصود كما عرفت مفصلاً في المقالة السابقة . فالتكليف إذا اطلعت على مثل هذا اللفظ ، واحتملت خلاف ظاهره ومعناه اللغوي ، أن تراجع كتب ذلك الفن وأهله حتى تطلع على المقصود والمرام ، وتقع على الواقع في المقام ، ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) .

إن قلت : إن الظواهر حجة ، والتكليف أن يأخذ بالظاهر ويعمل به ، ويحكم بما هو مقتضاه ، كما تمسك به العالم الفاضل المعاصر^(٢) رحمه الله في أول رسالته (ترياق الفاروق) .

قلت : نعم ، إن الظواهر حجة إن لم يكن نص في قبالتها ، ولم تتمكن منه اتفاقاً من علماء الأصول ، وأما إن كان نص ، وتمكنت منه ، فليست بحجة ، ولا يجوز لك العمل بها ، إذ النص مفيد للقطع ، والظاهر مفيد للظن ، وحرمة العمل بالظن مع وجود القطع ، والتمكن من تحصيله من جملة البديهيّات ، وأوضح الواضحات . فإن كان ولا بد من العمل بالظاهر مع وجود تصريح قائله بخلافه ، وتعيين مراده من اللفظ ، صحّ الاجتهاد في قبال النص ، وعلى الإسلام السلام . ثم أن كلام المعصومين سلام الله عليهم كما فيه محكم ومتشابه ، عام وخاص ، مطلق ومقيد ، مجمل ومبين ، كذلك كلام العلماء الراسخين ، والقرى الظاهرة في البين ، ولا اختصاص لها بكلام المعصومين ، لعدم الدليل عقلاً ونقلاً ، فكيف يسوغ لك التمسك بكلام مجمل في نظرك لا في

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٧ .

(٢) السيد ميرزا محمد حسين بن محمد علي الحسيني الشهرستاني الحائري .

الحقيقة ، لعدم فهمك إياه ، أو عدم تمكنك من قراءته صحيحاً ، مع قطع النظر عن المبين الواضح الصريح في لاحقه وسابقه أو في محل آخر ، والتفريع على ما فهمت منه بمقتضى فهمك ؟

وأنت - أيها الواعظ الهمداني - إن كنت متديناً بدين الله ودين أوليائه ، وسالكاً مسلك العلماء الذين لا يأخذهم في الله لومة لائم ، وأردت برسالتك هذه هداية الخلق إلى المنهج الحق ، وقصدت بها رضا الخالق لا مرضاة المخلوق ، فَلِمَ لم تنقل عين عبارة الشيخ الأوحى من الرسالة القطيفية في رسالتك ؟ بل ألّفتها من عندك ، ونسجتها على مقتضى غرضك ، وفرعت عليها بتفريعتك ، وادعيت أنها عين عبارة الشيخ ؟ فهل هذا من الإنصاف ، أو ديدن أهل التصنيف والتأليف ؟ فهلاً نقلت نفس العبارة ، وكملتها بما ذيله من قوله : لا يقال : ... الخ . ولأننا نقول : ... الخ ، حتى يرتفع الإبهام الموهوم في المقام ، ويتضح المقصود لدى الخاص والعام ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وبالجملة ، ما أشبه تكفير هذا الرجل ونظرائه من الإسترابادي والدارابي للشيخ الأوحى وتابعيه ، لعدم فهم مقصوده ومراده من كلماته وعباراته ، بتكفير الخليفة الثاني للأعرابي على ما رواه الديلمي^(١) في إرشاده ، وغيره في غيره^(٢) ، لما دخل عليه وقال : (إني أكره الحق ،

(١) الشيخ أبو محمد الحسن بن أبو الحسن علي بن محمد الديلمي ، من أعلام القرن الثامن الهجري ، قال السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة : هو عالم عارف عامل محدث وجيه ، من كبار أصحابنا الفضلاء في الفقه والعرفان ، له : (غرر الأخبار ودرر الآثار في مناقب الأطهار) ، و (أعلام الدين في صفات المؤمنين) ، وكتاب (إرشاد القلوب) .

(٢) المرعشي ، شرح النجفي : إحقاق الحق وإزهاق الباطل . ج ٣١ ص ٤٨٢ .

وأحب الفتنة ، وأشهد بما لا أرى ولا أعلم ، وأعلم ما لا يعلمه الله ،
وعندي ما ليس عند الله ، وأنا ربكم . فغضب عمر وحكم بكفره ، وأمر
بضرب عنقه ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام حاضراً ، فقال عليه
السلام : مَهْ يا عمر ، فإن الأعرابي ما قال إلَّا حقاً ، ولكنكم ما فهمتم
كلامه . أما قوله : إني أكره الحق ، فإن الموت هو حقّ وهو يكرهه .
وأما قوله : إني أحب الفتنة ، فإن الفتنة هي المال والأولاد ، لقوله
تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾^(١) ، ويحب المال والأولاد .
وأما قوله : إني أعلم ما لا يعلمه الله ، وهو يعلم الله شريكاً في الفرض ،
والله سبحانه يقول : ﴿ أَمْ تَنْبِئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِّنَ
الْقَوْلِ ﴾^(٢) . وأما قوله : عندي ما ليس عند الله ، فعنده الظلم وليس عند
الله . وأما قوله : أنا ربكم ، والكم مفرد الأكمام لا ضمير مخاطب)
انتهى ، نقلته بالمعنى .

إن قلت : إذا شوهدي في كلام المعصوم ما ظاهره خلاف المذهب ،
وجب حمله وتأويله على المحمل الصحيح ، إذ العصمة قرينة قطعية على
إرادة خلاف الظاهر ، بخلاف غير المعصوم .

قلت : خبر الأعرابي والأخبار الواردة في حمل فعل الأخ المؤمن
على سبعين محمل صحيح ، يوجبان حمل كلام غيرهم ممن يتبعهم
وينتسب إليهم على المحامل الصحيحة ، بل الانتساب إلى المذهب
الجعفرى ، والتدين بالدين المحمدي أقوى قرينة على ذلك ، أو التوقف

(١) سورة التغابن ، الآية : ١٥ .

(٢) سورة الرعد ، الآية : ٣٣ .

والسكوت عما هنالك . الحاصل ، التجاسر على العلماء العظام بما لا يليق بمشاهدة كلام ذي وجوه كثيرة ، ومحامل صحيحة مستقيمة ، موافقة للشرع الشريف تَجَرُّؤُ على الله ورسوله وأوليائه الطاهرين .
إِذَا لَمْ تَكُنْ لِلْمَرْءِ عَيْنٌ صَحِيحَةٌ فَلَا غَرَوْ أَنْ يَرْتَابَ وَالصُّبْحُ مُسْفِرٌ



الفصل السادس

مخالفة المذهب

إذا نظرت إلى كلمات أصحابنا الكملين ، وأساطين الدين المبين ، لرأيت فيها ما يخالف الضرورة والمذهب كثيرا ، وخلاف ما نطقت به الآثار الواردة عن الأئمة الأطهار ، وصرح به العلماء الأخيار ، ليت شعري ، ما يقول أمثال الهمداني ، والإسترابادي ، والدارابي ، إذا أطلعوا على ما سنذكره منهم بعين عباراتهم ، وصرح كلماتهم رضوان الله عليهم ؟ فإن حكموا العياذ بالله بكفر قائلها ، كما هو الظاهر من جرأتهم وجسارتهم وعدم مبالاتهم ، فقد رُدُّوا على أعقابهم ، وخسروا في الدنيا والآخرة ، كيف وأرباب تلك العثرات التي ستقل هم أساطين الشرع الشريف ، وأعمدة الدين المنيف ، الذين بهم قام المذهب ونشرت أعلامه ، وثبت الدين وشيدت أحكامه . وإن حملوها على المحمل الصحيح والمنهج الفصيح ، أو الاشتباه إن لم يتمكنوا من ذلك كما هو شأن المتدينين بالدين ، والخائفين عقاب رب العالمين ، فلمَ لم يحملوا كلمات الشيخ الأحسائي قدس سره على محمل صحيح ، ولم يوجهوها إلى طريق فسيح ، بل أخذوا بطريق ضيق المسالك ، وألقوا بأنفسهم إلى المهالك ؟ عصمنا الله والمؤمنين عما يوجب ذلك منهم رضوان الله عليهم .

منهم : الصدوق^(١) عليه الرحمة حيث قال بسهو النبي والأئمة الطاهرين صلى الله عليهم أجمعين ، ويكون نفيه عنهم عليهم السلام أول درجة الغلو . قال في كتاب الفقيه^(٢) : (وكان شيخنا محمد بن الحسن ابن الوليد^(٣) رحمه الله ، يقول : أول درجة في الغلو نفي السهو عن النبي صلى الله عليه وآله ، ولو جاز أن ترد الأخبار الواردة في هذا المعنى ، لجاز أن ترد جميع الأخبار ، وفي ردّها إبطال الدين والشريعة . وأنا أحسب الأجر في تصنيف كتاب مفرد ، في إثبات سهو النبي صلى الله عليه وآله ، والرد على منكريه إن شاء الله تعالى) . وقال أيضاً فيه^(٤) : (قال مصنف هذا الكتاب : إن الغلاة والمفوضة لعنهم الله ينكرون سهو النبي صلى الله عليه وآله) انتهى .

وقد شنع عليه هذا القول جملة من الأصحاب :

منهم شيخنا بهاء الدين^(٥)

(١) الصدوق ، الشيخ أبو الحسن ، علي بن الحسين بن موسى بن بابويه الصدوق القمي ، من فقهاء الشيعة ، وله : كتاب (من لا يحضره الفقيه) ، وكتب أخرى تربو على العشرين . توفي سنة ٣٢٩هـ ، - ودفن في مدينة قم المقدسة ، وله مزار معروف .

(٢) من لا يحضره الفقيه : الصدوق . ط ٢ ، ج ١ ص ٢٩٦ .

(٣) أبو جعفر ، محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد . محدث وفقه إمامي . وُلد حوالي سنة ٢٧٠هـ ، وتوفي سنة ٣٤٣هـ . روى عنه محمد بن علي بن بابويه ، وأحمد بن شاذان وغيرهم ، تؤكد المصادر الرجالية على وثاقته ، وله ثلاثة كتب : (الجام) ، و (تفسير القرآن) ، و (الفهرست) .

(٤) من لا يحضره الفقيه : الصدوق . المصدر الأول نفسه .

(٥) الشيخ محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي المعروف بالشيخ البهائي ، وُلد سنة ٩٥٣هـ ، وتوفي سنة ١٠٣٠هـ . من أساتذته المحقق الكركي ، ومن تلامذته محمد تقي المجلسي ، والفيض الكاشاني ، والشهيد الثاني . كان كثير العلوم ، وله العديد من المؤلفات ، أشهرها : (الكشكول) .

في بعض كلامه بقوله^(١): (إن نسبة السَّهْوِ إلى ابن بابويه أولى من نسبته إليه صلى الله عليه وآله)، وبقوله أيضاً: (الحمد لله الذي لم يوفِّقه لتصنيف ذلك الكتاب)، عند قول الصدوق عليه الرحمة: (وإن وفقنا صنفنا كتاباً في كيفية سهو النبي صلى الله عليه وآله).

ومنهم: السيد الجليل علم الهدى السيد مرتضى^(٢) رضوان الله عليه

(١) قال في الأنوار النعمانية ج ٤ ص ٣٤: (قال الشيخ بهاء الدين في جملة كلامه: إن نسبة).

(٢) في البحار، ج ١٧ ص ١٢٨. بأن هذه الكلمات في رسالة منسوبة إلى الشيخ المفيد أو السيد المرتضى رضوان الله تعالى عليهما، لكن نسبتها إلى الشيخ المفيد أنسب. وما في المتن يوافق ما في البحار.

وفي كتاب (عدم سهو النبي) للشيخ المفيد قدس الله سره فيها اختلاف يسير، هذا نصّها ص ٢٠: (اعلم أن الذي حكيت عنه ما حكيت مما قد أثبتناه قد تكلف ما ليس من شأنه، فأبدى بذلك عن نقصه في العلم وعجزه، ولو كان ممن وفق لرشده لما تعرض لما لا يحسنه، ولا هو من صناعته، ولا يهتدي إلى معرفة طريقه، لكن الهوى مُودٍ لصاحبه، نعوذ بالله من سلب التوفيق، ونسأله العصمة من الضلال، ونستهديه في سلوك منهج الحق وواضح الطريق بمنه). وفي ص ٣٠ يقول: (وهذا ما لا يذهب إليه مسلم ولا ملي ولا موحد، ولا يجيزه على التقدير في النبوة ملحد، وهو لازم لمن حكيت عنه ما حكيت فيما أفتى به من سهو النبي صلى الله عليه وآله واعتل به، ودال على ضعف عقله، وسوء اختياره، وفساد تخيله. وينبغي أن يكون كل من منع السهو على النبي صلى الله عليه وآله في جميع ما عددناه من الشرع غالباً، كما زعم المتهور في مقاله (أن النافي عن النبي صلى الله عليه وآله السهو غال) خارج عن حدِّ الاقتصاد. وكفى بمن صار إلى هذا المقال خزيًا). (ثم من العجب حكمه على أن سهو النبي صلى الله عليه وآله من الله، وسهو من سواه من أمته، وكافة البشر من غيرهم من الشيطان بغير علم فيما ادعاه، ولا حجة ولا شبهة يتعلق بها أحد من العقلاء، اللهم إلا أن يدعي الوحي في ذلك، ويتبين به ضعف عقله لكافة الألباء. ثم العجب من قوله (إن سهو النبي صلى الله عليه وآله من الله دون الشيطان، لأنه ليس للشيطان على النبي صلى الله عليه وآله سلطان، وإنما زعم =

على ما حكى عنه في الأنوار وغيره ، قال بعد حكاية قول الصدوق :
 (اعلم أنّ الذي حكيت عنه ما حكيت مما قد أثبتناه قد تكلف ما ليس من
 شأنه ، فأبدى بذلك عن نقصه في العلم وعجزه ، ولو كان ممن وفق
 لرشده ، لما تعرض لما لا يحسنه ، ولا هو من صناعته ، ولا يهتدي إلى
 معرفة طريقه ، لكن الهوى مُردّ لصاحبه ، نعوذ بالله من سلب التوفيق ،
 ونسأله العصمة من الضلال ، ونستهديه في سلوك منهج الحق وواضح
 الطريق بمنّه) ، ثم قال بعد نقل خبر ذي اليمين والتكلم فيه : (وهذا ما
 لا يذهب إليه مسلم ، ولا غالٍ ، ولا موحد ، ولا يجيزه على التقدير في
 النبوة ملحد ، وهو لازم لمن حكيت عنه ما حكيت ، فيما أفتى به من
 سهو النبي صلى الله عليه وآله واعتلّ به ، ودال على ضعف عقله ، وسوء
 اختياره ، وفساد تخيله . وينبغي أن يكون كل من منع السهو على النبي
 صلى الله عليه وآله في جميع ما عددناه من الشرع غالباً كما زعم المتهور
 في مقاله : (إن النّافي عن النبي صلى الله عليه وآله السهو غالٍ) ، خارج
 عن حدّ الاقتصاد . وكفى بمن صار إلى هذا المقال خزيّاً) ، (ثم من
 العجب حكمه على أن سهو النبي صلى الله عليه وآله من الله ، وسهو من
 سواه من أمته ، وكافة البشر من غيرها من الشيطان بغير علم فيما ادّعاه ،
 ولا حجة ولا شبهة يتعلق بها أحد من العقلاء ، اللهم إلا أن يدعي
 الوحي في ذلك ، ويتبين به ضعف عقله لكافة الألباء . ثم العجب من

= أن سلطانه على الذين يتولونه ، والذي هم به مشركون ، وعلى من اتبعه من الغاوين . ثم
 يقول : إن هذا السهو الذي من الشيطان يعم جميع البشر - سوى الأنبياء والأئمة - فكلهم
 أولياء الشيطان وإنهم غاؤون ، إذ كان للشيطان عليهم سلطان ، وكان سهوهم منه دون
 الرحمن ، ومن لم يتيقظ لجهله في هذا الباب كان في عداد الأموات .

قوله : (إنَّ سهو النبي صلى الله عليه وآله من الله دون الشيطان ، لأنه ليس للشيطان على النبي صلى الله عليه وآله سلطان) إلى أن قال : (ومن يتيقظ) وفي نسخة شرح التهذيب التي عندنا ، والظاهر أنها بقلم مصنفه السيد نعمة الله الجزائري^(١) ، بدل (ومن يتيقظ) (ومن لم يتيقظ لجهله) ، وهو المناسب لقوله : (كان في عداد الأموات) ، والله العالم ، (في هذا الباب كان في عداد الأموات) ، انتهى كلام السيد مرتضى رضوان الله عليه .

والعجب من السيد نعمة الله الجزائري رحمه الله ، حيث مال إلى قول الصَّدوق في (الأنوار النعمانية) ، وقال : (والحقُّ أن الأخبار قد استفاضت في الدلالة على ما ذهب إليه الصَّدوق رضوان الله عليه ، وكأنه الأقوى) انتهى . وفي شرحه على التهذيب ، حيث قال : قد بينّاها في كتابنا (نواذر الأخبار) ، وفي (كشف الأسرار لشرح الاستبصار) ، وفي (الأنوار النعمانية) ، وفي (شرحنا الكبير على هذا الكتاب) من الإشارة إلى طرف منها ، وهي تتضمن حكاية أسماء الله عزَّ وجلَّ لنبيه صلى الله عليه وآله في بعض صلواته ، وكلام الأصحاب ومباحثاتهم فيها ، وبيان أن كلام ابن بابويه لا يخلو من قوة) انتهى كلامه .

انظر إلى صراحة قوليهما بما هو خلاف ضرورة المذهب ، إذ عصمة

(١) نعمة الله بن محمد بن عبد الله الموسوي الجزائري . وُلد سنة (١٠٥٠ هـ) ، وتوفي سنة (١١١٢ هـ) . أحد كبار رجال الدين الشيعة في العراق وإيران ، عاش في زمن الصفويين . من أساتذته : العلامة المجلسي ، والفيض الكاشاني وغيرهم ، ومن تلامذته عبد الحسين الكرشي ، وغيرهم . ومن مؤلفاته : (النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين) وغيره .

الأنبياء والأئمة عليهم السلام عن السهو ، والنسيان ، والخطأ ، ونحوها من ضروريات مذهب الإمامية ، بل ضرورة الإسلام . إذ جمهور العامة ، بل كلهم يقولون : بعصمة الأنبياء بعد بعثهم ، ومع ذلك لا يقول الأصحاب في حق الصدوق ما ينافي التوثيق ، إذ الشيخ البهائي والسيد مرتضى اللذين قالوا فيه ما قالوا وغيرهما ، يعتمدون على روايته ، والنقل من كتبه ومصنفاته ، وليس ذلك إلا للحمل على الاشتباه الذي هو شأن البشر غير الأنبياء والمعصومين الأربعة عشر سلام الله عليهم ، أو المحمل الصحيح كالإسهاء والإنساء الذي هو الترك عن عمد ، كما في قوله تعالى : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾^(١) ، وإن كان محل كلام أيضاً ، لكنه أهون من السهو ، وإن لم يحمل كلامه على ما ذكر ، لزم شمول لعنة علمائنا الإمامية قاطبة من المتقدمين والمتأخرين ، إذ قالوا كلهم بعصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام ، من زمان الأئمة إلى الآن . قال المجلسي عليه الرحمة في المجلد السابع^(٢) من البحار ، في باب نفي السهو عنهم عليهم السلام : (إن أصحابنا الإمامية أجمعوا على عصمة الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم من الذنوب الصغيرة والكبيرة ، عمداً ، وخطأً ، ونسياناً ، قبل النبوة والإمامة وبعدهما ، بل من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله تعالى . ولم يخالف في ذلك إلا الصدوق محمد بن بابويه وشيخه ابن الوليد قدس الله سره . . . الخ) .



(١) سورة التوبة ، الآية : ٦٧ .

(٢) المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ١٧ ص ١٠٨ .

علم الحسين بشهادته

ومنهم : شيخنا الجليل الشيخ المفيد^(١) عليه الرحمة ، الذي هو من معتبري أساطين الدين ، وخرج في حقّه سبع توقيعات من الناحية المقدسة ، وفي بعضها خوطب بـ (يا أخي ، وفقك الله ، ويا أخي ، سددك الله) ، وعزّاه الحجة عجل الله تعالى فرجه بعد وفاته ، قال في بعض رسائله بعد السؤال عن الحسين عليه السلام قبل شهادته يوم الطف ، هل كان عالماً بها أم لا ؟ ما هذا مضمونه : (إنه عليه السلام كان يعلم بإخبار جدّه صلى الله عليه وآله أنه يقتل ، لكن في أي ساعة ، وأي يوم ، وأي أرض ؟ ما كان يعلم ، إذ يلزم من علمه بها إلقاء نفسه إلى التهلكة ، وقد نهى الله عنه) .

أقول : لا يخفى أن علمه عليه السلام بشهادته ، ووقتها ، وساعتها ، ويومها ، وأرضها ، من أوضح الواضحات ، وأبين البينات ، وأبده البديهيّات . والأخبار بذلك مستفيضة ، لا ينكرها إلّا من كابر عقله ، وأطلق في ميدان العناد جهله ، ونقلها والتعرض لها ، كنقل التمر إلى هجر .

(١) الشيخ المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري ، المعروف بابن المعلم والمفيد . وُلد سنة (٣٣٦هـ) ، وتوفي سنة (٤١٣هـ) . يعتبر من أبرز علماء الإمامية ، وله كتب عديدة ، من أهمها : (الإرشاد في الجرح والتعديل) ، واشتهر بتلقيه توقيعات الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه . ومن تلامذته الشيخ أبو جعفر الطوسي الملقب بشيخ الطائفة ، وأبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي المعروف بالشريف الرضي ، وأبو القاسم علي بن الحسين الموسوي المعروف بالشريف المرتضى ، وغيرهم .

وأما لزوم إلقاء النفس إلى التهلكة مع علمه ، ففيه من المفاسد ما يضيق ببيانها السطور ، ولا يضيق بكتمانها النفوس ، إذ إقدام الحسين عليه السلام على هذا الأمر العظيم ، والخطب الجسيم ، هل كان بأمر من الله أو من نفسه ؟ إن كان العياذ بالله من نفسه وتبعية هواه ، كسائر الناس صحَّ ما قال ، ولزم ما لزم من مخالفة المذهب وقبح ما يترتب ، والحال ، أن جميع حالاته ، وأفعاله ، وأقواله ، وحركاته ، وسكناته ، - الجزئي منها والكلي - بأمر الله عزَّ وجلَّ ورضاه : ﴿عِبَادُ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْـَٔقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾^(١) ، ثم أي فرق يكون بينه وسائر الناس الذي هو حجة عليهم ؟ .

وإن كان بأمر الله عزَّ وجلَّ ورضاه ، فما معنى إلقاء نفسه عليه السلام إلى التهلكة ؟ بل مع علمه بالشهادة في هذه الصورة إن لم يقدم إليها لكان إلقاء النفس إلى التهلكة ، إذ عمل بخلاف رضاه سبحانه وأمره وإذنه . مثل أن النبي أو الإمام إذا أمر أحداً من الناس بالخروج على العدو أو الجهاد ، وعدم الرجوع حتى يقتل ، هل يقال : إنه ألقي نفسه إلى التهلكة ، ويمكنه أن يخالف أمر النبي أو الإمام في القتال ، ويعتذر بأنه إلقاء النفس إلى التهلكة ، وأن الله نهاه عن ذلك بقوله : ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(٢) . فظهر : أن إقدام الحسين عليه السلام إلى الشهادة - مع علمه بها - بأمر الله سبحانه ورضاه وإرادته هو الفوز بالسعادة الأبدية ، وإن كان فيه هلاك نفسه . وعدم إقدامه - مع العلم بها - هو الهلاك والشقاوة الأبدية ، وإن كان فيه نجاة نفسه . وكذا الأمر في

(١) سورة الأنبياء ، الآيتان : ٢٦ - ٢٧ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٩٥ .

إقدام سائر الأئمة عليهم السلام إلى القتل ، وأكلهم السّم مع علمهم بهما .

وبالجملة ، قبح ما جرى به قلم الشيخ الجليل رحمه الله في جواب السؤال ، مع جلالة شأنه ، وغزارة علمه ، غير خفي على أفراد الناس ، لا سيما في هذا الزمان ، فضلاً عما تبصّر في أمر دينه ومعرفة إمامه ، فمع ذلك ما تجاسر أحد من العلماء بالطعن فيه ، ولا يليق بذلك أيضاً ، مع وجود التوقيعات الصادرة من الناحية المباركة المقدسة في حقّه ، فلا بدّ لنا من الحمل إلى المحمل الصحيح كالتسديد وغيره . كما نحمل اعتقاده رحمه الله : بعدم تقدم وجود المعصومين الأربعة عشر على آدم أبي البشر عليه السلام على ذلك فيما بعد ، فإنه توجيه صحيح ، ومحمل نفيس عند من قال : بلزوم التسديد للإمام عليه السلام في كل زمان ، ومن لم يقل به ، فليتشبث بكل حشيش في توجيه مزال أقدام الكملين ، وما تنفّس به أقلام الأساطين .



إله الجواهر والأعراض

ومنهم : علم الهدى السيد المرتضى الذي هو في جلالة قدره وعلو منزلته أجلّ من التوصيف ، وغوره في العلوم العقلية والنقلية لا يحتاج إلى التعريف ، مع ذلك يقول : (إن الله سبحانه إله للأجسام : الحيوان منها والجماد ، ولا يجوز أن يكون إله الجواهر الفرد والأعراض) ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وعبارته المحكية عن بعض رسائله هذه : (ويوصف بإله بمعنى : أن العبادة تحقّق له ، وإنّما تحقّق له العبادة ؛ لأنه القادر على

خلق الأجسام وإحيائها ، والإنعام عليها بالنعم التي يستحق بها العبادة عليها ، وهو تعالى كذلك فيما لم يزل . ولا يجوز أن يكون إلهاً للأعراض ولا للجوهر الواحد ، لاستحالة أن ينعم عليها بما يستحق العبادة . وإنما هو إله للأجسام : الحيوان منها والجماد ، لأنه تعالى قادر على أن ينعم على كل جسم بما معه يستحق العبادة^(١) انتهى .

انظر إلى صراحة كلامه في إنكار الضروري ، لتوهمات ضعيفة وخيالات نحيفة ، ليس هنا محل التعرض لها ، وبيان الصحيح من سقيمها بقوله : (ولا يجوز أن يكون إلهاً للأعراض ولا للجوهر الواحد) . إذ لا شك أن الله سبحانه إله جميع الخلق ، وما يُطلق عليه أنه مخلوق وشيء ، والجوهر الواحد والأعراض شيء قطعاً ، إذ ما ليس بشيء لا يسمّى باسم ، ولا يدرك بوجه . فمع صدور هذا الإنكار الصريح للضروري منه رحمه الله لم يطعن فيه ، وفي وثاقته أحد من الأصحاب ،

(١) تفسير التبيان للشيخ الطوسي أعلى الله تعالى مقامه . ج ١ ص ٢٧ : (الثاني : أن أصله إله ، فأدخلت عليه الألف واللام ، ثم خففت الهمزة ، وأدغمت إحدى اللامين في الأخرى ، فقبل : الله . وإله معناه يحق له العبادة ، وإنما يحق له العبادة لأنه قادر على خلق الأجسام وإحيائها ، والإنعام عليها بما يستحق به العبادة ، ولذلك يوصف فيما لم يزل بأنه إله . ولا يجوز أن يكون إلهاً للأعراض ولا للجوهر ، لاستحالة أن ينعم عليها بما يستحق به العبادة ، وهو إله الأجسام : حيوانها وجمادها ، لأنه قادر على أن ينعم على كل جسم بما معه يستحق العبادة . وليس الإله من يستحق العبادة ، لأنه لو كان كذلك لما وصف فيما لم يزل بأنه إله ، لأنه لم يفعل الإنعام الذي يستحق به العبادة . ومن قال : إنه إله للجماد فقد أخطأ ، لما قلناه من أنه عبارة عن من يستحق العبادة ، وهو أنه قادر على أصول النعم التي يستحق بها العبادة ، دون أن يكون عبارة عن من يستحق العبادة ، ولا يجوز أن يوصف بهذه الصفة غير الله) .

ولم ينسبوه إلى الخروج من الدين ، بل صرّحوا بوثاقته وجلالته شأنه ،
وليس هذا إلّا لحمل كلامه على خلاف ظاهره والمحمل الصحيح ، وإن
بقي على ظاهره لم يكن كلام أصرح منه في الكفر .

* * *

المقدور لله والمقدور للخلق

ومنهم : غواص بحار الأخبار العلامة المجلسي ملا محمد باقر
رحمه الله في رسالته الفارسية (صراط النجاة) ، قال فيها ما حاصله على
ما حكي : (إن المقدورات ثلاثة : منها ما هو مقدور لله وليس مقدوراً
للخلق ، ومنها ما هو مقدور لله وللخلق ، ومنها ما هو مقدور للخلق
وليس مقدوراً لله سبحانه) . فظاهر كلامه رحمه الله ، بل صريحه إثبات
القدرة للخلق في بعض الأشياء ، وسلبها عن الله عز وجلّ فيه ، وهذا
ظاهره خلاف ضرورة المسلمين ، وموجب للكفر المستبين ، ومع ذلك لم
ينسب إليه أحد هذا القول الشنيع والمذهب الفظيع ، حملاً لكلامه على
خلاف ظاهره ، وتوجيهه على الوجه الوجيه ، والمحمل الصحيح الموافق
للطريقة الحقّة والجادة المستقيمة ، ولم يشكّوا في وثاقته وجلالته وعظم
شأنه وعدالته .

* * *

ولا يجري عليه ما هو أجراه

ومنهم : المحقّق المدقّق ملا أحمد الأردبيلي قدس سره في حاشيته
على الحضرمي ، قال على ما حكي : بجواز التركيب العقلي على الله .

والحال ، أن التركيب من صفات الحادث بإجماع المسلمين والمليين ، فكيف يجري عليه ما هو أجراه في خلقه وأوجده بفعله ؟ (ولا يجري عليه ما هو أجراه)^(١) . فلولا حمل كلامه على خلاف ظاهره ، والوجه الصحيح منه لا ستلزم الفساد والكفر والإلحاد ، وحاشاه من ذلك ثم حاشاه ، ومع ذلك التصريح بخلاف ضرورة الإسلام . جلالة أمره في الوثاقة والعدالة عند أصحابنا العظام أعظم وأجل من التعرض في المقام .



التفويض

ومنهم : السيد علي بحر العلوم^(٢) في كتاب (البرهان القاطع) رحمه الله في المجلد الثاني منه في صفحة (٤٣٥) في آخر الصفحة ، قال : بكفر من يعتقد أن الأئمة يَخْلِقُونَ ، وَيَرْزُقُونَ ، وَيُحْيُونَ ، وَيُمِيتُونَ عموماً ، بإذن الله ، وإمداده ، ومشيتته . والحال ، أن في زماننا هذا ، من ضروريات مذهب الإمامية ، وقدرتهم على كل شيء ، بإذن الله ، وإمداده ، ومشيتته ، ولم يكفِ رحمه الله هذا ، حتى قال : بكفر قائله وكونه من الضروري ، لا حول ولا قوة إلا بالله . ونذكر ، إن شاء الله ، بداهة فساد هذا الاعتقاد في مقالة التفويض ، فانتظر . وعبارته هذه :

(١) قال الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه في خطبته : (وكيف يجري عليه ما هو أجراه) التوحيد : الصدوق . ص ٤٠ .

(٢) السيد علي بحر العلوم الطباطبائي ، حفيد السيد محمد مهدي المشهور ببحر العلوم ، وُلد حدود عام (١٢٢٤ هـ) ، وتوفي عام (١٢٩٨ هـ) ، وهو عالم إمامي معروف ، وله كتاب (البرهان القاطع) .

(ومن الكفر لإنكار الضروري أن يُدَّعى لعلي عليه السلام ، أو أحد الأئمة عليهم السلام بعض أوصاف لا تنافي التوحيد وربوبية الباري ، لكنها غير موجودة فيه بضرورة الإسلام ، كقول جماعة ممن عاصرناهم وممن سلف : بأنه الخالق أو المحيي أو المميت عموماً ، بإذن الله سبحانه ، أو بإمداده له في ذلك ، ومشيتته أو تفويضه ذلك إليه) انتهى .

ونظير هذا القول ما قاله السيد حيدر الكاظمي^(١) ، في رسالته في الفصل الثاني منها : (وأما القول بأنه تعالى خَلَقَ مُحَمَّدًا وأهل بيته ، وجعلهم يعملون كل شيء بأمره وإذنه ، فقول بما لم يعلم إلخ) .

وأعظم من ذلك ما يقوله في الفصل الثالث : من أن المعجزات الصادرة من النبي والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين كردّ الشمس ، وشقّ القمر ، وإحياء الموتى ، وغيرها من خوارق العادة ، التي كانت تظهر منهم دائماً ، ليست منهم ، ولا يتمكنون عليها ، ولو بإذن الله وإرادته أيضاً ، بل إنما هي أفعال الله عزّ وجلّ ، لكنها تظهر مقارنة في أوقات دعواتهم وإرادتهم ، مصادفة لدعواتهم ، كالتضايقات الاتفاقية يظهرها سبحانه في تلك الأوقات ، إثباتاً لدعواهم من النبوة والإمامة .

قال فيه : (وثانياً : أن الله تعالى يفعل ذلك مقارناً لإرادتهم ، كشقّ القمر ، وإحياء الموتى ، وقلب العصي حية ، وغير ذلك من المعجزات ، فإن جميع ذلك إنما يحصل بقدرته تعالى مقارناً لإرادتهم لظهور

(١) السيد حيدر بن إبراهيم الحسني البغدادي الكاظمي ، وُلد سنة (١٢٠٥هـ) وتوفي سنة (١٢٦٥هـ) . عالم إمامي من العراق ، من أهم مؤلفاته : (البارقة الحيدرية في نقض ما أبرمته الكشفية) ، و (العقائد الحيدرية في الحكمة النبوية) .

(٢) وكم في رسالته هذه من عجائب وغرائب ، مع أنه نقل في كتابه (عمدة الزائر) كثيراً =

صدقهم إلخ) (١).

انصف أيها المحبُّ الموالي ، هل يتكلم بذلك شيعي اثنا عشري ، ويعتقد به الإمامي ؟ فعلى هذا لا فرق بينهم وبين من يُستجابُّ دعاؤه من سائر الناس ، ومقتضى هذا الاعتقاد كما ترى : سلب القدرة عن مظاهر قدرة الله بالكلية ، ونقصهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها ، ونسبة التدليس إلى الله ، وإليهم ، تعالى الله وتعالوا عن ذلك علواً كبيراً . ونوضح لك فسادَه - إن شاء الله - في مقالة التفويض بالأدلة العقلية ، والنقلية الوافية ، والبيانات الشافية .



مسألة الكرّ

ومنهم : صاحب الجواهر (٢) رحمه الله في المجلد الأول منه ، في بيان مسألة الكرّ في حل الإشكال المعروف : وهو أن الإمام عليه السلام كيف يحدّد موضع الأحكام الشرعية بحدّين مختلفين ، لا توافق بينهما كالكرّ ، فإن كلاً من الوزن والمساحة اللذين حدّد الكرّ بهما مع ما فيهما من الاختلافات الكثيرة لا يوافق شيء منهما مع الآخر ، لكونه زائداً

= من الزيارات التي تنص على تفويض الأمور إلى الأئمة عليهم السلام ، ونقصد التفويض الصحيح وليس على ما يفهمه العوام من التفويض الباطل ، مثل الزيارة الجامعة الكبيرة ، والزيارة الرجبية ، وزيارة آل يس ، دع عنك مئات الأحاديث الواردة بهذا المعنى ، ليت شعري ما باله لم يلتزم بما ورد عن أئمة الهدى ومصايح الدجى عليهم السلام .

(١) شيخ الفقهاء وإمام المحققين الشيخ محمد حسن النجفي المتوفى سنة ١٢٦٦ ، وهو صاحب كتاب (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) .

بحسب المساحة منه بحسب الوزن ، وقد حكى : أنه اعتبر فوجد الوزن قريباً من ستة وثلاثين شبراً ، والمفروض أنه بحسب المساحة ما بلغ مكسره اثنين وأربعين شبراً وسبعة أثمان شبر ، وأشكل الأمر من هذه الجهة ، وتصدى رحمه الله لدفع هذا الإشكال لوجه لا يخفى فسادة على الغبي ، فضلاً عن الفطن الذكي . فإنه وجَّهه - كما ترى في عبارته - بمنع علم الإمام عليه السلام بنقص الوزن عن المساحة ، وعدم الغضاضة فيه ، لأن علمهم ليس كعلم الخالق ، يكون قدَّروه بأذهانهم الشريفة ، وأجرى الله الحكم عليه ، وهذه عبارته : (لكن قد يشكك بأنه لا داعي إلى هذا التقدير المختلف بعدم علمه بنقص الوزن عن المساحة دائماً ، مع القدرة على ضابط بغير ذلك منطبق عليه ، ويدفع أولاً : بأن دعوى علم النبي والأئمة عليهم السلام بذلك ممنوعة ، ولا غضاضة لأن علمهم عليهم السلام ليس كعلم الخالق عزَّ وجلَّ ، فقد يكون قدَّروه بأذهانهم الشريفة ، وأجرى الله الحكم عليه)^(١) انتهى .

وبالبداهة ، أن هذا القول منافٍ لأصول مذهب الإمامية ، إذ لا شك ولا ريب بينهم أن المعصومين الأربعة عشر سلام الله عليهم : يعلمون ما يشاؤون أن يعلموه ، سواء كان من الموضوعات الخارجية أم لا ، إنما الخلاف والتشاجر في أن علمهم بالأشياء هل هو حضوري أو حصولي ؟ وستعلم - إن شاء الله - في مقالة علم الله ، ومقالة علم المعصومين الأربعة عشر سلام الله عليهم ، بما لا مزيد عليه أن علمهم بالأشياء جميعاً ، سواء كانت من قبيل الموضوعات الخارجية ، أو غيرها بطور الحضور

(١) جواهر الكلام : محمد حسن النجفي . ج ١ ص ١٨٤ .

والإحاطة والعيان ، بأدلة واضحة شافية وبيانات كافية ، كما أثبتناه في سائر الرسائل والمصنفات ، ولا شك ولا ريب أيضاً عند الإمامية في علمهم عليهم السلام بجميع أحكام الشريعة جزئية وكلية ، وإنما الخلاف في علمهم بالموضوعات الخارجية ، والحق علمهم بها أيضاً ، كالأحكام الشرعية بلا تفاوت بينهما ، والكُرّ وإن كان من الموضوعات لا الأحكام ، لكنه لما كان من الموضوعات المستنبطة التي بيانها راجع إلى الإمام لا العرف ، وكان مما يختلف باختلافه الحكم الشرعي المرتب عليه ، كان الخطأ فيه خطأ في الحكم الشرعي حقيقة ، ومنافيا لعصمتهم ، كمنافاته لها في الحكم الشرعي بلا فرق ، ثم على فرض خطئه في الموضوع المستنبط ، وأنه كالموضوع الخارجي على زعمه وتوهمه ، وأن يلزم ما يلزم من الفساد وعدم العصمة ، فلا معنى للتوجيه المذكور في المقام بما يزلزل عرش الرحمن ، ويفطر السماوات ، ويهدّد الجبال الراسيات ، إذ اعتبار الكُرّ ليس من المطالب النظرية والأمر الخفية ، حتى يقع فيها الخطأ والغفلة . وبالجمله ، إن كان ما ذكره الإمام عليه السلام في تحديد الكُرّ عن خبرة واطلاع على حقائقه ودقائقه كما هو الحق الحقيق ، وشأن الولي الشفيق ، فلا معنى للخطأ والغفلة ، ولا وجه له بوجه ، وإن كان - والعياذ بالله - عن حدس وخرص كما هو الظاهر من الكلام واللائح من المقام ، فمنافاته للعصمة والإمامة غير خفي على الخاص والعام . والخطب الأعظم ما ذكره من تقرير الله سبحانه إياهم على هذا الخطأ ، وإجرائه الحكم عليه .

(١) الشيخ مرتضى بن محمد أمين بن مرتضى بن شمس الدين بن محمد شريف الأنصاري (١٢١٤هـ - ١٢٨١هـ) ، من كبار علماء الإمامية يلقب بالشيخ الأعظم ينتهي نسبه إلى =

ما أحسن في الجواب وأوضح في الخطاب ، العالم الرباني ، شيخنا الشيخ المرتضى الأنصاري^(١) عطر رmse في كتاب الطهارة ، حيث قال : (وفيه ما لا يخفى ، فإنّ هذا يرجع إلى نسبة الغفلة في الأحكام الشرعية ، بل الجهل المركب إليهم ، وتقرير الله سبحانه إياهم على هذا الخطأ ، تعالى وتعالوا عن ذلك علواً كبيراً) انتهى .

الحاصل ، منافاة صدور هذا الكلام في هذا المقام المنافي لضرورة مذهب الإمامية لجلالة هذا الشيخ الجليل ، وغوره في العلم ، وطول باعه في العلم واضح بيّن ، فلا بدّ لنا من المحمل الصحيح ، أو الحمل على زلل الأقدام واشتباه الأوهام . ثم لا بأس أن نتعرض لدفع الإشكال المذكور بأجوبة نافعة مفيدة ، وإن كان مخرج بها عن النظام ، ولم يكن لها ربط للمقام ، لكن لما كان الإشكال مما كثر فيه القيل والقال ، ومطرحاً لأنظار الفحول في المقال ، أعجبني حله وبيانه ، وتوضيحه وتبينه ، صوناً لاختلاف الأخبار والآثار عن شبه الأفكار والأنظار .

الجواب الأول : اعلم أنه يمكن دفع الإشكال ، ورفع الاختلاف الظاهر بين الأخبار ، على ما هو المختار من تبعية الأحكام لما في أنفسها من المصالح ، بأن يقال : إن الغرض من هذه الأخبار المختلفة في البين ، ليس بيان أمر معين في الواقع ، بل إنما الغرض هو تعبّد الناس والمكلفين بما جعله الشارع ، وبعبارة أخرى : إن موضوع الحكم بعد الانفعال ليس المقدار المعين في الواقع بل الشارع ، إنما حكم بعدم انفعال كل واحد من

= جابر بن عبد الله الأنصاري . وُلد في محافظة ديزفول محافظة خوزستان ، غرب إيران ، واستقر في النجف الأشرف ، استلم زعامة المرجعية الشيعية عام ١٢٦٦ هـ من مؤلفاته : (المكاسب المحرمة) ، و (فرائد الأصول) و (الاجتهاد والتقليد) ، وغيرها .

هذه المقادير ، وخير المكلفين بين الأخذ بكل منها من باب التسليم ، فيكون متعدداً . بمعنى أنه إذا أخذ الشخص بواحد من تلك التقديرات ، وعمل بمقتضاه من باب التسليم ، يكون هو الواقع بالنسبة إليه ، والظاهر أنه إلى ما ذكرنا ، ينظر ويرجع ما اختاره ابن طاوس^(١) قدس سره فيما حكى عنه من التخيير بين الروايات في هذه المسألة .

الجواب الثاني : هو أن للشارع أن يجعل طريقاً واحداً لما هو موضوع لحكمه في الواقع ، ويجعل حكمه دائراً مدار هذا الطريق والحد ، وإن تخلف عن الواقع لما في نظره من المصلحة من حفظ الحمى وغيره ، كما هو الحال في تحديده الحيض بأنه لا يكون أقل من ثلاثة أيام ، ولا أكثر من عشرة أيام ، مع أن الحيض الذي هو موضوع الأحكام خاصة : هو الحالة العارضة للمرأة في الواقع ، وتخلفها عن هذا الحد : قلة وكثرة غير مستبعد ، وكذا تحديده البلوغ بخمس عشرة سنة مثلاً ، مع أن المناط في تعلّق التكليف على الشخص ، إنما هو بلوغه حد الكمال الذي يمكن تخلفه عن هذا الحدّ تقدماً وتأخراً ، وكذا في تحديد غير ذلك .

والحاصل ، أن متعلّق الحكم إذا كان أمراً واقعياً يختلف حاله ، ولا يكون له جهة انضباط في الواقع ، فللشارع - رعاية للحمى - أن يحدّده

(١) السيد رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد الطاووس العلوي الحسني . وُلِدَ في الخامس من محرم سنة ٥٨٩ هـ ، وتوفي في الخامس من ذي القعدة سنة ٦٦٤ هـ . تولى نقابة العلويين سنة ٦٦١ هـ واستمرت النقابة في عقبه ، تلميذ العلامة الحلبي ، من مصنفاته : (أمل الآمل) ، و(معجم رجال الحديث) وغيرها .

بما هو أقرب إليه في نظره ، وعلى هذا ، ففي المقام يمكن أن يكون متعلّق حكم الاعتصام مقداراً معيناً من الماء ، لكن لم يكن له ضابط بحسب الوزن ، لشدة اختلافه ثقلاً وخفّةً ، أو لم يكن اعتباره بالوزن في أغلب الأوقات لأغلب الناس ، فحدّده الشارع بالمساحة ، وجعل ذلك طريقاً لمعرفة العاصم وضابطاً له ، وإن كان مختلفاً عنه ، وليس ذلك حكماً ظاهرياً ، حتى يرفع اليد عنه عند كشف الخلاف ، بل هو حكم واقعي بعد جعله ، وإن كان الملحوظ فيه هو الواقع لكونه تحديداً له ، ويُستكشف الحال بالتأمل فيما ذكرناه من شأن الحيض ، والبلوغ ، وغيرهما ، فتدبر جيداً .

الجواب الثالث : إن العاصم - وهو الأقل - هو الجامع بين هذه التقادير ، ولما كان عادة الناس غالباً التسامح في اعتبار المقادير ، أخذ الشارع بالاحتياط في مقام التحديد ، وتركه في مقام آخر لما رآه من اختلاف المقامات ، فهذه وجوه ثلاثة يمكن دفع الإشكال بكل واحد منها .

الجواب الرابع : وهو الأدق والأوجه من الكل . أن العاصم في نظر الشارع كل واحد من الجهتين في الماء : الوزن والحجم ، لأن الوزن المذكور في الأخبار تحديد للمكيال ، فإن تحديد المكيال بالوزن لا معنى له لاختلاف المياه بالثقل والخفة ، فهو شاهد على أن الغرض تحديد العاصم ، وتسمية هذا العاصم بالكرّ شرعية لا عرفية . توضيح ذلك : إن الأخبار ليست في مقام تحديد الموضوع العرفي الواقعي ، وهو الكرّ الذي كان مكيالاً لأهل العراق ، بل ليس موضوع حكم الشارع هو ذلك الكرّ العرفي ، بل الموضوع هو الكرّ الشرعي الذي يتحقّق بأحد من

الأمرين : الوزن والحجم ، فكل منهما عاصم مستقل ، لا يتوقف تحققه على الآخر ، فلا تنافي بين أخبار الوزن وأخبار المساحة ؛ لأن كلاً منهما يبين عاصماً مستقلاً ، وليس النظر فيهما تحديد شيء متحد هو العاصم في الواقع ؛ حتى يجيء التنافي بينهما من جهة اختلاف الحدين بالاعتبار . فإن قلت : إن ما عليه المحققون من أهل المعقول ، عدم وجود الجسم التعليمي في الخارج الذي هو عبارة عن الأبعاد الثلاثة ، وهي : الطول ، والعرض ، والعمق ، حيث إنهم عرفوا الجسم الطبيعي بما يمكن أن يفرض فيه خطوط ثلاثة متقاطعة على زوايا قوائم ، أحدها : خط الطول ، والثاني : خط العرض ، والثالث : خط العمق . والخط هو طرف السطح ، وهو طرف الجسم ، ومن المعلوم عندهم أنه لا وجود للخط والسطح في الخارج ، فالجسم التعليمي الذي هو عبارة عن الخطوط الثلاثة لا وجود له ، بل هو مجرد فرض واعتبار في الجسم الطبيعي ، وحيث إنه أمر معدوم ، فكيف يمكن أن يُجعل موضوعاً للأحكام الشرعية ؟ قلت : إن كون الخط والسطح أمراً معدوماً غير موجود في الخارج - على كلامهم - وفرض صحته لا يستلزم عدم وجود الأبعاد ، إذ هي ليست خارجة عن الجسم الطبيعي ، وإنما هي حدود لوجوده ، فإن الجسم الطبيعي بتلك الأبعاد يتقدّر ويتشخّص ، فهو عين الجسم الطبيعي باعتبار ، ولذا ، يزداد بزيادة أبعاده ، وينقص بنقصانها . وبالجمله ، فالكمية الحاصلة في الجسم المحددة بالأبعاد ، إنما هي ذات الجسم ، والأبعاد مقدرات لها ومحددات لذات الجسم ، وكونها أمراً اعتبارياً لا ينافي وجودها في الخارج ، وإن كان الحق الحقيق كما حقق في محله وجود الأمور الاعتبارية وجوداً متأصلاً ، وعدم كونها عدمي لا يدرك بوجه من الوجوه ، بل خلطوا في المقام ، وسَمّوا الوجودي

عدمياً ، فافهم وتدبر فيما ذكرناه من الأجوبة من الاشكال المذكورة .



خلود أهل النار

ومنهم : الحكيم ملا صدرا الشيرازي رحمه الله في كتابه الأسفار ، قال بعدم خلود أهل النار في العذاب ، بل صرَّح بتألمهم وعذابهم في النار مقدارَ عمرهم في الشرك والكفر عقوبةً وجزاءً ، ثم بتلذذهم وتنعمهم فيها كتلذذ الجعل بالريح النتن والقاذورات وتنعمه بها ، بل بتألمهم إذا خرجوا من النار ودخلوا الجنة لحصول خلاف طبيعتهم ، كتألم الجعل برائحة العطر ، والريح الطيب . وقال : إن المراد من الخلود في النار هو الخلود فيها من دون عذاب ، لا الخلود في العذاب ، واستشهد بكلام محيي الدين ابن عربي وغيره . ومخالفة هذا الاعتقاد لصريح الآيات ، والأخبار ، وضرورة المذهب ، لا تحتاج إلى البيان وإقامة البرهان ، بل هي أوضح من أن تستبان .

قال رحمه الله في آخر كتاب الأسفار قبل التمام بستة فصول : فصل في كيفية خلود أهل النار في النار : هذه المسألة عريضة ، وهي موضع خلاف بين العلماء الرسوم وعلماء الكشوف ، وكذا موضع خلاف بين أهل الكشف ، هل يسرمدُ العذاب على أهل النار الذين هم من أهل النار ، الذين هم من أهلها إلى ما لا نهاية له ، أو يكون لهم نعيم بدار الشقاء ، فينتهي إلى العذاب فيهم إلى أجل مسمى ؟ مع اتفاقهم على عدم خروج الكفار منها ، وأنهم ماكثون فيها إلى ما لا نهاية له ، فإن لكل من الدارين عماراً ، ولكل منهما ملائماً .

اعلم أن الأصول دالة على أن القسر لا يدوم على طبيعة ، وأن لكل موجود من الموجودات الطبيعية غاية ينتهي إليها وقتاً ، وهي خيره وكماله ، إلى أن قال : فَعَلِمَ أن الأشياء كلها طالبة لذاتها للحق ، مشتاقة إلى لقائه بالذات ، وأن العداوة والكراهة طارئة بالعرض ، فمن أحب لقاء الله بالذات ، أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله بالعرض لأجل مرض طارئ على نفسه ، كره الله لقاءه بالعرض ، فيعذبه مدة ، حتى يبرأ من مرضه ، ويعود إلى فطرته الأولى ، أو يعتاد بهذه الكيفية المرضية زال ألمه وعذابه لحصول اليأس ، ويحصل له فطرة أخرى . إلى أن استشهد بكلام ابن العربي وقال : قال الشيخ الأعرابي في الفتوحات : يدخل أهل الدارين : فيهما السعداء بفضل الله ، وأهل النار بعدل الله ، وينزلون فيهما بالأعمال ، ويخلدون فيهما بالنيات ، فيأخذ الألم جزاء العقوبة موازياً لمدة العمر في الشرك في الدنيا ، فإذا فرغ الأمد جعل لهم نعيماً في الدار التي يخلدون ، بحيث إنهم لو دخلوا الجنة تألموا لعدم موافقة الطبع الذي جبلوا عليه ، فهم يتلذذون بما هم فيه من نار وزمهرير ، وما فيها من لدغ الحيات والعقارب ، كما يتلذذ أهل الجنة بالظلال ، والنور ، ولثم الحسان من الحور ، لأن طبائعهم تقتضي ذلك . ألا ترى الجعل على طبيعته يتضرر بريح الورد ويلتذ بالنتن ، والمحروور من الإنسان يتألم من ريح المسك . فاللذات تابعة للملائم ، والآلام تابعة

(١) هو داود بن محمود بن محمد الرومي القيصري ، المتوفى سنة ٧٥١هـ وهو من فلاسفة المسلمين ، له كتاب (شرح فصوص الحكم) لابن عربي . وُلِدَ سنة (١٢٦٠م - ٦٥٨هـ) في مدينة قيصرية في أناضولي ، قرأ العلوم العقلية والدينية على سراج الدين بن أبي بكر الأموي (٥٩٤ - ٦٨٢هـ) .

لعدمه . إلى أن قال بعد أسطر : قال القيصري^(١) في شرح الفصوص :
واعلم أن من اكتحلت عينه بنور الحق يعلم أن العالم بأسره عباد الله ،
وليس لهم وجود ، وصفة ، وفعل ، إلا بالله وحوله وقوته ، وكلهم
محتاجون إلى رحمته ، وهو الرحمن الرحيم ، ومن شأن من هو موصوف
بهذه الصفات أن لا يعذب أحداً عذاباً أبداً ، وليس ذلك المقدار أيضاً ،
إلا لأجل إيصالهم إلى كمالهم المقدر لهم ، كما يذاب الذهب والفضة
بالنار ، لأجل الخلاص مما يكدره وينقص عياره ، فهو متضمن لعين
اللفظ كما قيل :

وَنُعَذِّبُكُمْ عَذْبٌ وَسَخَطُكُمْ رِضَى
وَقَطْعُكُمْ وَضَلٌ وَجَوْرُكُمْ عَذْلٌ

ثم قال بعد نقل هذه الكلمات : فإن قلت : هذه الأقوال الدالة على
انقطاع العذاب عن أهل النار ، تنافي ما ذكرته سابقاً من دوام الألم عليهم
قلنا : لا نسلم المنافاة ، إذ لا منافاة بين عدم انقطاع العذاب من أهل
النار أبداً ، وبين انقطاعه عن كل واحد منهم في وقت . . . الخ . وتبعه
في هذا القول تلميذه الأرشد وصهره ملا محسن الفيض في كتابه (عين
اليقين) ، حيث قال : إن الألم - عقلياً كان أو حسيّاً - لا بدّ أن يزول ، أو
يؤول إلى النعيم ، فإن القسر لا يدوم . . . الخ .

(١) محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائفي الأندلسي ، أحد أشهر
المتصوفين . لقبه أتباعه بـ «الشيخ الأكبر» ، وإليه تنسب الطريقة الأكبرية الصوفية . وُلد
في مرسيلية في الأندلس عام ٥٥٨هـ ، وتوفي في دمشق عام ٦٣٨هـ ، ودفن في سفح جبل
قاسيون . من أشهر كتبه : (الفتوحات المكية) و (فصوص الحكم) .

(٢) البسطامي ، أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي . من أعلام التصوف في =

واعلم أن هذا الاعتقاد المخالف لضرورة المذهب ، معتقد غالب أهل التصوف ، كابن عربي^(١) ، والقيصري ، والبسطامي^(٢) ، وابن عطاء الله^(٣) ، وعبدالكريم الجيلاني^(٤) ، ونظائرهم ، ومنشؤه الأدلة الواهية ، لا بأس أن نشير إلى عمدتها .



خلود أهل النار

والجواب عنها كنساً لغبار أوهام الضعفاء . أحدها : إن الله عدل لا يجور ، ولا يصدر منه القبيح كالظلم والجور ، ومقتضى عدالته سبحانه أن العاصي له إذا عصى في دار الدنيا مقدراً معيناً : أن يعذبه في الجحيم ذلك المقدار ، ولا يزيد في عذابه على مدة عصيانه ، ولو زاد عليها كان ظالماً والظلم قبيح قطعاً . والجواب إن الله لا يظلم أحداً من عباده ، ولكنهم أنفسهم يظلمون .

وأما خلود أهل النار فيها - مع عصيانهم مقدار أعمارهم القصيرة - فبمقتضى نياتهم ، لأن نياتهم الدوام على المعصية والكفر ، لو بقوا ببقاء

= القرن الثالث الهجري ، يلقب بسلطان العارفين ، اسمه الفارسي «بايزيد» ، وُلد سنة ١٨٨هـ وتوفي سنة ٢٦١هـ عرف بشطحاته .

(١) ابن عطاء الله ، أحمد بن محمد بن عبد الكريم الجذامي السكندري ، صوفي مالكي شاذلي ، وهو أحد أركان الطريقة الشاذلية . وُلد سنة (٦٥٨هـ) ، وتوفي سنة (٧٠٩هـ) . له كتب عديدة ، منها : (الحكم العطائية) ، و (مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح في ذكر الله الكريم الفتاح) .

(٢) عبد الكريم الجيلاني ، هو حفيد الشيخ عبد القادر الجيلاني الصوفي المعروف .

الدهر ، كما أن نيات أهل الجنة هو ذلك ، وهو السرُّ في خلودهم فيها . ولا شك ولا ريب أن الثواب والعقاب على النيات ، والجوارح والأعضاء كاشفة عن حسنها وقبحها وترجمان لها ، ولذا ، ورد عنهم عليهم السلام أن الحجة ابن الحسن عجل الله تعالى فرجه إذا ظهر يقتل كل من رضي بقتل الحسين عليه السلام ، ورضي بأفعال قاتليه قصاصاً ، وليس ذلك إلّا لمساواة نياتهم لنيات قاتليه عليه السلام . فظهر أن العمدة في الأعمال وروحها هي النية ، وبها يعاقب الله سبحانه عباده ويشيبهم ، والجوارح والأعضاء إنما هي آلات وأسباب لإجراء حكمها وإنفاذ أمرها . فخلود أهل الجنة والنار لنياتهما على دوام الطاعة أو المعصية لو بقوا ببقاء الدهر ، لا للطاعة والمعصية مقداراً معلوماً ، وإلا كان كما قالوا ، وليس كما قالوا لما ورد عنهم عليهم السلام^(١) .

أيضاً : إنما خلد أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بنياتهم ، وأما ما ورد أن نية المعصية لم تكتب معصية ، فذلك إذا نواها ، وتمكن من فعلها ، ولم يفعلها ، وأما إذا نواها ، ولم يتمكن من فعلها لمانع مع عزمه على فعلها ، فإنه يؤاخذ بها ، وكان كمن فعلها . ويشهد بذلك فعل

(١) عن أحمد بن يونس ، عن أبي هاشم ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الخلود في الجنة والنار ؟ ، فقال : (إنما خلد أهل النار في النار لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً ، وإنما خلد أهل الجنة في الجنة لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً ، فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ [الإسراء : ٨٤] أي على نيته . بحار الأنوار ، ج ٦٧ ص ٢٠١ . الكليني : الكافي . ط ٤ ، ١٣٦٥ ش ، ج ٢ ص ٨٥ .

الحجة عجل الله تعالى فرجه عند ظهوره بقاتلي الحسين عليه السلام ، ومن رضي بفعلهم ، وما ورد ما معناه : (أن رجلاً لو قتل رجلاً في المشرق ، ورضي رجل بذلك في المغرب كان شريكاً في دمه ويؤاخذ به^(١)) . فتبين أن مدار الثواب والعقاب هو النية لا الطاعة أو المعصية مقداراً معلوماً حتى يعذب أهل النار فيها ذلك المقدار ، ثم يبدل العذاب بعده إلى التنعم والتلذذ فيها .

وثانياً : أن العاصي إذا طال مكثه في الجحيم ، كانت طبيعته ملائمة لطبيعة النار ، فكان معتاداً بها فتلتذذ بالعذاب ، كالجمرة فإنها كانت خشبة ، فأثرت فيها النار ، وأحرقتها حتى كانت من نوعها ، فأنتست بها ، بحيث لو أتاها ما ينافي النار والإحراق كالماء أطفأها وأفسدها . وكذلك أهل النار بعد تطاول الدهور ، وانقلاب طبائعهم كطبيعة أهل النار ، لو دخلوا الجنة تألموا منها وأضررت بهم ، كما تضر النار أهل الجنة لو كانوا فيها .

والجواب : إن طبيعتهم إذا لاءمت طبيعة أهل النار ، وكانت موافقة لها خرجوا عن كونهم هم ، وكانوا بعضاً وجزءاً من النار ومن جنسها ، كالكلب إذا وقع في عين الملح ، وصار ملحاً بتطاول الدهور ، لا يقال إنه كلب ، بل يقال إنه ملح وبعض منه ، لكنه في صورة الكلب ، وكذلك أهل النار من بعد مكثهم مدة فيها ، لا يقال : إنهم هم على مدعاهم كما

(١) قال صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين : (لو أن رجلاً قتل بالمشرك وآخر رضي بالمغرب كان كمن قتله واشترك « وشرك » في دمه) . النيسابوري : روضة الواعظين . ص ٤٦١ . بحار الأنوار . ج ١٠١ ص ٣٨٤ .

يظهر من تمثيلهم بالجمرة ، بل يقال : إنهم جزء وبعض من النار ، وإن كانوا في صورتهم ، كما أن الخشبة بعد كونها جمرة تكون بعض النار وجزئها ، والحال ، أن مدعاهم أن يبقوا على ما هم عليه مما تركبوا منه من المادة والصورة ، ولا يتغير جنسهم بغيره ، فإذا كانوا كذلك ، فكيف تلائم طبائعهم طبيعة النار ؟ وكيف يلتذون بالنار ، ولا يتأذون منها ولا تضرهم ؟

وثالثها : قوله تعالى : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(١) ، ومقتضى سعة الرحمة أن لا يخلدوا في النار ، ولا يعذبوا فيها ، إلا مقدار معصيتهم .

والجواب ، أولاً : إن مقتضاها - على ما يزعمون - أن لا يصيب أحداً مكروه في دار الدنيا أيضاً ، والأمر خلاف وجداناً .

وثانياً : إن الرحمة لها قسمان : فضل ، وعدل ، فتسع المؤمنين وتشملهم بالأول : وهو الرحمة المكتوبة ، كما في قوله سبحانه : ﴿فَسَاكُتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾^(٢) . وتسع الكفار والمنافقين بالثاني : وهو العدل .

ورابعها : أن أهل النار خلقوا منها ، والشيء لا يحرق نفسه ، ولا يؤثر فيه .

والجواب : أن أهل النار ، وإن كانوا خلقوا منها ، لكن ليسوا بعضاً منها ، فتأكلهم النار . كما أن الإنسان خلق من التراب ، وليس بعضاً

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٥٦ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٥٦ .

منه ، فيأكله التراب ويبلّيه ، ويفتّت أعضائه ، والشيء لا يؤثر في نفسه ولا يحرقه ، إذا كان بعضاً وجزءاً منه ، وقد أثبتنا سابقاً خلافه ، وهو أن أهل النار ليسوا ببعضها ولا جزئها ، بل هم ممتازون منها بمميزاتهم من المادة والصورة ، وإن كانوا خلقوا منها ، ثم إن الدليل الدال على تألمهم أول دخولهم في النار أيضاً ، دالٌّ على تألمهم وعذابهم فيها آخر ، فلا اختصاص له بالأول ، وأدلة الكتاب والسنة مصّرحه بدوام تألمهم ما داموا فيها ، وخلودهم فيها أبداً ، ولا حاجة إلى كثرة القول والقليل أزيد مما ذكر من نقض الدليل .

وبالجملة ، لسنا في صدد نقل ما صدر من بعض أصحابنا رضوان الله عليهم من الهفوات ، وإثبات ما جرى به أقلامهم من الاشتباهات ، بل المقصود الأهم هو بيان أن الأصحاب مع صدور هذه الاعتقادات من بعضهم ، المخالفة لضرورة المذهب أو الدين ، لم يقدحوا في عدالتهم ، ولم يطعنوا في وثاقتهم ، فضلاً عن الحكم بكفرهم وضاللتهم .

وإن أردنا التعرض لأمثال هذه الاشتباهات مفصّلاً ، وإحصائها مهما أمكن نقلاً ، لخرجنا عن النظام إلى تطويل الكلام في المقام ، واحتجنا إلى تغيير وضع الكتاب ، وتبديل أسلوب الخطاب ، ولقد كفانا هذا المقدار من البيان في إثبات ما نحن بصدد الآن ، من إيضاح أن في كلمات كثير من أساطين الدين ، وحاملين شريعة سيد المرسلين ، وآثار أئمتنا الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ، ظواهر كثيرة لو أبقيناها على ما هي عليها من الظهور ، ولم نحملها على محمل صحيح ، ووجه مليح ، للزم الكفر الصريح ، والمذهب القبيح ، كما فعله الأصحاب من الحمل على الحق والصواب .

ليت شعري ، ما السبب في عدم توجيه بعض كلمات الشيخ الأوحد الأحسائي المجملة في أنظارهم ، والمبهمة بحسب أفهامهم ، عند قطع النظر عن السابق واللاحق ، والقرائن المتصلة والمنفصلة ، وعدم حملها على المحمل الصحيح ، كما حملوا تلك الكلمات الصادرة عن بعض الأصحاب بلا توقف وارتياب ، ولا تأمل واضطراب ، بل تكلموا فيه بما يليق ، وسَطَّروا عليه ما ليس هو به حقيق ، لا حكم إلا لله ، والحاكم الفاصل هو الله .



الفصل السابع

الخرق والالتئام

إياك ثم إياك أن تتوهم من الكلمات المنقولة للشيخ الأوحـد الأحسائي أعلى الله مقامه أنه يقول بامتناع الخرق والالتئام^(١) في الأفلاك ، ولذا يقول في معراجه صلى الله عليه وآله أنه صلى الله عليه وآله ألقى عناصر الثقلية والجمود في كراتها وعرج ، ولما نزل ألحقها بنفسها ، وأخذها من تلك الكرات . إذ هو أعلى الله مقامه وجميع تلامذته وتابعيه صرّحوا على أنه صلى الله عليه وآله عرّج بجسمه الشريف ، وعمامته ، وعبائه ، ونعليه إلى تمام الأفلاك ، وخرقها إلى أن وصل إلى العرش ، وأن امتناع الخرق والالتئام من جملة عقائد الزنادقة والملحدّين ، ثم إن القادر المتعالي ، كما عرّج به صلى الله عليه وآله في زمان قليل ومدة قليلة إلى السماوات ، وسيره في تمام عوالم الإمكان ، كذلك قادر على رتق الأفلاك وفتقها ، بحيث لا يلزم منه الخلل في نظام العالم وسير الأفلاك . على أن الأدلة القاطعة والبراهين اللامعة دلّت على جواز الخرق والالتئام ووقوعهما ، فلا نبالي إذن بقول الفلاسفة الزنادقة ، وأوهامهم الضعيفة السخيفة . وقضية ردّ الشمس ليوشع بن نون ، وسليمان بن داود ، ونبينا وأمير المؤمنين مرتين أو مراراً عديدة ،

(١) جوامع الكلم ج ١ ص ٢٥ .

وشقَّ القمر لنبينا صلى الله عليه وآله ، وعروج إدريس عليه السلام بجسمه ، وعيسى عليه السلام بجسمه الشريف مشهورة ، وفي كتب أصحابنا مدونة معروفة ، قال الشيخ الأوحدي في شرحه على العرشية في مقام ردِّ الاعتراض السابع لمنكري حشر الأجساد : الحاصل ، ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ! ثم على كل حال ، ما معنى المنع من تداخل الأجسام ، والمنع من الخرق والالتئام^(١) ، والملائكة والشياطين تخرق السماوات ، وسيدنا محمد صلى الله عليه وآله صعد إلى السماء بجسمه الشريف ، بثيابه ، وعمامته ، ونعليه ، وإدريس رفعه بجسمه إلى السماء ، وعيسى رفعه الله إليه بجسمه ، وعِصِي السحرة وحبالهم - قدر سبعين حمل بغل أو أكثر - تلقفها عصا موسى عليه السلام وأخذها ، فكانت على هيئتها لم تعظم قدر ذرة ، وصورتا سبعين ، اللتان في مسند المأمون لما أمرهما الرضا عليه السلام قاما سبعين فافترسا خادم المأمون لعهما الله لما شتم الرضا عليه السلام ، ثم أمر الأسدتين ، فرجعا صورتين في مسند المأمون كما كانتا أولاً ، وصورة السبع التي كانت في مسند المتوكل ، فقال له : لو رجعت من الصورة ، فقال عليه السلام : لو رجعت عِصِي السحرة من عصا موسى عليه السلام لرجع^(٢) . والشمس رجعت ليوشع بن نون في قتال الجبارين بعد غروبها ، وردَّت لعلي بن أبي طالب في مرض رسول الله صلى الله عليه وآله بعد الغروب ، وردَّت له

(١) شرح العرشية ج ٢ ، ص ٣٨٨ - ٣٨٩ .

(٢) الصدوق : عيون أخبار الرضا عليه السلام . ج ٢ ، ص ١٨٣ ورد أيضاً :

ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب . ج ٣ ، ص ٤٧٨ .

أيضاً عند الحِلَّة ، والآن ، مكانه حين ردت له ، قد بنيت فيه منارة وهي معروفة ، وانشقَّ القمر لرسول الله صلى الله عليه وآله فأين امتناع تداخل الأجسام ؟ وأين امتناع الخرق والالتئام ؟ ... الخ . فهل بهذه التصريحات ، وما سبق منها في الفصول السابقة يمكن لأحد نسبة القول بامتناع الخرق والالتئام إليه قدس الله سره ؟ إن هي إلا كنسبة البخل إلى حاتم ، وقبح الصورة إلى يوسف .

فظهر أن توهم ملا جعفر الإسترابادي في رسالته (حياة الأرواح) ، والفاضل المعاصر المرحوم في رسالته في تلك النسبة ، توهم ناشئ من عدم الاطلاع على كلماته في كتبه ومصنفاته ، وتبين أن جوابه السابق في العبارة المنقولة في الفصل الأول إنما كان منه في قبال من يقول : بامتناع الخرق والالتئام ، المستلزم في نظرهم عدم العروج الجسماني . يعني : أراد أن يقول في قبالهم : إنه يمكن أن نقول بعروجه صلى الله عليه وآله بجسمه الشريف ، بحيث لا يلزم منه خرق ولا التئام بهذا الطريق ، وهو أن جسمه الشريف وجسده اللطيف علّة وجود الأفلاك ، والطف من محدب العرش بسبعين مرتبة ، كما هو شأن العلة بالنسبة إلى معلوله ، وهو صلى الله عليه وآله عند وصوله إلى كل جزء من الأفلاك كان ذلك الجزء فانياً ومستهلكاً لديه ، لشدة نور جسده الشريف ، كفناء النور عند ظهور منيره ، وكان يقوم جسمه الشريف مقام ذلك الجزء الفاني في إيصال الفيض إلى السفليات ، وكلما مرّ عنه وتجاوز ، رجع ما فني من ذلك الجزء ، بحيث لا يلزم خرق ولا التئام .

ولا بأس أن ننقل عبارته بطولها ، قال في (الرسالة القطيفية) بعد العبارة المنقولة منها في الفصل الأول : (وأما معرفة الأفاعيل الإلهية ،

فلأنه إنما تَوَهُّمُ مَنْ تَوَهُّمَ من جهة أن العالم على وضع واحد ، لو اختل
 اختل النظام ، فإذا خرق حصل حال مروره فرجة بانحباس الأجزاء
 المختلفة ، فإذا وقفت وقف جميع الفلك ، على أنه لا فرجة فيه ، ولا
 يمكن تخلل أجزائه ، ولا تلزها ، فأين تذهب أجزاء الفرجة المفروضة ؟
 ومع هذا كله فيلزم فساد النظام . والالتئام إنما يكون بانبساط الأجزاء إلى
 الفرجة ، ولا يكون ذلك إلا مع التخلل والترقق ، ولا يمكن فيه ذلك
 وأمثال ذلك ، وهذا جار على حسب أفاعيل العباد ، وأما الأفاعيل
 الإلهية على تقدير تسليم امتناع الخرق والالتئام ، فنقول : على ظاهر
 العبارة ، أن المعراج معجز للنبي صلى الله عليه وآله ، والمعجز يجري فيه
 ما لا يجري في العادة وفيما تعرفه الناس ، فيجوز أن تكون الأجزاء التي
 كانت بقدر جسمه الشريف حال مروره ، فنيت في بقاء جسمه ، كما فنيت
 الحبال والعصي في جسم عصا موسى عليه السلام ، وكان جسمه
 الشريف قائماً مقامها في إمداد العالم السفلي ، من أحكام الحياة في
 سماء الدنيا ، والفكر في الثانية ، والخيال في الثالثة ، والوجود في
 الرابعة ، والوهم في الخامسة ، والعلم في السادسة ، والعقل في
 السابعة ، والصورة في الثامنة ، والتسخير في التقدير في التاسعة ، بحيث
 لا تفقد قوة منها ، لأن جسده هو علة هذه ، في هذه الأسباب ، فهو
 أقوى منها قطعاً ، وكلما تعدى شيئاً رجع ما فني منه ، بحيث لا يحصل
 خرق ولا التئام^(١) . (الخ) . فظهر أن توهمها في غير محله ، بل هو
 ناشئ من عدم الاطلاع ، وأن عبارته قبل هذه وجوابه عن المعراج كان

(١) جوامع الكلم ج ٩ ص ٣٥٧ - ٣٥٨ .

في قبال قول الفلاسفة ، لا أنه أعلى الله مقامه يقول به ، كما توهم من توهم ، ثم إن كان كما يقولون فما معنى عباراته المنقولة قبل هذه ؟ وقوله في هذه : على تقدير تسليم امتناع الخرق والالتئام . . . الخ ؟ عصمنا الله من زلل الأقدام في مزالّ الأقدام ، وخطل الأوهام في كل مقام .



الفصل الثامن

المعراج في رأي كريم خان وابنه

فالذي يظهر من عبارات الحاج محمد كريم خان رحمه الله في كتابه (إرشاد العوام) وغيره : أن معراج النبي صلى الله عليه وآله ما كان بجسده الشريف الظاهري المحسوس الدنيوي ، بل كان بجسمه الأصلي ، إذ ذكرنا سابقاً في مسألة المعاد أنه يقول : إن هذا المحسوس الدنيوي كله عرض حوى ذلك الأصلي ، واعتراه كحواية الصندوق لما فيه ، والمقصود من الصندوق هو ما فيه ، لا هو نفسه مع ما فيه ، وهذا يقتضي أن المعراج كان بجسمه الأصلي ، لا بالعرضي الذي هو المحسوس الدنيوي عنده ، وهو كالصندوق للأصلي ، إذ هو يصرّح بأن ظهورهم عليهم السلام في هذا العالم وسائر العوالم بالأعراض المناسبة لذلك العالم ، ولا يمكن لهم أن يظهروا بعرض هذا العالم في عالم آخر ، كما يمرّ عليك تصريحه بذلك في الفصل الآتي ، وهذا كالصرّح في أن معراجه كان بغير هذا الجسد الدنيوي ، إذ هو عرض اعتري ذلك الأصلي في هذا العالم ، ومختص به عنده ، ولا يمكن أن يظهروا به في غير عالم الدنيا . قال رحمه الله في فصل من فصول المطلب الرابع ، في ذكر المعراج من كتاب (إرشاد العوام) ، فصل : بدانکه انسانرايك بدن اصلی هست که اصل بدن او است و بعضی اعراضهم از خارج باو میرسد کاهی میآید و کاهی میرود . إلى أن قال : وبدن اصلی در این اعراض

مثل نور افتاب است در آئینه خواه رنگین شود و خواه صاف و خواه کج باشد و خواه راست و خواه کدورت داشته باشد و خواه لطیف باشد نور آفتاب که در او افتاده همان نور است . إلى أن قال : وظهور مردم در این عالم ببدن عارضی است و چشم مردم همان اعراض را می بیند مثل اینکه چشم مردم از کرباس قرمز همان قرمز را می بیند . إلى أن قال : چون این مطلب را دانستی میگوئیم باو جود یکه بدن شخص حضرت امیر علیه السلام یکیست ممکن است از برای آن بزرگوار که از اعراض این دنیا در چندین جا مظهری قرار بدهد مانند آئینه و از هر يك از آنها نور مقدس او بکلی ظاهر باشد و همه را معصوم و مطهر دارد و همه رخساره و چشم و گوش خدا باشند بی تفاوت چرا که حرکت این اعراض بحرکت بدن اصلی است و در عصمت و طاعت و معصیت تابع او است پس چون بدن اصلی معصوم شد اعراض هم بآن واسطه معصوم میشود . . . الخ .

یعنی : (اعلم أن للإنسان بدنًا أصلياً هو أصل البدن ، وبعض الأعراض أيضاً يعتریه ، يأتي في وقت ويذهب في وقت ، إلى أن قال : والبدن الأصلي فيما بين هذه الأعراض كنور الشمس في المرأة ، سواء كانت ملوثة ، أو صافية ، أو معوجة ، أو معتدلة ، أو كدرة أو لطيفة ، فنور الشمس الذي فيها هو ذلك النور . إلى أن قال : وظهور الناس في هذا العالم بالبدن العارضی ، وعين الناس ترى تلك الأعراض ، كما ترى من الثوب الأحمر ذلك الاحمرار . إلى أن قال : لما عرفت هذا المطلب نقول : إن بدن شخص الأمير عليه السلام وإن كان واحداً ، فمع ذلك يمكن له أن يأخذ من أعراض هذه الدنيا في أماكن عديدة ، ومظاهر متعددة كالمرأة ، ويظهر نوره المقدس من تلك المظاهر بنوع الكلي ،

ويكون كلها معصومين مطهرين ، وجه الله ، وعينه ، وأذنه ، بلا تفاوت ، لأن حركة هذه المظاهر الأعراض بحركة البدن الأصلي ، وهي تابعة له في العصمة ، والطاعة ، والمعصية ، فلما كان البدن الأصلي معصوماً ، فالأعراض بتلك الوساطة أيضاً تكون معصومة) انتهى .

إذا تأملت في هذه العبارات من أولها إلى آخرها ، تبين عندك أنه يقول : إن الجسم الأصلي في جوف هذا الظاهر الدنيوي المحسوس ، وإنه بتمامه عرض طارئ للجسم الأصلي ، وإن الأبدان الدنيوية للمعصومين عليهم السلام ليست بأبدان أصلية ، بل كلها عرضية لهم اتخذوها لأنفسهم في هذا العالم مظاهر ، فبإشراق الأصلي عليها تتحرك دائماً ، وكلها معصوم ومظهر بالتبعية له ، كما يصرّح به ابنه الحاج محمد خان رحمه الله في رسالته السلوكية (مصباح السالكين) بقوله : أما جواب قشري ظاهري اينست كه مراد ما عرصه حقيقت است نه مجاز واين عرصه اعراض است وامام عليه السلام بصرافت نور وجلال وجمال خود جلوه نفرموده است بلكه در عرصه اعراض بابدن عرض ظاهر شده است واينكه تومي بپني جسد يست از اجساد نهايت اشرف اجساد است امام از ورای اين جسد سخن ميگويد پس تواز زبان گوشتي ميشنوي وبا شخص معلوم مي نشيني وبر ميخيزي واين غير از امام است . . . الخ . يعني أما الجواب القشري الظاهري فهو : أن مرادنا عرصة الحقيقة لا المجاز ، وهذه العرصة عرصة الأعراض ، والإمام لم يتجلّ بصرافة نوره وجلاله وجماله ، بل ظهر في عرصة الأعراض ببدنه العرضي ، والذي تراه أنت هو جسد من الأجساد ، لكن النهاية أنه أشرف الأجساد ، والإمام يتكلم من وراء هذا الجسد ، وأنت تسمع من اللسان اللحمي ، وتجلس وتقوم مع شخص معلوم ، وهذا غير الإمام .

انظر كيف صرّح بأن المرئي من النبي أو الإمام كله عرضي ، ليس بنبي ولا إمام ، بل إنما هو جسد من الأجساد ، وأوضح ما أجمل أبوه ، وأظهر ما أخفاه ، وفي هذه الرسالة كثير من هذه التصريحات ونحوها التي لسنا بصدها ، راجع ترى فيها العجائب وتطلع على الغرائب .

وبالجملة ، مرة يقول : إن الجسم الأصلي في هذه الأبدان العرضية ، ومرة يقول : إن هذه الأبدان الدنيوية مظاهر للجسم الأصلي ، وهو ليس فيها ، بل هو يشرق عليها ، ويحركها بإشراقه عليها ، كما ترى في هذه الكلمات وفيما يأتي منها في الفصل الآتي ، على كلّ حال ، لا إشكال في أنه قال : بأن هذه الأبدان الدنيوية المحسوسة أعراض ، لا أبدان أصلية كما نقول ، والذي يلزم من قوله هذا ويقتضيه : أن معراج النبي صلى الله عليه وآله ما كان ببدنه الدنيوي المحسوس ، بل كان بجسمه الأصلي ، إذ الدنيوي بتمامه عنده عرضي ، ويقول : إن العرض مانع من تعدده ووجوده في أماكن عديدة ، بل لا يمكن بهذا البدن العرض المختص بهذا العالم أن يكون في عالم آخر ، كما يقول ويصرّح به في عبارته الآتية ، فظهر أنه لا يقول بمعراج النبي صلى الله عليه وآله بهذا الجسد الشريف الدنيوي المحسوس ، وقد عرفت سابقاً في مقالة المعاد ما أثبتناه وبرهنا بالأدلة والبراهين ، من أن هذا المحسوس الملموس الدنيوي من المعصوم وغيره ، هو الجسد الأصلي ، ومن قال بغيره ، فقد خالف صريح الآيات والأخبار ، وكلمات الأصحاب رضوان الله عليهم ، والشيخ الأوحّد الأحسائي ، والسيد الأّمجد الرشتي^(١) قدس سرهما ، بل خالف الإجماع ، بل ضرورة المذهب .

(١) السيد كاظم الرشتي .

وأثبتنا أيضاً في هذه المقالة في الفصول السابقة أن معراج النبي صلى الله عليه وآله كان بجسده الشريف الدنيوي الظاهري المبصر المرئي الذي هو الأصلي ، لا غيره من الجسم الغير المحسوس وغير المرئي ، واستشهدنا على ذلك بكلمات الشيخ الأوحى ، والسيد الأئمة ، وسائر المشايخ العظام ، ونزَّهنا ساحتهم عن افتراءات المفترين ، وبعض نسب المتغرضين ، والذي يظهر من كلمات الحاج محمد كريم خان المرحوم ، وتابعيه ، ومن يسلك مسلكه ، لا ربط له بكلماتهم ، ولا دخل له بها بوجه من الوجوه ، ولا يؤخذون بما قال ، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(١).



(١) سورة فاطر ، الآية : ١٨ .

الفصل التاسع

إنكار كريم خان للمعراج الجسماني

الشاهد على أن الحاج محمد كريم خان المرحوم ينكر المعراج الجسماني ، هو أنه يقول . بكلية النبي صلى الله عليه وآله وسائر المعصومين سلام الله عليهم ، ويصرّح بها في كتبه ، ومقتضاها عدم العروج والحركة من مكان إلى مكان ، إذ على قوله ملاً بكليته صلى الله عليه وآله على زعمه جميع العوالم والسموات والأرضين ، لا حاجة إلى الانتقال والعروج ، كما يصرّح به أيضاً ، قال في (إرشاد العوام) بعد العبارة المنقولة في الفصل السابق : واز آنچه عرض شد معلوم شد که لازم نکرده است که بصورت علوی جلوه کند بلکه ممکنست که بصورت غیر علوی جلوه نماید آن صورت غیر انسان یا بلکه صورت حیوانات طیب ونباتها طیب واز همه شنوا وگویا وتوانا میتواند باشد واین یک قسم از ظهور ایشانست و اگر تعجب کنی از بودن بدن اصلی ایشان در هر محل که عرض گیرند این را قلت معرفت تو میشود بایشان چرا که مکرر عرض کرده ام که ایشان کلی میباشند وپیر کرده اند فضایی عالم را بوجود شریف خود و جائی نیست که ایشان نباشند پست چون در همه جا هستند همه جا میتوانند ظهور فرمایند و حاجت نیست که از جائی بجائی بروند بلکه در آن واحد در زمین و آسمان و مشرق و مغرب و جنوب و شمال و همه اطراف هستند و هرگاه ایشان ترك اعراض گویند همین قسم باشند و این اعراض

را بمقتضای این عالم بخود گرفته اند و از این جهت است که غوث عالم میباشند و در يك آن درهمه جا بفریاد همه میتوانند رسید انتهى .

يعني : عُلِمَ مما ذكر أنه لا يلزم أن يتجلّى بالصورة العلوية ، بل يمكن أن يتجلّى بصورة غير العلوي من صورة غير الإنسان ، أو بصورة الحيوانات الطيبة والنباتات الطيبة ، ويكون من كلها سامعاً وناطقاً ، وهذا قسم من ظهوراتهم . وإن تعجبت من كون بدنهم الأصلي في كل محل اتخذوا الأعراض ، فهو من قلة معرفتك بهم عليهم السلام ، لأننا ذكرنا مكرراً أنهم عليهم السلام كليون ملؤوا فضاء العالم بوجودهم الشريف ، ولم يكن محل لم يكونوا فيه ، فلما كانوا في كل مكان تمكنوا من الظهور في كل مكان ، ولا يحتاجون من الذهاب من محل إلى محل ، بل هم موجودون في آن واحد في الأرض والسماء ، والمشرق والمغرب ، والجنوب والشمال ، وكل طرف . وإن تركوا الأعراض كانوا بهذا القسم وأخذوا هذه الأعراض بمقتضى هذا العالم لأنفسهم ، ومن هذه الجهة كانوا غوث العالم ، وتمكّنوا من إعانة الخلق في كل مكان في آن واحد .

وقال بعد هذه العبارة : فصل چون دانستی که حضرت پیغمبر صلی الله علیه وآله در همه جا حاضر است ، يعني : خداوند پر کرده است فضای آسمان وزمین را بوجود شریف ایشان تا یگانگی خود را ظاهر کند وایشان در همه جا ببدن شریف خود ظاهرند وحاضر وموجود چرا که بدن ایشان کلیست مانند جسم که در همه عالم اجسام است وهیچ جا نیست که جسم نباشد همچنین ایشان در همه جا هستند واینکه تو ایشانرا يك شخصی در يك جا میدیدی عمداً ایشان خود را در يك جا ظاهر ساخته بودند وچشم مردم را در یکجا بخود بینا کرده بودند بعض از

اعراض که دخلی بجسم ایشان نداشت بایشان ملحق بود که گاهی میامد و گاهی میرفت و گاهی زیاد میشد و گاهی کم و هر وقت میخواستند بخود میگرفتند و جسم ایشان بر همان حال بر قرار بود همیشه بدون تفاوت و زیاده و کمی پس بمقتضای جسم اصلی خود در همه جابودند از زمین و آسمان و بمقتضای عرضی خود در همان موضع معین بودند و آن عرضی در غیر آن موضع معین نیست و ممکن نیست که در دو جا ظاهر شود و این اعراض دخلی بهمین اعراض عنصری ندارد چرا که چنانچه جایز است که از خاک عرضی داخل بدن انسان شود یا باد یا آتش همچنان بسا باشد که عرضی داخل بدن انسان شود از آسمانها یا کرسی یا عرش اگرچه عرضی آسمانها لطیفتر است پس چنانکه بواسطه عرض عنصری در یک جا ظاهر شدند بواسطه عرض آسمانی هم در یک موضع از اسمانها ظاهر شوند و در اسمان دیگر نباشند لکن بجسم اصلی خود در همه اسمانها هستند . . . الخ .

يعني : عرفت أن النبي صلى الله عليه وآله حاضر في كل مكان ، يعني أن الله سبحانه ملاً فضاء السماء والأرض بوجوده الشريف ، حتى يظهر وحدانيته ، وهم عليهم السلام في كل مكان ظاهرون وحاضرون وموجودون ببدنهم الشريف ، لأن بدنهم كلي ، كالجسم الموجود في جميع عالم الأجسام ، ولم يكن مكان لم يكن فيه جسم ، كذلك هم عليهم السلام موجودون في كل مكان ، والذي ترى منهم من شخص واحد ، في مكان واحد هو أنه كانوا يظهرون به عمداً في مكان واحد ، ويجعلون أعين الناس ناظرة إليهم في مكان واحد ، ويلحقون بعض الأعراض التي لا دخل لها بجسمهم لأنفسهم تلحق تارة وتذهب أخرى ،

وتنقص مرة وتزيد أخرى ، وفي أي وقت أرادوا ألحقوها بأنفسهم ، وجسمهم باقٍ على حاله دائماً بلا تفاوت وزيادة ونقيصة . فبمقتضى جسمهم الأصلي كانوا في كل مكان من الأرض والسماء ، وبمقتضى عرضيتهم كانوا في ذلك الموضع المعين ، وذلك العرضي ليس في غير ذلك المعين ، ولا يمكن أن تظهر في مكانين ، وهذه الأعراض لا دخل لها بهذه الأعراض العنصرية ، لأنه كما يجوز أن يدخل من التراب العرضي ، أو من الماء والهواء والنار العرضية في بدن الإنسان ، كذلك ربما يدخل من عرض السماوات أو الكرسي أو العرش في بدن الإنسان إن كان عرضي السماوات ألطف ، فكما يظهر بواسطة العرضي العنصري في مكان واحد ، فكذلك بواسطة عرضي السماوات يظهر في موضع واحد ولا يظهر في غيره ، لكن بجسمه الأصلي هو كائن في كل السماوات) انتهى .

وقال في فصل آخر : (پس هرگاه کسی بذات خود کلّ باشد ولی بعرض خود شخص معلوم است که باقیست عرض از جهة واحده میروند وهمینکه عرض خود را انداخت واز او زائل شد از همه جهت میروند چرا که کلیست) انتهى .

يعني : (فمن كان بذاته كلياً ، وبعرضه شخصياً ، فمعلوم أنه ما دام عرضه باقياً يعرج من جهة واحدة ، ولما رفع عن نفسه العرضي وأزاله يعرج من كل جهة لأنه كلي) انتهى .

ومن قبيل هذه الكلمات الصريحة في كلية وجود النبي وسائر المعصومين ، وفي معراجهم صلى الله عليه وآله بطريق الكلية ، لا الشخصية والجزئية ، كثيرة في مصنفاته ، لا سيما هذا الكتاب ، ويكفيها

ما نقلناه منه في إثبات ما ندعيه . ومر عليك أيضاً في المقالة الأولى من كلماته رحمه الله ما هو صريح في أن هذه الصورة البشرية بتمامها وحدودها ، كالشخصية والجزئية من المعصوم وغيره عرض عنده ، ومعلوم بالبداهة أيضاً أنه إن كان معراجه صلى الله عليه وآله كما هو صريح عباراته المنقولة ، لا بدَّ له صلى الله عليه وآله أن يلقي الصورة البشرية في هذا العالم ويعرج ، إذ هو يصرِّح كما رأيت بكونها مع حدودها الشخصية والجزئية عرضاً ، والعرض مانع من العروج من كل جهة ، والكون في أماكن عديدة وجهات متعددة ، فظهر أنه رحمه الله يقول . بمعراج النبي صلى الله عليه وآله بجسمه الكلي ، لا بالصورة البشرية الموجودة المحسوسة المرئية ، وأقوى قرينة على ذلك تعبيره بالجسم ، لا الجسد الصريح في البدن الدنيوي الذي يُعبّر به مشايخنا وسائر الأصحاب رضوان الله عليهم .

وبالجملة ، فالذي يلزم على معتقده هذا أنه صلى الله عليه وآله لم يعرج بثيابه وعمامته ونعليه ، لأنها مما يحتاج إليها الصورة البشرية لا الجسم الكلي ، وهو لا يحتاج إليها بوجه ، إذ الكليّ ليس له رأس ، ولا رجلان ، ولا يد ، ولا عينان ، ولا أذن ولا شفتان حتى يحتاج ما يحتاج إليه أفراد الإنسان ، كالعمامة والثياب والعباء والنعلين وغيرهما ، نعم ، من قال بعروجه صلى الله عليه وآله بالصورة البشرية الشخصية الدنيوية كشيخنا الأوحّد وتابعيه والأصحاب رضوان الله عليهم يلزمهم أن يقولوا بمعراجه صلى الله عليه وآله بما يحتاج إليها من الثياب والعمامة والنعلين ونحوها ، إذ ما عَرَجَ صلى الله عليه وآله عرياناً ، ولا يقولون بذلك ، ولذا ، صرّحوا كلهم بعروجه صلى الله عليه وآله بها ، كما هو صريح الروايات والآثار الواردة عن الأئمة الأطهار .

الحاصل ، فالقول بمعراجة صلى الله عليه وآله بوجوده الكلي ، لا الصورة الشخصية الدنيوية ، وإن لم يكن موجباً للكفر ، إذ المسلّم بين المسلمين قاطبة هو عروجه صلى الله عليه وآله بطريق الإجمال ، واختلفوا في تفصيله وكيفياته اختلافاً كثيراً ، لكنه مخالف لضرورة مذهب الإمامية ، إذ اتفقوا على أن معراجة صلى الله عليه وآله كان بالصورة البشرية الدنيوية وثيابه الشريفة ، كما عرفت من تصريحات المشايخ العظام في الفصول السابقة ، فراجع ؛ حتى تعلم أنه رحمه الله قد خالف صريحاً الشيخ الأوحد الأحسائي ، وسائر مشايخنا الفخام ، وأصحابنا الكرام .



انتفاء العروج بالكلي

تنبيه وإيقاظ : من تأمل في الكلمات المنقولة من الحاج المرحوم الكرمانى^(١) ، ودقّق النظر فيها مرة بعد أخرى يمكن له أن يقول : إنه رحمه الله أنكر ضرورة الإسلام ، وقال بما لم يقل به مسلم في المقام ، وهو أنه قال صريحاً : إن النبي صلى الله عليه وآله ملأ تمام العوالم والآفاق بوجوده الكلي ، وأخذ لنفسه في كل عالم من عرض ذلك العالم لباساً وقالباً وعرضاً ، وبه ظهر لأهل ذلك العالم ، وفي هذا العالم الذي هو تحت فلك القمر ظهر لأهله بالصورة البشرية ، واتّخذها لباساً لنفسه ، وفي العوالم الأخر من الأفلاك والعرش وغيرها أيضاً ، كذلك يظهر لأهلها بلباسهم وصورتهم ، وهذه المظاهر الموجودة في كل من العوالم

(١) محمد كريم خان الكرمانى .

المتخذة كل واحد منها من عرض ذلك العالم - كل عالم بحسبه - تتحرك وتجري الأحكام فيها ، وتقوم بأوامر الله ونواهيه ، وإجراؤهما في الخلق بإشراق ذلك النبي الكلي غير المحسوس ، والمرئي ، وتبعيته ، وكل واحد من المظاهر في كل من العوالم يكون معصوماً ومطهراً ، وواجب الاتباع والطاعة لكونه مظهراً للنبي الكلي ، ومظهر كل عالم مختص به ، ومن أعراضه لا يظهر به في غير عالمه ، ولا يمكن ذلك إذ العرض مانع من التعدد والكون في مكانين وعالمين ، والعروج من كل جهة ، نعم ، إذا أراد التعدد بالعرض في عالم ، اتخذ لنفسه من أعراض ذلك العالم مظاهر عديدة لكل محل ومكان مظهراً مخصوصاً لذلك المحل من ذلك العالم ، بخلاف الجسم الكلي والنبي الكلي ، فهو في كل عالم ومكان وكل فلك من الأفلاك ، ولا يخلو منه محل أبداً .

فإن كان الأمر كما قال وصرّح به في كلماته المنقولة ، لزمه أنه لم يعرج النبي صلى الله عليه وآله ، ولم يقل بالمعراج الذي قال به جميع المسلمين ، إذ صرّح كما رأيت : أن النبي صلى الله عليه وآله ملأ كل العوالم من كرة الأرض إلى مقام قاب قوسين أو أدنى بوجوده الكلي ولا يخلو محل منه ، وأخذ في كل عالم - حتى في مقام قاب قوسين - مظهراً ولباساً من عرض ذلك العالم وصورته ، ولا يمكنه أن يظهر في مقام قاب قوسين وغيره بعرض هذا العالم ، وهو الصورة البشرية ، إذ هي من عرض هذا العالم ومختصة به ، فإن كان ملأ كل العوالم ، حتى مقام قاب قوسين بوجوده الكلي ، ولا يمكنه أن يظهر فيه بالصورة البشرية وغيرها من صور العوالم الأخر ، فما معنى عروجه صلى الله عليه وآله ؟ وما معنى المعراج الذي يقوله ؟ والحال ، أن المعراج هو الكون أو الصعود

من الأرض إلى السماوات إلى مقام قاب قوسين ، والضروري منه عند المسلمين الصعود من كرة الأرض إلى فوق ظاهراً محسوساً ، لا الكون في كل عالم بطور الكلية ، أو بلباس ذلك العالم من دون حركة وصعود ظاهري محسوس ، كما يقوله هو رحمه الله .

وأما ضروري الإمامية ، فهو صعوده صلى الله عليه وآله ظاهراً محسوساً صلى الله عليه وآله بهذا الجسد الظاهري ، والصورة البشرية مع ثيابه صلى الله عليه وآله من الأرض ، إلى الأفلاك ، إلى العرش ، إلى مقام قاب قوسين أو أدنى ، والمعراج بهذه الكيفية أي بالصورة البشرية مع ثيابه وعمامته ونعليه التي هي مأخوذة من هذا العالم تحت فلك القمر ، وإخراجها من مراكزها ، وسيرها في العوالم الأخر ، ومتابعتها لوجوده الشريف ، بحيث لا يلزم خلل بوجه في الأفلاك وسيرها ونظام العالم السفلي هو المعجزة الحقيقية وخارق العادة ، لا ما ذكره مما لم يقل به أحد .



أعراض المعصومين مقهورة تحت حكمهم

ليت شعري ، ما الداعي لمخالفة الأصحاب العظام والخروج عن ظواهر الأخبار وصرفها لما أراد ؟

إن قلت : يظهر من كلامك أنك لم تقل بحضور المعصومين عليهم السلام في كل العوالم ، إذ لو عَرَجَ صلى الله عليه وآله بهذه الصورة البشرية يلزم خلل هذا العالم عنه صلى الله عليه وآله .

قلت : إن المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام قد ملؤوا كل

العوالم بهياكلهم الشخصية الجزئية ، لا بكليتهم كما تزعم ، لكن قد لبسوا في كل عالم ما هو مناسب لذلك العالم ، إذ الألبسة والصور كلها ملكهم وتحت تصرفهم ، ولا مانع من تعددهم ووجودهم مع جزئيتهم وشخصيتهم في أماكن عديدة وعوالم متعددة في آن واحد كما ذكرنا سابقاً ، إذ المانع هو الأعراض ، وأعراضهم صلى الله عليهم مقهورة تحت حكمهم ومملوكة لهم ، يتصرفون فيها كيف ما شاؤوا ، إذا أرادوا خلعها خلعوها ، وإن أرادوا إلحاقها ألقوها لأنفسهم ، وإن أرادوا أن يتبعوها لأنفسهم فعلوا ، وليسوا كسائر الخلق حتى يكونوا مقهورين ومجبورين تحت حكمها ، ولا يتمكنوا من التصرفات بخلاف مقتضاها ، كالكون في أماكن عديدة في آن واحد .



مقام القطبية وجمع الجمع

إذا عرفت هذا ، نقول : إن نبينا صلى الله عليه وآله في ليلة المعراج مع وجوده في كل العوالم ، حتى في هذا العالم ، بهيكله الشخصي ، في كل عالم بلباسه المناسب له أيضاً ، عَرَجَ في تلك الليلة بهذا الجسد الظاهري الشخصي ، والهيكل البشري مع ثيابه وعمامته ونعليه ، وأتبعها لنفسه لِحْكَمَ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى ، ومصالح لَا تُحَدُّ وَلَا تُسْتَقْصَى ، تعجز عن دركها العقول ، ويتيه في واديها الفحول ، منها راجعة إلى نفسه الشريفة ، ككون جسمه وجسده الشريف تابِعاً لعقله ، فما يحصل من عقله الشريف ، يحصل لجسده الشريف ، وهذا الترقى والكمال حاصل لكل المعصومين الأربعة عشر دائماً ، فهم على الدوام في هذا المعراج ،

وجميع مراتبهم في جميع الأحوال على وجه التمام والكمال ، ليس لهم عن هذا المقام انقطاع وزوال .

ومنها راجعة إلى الخلق ، يعني : أنه صلى الله عليه وآله عَرَجَ في هذا العالم في زمان مخصوص ، في ليلة مخصوصة ، بجسده الشريف الدنيوي ، حتى يكمل الناس في جميع مراتبهم ، ومقاماتهم ، ووجودات أكوانهم ، لأنه في مقام القطبية إذا وصل إلى مقام جمع الجمع ، أوصل جميع الخلق التي هي أجزاء الدائرة إلى تلك المرتبة ، فكل الترقيات في كل الأشياء في كل وقت وزمان ، في الدنيا والآخرة ، والغيب والشهادة ، إنما حصل بمعراجة في تلك الليلة ، فهذا الزمان المخصوص بالنسبة إلى سائر الأزمان كالقلب ، وهو لحم صنوبري بالنسبة إلى سائر أجزاء البدن ، فكما لا يُرى في ترقياتها إلا ظهور القلب ، فكذلك كل شيء في كل آن وزمان ، إذا ترقَّى ، فترقيته من معراج النبي في ذلك الزمان المخصوص .

وهذا الصعود والترقي والارتفاع ، وإن كان له دائماً ، لأنه لم يعرّضه صلى الله عليه وآله في النزول كثافة الإدبار ، وأعراضه أبداً ، وإنما عرض له هيئات من سنخ العالم الذي نزل إليه ، ليتمكن أهله من الانتفاع منه ، وإلا فكيف يمكنهم تقبيل عتبة وجوده ، ولثم ساحة عزه ؟ إلا أنه لم يظهر هذا المعنى للخلق إلا في تلك الليلة المخصوصة والزمان المخصوص ، فإنه صلى الله عليه وآله عَرَجَ في تلك الليلة بجسمه ، وجسده الشريف المبصر المرئي ، وسائر مقدماته ، وسار إلى جميع الجهات ، ودار جميع الأرضين والسموات ، بل ملأ جميع الأكوان بهيكلة ذلك ، ولم يخلُ منه مكان . فحين سيره في السموات كان في كل

عالم بما يناسبه وفي جميع الجهات ، وإن لم ترَ هذه الأبصار ، باعتبار أنه ألقى في كل كرة مثلها ، أي الهيئات العارضة له في تلك الكرة ، وهي الجمود والثقلية كما مرَّ عليك ، وما يعرض له صلى الله عليه وآله في كرة الأرض هو جموده ، وتلبسه بلباس أهلها ، جرياً منه صلى الله عليه وآله على ما هو من مقتضياتها ، فما دام لم يُلْقَ هذه المُثُل ولم يُزَلْ عن نفسه هذا الجمود ، يراه الناس كرؤية بعضهم بعضاً .

وأما إذا ألقاها - كما في تلك الليلة - لم يُرَ في مكانه ، مع أنه كان في مكانه ومحلّه ، وفي جميع الأماكن والجهات لعدم التزامه ، وإن شئت قلت : إن هذه الهيئات ، وهي المثل والجمود والثقلية ، وتسمى أعراضاً ، صارت تابعة لجسمه وجسده الشريف ، وصار حكمها حكمه ، كما صار حكم ثيابه ، وعمامته ، ونعليه ، حكم جسمه ، ولم يلزم الخرق والالتئام . كما نرى إن الجن للطافته ورقته يدخل في الجدار الكثيف ، ولم يلزم خرق ولا التئام ، بل لو صَاحَبَ جسماً كثيفاً كالحجر ونحوه ، لا يلزم خرق أيضاً ، لتبعيته له في الرقة واللطافة ، وينتفي عن ذلك الشيء حكم نفسه ، كما ترى إن المزاج المركب من العناصر الأربعة كثيراً ما يغلب عليه حكم عنصر واحد ، وينتفي عنه حكم سائر العناصر ، كما إذا غلب في الإنسان الدم ، أو البلغم ، أو الصفراء ، أو السواد ، يجري عليه حكم ذلك ، وينتفي عنه حكم غيره لغلبة ذلك عليه ، بل النار التي مركب من العناصر ، وكذلك الماء ، والهواء ، والتراب مع وجود سائر العناصر فيها ، ترى أن حكم غير النار غير موجود فيها ، لاضمحلال الغير وحكمه وللتبعية ، مع أن الخرق والالتئام - كما فصلناه في فصل مخصوص في طي كلماتنا - لا دليل على امتناعه ، بل هو مذهب الفلاسفة والزنادقة .

وبالجملة ، نبينا صلى الله عليه وآله في مقام العلية هو دائماً في المعراج ، وحكم جسمه وجسده الشريف حكم عقله ، غير محسوس ولا مرئي ، وأما في مقام القطبية ، وهو مقام التلبس بلباس البشرية ، فله معراج واحد ، وحيث ألقى المثل والجمود والثقلية في تلك الليلة صار لا يُرى ، وأما في غير تلك الليلة والحالة ، فكان مرئياً ومحسوساً ، فتفطن يا أخي ، وإلا فسلم تسلم .



الكرماني يناقض رأيه

وبالجملة ، فالمعجز الحقيقي وخارق العادة ، هو فيما ذكرناه من حضورهم عليهم السلام في آنٍ واحد ، في أماكن عديدة بهيكلهم الشخصي المرئي ، ومعراج النبي صلى الله عليه وآله بوجوده الشخصي الدنيوي ، فما ذكره الحاج محمد كريم خان رحمه الله من حضورهم بطريق الكلية ، ومعراج النبي كذلك ، مضافاً إلى أنه قال بما لم يقل به أحد ، ليس بفخر لهم ، ولا معجز ، ولا خارق للعادة ، إذ على ما صرح به بعد العبارة المنقولة في ذلك الكتاب ، جبرائيل أيضاً كلي ، وملاً العالم بكليته ، وكذلك ميكائيل ، وإسرافيل ، وعزرائيل . فما الفرق حينئذ بينهم وبين نبينا ، وسائر المعصومين عليهم الصلوة السلام ؟ .

والعجب أن الحاج المذكور - مع تصريحاته السابقة - صرح في آخر فصل من فصول مسألة المعراج في ذلك الكتاب : بأن النبي صلى الله عليه وآله عَرَجَ بجسمه الشريف ، وعمامته ، ونعليه .

أقول : ووجه التعجب أنه صرح سابقاً ، كما عرفت ، بكلية النبي أو

الإمام ، وأن الظاهر لأهل كل عالم ليس إلا مثال الكلي وعرضي الجسم الأصلي ، وأن هذه الأبدان الدنيوية مظاهر للجسم الأصلي ، وهو ليس فيها ، بل هو يشرق عليها ويحركها بإشراقه عليها . وصرَّح أيضاً : أن عرضي كل عالم مختص لذلك العالم ، لا يتعداه ولا يظهر في عالم آخر ، حتى أن عرضي السماء الأولي لا يتعداها إلى الثانية ، فضلاً عن العرضي العنصري كما مر منه ، وأن العرضي لا يمكن له السير والعروج إلا من جهة واحدة ، فكيف يقول هنا بأن النبي عَرَجَ بجسمه الشريف ، وعمامته ، ونعليه ؟ فإنه رحمه الله إن كان عنى النبي الكلي على مسلكه ، ففيه مضافاً إلى أنه قول بما لم يقل به أحد ، وأنه صلى الله عليه وآله ملاً للعوالم بكليته على زعمه ، فلا يحتاج إلى العروج ، بل فلا عروج ، وأنه لا فخر ولا إعجاز ولا خارق للعادة ، حينئذ أنه لا يلائم لفظ العمامة ، والنعلين الظاهريين ، لأنهما من مشخصات الصورة الدنيوية البشرية ، لا الجسم الكلي ، وإن كان عنى النبي العرضي العنصري على تحقيقه الذي مضى منه ، فقد صرَّح أنه لا يمكنه التجاوز عن حدّه إلى عالم آخر ، ولا له العروج والسير إلا من جهة واحدة ، لا كل جهة . اللهم أن يقال : إن مراده عدم الإمكان عادة وحكمة ، وأما من حيث القدرة وخرق العادة ، فيمكن ، لأن الله على كل شيء قدير ، وعليه تحمل العبارة المذكورة .

الحاصل ، مقتضى القواعد الإسلامية حَمْلُ العبارة المذكورة في المعراج على الصحة وقبولها منه ، لولا العبائر السابقة وغيرها المنافية لذلك ، فتدبَّر حتى لا تُسيء الظنَّ فيّ ، فتنسبني إلى التغرض في المقام ، فإنني ما ذكرت في حقّه أو في حق غيره ، إلا ما هو مفاد صريح عبائره وكلماته في رسائله ومصنفاته ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، والله وحده المطلع على الضمائر وهو بالمرصاد .

المقالة الثالثة

في مسألة شق القمر

وفيها فصول :

الفصل الأول

الخلافا في كيفية شق القمر

اعلم أن من عمدة معاجز نبينا صلى الله عليه وآله شق القمر ، وهو مُعْجَزٌ سماويٌّ ، ووقوعه متفق عليه بين جميع المسلمين ، وصرَّح به في الكتاب المبين ، ولا يُعْتَنَى إلى وساوس الفلاسفة ، وبعض أهل الكلام في إمكانه ، وقولهم بامتناع الخرق والالتئام في الأفلاك ، لأنها شبهات لا تتمشى في مقام الإعجاز وإظهار القدرة ، فلصانعها وبارئها التصرف فيها بما يشاء ، وفتقها ، ورتقها ، وحفظ نظام العالم عن الاختلال والفساد ، إنه تعالى على كل شيء قدير . وهل مقام الإعجاز إلَّا مقام خرق العادة وإظهار القدرة ؟ فيجب الاعتقاد بأن هذا القمر المرئي المنير الذي له الطلوع والأفول ، والإنارة والخسوف ، بعينه هو الذي شقَّه نبينا صلى الله عليه وآله بقدرة الله تعالى ومشيئته ، وهذا المقدار هو المتفق عليه بين المسلمين وضروريهم ، فمن اعتقد هذا المقدار ، فقد أقرَّ بالمعجزة وخرج عن الخلاف ، وأما كيفية الشقِّ فمحل الخلاف ، أنه ، أيّ : القمر ، هل انشق في محله ثم التأم ، أو بقي نصفه في السماء ، ونصفه نزل إلى الأرض ؟ أو نزل النصفان إلى الأرض : نصف على الصفا ، ونصف على المروة ، أو غير ذلك على ما سيأتي ؟ وكذلك نفس القمر ، هل هو ثابت في الفلك الأول ، كما هو رأي أهل الهيئة

والشرع ، أو أنه كرة في الهواء وليس هناك فلك ، كما هو مذهب البعض ؟ وكذا .

سائر الاختلافات من وقوع الشق : في أي ساعة ؟ من أي ليلة ؟ من أي شهر ؟ في أي سنة ؟ فليس شيء من ذلك داخلاً في معقد إجماعهم وضروريتهم ، ووقع الخلاف أو يمكن أن يقع في بعض أطراف المسألة بعد تسليم الأصل .



نسبة الإنكار للشيخ الأوحـد

ولم يُعرف من أهل شرعنا خلاف في شقّ هذا القمر السماوي ، إلّا ما نسبـه ملا رضا الواعظ الهمداني إلى الشيخ الأوحـد الأحسائي قدس سره بأنه : أنكر شقّ هذا القمر ، واعترف بشقّ صورة قمرٍ محدثٍ في الهواء غير هذا القمر . قال في رسالته هدية النملة : ومن فروع إنكارهم للمعراج الجسماني إنكارهم شقّ القمر ، حيث قال الشيخ في المواضع المذكورة : إن الخرق والالتئام في مادة الفلك ممتنعان ، ولكن رسول الله حَجَبَ عن الخلق ضوء القمر السماوي ، وأظهر للناس صورة قمر في الهواء وشقّها ، فلم يكن الشق في مادة القمر وجسمه ، وهذا كما ترى صريح في مقالة أبي جهل التي حكاها الله تعالى في قوله : ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾^(١) انتهى كلامه .

نسب في هذه العبارة إلى الشيخ الأحسائي أموراً ثلاثة :

(١) سورة القمر ، الآية : ٢ .

- الأول : إنكار المعراج الجسماني ، وقد عرفت في المقالة السابقة صريح عبائه في المعراج الجسماني ، وإنما نسب إليه من نسب ذلك ، لعدم فهمه مقصوده ، وعدم اطلاعه بسائر عبائه .

- الثاني : إنكار الخرق والالتئام في الأفلاك ، وقد مرّ أيضاً في مقالة المعراج صريح عبائه في جوازهما ووقوعهما ، وأن القول بالامتناع قول الفلاسفة والزنادقة ، وسيأتي أيضاً بيانه في الفصل الثالث من هذه المقالة .

- الثالث : إنكار شق القمر السماوي ، وستعرف في الفصل الآتي ، بنقل عين عبارة الشيخ ، أن هذه المسألة أيضاً كسابقتها مما اتهمه الهمداني بإنكارها ، وساحته منزهة عن ذلك ، والعبارة المنقولة ليست بعبارته ، وإنما هي من منسوجات الناسب .



الفصل الثاني

القمر مادة وصورة

قال الشيخ الأوحدي في المجلد الأول من (جوامع الكلم) في الرسالة القطيفية في الصحيفة ١٢٩، في جواب السؤال عن كيفية نزول النجم وانشقاق القمر، بعد بيان كيفية نزول جبرائيل عليه السلام: وأما نزول النجم والقمر للمعجز، فينتزع القوي صاحب المعجز، بأمر الله تعالى، صورة النجم والقمر مع ما فيه من النور إلى الموضع الذي أراد، وإذا أراد رده رجعت تلك الصورة مع ما فيها من النور إلى المادة، أعني: مادة النجم. والقمر حين انتزع منها الصورة والنور لا ترى؛ لأنها حينئذ مساوية للفلك الحامل لها، وإنما استبانته منه بذلك، فإذا ردت انطبقت على المادة كما كان، كما إذا التفت الخيال إلى شيء غائب، وانتزع منه صورته، فإذا رآه صاحب الخيال، انطبقت صورة الخيال، على المرئي، وهذا إن شاء الله ظاهر^(١) انتهى كلامه رفع مقامه.

وهذه العبارة هي التي أرادها الواعظ الهمداني بقوله: قال الشيخ في المواضع المذكورة. فانظر وتأمل فيها، وكرّر النظر بالدقة، هل ترى فيها إشارة إلى ما ذكره، أو تشتم منها رائحة ما نسبته؟ وفي أي موضع

(١) جوامع الكلم ج ٩ ص ٣٦٦، ط ١.

من كلامه هذا قال : إن رسول الله حجب عن الخلق ضوء القمر السماوي ، وأظهر للناس صورة قمر في الهواء وشقّها ؟ وهل هذا سيرة الأصحاب في نقل عبارات وكلمات بعضهم عن بعض ؟

الحاصل ، فحيث إن عبارته قدس سره لا تخلو عن غموض ، فلا بأس أن نوضح مقصوده من هذا الكلام ، فنقول ، يعني من هذه العبارة : إن النبي صلى الله عليه وآله الذي هو صاحب القوة الكاملة ، انتزع بأمر من الله سبحانه صورة القمر الموجود المرئي في السماء الأولى ، وهي الاستدارة ، مع ما فيه من النور المرئي الموجود ، وشق تلك الصورة ، وهي الاستدارة ، وذلك النور الموجود في القمر ، وأما مادة القمر التي هي قطعة من الفلك الأول على مذاق أهل الهيئة ، فلا يلزم شقّها ، لأن القمر في أنظار الناس هو النور مع الاستدارة ، وهم أرادوا شق ما هو قمر في نظرهم ، واعتقدوا عدم تمكن النبي صلى الله عليه وآله من ذلك فشقه لهم ، ثم إن مادته - وهي القطعة المخصوصة من الفلك الأول - ليست بقمر ، ولذا ، بعد انتزاع الصورة والنور ما يبقى له أثر ، بل تساوى تلك القطعة المخصوصة مع سائر قطع السماء الأولى ، ولا يبقى لها امتياز عنها بوجه ، إذ الامتياز والتشخيص والتعيين ، إنما هو بالصورة والنور ، وهما انتزعا ، ثم لما ردّهما النبي صلى الله عليه وآله إلى محلّهما ، وهو القطعة المخصوصة وهي المادة ، امتازت تلك القطعة عن غيرها ، وظهر القمر في السماء ، وسمّي بذلك . ألا ترى إذا وقع الكسوف الكلي ، وحالت الأرض بينه وبين الشمس وإشراقها إفاضتها على القمر ، لا يبقى منه أثر ، بل ربما لا يقال لتلك القطعة إنها قمر ، والحال أن مادته لم تتغير ، ونزع الصورة عن المادة عند المعجز القوي

ليس بأمر عزيز ، ألم تر إلى صورتَي السبعين اللتين في مسند المأمون ، لما أمرهما الرضا عليه السلام كيف قام السبعان ، فافترسا خادم المأمون ، ثم رجعا بأمره عليه السلام أيضاً ، صورتين في مسند المأمون ؟ ، وكذلك صورة السبع التي كانت في مسند المتوكل فصورة السبع هي التي انتزعت وصارت أسداً ، ثم رجعت وانطبقت على المادة ، وأما المادة وهي المسند ، فبقيت على حالها لم تتحرك ، فيمكن أن يقال : إن القمر اسم للصورة والنور ، وإطلاقه على مادته ، وهي القطعة المخصوصة بالتبعية ، يعني بلحاظ أنها محل عروضهما ، ولذا انتزعهما صاحب القوة الكاملة وشقَّهما ، ولم يشق المادة .

عود في التحقيق : لا يخفى أن امتياز جميع الأشياء بعضها عن بعض إنما هو بالصورة .

كما أن تمييز زيد عن عمرو ، وكذا الضريح الفضة ، عن الصنم الفضة ، وشرافته واحترامه بالصورة ، فقبل تلُّس زيد بصورته المختصة به ، ما كان ممتازاً عن عمرو ، إذ في مقام اللحمية والعظمية ليس تمييزاً بوجه ، وكذا الضريح الفضة قبل تلبسه بالصورة الضريحية ، ما كان ممتازاً عن الصنم الفضة ، ولا شرافة ولا احترام له بوجه ، إذ الكل فضة : (السعيد سعيد في بطن أمه ، والشقي شقي في بطن أمه)^(١) أي : في مقام الصورة ، فزيد ، وعمرو ، والضريح ، والصنم ، ونحوها ، أسماء للصور ، أي : للصورة الشخصية المختصة بكل واحد منها دون

(١) قال عليه السلام : (الشقي من شقي في بطن أمه ، والسعيد من سعد في بطن أمه) . ابن أبي جمهور الأحسائي : عوالي اللآلي . ج ١ ص ٣٥ . التوحيد : الصدوق . ص ٣٥٦ ح ٣ .

الآخر ، إذ ليس في مقام المادة اسم شخصي ، وإن كان فيه اسم جنسي أو نوعي ، لعدم تميز بعضها عن بعض في ذلك المقام فضلاً عن التسمية . الحاصل هذه الأسماء الظاهرية أسماء للصور الشخصية لا للمادة ، وإن كان قيام الصور بالمادة قياماً ركنياً تحقيقاً ، فالقمر الذي هو اسم للنور وصورة استدارته ، انتزعه صاحب القوة الكاملة عن مادته ، وشقه ، وساوت المادة مع سائر قطع الفلك ، ولما أراد إرجاعهما إلى محلّهما ، أيّ : القطعة المخصوصة ، وارجعهما إليها ، ظهر القمر في السماء ، وشاهده كل أحد . والشيخ الأوحّد قدس سره تقريباً للأذهان وتوضيحاً للمطلب لمن أراد البيان ، مثل بأن خيالك إذا توجّه إلى شيء غائب ، وتصوّر له صورة انتزع منه صورة ، ثم إذا شاهد ذلك الشيء الغائب ، ورآه في الخارج ، فالصورة المنتزعة الموجودة في خزانة خيالك ، ينطبق مع ذلك الشيء المرئي في الخارج . ومقصوده عطر الله رمسه من هذا المثال ، هو أن خيالك كما ينتزع صورة ذلك الشيء الخارج ، ثم يجعلها منطبقة على الشيء الخارج عند رؤيته ، كذلك صاحب القوة الكاملة ينتزع صورة القمر ونوره للشق وغيره ، ثم يرجعهما إلى محلّهما منطبقين على المادة ، وهي القطعة من الفلك ، هذا توضيح كلامه .

وحيث اعترف قدس سره بشقّ هذا القمر السماوي ، فقد خرج عن الخلاف ، ولم يتوجه عليه إنكار شقّ القمر ، وإنكار الضروري . ولسنا في صدد إثبات أن المنشقّ هو صورة القمر فقط ، أو مع المادة ، بل العمدة هو توضيح كلامه قدس سره ، وإثبات أنه لم يخالف ضرورة الدين ، وقد عرفت ذلك ، فانصف الآن ، هل ترى فيه شائبة ما نسبته إليه

الواعظ الهمداني بقوله أنه قال : إن رسول الله حجب عن الخلق ضوء القمر السماوي ، وأظهر للناس صورة قمر في الهواء وشقّها . وأظن أنه لقلّة غوره في العلم وكلماته ، وعدم التفاته على ما ذكرنا من مراداته ، نسجت أوهامه الضعيفة ما نسبته إليه ، وإلا ، فإثم هذه النسبة إلى العلماء الإمامية ، سيما مثل الشيخ الأوحّد عند الله عظيم جسيم ، لا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم .



الفصل الثالث

الحكمة من شق الصورة والنور دون المادة

إيّاك ثم إيّاك أن تظن من كلامه المنقول أعلى الله مقامه في بيان كيفية شق القمر أنه يقول بامتناع الخرق والالتئام في الفلك ، كما نسبه إليه الواعظ الهمداني وغيره ، وخبطوا خبط عشواء . إذ برهنا في مقالة مسألة المعراج بأوضح بيان وأتم برهان ، أنه قال بجوازه وإمكانه ، ولا حاجة إلى التكرار . وأما بيانه كيفية شق القمر بأن رسول الله صلى الله عليه وآله انتزع من القمر صورته مع ما فيه من النور ، فشقه ، فليس لامتناع الخرق والالتئام عنده ، أو عدم قدرته صلى الله عليه وآله على شق مادة القمر ، وهي القطعة من الفلك . إذ يقول في حق النبي وقدرته صلى الله عليه وآله بأعظم من ذلك ، وإن شقّه القمر بحيث لا يلزم منه خلل في سير الأفلاك ، ونظم العالم عنده أعلى الله مقامه من أسهل الأشياء وأهونها لديه ، وأولاده الطاهرين ، إذ هو صاحب القوة الكاملة ، ومظهر قدرته سبحانه وفوارة قدره ، بل لو كان في شق المادة إعجاز واحد ، وهو التصرف في السماء ، ففي شق الصورة إعجازان ، ذلك ونزع الصورة عن المادة الذي هو يعد من المحال . بل كان بيانه بتلك الكيفية وشقه صلى الله عليه وآله الصورة والنور دون المادة ، لجهات عديدة منها : إن قریشاً وغيرهم طلبوا منه صلى الله عليه وآله شق القمر ، وهو يحصل بشق صورة الاستدارة مع ما فيه من النور ، ولا يحتاج إلى شق المادة . ومنها

أنه صلى الله عليه وآله لو كان يشقُّ القمر بمادته ، وصورته ، ونوره ، لكان إنكارهم للمعجز واعتراضهم أشدُّ وأكثر . إذ لو شقَّ بمادته ، وصورته ، ونوره ، ونزل إلى الأرض - كَلَّه أو بعضه - لا يخلو نزوله من صورتين : نزوله بعرضه ، أي : وجهه ، ونزوله بعمقه ، وبأي الصورتين ، لو كان نازلاً ما كان يرى أهل مكة وغيرهم إلَّا نوراً محيطاً بهم من كل جانب ، أو قطعة نور فوق رؤوسهم ليس له نهاية ، إذ القمر مساحة وجهه - على قول أهل الهيئة - على قدر ثلثي الأرض ، وعمقه أي ثخنه على ثخن الفلك ، وهو في الأخبار خمس مئة عام ، على كل حال ، فلا يرون صورة قمر لا في الأرض ولا في الهواء ، بل رأوا نوراً محيطاً بهم أو فوق رؤوسهم ، وقالوا : إن محمداً صلى الله عليه وآله لم يتمكن من شقِّ القمر ، بل عجز من ذلك ، وسحر أعيننا بإظهار النور أو مثله في الأرض أو فوق رؤوسنا ، فلذا لم يشق القمر بمادته ، بل شقَّ ما هو القمر في عرفهم ، وهو الصورة مع ما فيه من النور ، وأنزله إلى الأرض ، بحيث رآه أهل مكة المعظمة وسائر البلاد والآفاق ، وآمن كثير ، لا اعتقادهم أن السحر لا يؤثر في السماء ، وزاد في شقوة كثير كأبي جهل ونظائره ، ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾^(١) ، ولم يقولوا إنه لم يشق ، وبهذه الكيفية بعينها نزول النجم ، وتعلقه على جدار مولانا ومولى الكونين أمير المؤمنين عليه الصَّلَاة والسلام من أول الليلة إلى الفجر ، فافهم واغتنم ، إن كنت ذا فهم ، وإلَّا فسلم تسلم .



تنبيه مفيد :

اعتراضات متفرقة

اعلم أن كون شق القمر من معاجز نبينا صلى الله عليه وآله من ضروريات المسلمين ، ومنكره كافر وخارج عن زمرة أهل الإسلام ، وإن اختلف في كيفية وقوعه في الأخبار : في بعضها أنه بقي نصف في السماء ، ونصف نزل الأرض . وفي بعضها ، وقع نصفه على الصفا ، ونصفه الآخر على المروة . وفي بعضها ، وقع نصفه على جبل أبي قبيس ونصفه الآخر على جبل قعيقعا الذي هو مقابل جبل أبي قبيس . وفي بعضها ، وقع نصفه خلف الكعبة ونصفه الآخر على جبل أبي قبيس . لكن وقوعه متفق عليه بين المسلمين ، ما أنكره إلا واحد من علماء العامة ، وهو أيضاً لا ينكره رأساً ، بل يقول إنه سيقع ، وأما اعتراض الملل الخارجة على المسلمين بأنه لو كان واقعاً في الليلة الرابعة عشرة من شهر ذي الحجة في مكة المعظمة في أوائل الليل ، لكان يراه أهل سائر البلاد ، وضبطه أهل السير والتواريخ ، والحال ، أنه لم يذكروه في دفاترهم ، ولم يتعرضوا له في تواريخهم ، فقد أجيب عنه بأجوبة كثيرة لكنها غير مقنعة للخصم ولا مسكتة له بوجه ، منها : أن شق القمر طلبه من النبي صلى الله عليه وآله جماعة مخصوصون ، وهو آية مخصوصة لهم دون غيرهم من أهالي سائر البلاد ، ولذا اختصت رؤيته بهم ، وفيه أن شق القمر ليس من الأمور التي تقبل الاختصاص كإحياء الموتى وإنزال المائدة ونحوهما ، بل الكفار طلبوا منه صلى الله عليه وآله شق القمر حقيقة ، وهو صلى الله عليه وآله أجابهم به حقيقة ، فكما أن القمر وإضاءته ونوره ليست مخصوصة لبلد دون بلد ، كذلك شقه ، فمن كان ملتفتاً في تلك الليلة - ولو في البلاد البعيدة المساوية

لمكة في الدرجة - لم يكن له بدٌّ من رؤيته ، فلا معنى لاختصاص رؤيته بمن طلبه منه دون غيره ، كما لا اختصاص لنفس القمر لبلد دون بلد ، ومنها : أن شقَّ القمر يحتمل وقوعه في بعض المنازل الذي لا يراه في ذلك الوقت كل أحد في كل بلد ، فلذا لم يره جميع أهل الآفاق . وفيه أنه صحيح بالنسبة إلى البلاد التي ليست مساوية لمكة المعظمة في الدرجة ، فلا يلزم طلوع القمر في بلد طلوعه في كل البلاد في تلك الساعة ، كما يشاهد في خسوفه وكسوف الشمس ، إذ الأرض كروية ، ومقتضاها عدم تساوي البلاد في الدرجة . وأما بالنسبة إلى البلاد المساوية معها في الدرجة ، فلا معنى له ، كما لا معنى لعدم التفات أهلها ، إذ لا أقل من التفات واحد من ألف من أهل تلك البلاد . ومنها جواب صاحب أنساب العيون^(١) قال : إنّ شقَّ القمر من الآيات الليلية ، وفي الليل غالب الناس نيام ، ولذا ، لم يروه ، وفيه : أنه على فرض صحته يجري في غالب الناس وفي غيره لا يصح ، ومنها جواب صاحب الأسئلة المفحمة ، قال : إنّ شق القمر لبعض الموانع كالغيم ونحوه ، يرى في بعض البلاد ، ولا يرى في بعض ، بل يختفي . وفيه ما في الجواب السابق عليه ، إذ الموانع في تلك الليلة ما كانت مستولية على كل البلاد ، وفي البلاد السالمة منها لا بدّ من رؤيته ، فما المانع منها ؟ فالحق في الجواب أن بعض قطع الأرض كأمریکا وغيرها ، قطعاً لا يمكن لأهلها رؤية هذه المعجزة لتباين أفقهم مع أفق مكة ضرورة ، وبعض القطع وإن كان يمكن الرؤية لأهلها كبعض الجزائر

(١) صاحب أنساب العيون : في سيرة الأمين المأمون أو السيرة الحلبية . هو علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي ، أبو الفرج ، نور الدين بن برهان الدين المتوفى سنة ١٠٤٤هـ ، في مصر . وله تصانيف كثيرة .

المكتشفة ، وبعض أفريقيا ، وهند ، وسيبيريا ، لكن لقلّة تمييزهم وإدراكهم ذلك الزمان ما كانوا يلتفتون لهذه الأمور ، لأنهم لوحشيتهم ما كانوا يميزون اليمين من اليسار ، فضلاً عن أن يدركوا خارق العادة ويعرفوا الكتابة ، فيؤرّخوا لمن بعدهم ، وأهل المعرفة والتاريخ كانوا منحصرين في نقاط مخصوصة : الحصّة العظيمة من آسيا ، والشمال والشرق من أفريقيا ، والجنوب والشرق من أوروبا . والمؤرخون كانوا من هذه القطع ، وصيت الإسلام أيضاً قد بلغ في أدنى مدة هذه النقاط ، وطرقت أسماع أهاليها ، فنفرض أنهم رأوا هذه المعجزة الباهرة ، والتفتوا أنها خارق العادة ، وأثبتوها ، من أي ملة كانوا ، فبعد مدة يسيرة ، وبلوغ صيت الإسلام إليهم كانوا يعلمون أن هذه المعجزة السماوية كانت لمؤسس الإسلام ونبيهم وآية حقيقتهم ، فحينئذ لا يخلون : إما أن ينصفوا ويسلموا ، فيدخلوا في زمرة مؤرخي الإسلام حينئذ ، وإما أن يعاندوا ويتعصبوا فينكروا ، فتأبى نفوسهم وعتوّهم أن يبقى لهذه المعجزة ذكر وأثر ، فلا جرم يحكونها من ألواحهم وتواريخهم ، ويخفونها عن خلفهم وأعقابهم . وهكذا نجيب في قضية ردّ الشمس . هذا بالنسبة إلى الملل الخارجة ، وإلا فمؤرخو الإسلام لم يقصّروا .

وناهيك ما ذكره الفاضل العارف الشيخ إسماعيل الحقي^(١) ، الذي هو من جملة معتبري علماء العامة حيث قال في تفسيره . روح البيان في

(١) الشيخ إسماعيل حقي ابن الشيخ مصطفى الإستانبولي الآيدوسي الحنفي الجلوتي أبو الفداء . وُلد في آيدوس سنة ١٠٦٣هـ ، وتوفي في بروسا سنة ١١٣٧هـ ، اشتهر بتفسيره (روح البيان) شرع في كتابته سنة ١٠٩٤هـ ، فرغ منه سنة ١١١٧هـ ، وقضى في تأليفه ٢٣ سنة .

تفسير سورة . ﴿اَفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾^(١) : وقال بعض المفسرين : اجتمع بعض صناديد قريش ، فقالوا : (إن كنت صادقاً ، فَشُقَّ لنا القمر فرقتين ، وواعدوا الإيمان ، وكانت ليلة البدر ، فرفع عليه السلام إصبعه ، وأمر القمر بأن ينشق نصفين ، فانفلق فلقتين ، أي : شقتين ، فلقة ذهبت عن موضع القمر ، وفلقة نصبت في موضعه . وقال ابن مسعود رضي الله عنه رأيت حراء بين فَلَاقِي القمر)^(٢) . فعلى هذا ، فالنصفان ذهبا جميعاً عن موضع القمر ، فقال بعضهم : نصف ذهب إلى المشرق ونصف إلى المغرب ، وأظلمت الدنيا ساعة ، ثم طلعا والتقيا في وسط السماء ، كما كان أول مرة . فقال عليه السلام^(٣) : (اشهدوا ، اشهدوا ، وعند ذلك قال كفار قريش : سحركم ابن أبي كبشة)^(٤) ، فقال رجل منهم : إن محمداً إن كان سحر القمر بالنسبة إليكم ، فلا يبلغ من سحره أن يسحر جميع أهل الأرض ، فاسألوا مَنْ آتيكم من البلاد ، هل رأوا هذا ؟ فاسألوا أهل الآفاق ، فأخبروا كلهم بذلك) . انتهى .

وقال ابن شهر آشوب^(٥) في كتابه المناقب^(٦) ، وفي رواية ، أنه قدم

(١) سورة القمر ، الآية : ١ .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار . ج ١٧ ، ص ٣٤٧ .

(٣) المصدر السابق نفسه .

(٤) ابن أبي كبشة : لقب كان كفار قريش يلقبون به النبي صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله .

(٥) أبو جعفر ، محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني . وُلد سنة (٤٨٩هـ) ، وتوفي سنة (٥٨٨هـ) . من أساتذته فضل الله الراوندي المعروف بابن البطريق ، والشيخ محمد بن أحمد بن إدريس الحلبي وغيرهم . كان عالماً فاضلاً ثقة ، ومحققاً قال عنه الشيخ النوري الطبرسي قدس سره فخر الشيعة وتاج الشريعة ، اشتهر بكتاب : (مناقب آل أبي طالب عليه السلام) وله كتب أخرى .

(٦) ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب ، ج ١ ص ١٠٦ .

السفار من كل وجه ، فما من أحد قدم إلّا أن أخبرهم أنهم رأوا مثل ما رأوا انتهى . وثانياً : بأنهم كيف اطلعوا ، ومن أين اطلعوا على جميع كتب السير والتواريخ الموجودة في تمام وجه الأرض ، حتى ادّعوا ما ادّعوه ؟ وأنّى لهم الإثبات ؟ بل اشتهر غير مرة أنهم عثروا في بعض الممالك كإيطاليا على كتب تواريخ عنهم ، دالة على حقيقة مذهب الإسلام ، فطمروها سريعاً خوفاً من الفضيحة . وثالثاً : على فرض صحة دعواهم ، وتسليم عدم ذكر أهل السير والتواريخ ، نقول : إن عدم ذكرهم فيها ، إما لعلمهم بكونه من جملة معاجز نبينا ، فلم يشتهه عناداً ، حتى يكون لهم طريق إنكار نبوته ، وعدم ثبوت الحجة عليهم بضبط ما هو مُعْجَزٌ وخارقٌ للعادة ، ومبطل لدعواهم في كتبهم وتواريخهم ، كما مرّ في الجواب ، وإما لاعتقادهم بأن شق القمر كالخسوف والكسوف ، لامتناعهم الخرق والالتئام في الفلك ، وقولهم بمحاليتهما ، أو كظهور شيء في الجو كنجم ذي ذنب ونحوه ، وأجاب به أيضاً الإمام فخر الرازي في (التفسير الكبير) في تفسير سورة ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾^(١) ، قال : وأما المؤرخون تركوه ؛ لأن التواريخ في أكثر الأمر يستعمله المنجم ، وهو لما وقع قالوا بأنه مثل خسوف القمر ، وظهور شيء في الجو على شكل نصف القمر في موضع آخر ، فتركوا حكايته في تواريخهم انتهى .



(١) سورة القمر ، الآية : ١ .

المقالة الرابعة

في إبطال القول بوحدة الناطق

الاعتقاد بوحدة الناطق

والمراد بها عند من قال بها : لزوم وجود رجل واحد ناطق غير إمام الزمان في كل عصر وأوان ، يعني : يجب أن يكون في كل عصر وزمان رجل كامل من جميع الجهات غير إمام الزمان ، عالم بكل العلوم ، ومتصرف في الكون ، وواسطة بين الإمام والرعية في إيصال الفيوضات الكونية والشرعية من الإمام إلى محالّه من الخلق ، ومرجع لتمام المخلوقات من جميع المراتب ، ولا يجوز لأحد من العلماء مع وجوده ادعاء استقلال واجتهاد ، بل يجب عليهم أن يدعوا الخلق إليه ، ويجب على جميع المكلفين معرفة ذلك ، ولو ماتوا ولم يعرفوه ، ماتوا ميتة جاهلية ، وميتة كفر ونفاق .

ويسمّون هذا الرجل في كتبهم ورسائلهم بأسماء عديدة : كالناطق ، والإمام ، والنائب الخاص ، والشيخ ، والسلطان ، والحاكم ، والإمام الناطق ، والوزير ، والنائب الكلي ، والربّ ، ومؤسس الأساس ، ومقنن القانون ، والرحمن ، والإله ، والشهيد ، والنذير ، والباب ، والركن ، والقطب ، وسلطان الدنيا والآخرة ، والحجة الكلية . ومبتكرو هذا الاعتقاد ومؤسسوه قد ملؤوا كتبهم ورسائلهم ، لا سيّما كتاب (برهان القاطع) للحاج محمد خان ، والرسالة الإسحاقية له أيضاً ، ورسالته في جواب سؤال الشيخ الجليل الشيخ حسين^(١) المزيدي رحمه الله .

(١) هو الشيخ حسين ابن الشيخ محمد المزيدي من علماء الشيعة في الكويت ، توفي سنة (١٣٠١هـ) .

وننقل - إن شاء الله - في الفصول الآتية عين عباراتهم ، وننزه ساحة الشيخ الأوحى الأحسائي ، والسيد الأمجد الرشتي ، وسائر تلاميذه ، ومن شرب مشربه عن رائحة هذا الاعتقاد الفاسد ، والمذهب الكاسد ، فانتظر لذلك .



الفصل الأول

إثبات معتقد محمد كريم خان

يجب علينا أن ننقل مقداراً من كلمات الحاج محمد كريم خان ، وولده الأرشد الحاج محمد خان رحمهما الله من كتبهما ورسائلهما ؛ حتى نثبت معتقدهم ، ونسّد طريق الاعتراض والإنكار من تابعيهما ومريديهما . قال الحاج محمد كريم خان في خطه إلى السيد الأُمجد أنار الله برهانه : (ومن المطالب : أن اعتقادي أن من لم يعرف السابق عليه ، والباب الذي يجري منه جميع الفيوض التي به قوامه ، كوناً وشرعاً إليه ، لم يعرف شيئاً من التوحيد ، والنبوة ، والإمامة ، ومن لم يعرف أن بينه وبين الأئمة عليهم السلام من القرى الظاهرة ، فليس بموحد ، ولا ملّي ، ولا شيعي ، ولا موالي ، وإن كان في الشرع الظاهر يُسمّى بذلك ، ولكن كلامي في الحقيقة ، وأريد به تسميته إذا لُحِدَ في قبره ، وسهر في برزخه ، وقام في قيامته . وكما أنه لم يُسمَ بذلك اعتقاداً : لم يصل ، ولم يصم ، ولم يُزَك ، ولم يُحَمَّس ، ولم يُحَج ، ولم يجاهد عملاً ، فأعماله كلّها هباء منثور ﴿وقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾^(١) . ولا أرى الأعمال منجية وإن صَلُحَتْ ، إلّا بولايته ، إلى أن قال : والبرهان على ذلك أن جميع الفيض ، والخير ، والنور ،

(١) سورة الفرقان ، الآية : ٢٣ .

والكمال ، والمدد الطيب يجري على الرجل المتقدم عليه الذي هو بابه إلى الله ، وباب الله إليه ، وهو فؤارة القدر ، فَمَنْ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ واستمدَّ منه بالإقرار به والمحبة له ، الجاذبة عند الإمداد ، سعد وفاز ، ومن لم يتوجه إليه وأدبر عنه ، شقي وخسر ، كائناً ما كان ، وبالغاً ما بلغ ، قرشياً كان أو حبشياً . وأنا عبدك الأثيم محمد كريم ، قد انقطعت من الدنيا كلها إليك ، وقطعت جميع العلائق ، واعتصمت بحبك الذي لا انفصام له ، وأهجر فيكم زوجتي وبناتي ، وصرت فيك كما قال الشاعر فيهم :

مُشَرَّدُونَ نُفُوسًا عَنْ عَقْرِ دَارِهِمْ كَأَنَّهُمْ قَدْ جَنُّوا مَا لَيْسَ يُغْتَفَرُ^(١)

ونطرد ، ونشرد ، ونخذل ، ونقتل ، ونعادي ، ونؤخذ ، ونصبر فيك ، فهل بعد ذلك حجب ومنع ؟ وجميع ذلك أنت مطلع عليه ، وقد صرت بتمامي في ذكرك ، ولأجلك ، وجميع ذلك بمرأى ومسمع منك ، وليس آمن عليك بذكرك ذلك ، بل إننا ممنونون ، فإنه منك برز إليك ، إلا أنني أستعطفك بذكر آلائك ، وأسترحمك بنشر نعمائك ، والحمد لله رب العالمين ، فإن منعني بعدلك ، وإن قبلتني ، فبفضلك . وإني أعرض عليك اعتقادي فيك وعملي وخدمتي وسلوكي ، فإن ردّدتني ، فبسوء

(١) هذا الشعر لدعبل الخزاعي الشاعر المعروف ، يقول في مطلعها :

لا أضحك الله سني الدهر إن ضحكت وآل أحمد مظلومون قد قهروا
وهو صاحب التائية التي يقول فيها :

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً وقد مات عطشاناً بشط فرات
إذا للطمت الخدّ فاطمٌ عنده وأجريت دمع العين في الوجنات

هو : دعبل بن علي بن رزين الخزاعي ، أبو علي ، وُلد في الكوفة سنة (٧٦٥هـ) وتوفي سنة (٨٦٠هـ) ببلدة تدعى الطيب بين واسط وخوزستان .

قابليتي ، وإن قبلتني ، فبحسن جودك ، وويلاً لي ، إن ردّدتني بعدما اعتقد أن من لم يعرف هذا الأمر ، فهو ضال ، وهذا الذي أرى فيك ، أن الشيخ الأجل الأجد أعلى الله مقامه كان قطب زمانه لتصريح النبي صلى الله عليه وآله فيه : أنت القطب . ومن المعلوم أن العقل هو وسط الكل ، فالعقل هو القطب ، فعلى ما ذكرنا سابقاً : كان أعلى الله مقامه العقل الظاهر ، والعارف عاقل ، والعقل ما عُبدَ به الرحمن واكتسب به الجنان ، فالشيخ الأكبر هو الذي به يعبد الرحمن ويكتسب الجنان ، لأنه العقل ، ومن قوله أعلى الله مقامه : وصلت طويلاً إلى ما وصل إليه سلمان^(١) ، ولكنه علمه في العرض أكثر مني . ولم ندر هل قال ذلك في أول أمره أو آخره ؟ وعلمنا أن سلمان : في آخر درجة من الإيمان ليس فوقه أحد ، بل ربما كان من البرازخ ، بل كان لقوله عليه السلام : (لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لكفره)^(٢) مع إيمان أبي ذر الآن ، فمن هذا الوجه علمنا أنه : قطب العقول أيّ : قطب النقباء ، ووجه إلى الأركان والغوث الأعظم ، وبرزخ بين ظاهر الأركان وباطن العقول ، كما كان سلمان كذلك ، فكان في مقام لا يفوقه شيعي ، ولكن هل يساوي غيره ؟ كما أن الأركان الأربعة وهم أعلى النقباء ، لكن مع تكثر الأركان والنقباء ، عرفت النقيب في مقام الواحدية ، والركن في مقام

(١) سلمان الفارسي صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله والذي أطلق عليه رسول الله صلى الله عليه وآله : سلمان المحمدي .

(٢) رجب البرسي : مشارق أنوار اليقين . ص ٣٠٦ . وفي رواية عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أنه قال : (والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله . . .) بحار الأنوار ، ج ٢ ص ١٩٠ .

الأحدية ، والغوث لا اسم له ولا رسم ، إلّا في الركن والنجيب . فوجه كون الشيخ الأكبر قطباً مع إمكان كون آخر يساوي أنه قطب جهة ، أو قطر ، أو صقع ، أو إقليم ، لأن القطب في كل جماعة وجههم إلى المبدأ وإن كان لصقع آخر قطب آخر . كما أن لزيد وعمرو وبكر لكل واحد وجه إلى المبدأ ، هو آية الله فيه ، وعلمنا أن كل نائب لابد أن يكون في حدّ المنوب عنه وجنسه ، ويكونان من روح واحد ، ونور واحد ، وطينة واحدة ، كالنبي والأئمة ، وكل واحد منهم وكلهم محمد صلى الله عليه وآله ، هذا إذا كان النائب على الإطلاق ، وإلا يمكن النيابة في أمر مخصوص ، كأخذٍ وعطاءٍ وغيرهما ، وعلمنا من طيفك الصادق ، إلى أن قال : وقد رأينا أن الأمر بعده رجع إليك ظاهراً ، ولا ناطق بعلمه سواك ، وإن كان الناطقون كثيرين ، ولكن أين نطقهم من نطقك ؟ ولم يستفد من الشيخ غيرك ، وكل من علم بعده علم منك ، فأنت نائبه بالنص الجلي منه أعلى الله مقامه ، والنائب في حد المنوب عنه ، فإذا أنت الذي بك يُعَبَّدُ الرحمن ، ويكتسب بك الجنان ، وأنت سبيل الله ، وأنت باب الله لا يُؤْتَى إلّا منه ، كما سمعت منك في الطيف ، والآن يكون قريب ثلاث سنين وأزيد ، أني جعلتك لوجهتي باب اتجاها في أوقات دعواتي وصلواتي ، وأقدمك بين يدي حوائجي وإرادتي في كل أحوالي وأموري . وقد قال الشيخ : إن هذه الزيارة من باب سلامي على جيران ليلي ، وفي الدعاء : اللهم إني أتوجه إليك بمحمد وآل محمد وأقدمهم بين يدي صلواتي وأتقرب بهم إليك . وفي الحديث قل : اللهم صلّ على محمد وآل محمد ، دون أهل بيت محمد ، ليدخل الشيعة . وقال عليه السلام : (أنتم من آل محمد من أنفسهم) ، وأنت باب له ظاهرٌ وباطنٌ . وفي

الفقه الرضوي عليه السلام : (إذا أردت أن تفتح صلاتك ، فاجعل أحداً من الأئمة نصب عينيك) ، فأنا في جميع حالاتي مقدّمك باباً في اتجاهي ، وأعتقد وأعمل على تفصيل قدّمته ولا أعيدّه . وقد مرّ في المطالب السابقة ، وأعتقد أن من لم يفعل هكذا صلّى إلى غير جهة القبلة والوجهة ، وهو مُدْبِرٌ مولٌّ عن مبدئه وعن فَوَارة القدر ، ولا يصل إليه الفيض ، وهو مظلم ، وعلمت أن حقيقة جميع العلوم ، ونقطة العلم معرفة شيخ الوقت ، وأصل العمل وحقيقته وروحه حبُّ الشيخ ، لأن من عرف الشيخ ، عرف الله ، والنبي ، والوصي ، وصفاتهم وأسمائهم ، وليس إلّا الله وأسماءه وصفاته ، ومن أحبه هو العامل بعمل الحي ، قال عليه السلام ^(١) : (هل الإيمان إلّا الحب والبغض ؟) (حبُّ عليّ حسنة لا تضر معها سيئة) ^(٢) ، ومن أحبه عمل بما يرضيه واجتنب ما يسخطه ، وإن كسر شيئاً من عمله أحياناً أجبره الحب أحياناً . وأرى أن من ليس له هذان ، لا علم ولا عمل ، وإن منتهى الحظ من الله ، والنبي والولي صلى الله عليهما ما تزود اللحظ في الشيخ ، لأن منه يتزود اللحظ لا غير ، والمدركون لذلك قليل . وأرى زينة الحياة الدنيا هذا هو ، كذا اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي . ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ ﴾ ^(٣) ، هذا هو نسوا الله فَنَسِيَهُمْ ، ترك هذا ، واتبع سبيل من أناب إلى هذا هو ،

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي . المجلد السادس عشر . ج ١٦ ، ص ٥٣٣ . أيضاً التعليقة على رياض المسائل : السيد عبد الحسين اللاري . ج ١ ، ص ٤٨٦ .

(٢) نهج الحق وكشف الصدق : العلامة الحلي . ط ١ ، ١٤٢١ هـ . ق . ص ٢٥٩ . أيضاً الفضائل : شاذان بن جبرئيل القمي . ص ٩٦ .

(٣) سورة الزخرف ، الآية : ٣٦ .

ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوّله ترك هذا ، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(١) ، هذا هو لأنهم قالوا : سبيل الله شيعتنا ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^(٢) ، هذا هو ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ، هذا هو إلى غير ذلك من الآيات والأخبار التي أمر عليها ، وأرى فيها هذا الأمر ظاهراً ، بل لا أرى غيرها ، ولا أطيل تصديعك بذكرها مجملاً ، أما في الديار سواء لابس مغفر وهو الحمى والحي والفلوات .

هذا اعتقادي فيك قد أبديته فليقبل الواشون أو فليمنعوا

ولكنه أبديته لك وأخفيت عن غيرك ، إلّا واحداً من إخواني المصدقين هذا مجملاً ، وعن اثنين آخرين كانا صوفيين ما كانا يدخلان في هذا الأمر ، إلّا بمثل هذا ، فأرخت لهما العنان في الجملة ، فقبلا ودخلا ، وأخفيت عما سواهما ، ولما كان يجب عليّ عرض الحال عرضته عليك والأمر أمرك ، اصنع كلّ ما تأمرني به انتهى كلامه رحمه الله .

ثم يذكر بعد هذه العبارة مطالب قريبة مما ذكرنا ، فتأمل فيها تراها صريحة في المدعى ، حيث صرّح بوجوب اعتقاد رجل واسطة بين الخلق والأئمة في إيصال الفيوضات الكونية والشرعية ، وسمّاه - زيادة على ما عددناه من أسمائه - : بشيخ الوقت ، كما يُسمّي الصوفية مرشدهم به ، وبالباب ، وفوّارة القدر ، والعقل ، وقطب العقول ، وقطب النقباء ،

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٦٩ .

(٢) سورة يس ، الآيتان : ٦٠ - ٦١ .

وقال : بأن ذلك الرجل في زمان الشيخ الأوحـد هو ، وبعده السيد الأمجد ، ومن لم يعتقد بما ذكره من معتقده ، فليس هو بموحد ، ولا ملّي ، ولا شيعي ، ولا موالٍ ، وجميع أعماله من : الصّلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج ، والجهاد ، وغيرها ، هباء منثور . والعمل المنجي له في البرزخ ويوم القيامة محبة هذا الرجل والإقرار بفضائله وولايته ، ومن عرفه فاز وسعد ، ومن لم يعرفه أو أنكره شقي وخسر ، وهو : سبيل الله وبابه ، وبه يعبد الله ، وبه يكتسب الجنان ، وقال خطاباً للسيد الأمجد : بك يعبد الرحمن ، ويكتسب بك الجنان ، وأنت سبيل الله ، وأنت باب الله لا يؤتى إلّا منه ، والآن يكون قريباً من ثلاث سنين وأزيد ، إني جعلتك لوجهتي باب اتجاھي في أوقات دعواتي وصلواتي . . . الخ . ونسب بعض الأطياف الجعلية إلى السيد الأمجد زعماً منه أنه يمكن إثبات المطلب المخالف للضرورة به ، كما ستعرف إن شاء تعالى .

وإن أردنا إبطال ما ذكره في خطه هذا كلمة بعد كلمة ، بَعُدْنَا عن المطلب في المقام ، وخرجنا عن النظام . ثم إنه لسنا في هذا الفصل في صدد التعرض لفساد ما ذكره وإبطال ما برهنه ، بل المقصود الأهم فيه إثبات ما أمّ وتوضيح ما به اهتمّ ، تأكيداً للمدعي وتبييناً لما ادّعى ، فانتظر النقض والإبرام فيما يأتي من فصول المقام .

وبالجملة ، قال أيضاً في آخر خطه وخاتمته : (ومما يجب عرضه عليك : إن الله سبحانه قال لنبيه صلى الله عليه وآله : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ ^(١) ، وقال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ^(٢) ، وهو أمر لا بدّ

(١) سورة الزمر ، الآية : ٣٠ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٨٥ .

منه ولا مفر عنه ، وقد مات محمد صلى الله عليه وآله وعلى أولاده عليهم السلام وشيعتهم ، وهذا أمر كائن ، فإن كان كائن عليك لا أرانا الله ذلك ، فَمَنْ ولي الأمر بعدك ؟ وإني اعتقد اعتقاداً جازماً أن من لم يعرف شيخ زمانه لم يعرف إمامه يقيناً . فإن الشيخ سبيل الأنام وجهه وتعريفه ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ، ولا بدّ لمعرفة كل شيخ من نص الشيخ السابق على اللاحق ، أو تصريح نفس شيخ الزمان بعدما عرفت صدقه ، ونحن الآن قد منّ الله علينا بتصديقكم ، لما رأينا من آثاره ، حتى لو كان ، يجوز نبي بعد نبينا صلى الله عليه وآله وادعيت النبوة لم نطلب منكم معجزة ، بل والله ، مع ذلك لو ادعيت ذلك الآن ، بل أعظم من النبوة وأعظم لصدقتك بلا معجزة ، كما كتبت فيما قبل ، بلا ادعاء منك ، فإن الله صدقك ، وقدرك ، وأصلح أمرك ، ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاجِرُ حَيْثُ أَتَى﴾^(١) ، وأنت مصدق فيما ادعيت مطلقاً بلا معجزة ، فإنك بنفسك برهان ، والمعجزة للجهال ، فالمرجو منكم أن تنصّوا على الشيخ الذي بعدكم ، فلعلي بمقادير الله بقيت ، فلا أموتنّ ميتة الجاهلية ، وأكون بفضلك وجودك عارفاً بربي ، وهذه (سنة الله التي قد خلت من قبل ، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(٢) . وقد كانوا يسألون وينصون ، كما نصّ الأئمة ، والمشايخ ، وشيخنا الأوحّد . فأسألك بجاه شيخك ، ووجه الله الأكرم لك ألا تُخَيِّبني ، وأنا عبدك لا تلميذك ، إن أمرتني بالكتمان ، فلن نفشي بحول الله وقوته ، وأنا متوقف أمرك ونهيك ، وهذه

(١) سورة طه ، الآية : ٦٩ .

(٢) سورة يونس ، الآية : ٨١ .

(٣) سورة الفتح ، الآية : ٢٣ .

حاجتي ، فاستجب لي ، وما قصرت في الدعاء مما فيه صلاحي ونظم أمري ، مُنَّ عليَّ من عندك فضلاً منك ، فإنك واسع كريم . . . إلخ) .

فانتظر ، لإبطال هذا المذهب ، وتنزيه ساحة الشيخ الأوحد ، والسيد الأُمجد من هذه المقالات والأقاويل بأوضح سبيل ، وأتم برهان ودليل ، ولا يضرهما هذا الاعتقاد في حقِّهما ، ولا يدلّ على رضاهما ، بل مثل من يعتقد في حقِّهما من العقائد الردية مثل النصاري ، حيث يعتقدون في حقِّ عيسى عليه السلام الألوهية ، وليس كل اعتقاد المعتقدين دليل رضى المعتقد فيه من الموحدين ، وإلا لرضي نبياً الله : موسى وعيسى بما قال فيهما اليهود والنصارى من زخرف الأقاويل - العياذ بالله - .



تنبيه

الظاهر من إصراره للسيد الأُمجد أنار الله برهانه هو الاستجازه منه ، والتصريح منه أنار الله برهانه في حقِّه بما يقوى به عزمه ، ويشتدّ به جزمه . فمع إصراره كله ، لم يُجب خطه ومكتوبه على ما سمعنا ممن سمع من السيد الجليل السيد محمد الخراساني^(١) ، تلميذ الشيخ الأوحد ، وغيره ممن حضر مجلس السيد الأُمجد ، فضلاً عن الإجازة

(١) الشيخ محمد كاظم الخراساني : (١٢٥٥ - ١٣٢٩ هـ) المعروف بالآخوند من أساتذته : الشيخ هادي السبزواري ، والسيد محمد حسن الشيرازي ، والشيخ مرتضى الأنصاري ، ومن تلامذته السيد حسين الطباطبائي البروجردي ، والشيخ عبد الكريم الحائري - الآغا بزرك الطهراني وغيرهم . ومن مؤلفاته : كفاية الأصول - الفوائد - درر الفوائد . توفي =

له ، مع احتمال وجوب الجواب ، لأن جواب الكتاب كَرَد السلام في بعض الأخبار ، وما يبرزه التابعون والمريدون من الإجازات كذب ومجْعول ، ليست مناط الاعتبار . إذ هو رحمه الله في أول كتابه (فصل الخطاب) في الفصل السادس والعشرين ، قال : فقد أجازني في رواية جميع تلك الكتب التي نقلت منها كتابي . هذا ، العالم العامل ، والفاضل الكامل ، الولي بلامين ، جناب الملا حسين الكنجوي^(١) ، والعالم الثقة الأمين الآغا محمد شريف الكرمانى^(٢) بحق روايتهما إجازة عن السيد القمقام والحبر العلام^(٣) ، إلى أن قال سيدنا ، وسندنا وفخرنا ، وعزنا ، وأستاذنا ، السيد كاظم ابن السيد قاسم الرشتي أعلى الله مقامه وأُناَر في العالمين برهانه . . . الخ . ثم ذكر إجازة السيد الأمجد لهما في كتابه تبركاً وتيمناً ، فلو كان مجازاً منه أنار الله برهانه بلا واسطة لكان نقل إجازته له في كتابه أولى وأقرب إلى افتخاره . ورأيت في نسخة صحيحة خطية ، أنه نقل إجازة السيد الأمجد لهما في هامش كتابه ، ولما طبع دخلت في المتن ، وتغيّر متن العبارة بواسطة إدخالها فيه ممن طبع ، والفظن الذكي لا يخفى عليه حزاة العبارة لو تأمل فيها ، إذ من المعلوم أن إدخال فقرة أو أكثر بلا تحريف في العبارة موجب لحزازتها .

الحاصل ، وإن كان ذكُر هذا المطلب لا يليق بالمقام ، لكن لما

= بمدينة النجف ودفن بجوار مرقد الإمام علي عليه السلام . فهرس التراث : محمد حسين الحسيني الجليلي ج ٢ ، ص ٢٥٦ .

- (١) هو الملا حسين بن مولى قلي الكنجوي التبريزي .
- (٢) محمد شريف بن طاهر الكرمانى ، أستاذ السيد كاظم الرشتي ، عالم إمامي فقيه من أعلام القرن الثاني عشر الهجري .
- (٣) هو السيد كاظم الرشتي قدس الله سره .

رأيت بعض الإجازات الجعلية المفصلة والمختصرة له رحمه الله المنسوبة إلى السيد الأجد قدس الله سره في أيدي بعض التابعين له ، أحببت التعرض له ، كي لا يغتر بها بعض الإخوان من أيتام أمناء الرحمن ، ويعتقدوا صحة ذلك بلا دليل وبرهان .

قال أيضاً رحمه الله في الرسالة الواردة في أواخرها : فحينئذ يُمكن أن يكون في عصرٍ واحدٍ شخصان محيطان بجميع الأشياء التي في رتبتهما ، وما دونهما خبراً ، ولكن لا يمكن أن يكون كلاهما ناطقين ، بل أحدهما ناطق ، والآخر صامت وجوباً ، والمراد بالناطق المعبر : المؤدي كوناً وشرعاً ، والصامت العالم ، غير المعبر المؤدي إلخ . وقال بعد هذه العبارة : فاعلم ، انه يجب أن يكون في كل خلق رجلٌ من الشيعة يحكي في جميع فتاويه الحجة المعصوم الحي ، يعني فتاويه في الولايتين جميعاً . . . إلخ .

وقال أيضاً ، في رسالته (الفوائد الموضوعة) ؛ لإثبات هذا المطلوب في الفائدة السادسة ، بعد نقله الأخبار ، والأدعية ، والآيات ، وتأويلها - على زعمه - في حق النقباء : وبعد صحة إطلاق اسم الإمام وكونهم ، أي : النقباء . إمام زمان من يليهم ، كما عرفت من الأخبار السابقة والدعوات ، فيشمل هذا المقام الخبر المتواتر : (من مات ولم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة جاهلية)^(١) ، بل ينحصر الخبر فيهم ، لأن آل محمد صلى الله عليه وآله هم أئمة الملك ، وأئمة العالمين ، ولا

(١) الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة . ص ٤٠٩ ، باب ٣٨ ، ح ٩ . ورد أيضاً :

ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب . ج ١ ، ص ٢١٢ .

اختصاص لهم بزمان دون زمان ، كما أن الله (سبحانه) ربُّ العالمين ،
والنبي نبيُّ العالمين صلى الله عليه وآله ، وكل أوصيائه أئمة العالمين ،
وأما إمام الزمان ، فهو النقيب في العصر الذي يليه . . . إلخ .

وقال أيضاً في رسالته الموضوعة في جواب سؤال ملا محمد باقر
الرائني الكرمانى : فإذا جاز إطلاق لفظ الإمام والحجة على أكابر الشيعة
وأفاضلهم ، وورد أخبار كثيرة في لزوم وجود إمام ظاهر ، وحجة قائمة
في كل عصر ، تبين أنه لا بدّ وأن يكون في كل عصر من شيعتهم حجة لله
ظاهرة ، وإمام يقتدى به ظاهر ؛ حتى يرجع الناس إليه ، ثم قال بعد هذا
الكلام : تبين أن من مات من هؤلاء ، وليس له إمام مات ميتة جاهلية ،
ومن أصبح من هذه الأمة لا إمام له من الله ظاهراً عادلاً أصبح تائها ،
وإن مات على هذه الحالة مات ميتة كفر ونفاق ، إذ تركه بعد المعرفة
 وإقامة الحجة .

وقال أيضاً في كتابه (إرشاد العوام) في المجلد الرابع ، في الصفحة
العاشرة من طبعة بمبي : وهمجنين اين ملك بايد دائماً حاكم حي در آن
قائم باشد وتديبر ملك وعباد وبلاد را نمايد واحوال رعيت خود عالم
وتديبر أمرايشان نمايد .

وقال أيضاً في الصفحة الحادية عشرة والحادية والعشرين منه : امام
غايب مثل امام مرده است كفاية نميكنند ، حي حاضر ضرور است . ولو
تصفّحت المجلد الرابع من ذلك الكتاب ، لا تجد فيه ورقة ولا صفحة
إلا صرّح فيها ، وأشار ولوّح على لزوم وجود هذا الرجل الذي يعبر عنه
بالإمام الحي ، الحاضر ، الناطق ، فلا حاجة إلى نقل عبارته .

وقال ابنه الحاج المرحوم محمد خان في رسالته الموضوعة في

جواب سؤال الشيخ (بلامين) الشيخ حسين المزيدي في أوائل الرسالة :
وأما ما ذكرت من وحدة الناطق ، فلا أريد وحدثهم بل أريد منه رئيس
الكل وسائسهم ، وهو النائب الخاص الذي يكون للإمام عليه السلام في
كل زمان ، وقام على ذلك البرهان من كلام مشايخي . ثم قال بعد قليل :
فإذا كان للإمام نائب خاص يكون هو المرجع لجميع النقباء ، وهم
يعرفونه ويدورون حوله ، وهو يسبقه ، يكون أول مستفيض من الإمام ،
وهو يفيض عليهم دائماً ، والإمام يفيض عليه ، وهم لا يتمكنون عن
الاستفاضة عن الإمام عليه السلام ، وقال أيضاً بعد قليل : فهذا النائب
الخاص هو الناطق للنقباء ، ويجب على الجميع الانقياد له ، والتسليم
لأمره ، والأخذ عنه . . . الخ .

ثم يستشهد على مطلبه الفاسد ببعض كلمات الشيخ الأوحده والسيد
الأمجد التي سنذكرها في الفصول الآتية ، وننزهها عن هذا الاعتقاد .

وقال أيضاً في آخر تلك الرسالة : وبالجمله ، لا حاجة إلى تفصيل
القول ، ومجمل الكلام الذي أعيده في الختام : أن وحدة الناطق أمر
مُسَلَّم ، والمراد منه : النائب الخاص ، أو من يقوم مقامه . انتهى .

وقال في الرسالة الموضوعه للجواب عن سؤالات ملا علي
الأسكوئي في أوائل المسألة التاسعة عشرة : ولكنهم استبدوا بآرائهم ،
وزعموا أن علم الشيخ عندهم ، غفلة عن حقيقة الحال : أن في زمان
واحد ، لا يمكن تنطق اثنين ، والناطق واحد والباقون ساكتون ، وإن لم
يكن هكذا ، لكان الواحد باطلاً ، وفي زمان أبي كان الحق معه ، وفيه ،
ومنه ، وإليه ، ولم يشركه أحد في أمره . انتهى .

وقال في رسالته السلوكية : مثل اينكه شيخ مرحوم أعلى الله مقامه در

باره سيد مرحوم اعلى الله مقامه فرموده سيد كاظم يفهم وغيره لا يفهم يا لا يقول الا ما اقول انا وهمچنين سيد مرحوم اعلى الله مقامه ورفع في الخلد أعلامه در باره مولاي من أعلى الله مقامه بطور اشاره فرموده از اين جهة است كه مولای من فرمود خواستم نايب خود را تعيين كنم تا پس از من اختلاف نشود شيخ مرحوم وسيد مرحوم نفرمود من هم نميكنم واگر بطور عيان واضح ميفرمودند كه بعد از من رو بفلان كنيد اختلاف نميشد الا القليل وامتحان حاصل نميشد . يعني : كما أن الشيخ المرحوم^(١) أعلى الله مقامه قال في حق السيد المرحوم أعلى الله مقامه : سيد كاظم يفهم ، وغيره لا يفهم ! أو لا يقول إلا ما أقول أنا ، وكذلك السيد المرحوم أعلى الله مقامه ورفع في الخلد أعلامه ، قال في حق مولاي أعلى الله مقامه بطور الإشارة ، ولهذا قال مولاي : أردت أن أعين النائب بعدي ، حتى لا يقع الخلاف بعدي ، فحيث إن الشيخ المرحوم والسيد المرحوم لم يُعَيَّنَا ، أنا أيضاً ، لم أُعَيَّن ، ولو كان يقول واضحاً بطور العيان : ارجعوا بعدي إلى فلان ، لما وقع الاختلاف إلا القليل ، ولما حصل الامتحان . انتهى .

ليت شعري ، هل يثبت هذا الأمر المخالف للضرورة بقول فلان وفلان ، وهو أيضاً بطريق الإشارة لا العيان ؟ وأين قال السيد الأُمجد في حق أبيه : بطور الإشارة ما قال ؟ أو قال الشيخ الأُوحد في حق السيد الأُمجد ما قاله من الكلام على وجه التريديد ؟ وإطلع عليه هو وأبوه ، ولم يُطلع عليه سائر المشايخ الكرام الذين فازوا من محضرهما على الدوام ما

(١) الشيخ الأُوحد .

لم يفز به غيرهم ، ونالوا من إفاداتهما النصيب الأعلى ، واستفادوا من كلامهما ما هم به أولى ، واستجازوا منهما بتلك الإجازات المطوّلة الزاهرة الصريحة الدالة على علو رتبهم ، وطول باعهم في العلوم الباهرة ، ومعلوم أنهم أولى بالسر ممن لم يجيزاه بإجازة الرواية التي جرى بها سيرة العلماء ، وديدن الفقهاء خلفاً عن سلف ، فضلاً عن إجازة الدراية ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . دعتنا هذه الزخاريف إلى تسطير ما ليس هو شأننا في المقام ، ولا مناسب لما نحن بصدد من الكلام ، نعوذ بالله من زلل الأقلام .

وقال أيضاً في بعض رسائله في الجواب عن مسألة الناطق : بدانکه ناطق امام است ونبی ودر وحدت ایشان أبدا سخن نیست از زمان آدم تا به حال همیشه ناطق یکی بوده خواه از ائمه ما باشد یا سایر پیغمبران إلى ان قال ومرادان ناطق نه محض سخن گواست بلکه مرادان کسیست که مرجع خلق باشد و خود رئیس و سائیس باشد ، إلى أن قال : خلاصه چنین شخصی در ملک خدا هست که نائب خاص اما است و بر همه کس تسلیم امر او فرض است اگر او را ببینند و شناسند و هر کس از او تخلف ورزد در صورت شناختن یا دوستی نوعی و تسلیم نوعی او نداشته باشد در صورت شناختن از دوستی امام خارج است و کافر است مثل سایر کفار و این نائب خاص مسلم یک نفر است حال ما اصطلاح کردیم اسم او ناطق گذاردیم تو میخواهی اسم دیگر براو بگذار و این ناطق است نسبت بسایر خلق اگرچه صامت است نسبت بامام خود ، إلى أن قال : خلاصه پس مطلب ما در آن مقام آنشخص است و امروز هم کسی ادعای این مقام را نکرده و ما هم او را شناخته ایم و اما در ظاهر میان علما هم

بسا میگوئیم ناطق یکیست و مراد نیست که حامل علم شیخ مرحوم اعلی الله مقامه یکیست چرا که شیخ مرحوم یک نفر عالم بودند و یک نفر نائب دارد و امام میفرماید که خداوند عالم را نمیبرد مگر اینکه نایبی برای او میگذارد و خود او هم ملهم میشود که نایبش کیست پس بعد از شیخ سید مرحوم اعلی الله مقامه در سلسله نائب ایشان بود و بعد از سید مرحوم اقا (اعلی الله مقامه) بودند و خود ایشانهم اظهار میفرمودند که یک نفر نائب دارند . . . إلخ .

یعنی : اعلم أن الناطق إمامٌ ونبيٌّ ، ولم يكن في وحدتهم كلام أبداً ، من زمان آدم إلى الآن ، فكان الناطق دائماً واحداً ، سواء كان من الأئمة أو الأنبياء ، إلى أن قال : والمراد من الناطق ليس من ينطق فقط ، بل المراد منه الرجل الذي يكون مرجعاً للخلق ، ورئيساً ، وسائساً ، إلى أن قال : الخلاصة ، فمثل هذا الشخص في ملك الله ، الذي هو النائب الخاص للإمام موجود ، وفرض على الكل تسليم أمره إن رأوه وعرفوه ، ومن تخلف عنه عند معرفته ، أو لم يكن له محبة نوعية ، وتسليم نوعي عند عدم معرفته ، فهو خارج من محبة الإمام ، وكافر مثل سائر الكفار ، وهذا النائب الخاص مسلماً واحداً ، ونحن - الحال - نصطلح ونسميه بالناطق ، وإن شئت فسمه بغير هذا الاسم ، هذا ناطق بالنسبة إلى الخلق ، وإن كان صامتاً بالنسبة إلى إمامه عليه السلام ، إلى أن قال : الخلاصة ، مطلبنا في مقام ذلك الشخص وفي هذا اليوم أيضاً ، لم يدع أحد هذا المقام ، ونحن أيضاً ، ما عرفناه ، وأما في الظاهر بين العلماء ربما تقول : إن الناطق واحد ، فالمراد أن حامل علم الشيخ أعلی الله مقامه واحد ، والشيخ كان عالماً واحداً ، ويكون نائبه واحداً ، والإمام

عليه السلام يقول : (إن الله لا يرفع عالماً إلا يجعل له نائباً) ، وهو أيضاً ، يُلهم أن نائبه من هو ، فبعد الشيخ كان السيد أعلى الله مقامه في السلسلة نائبه ، وبعد السيد كان (الآقا)^(١) أعلى الله مقامه ، وهو أيضاً ، كان يظهر أن نائبه واحد . انتهى .

الحاصل ، غالب كتب ورسائل الوالد والولد مملوء بما ذكرنا ، وأدلتة العامية كما ترى ، فلا حاجة إلى تضييع الأوراق والعمر العزيز بنقل أزيد مما نقل ، كفانا هذا المقدار في إثبات ما ادعيناه من مذهبه واعتقاده ، وربما يتعرض أيضاً ، لنقل بعض عبائرها عند الحاجة إليها .



(١) يقصد بالآقا والده الحاج كريم خان أي أنه على زعمه أن أباه كان الناطق . . . إلخ .

الفصل الثاني

الاختبار الإلهي بغيبة الإمام الحجة

قال الله تبارك وتعالى : ﴿الم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾^(١). لا شك ولا ريب أن الحكمة الإلهية - من أول الخلقة إلى زمان دولة الحق - اقتضت امتحان الخلق في جميع الأعصار والأمصا، واختبارهم حتى يميز الخبيث من الطيب ، والحق من الباطل ، والسعيد من الشقي . ومن ابتداء العالم إلى الآن ، كان يختبر الله الخلق بأنواع الامتحان حتى يخلص الحق من خلط الباطل ، ويصفي المذهب الصحيح عن القبيح الفضيح ، ويعرف غثه من السمين ، وسرابه من الماء المعين . وكان الاختبار والامتحان غالباً بنوعين : إرسال الرسل وتكذيب الخلق وتصديقهم إياهم ، أو خفاء الحجة من بينهم وغيبته ، حتى تظهر مكنونات الخواطر ومستجنات الضمائر ، إلى أن اقتضت المصلحة الإلهية ظهور نور وجود نبينا صلى الله عليه وآله إلى الوجود ، ومن الغيب إلى الشهود ، وحصول الامتحان به ، وتمييز الإيمان المستودع عن مستقره . فخرج مَنْ خرج من اليهود ، والنصارى ،

(١) سورة العنكبوت ، الآيات : ١ - ٣ .

والمجوس ، وغيرهم ، بتكذيبه ، وشقي . ودخل من دخل في زمرة أهل الحق ، وسعد . وانحصر الحق في المقر والمعتقد به صلى الله عليه وآله وتابعيه لساناً وجناناً . ثم حصل الخلط والمزج بين المسلمين بالكثرة والتوالد ، واحتمل الإيمان المستودع والمستقر في كل فرد من أفرادهم ، وأمكن النفاق والإخلاص في كل شخص من أشخاصهم ، واستقرت النطف الخبيثة في الأرحام والأصلاب الطيبة الطاهرة ، وظَهَرَتْ بصورة أهل الإيمان ولا إيمان لهم واقعاً ، واحتاجوا الى الامتحان أيضاً ، امتحنهم الله سبحانه بنائبه الأول ، والقائم مقامه ، صاحب الأزل الأول ، فَمَنْ أَقَرَّ به ، واعترف بولايته صار من المؤمنين الممتحنين ودخل في زمرة الفرقة الناجين ، وَمَنْ خالفه وأنكر ما خصه الله به من الولاية العظمى ، كان من المشركين والمنافقين ، ودخل في زمرة الفرقة الهالكة الضالين ، ولم يبق بهذا الامتحان العظيم إِلَّا القليل^(١) : (ارتدَّ الناس إِلَّا أربعة) ، وفي رواية : (إِلَّا سبعة) ، وهكذا الأمر في زمن كل واحد من الأئمة الهداة عليهم السلام والصلوات كان يحصل في الخلق الخلط والمزج ، ثم يمتازون بالإيمان بإمام زمانهم ، والإنكار به ، وخرج بهم سلام الله عليهم عن جادة الحق فِرْقٌ كثيرة ، وانحرفوا عنها إلى طريق الضلال ، إلى أن وصلت النوبة إلى إمام زماننا : بقية الله الحجة ابن الحسن عجل الله تعالى فرجه وسهّل مخرجه ، امتحن الله سبحانه ، أولاً : بغيبته واستتاره عن الخلق ، ثم بوكلائه ونوابه الخاص ، ثانياً :

(١) الرواية كما وردت : (ارتدَّ الناس إِلَّا ثلاثة : أبو ذر ، وسلمان ، والمقداد) بحار الأنوار : المجلسي . ج ٢٢ ، ص ٣٥٢ ، ح ٨٠ .

بوكلاته عثمان بن سعيد العمري^(١)، ثم محمد بن عثمان^(٢)، ثم حسين بن روح^(٣)، ثم علي بن محمد السمرى^(٤)، وأمر تمام الشيعة بمتابعتهم على الترتيب، ونهى عن مخالفتهم، وجعل طاعتهم طاعته، ومعصيتهم معصيته، وحصل بهم امتحان جمع كثير، وخرج بهم عن جادة الحق جمّ

(١) عثمان بن سعيد العمري، أبو عمرو الأسدي، ويقال له السَّمان، لأنه كان يتجر بالسمن، ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل: عمار بن ياسر، كان وكيلاً للإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام، وكان سفيراً للإمام المهدي. وكانت توقيعات الإمام المهدي تخرج على يديه، لم تحدد المصادر تاريخ ولادته، توفي في سنة ٢٦٥هـ بالعاصمة بغداد، ودفن فيها، وقبره معروف يزار.

(٢) محمد بن عثمان، أبو جعفر، محمد بن عثمان بن سعيد العمري، تولى السفارة بعد أبيه بنص من الإمام العسكري، وفي نص توقيع الإمام: (وأما محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه وعن أبيه من قبل: فإنه ثقتي وكتابه كتابي)، توفي سنة (٣٠٥هـ).

(٣) أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بر النوبختي، السفير الثالث للإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه تولى السفارة بعد وفاة محمد بن عثمان، وتوفي سنة (٣٢٦هـ). مرّقه ببغداد جانب الرصافة عليه قبة صغيرة، أوصى به السفير الثاني عندما اشتدت به حاله، فقال: (هذا أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي القائم مقامي، والسفير بينكم وبين صاحب الأمر عليه السلام...) وفي أول كتاب تلقاه من الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه قال فيه: (عرّفه الله الخير كله ورضوانه، وأسعده بالتوفيق، وقفنا على كتابه وهو ثقتنا بما هو عليه، وهو عندنا بالمنزلة والمحل للذين يسرّانه زاد الله في إحسانه إليه، إنه ولي قدير).

(٤) السفير الرابع، علي بن محمد السمرى، أبو الحسن، تولى السفارة بعد وفاة الحسين بن روح سنة (٣٢٦هـ)، وتوفي سنة (٣٢٩هـ) في النصف من شعبان، فتكون مدة سفارته ثلاثة أعوام كاملة. وكان آخر توقيع أخرجه إلى الناس، يقول الإمام عجل الله تعالى فرجه فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم يا علي بن محمد السمرى، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك، ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة...).

غفير ، وهلكوا في وادي الضلالة ، وغرقوا في بحر الغاوية ، كأبي محمد المعروف بالشريعي^(١) ، وهو أول من ادّعى النيابة والوكالة من قبل الحجة عجل الله تعالى فرجه ، وتبعه جماعة ، وخرج التوقيع الشريف عن الناحية المباركة بلعنه والبراءة منه ، ولعنه الشيعة وتبرأوا منه لعنه الله .
ومحمد بن نصير النميري^(٢) ، وهو أنكر وكالة محمد بن عثمان وادّعاها لنفسه بعد أبي محمد الشريعي ، والحلاج^(٣) ، والشلمغاني^(٤) ، وأبي طاهر محمد بن علي بن بلال^(٥) ، وأحمد بن هلال الكرخي^(٦) ، ونظائرهم الذين ادّعوا النيابة والوكالة عن طرف الحجة عجل الله تعالى فرجه ، وأنكروا وكالة الوكلاء الأربعة ونيابتهم ، وتبعهم جمع كثير ، ومال عن الحق إليهم جم غفير ، وحصل بإنكار أولئك ، والميل إلى

- (١) أبو محمد الشريعي ، كان من أصحاب أبي الحسن علي بن محمد ثم الحسن بن علي عليهم السلام وهو أول من ادّعى مقاماً لم يجعله الله فيه ، وكذب على الله وعلى حججه عليهم السلام ، ثم ظهر منه القول بالكفر والإلحاد ، فخرج التوقيع من الإمام بلعنه والبراءة منه .
- (٢) أبو شعيب محمد بن نصير العبدي البكري النميري التميمي ، أحد أصحاب الإمامين علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام ، ادعى السفارة .
- (٣) الحسين بن منصور الحلاج (٢٤٤هـ - ٣٠٩هـ) ، ادعى السفارة ، واشتغل بالفلسفة والتصوف وكفّر معظم المسلمين .
- (٤) محمد بن علي بن أبي العزاقر الشلمغاني ، ادعى السفارة وحكم الإمام عجل الله تعالى فرجه عليه في توقيع من توقيعاته بضلاله وانحرافه .
- (٥) محمد بن بلال ، كان ثقة الإمام العسكري عليه السلام ، ولكنه أخلد إلى الأرض ، واتبع هواه وادعى البائية ، فكان من المذمومين ، وخرج التوقيع من صاحب الزمان بلعنه والبراءة منه .
- (٦) أحمد بن هلال الكرخي ، كان من أصحاب أبي محمد عليه السلام ، أنكر سفارة محمد بن عثمان بن سعيد ، فصدر التوقيع من الإمام على أبي القاسم بن روح بلعنه والبراءة منه .

هؤلاء ، امتحان عظيم ، وخرجوا هم وتابعوهم عن الفرقة الناجية الإمامية ، ولحقوا بالفرقة الهالكة الضالة .

* * *

التوقيع المبارك

ثم لما كان الاختبار والامتحان بنص الآية الشريفة من بدو الخلق إلى ظهور دولة الحق ، ورفع الباطل عن وجه الأرض بالكلية ، صار الامتحان - بعد انقضاء مدة وكالة الوكلاء الأربعة الخاصة ، ووقوع الغيبة الكبرى - بوجود النواب العامة ، الذين أمروا الخلق بالرجوع إليهم ، والأخذ عنهم معالم دينهم ، وإيصال الحقوق الراجعة للإمام إليهم ، والذين حُكِّمَهُم حُكْمُ اللَّهِ ، والمستخفُّ بهم ، والرادُّ عليهم ، مستخفُّ بالله ، وراؤُّ عليه ، وعلى أوليائه الكرام عليهم الصلوات والسلام كما في مقولة عمر بن حنظلة ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : (انظروا إلى رجل منكم قد روى حديثنا ، ونظر في حلالنا وحرامنا ، وعرف أحكامنا ، فلترضوا به حكماً ، فإنني قد جعلته عليكم حاكماً ، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه ، فإنما بحكم الله استخف ، وعلينا رد ، والراد علينا كالراد على الله ، وهو على حدِّ الشرك بالله ... الخ)^(١) . وفي التوقيع المبارك : (وأما الحوادث الواقعة ، فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا ، فإنهم حجتي عليكم ، وأنا حجة الله عليكم)^(٢) ، انتهى .

(١) ابن أبي جمهور الأحسائي : عوالي اللآلي . ج ٣ ص ١٩٢ .

(٢) بحار الأنوار . ج ٥٣ ص ١٨٠-١٨١ . النعماني ، الغيبة ، ط ١ ، ص ٢٩١ .

فالنائب العام في زمان الغيبة الكبرى : الذي هو حافظ لدينه ، وصائن لنفسه ، ومخالف لهواه ، ومتبع لأمر مولاه ، حكمه حكم النواب الأربعة الخاصة ، فمن ردّ عليه ، ولم يقبل قوله ، واستخف به بفعل ، أو ردّ قول ، أو افتراء ، أو بهتان ، خرج عن جادة الحق والطريقة المستقيمة ، وكان حكمه حكم أهل الضلال ، إلّا أن يتوب ، ويتوب الله عليه . فويل لمن باع دينه بدنياه ، واستبدل الباقية الدائمة بالفانية الزائلة ، لأغراض فاسدة دنيوية ، كإقبال أشباه الناس الذين يوسوس في صدورهم الخناس إليه ، وتكثير السواد حوله ، واستماع صوت النعال خلفه ، وبالجملة يجب على كل واحد الاجتناب عن أمثال هؤلاء ، لأنهم سرقة الدين ، وعدم الاعتناء والاعتماد عليهم وعلى نقلهم ونسبتهم إلّا بعد التجسس والتفحص ، ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾^(١) ، وعدم الاغترار بهم وبتصنيفهم وتأليفهم إلّا بعد الوثوق بهم والاعتماد بقولهم :

لَوْ كَانَ فِي الْعِلْمِ غَيْرُ التَّقَى شَرَفٌ لَكَانَ أَشْرَفَ كُلِّ النَّاسِ إِبْلِيسُ^(٢)

إذ ليس مقصدهم إلّا الرئاسة الدنيوية ، والوصول إلى مآربهم الدنيئة ، والاكتماب بعلمهم الظاهرية ما هو شرف الدنيا الدنية ، والافتخار بها عند أبناء الزمان ، والارتفاع في هذا الدهر الخوان ، ﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى﴾^(٣)

(١) سورة الحجرات ، الآية : ٦ .

(٢) هذا الشعر للإمام الشافعي ورد كما يلي :

لو كان للعلم دون التقى شرف لأصبح أشرف خلق الله إبليس

(٣) سورة النجم ، الآيتان : ٢٩ - ٣٠ .

فاحفظ وصيتي ، واعلم أن من افترى على أحد من النواب العامة ،
وتجاسر عليه بما لا يليق ، حكمه حكم من استخف بالله وأوليائه
الطاهرين ، وأنكر وكالة النواب المنصوصين والأربعة المخصوصين ،
وخرج - عليه اللعنة - من التوقيع المبارك ، وتَبَصَّرَ في أمر دينك ، وَتَكَلَّلَ
بنور الإيمان ، حتى تعرف سارق الدين في هذا الزمان ، فالقابض فيه
على دينه كالقابض على جمرة غضاء ، وتنجو يوم القيامة عن لهبات
لَظَى .



الفصل الثالث

فساد نسبة وحدة الناطق إلى الشيخ

من جملة ما تمسك به الحاج محمد خان ، واستدل به على ما ذكرناه من مدعاه في رسالته الموضوعة لجواب الشيخ بلامين جناب الشيخ حسين المزيدي رحمه الله ، كلام الشيخ الأوحدي في (شرح الزيارة الجامعة) ، في شرح فقرة : (وشاهدكم وغائبكم) ، قال أعلى الله مقامه : أي مؤمن يشاهدكم ، أي : الأئمة الأحد عشر عليهم السلام ، وغائبكم ، أي : الحجة عليه السلام ، أو شاهدكم أي الناطق منكم ، يعني قطب الوقت ومحل نظر الله من العالم ، المسمى بالغوث - على اصطلاح أهل التصوف - ، ويسميه أفلاطون : مدبر العالم ، وأرسطو : إنسان المدنية ، وهو الفارقليطا ، أي مظهر الولاية ، أو الموجود المقابل لمن مضى ولمن يأتي ، أو الحاضر أو الشاهد على المكلّفين أو لأعمالهم ، أو العالم بالشهادة ، والمدبر إلى الخلق ، أو بالملك المحدث لهم أو عنهم على الاحتمالين ، أو القائم على كل نفس بما كسبت إلى غير ذلك . وغائبكم ، أي : الإمام الصامت . ولا بدّ لكل زمان من ناطق وصامت ، والصامت موقوف على الإذن من الناطق ، فغيوبته بغيوبة الإذن ، فهو ناطق بالناطق ، وحاضر شاهد به ، أي بإذن الناطق ، ويتوقف الإذن على وجود الناطق إلّا في الحسن والحسين عليهما السلام ، فإن الحسين ناطق مع وجود الحسن ، وإنما هو صامت

مع حضوره ومشاهدته ، فيتوقف الإذن على حضوره - خاصة - في حق الحسين ، أو الغائب غير الموجود ممن مضى منهم عليهم السلام وممن سيأتي^(١) . انتهى .

فلو كررت النظر في كلامه أعلى الله مقامه ، لرأيت أنه ليس فيه إشارة على ما ادعاه هو وأبوه من لزوم وجود رجل ناطق ، من دائرة الرعية في كل عصر وزمان ، فضلاً عن التصريح والدلالة . نعم ، يمكن الاستشهاد بعموم فقرة واحدة من كلامه ، وهي قوله : ولا بدّ لكل زمان من ناطق وصامت ، لكنه مردودٌ بأن هذه الفقرة عين الحديث والخبر ، وأنها مقتبسة منه بتصريحه في مواضع عديدة بأن الحديث ليس عاماً ولا مطلقاً ، والظاهر أن المرحوم الحاج محمد خان ، إما غفل عن تصريحه أو لم يطلع عليه ، ولذا خبط خبط عشواء ، قال في المجلد الثاني من (جوامع الكلم) في الرسالة الصالحة بعد السؤال : أنه ورد لكل زمان إمامين : صامت وناطق ، فَمَنْ الصامتُ ، ومن الناطق زمن الغيبة ؟ أقول : هذا الحكم مختص بما عدا الطرفين ، إذ لا يمكن أن يكون آدم على محمد وآله وعليه السلام أول ما خلق وخلقت حواء عليها السلام منه ، ليس معه إمام صامت ؛ لأن شيئاً ابنه عليه السلام أول الأئمة الصامتين ، وهو في آخر أولاد آدم عليه السلام ، ولأن الصامت إنما يكون من أولاد آدم عليه السلام ، وهم متأخرون عنه ، فقد مضى على آدم عليه السلام زمان ، وهو إمام ناطق ؛ لأنه حجة على حواء قبل أن تلد شيئاً ، هذا حكم الافتتاح ، فيلزم أن يكون حكم الاختتام كذلك ، فالحديث المشار إليه

(١) شرح الزيارة ج ٣ ، ص ١٧٨ .

ليس عامّاً ولا مطلقَ الحكم ، فإنهم السّرّ في افتتاح التكليف والحجج عليهم السلام . ونظيره في الاختتام . انتهى .

فانظر كيف صرّح أولاً : بأن حكم الناطق والصامت مخصوص للمعصومين ، وفيما بينهم ، ولا ربط لهم بالرعية كائناً من كان من دائرتها . وثانياً : بأنه لا عموم بالخبر الشريف في المعصومين أيضاً ، ولا شمول له لكلهم ، بل هو مقطوع الأول والآخر ، كان آدم عليه السلام مدة من الزمن ناطقاً ، ولم يكن له صامت إلا في آخر عمره الشريف ، هذا حكم افتتاح المعصومين ، واختتامه أيضاً كذلك ، يعني الحجة عجل الله تعالى فرجه بعد العسكري عليه السلام إلى الآن ناطق أو صامت ، وليس له ومعه ناطق أو صامت .

فظهر أن قوله : ولا بدّ لكل زمان من ناطق وصامت ، في كلامه المنقول مقتبس من الخبر الشريف ، ومراده : من هو ؟ ما فسّره ، وأوضحه ، وبينه في جواب السائل هنا عن الخبر الشريف ، وليس فيه عموم ، ولا إطلاق ، بل هو مقطوع الأول والآخر ، نعم ، عمومه في المعصومين فيما عدا الطرفين كما ذكر ، ولا ربط له بدائرة الرعية بوجه من الوجوه ، فلم يبق للتمسك به محل ، ولا للاستشهاد بكلامه ، بل هو - كما ترى في خلاف ما راموه - ظاهر ، بل بانضمام كلامه الثاني إليه صريح زاهر ، ثم لا يخفى أن من اطلع على الأخبار الواردة في هذا المضمار ، وجاس خلال تلك الديار علم أن لفظي الناطق والصامت من الألفاظ المستعملة في المعصومين ، المختصة بهم دون غيرهم من الرعايا ، منها ما في أصول الكافي^(١) ، في باب (إن الأرض لا تخلو من

(١) الكافي . ج ١ ص ١٧٨ .

حجة) ، عن حسين بن أبي العلاء ، قال : (قلت لأبي عبد الله عليه السلام : تكون الأرض ليس فيها إمام ؟ قال : لا ، قلت : يكون إمامان ؟ قال : لا ، إلّا وأحدهما صامت) . انتهى . وإن كان لفظ الإمام فيه مطلقاً ، لكن القرائن تدل على أن السؤال عن الإمام المعصوم والجواب عنه أيضاً ، والإمام الجعلي المنحوت من المبدعات أو هام أهل هذا الزمان ، لم يكن له ذكر في زمن الأئمة ؛ حتى يقع عنه السؤال ، والجواب يشملهما ، ويطلق عليه لفظ الصامت . ومنها خبر (بصائر الدرجات) عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : (أبى الله أن يجري الأشياء إلّا بالأسباب فجعل لكل شيء سبباً ، وجعل لكل سبب شرحاً ، وجعل لكل شرح مفتاحاً ، وجعل لكل مفتاح علماً ، وجعل لكل علم باباً ناطقاً ، من عرفه عرف الله ، ومن أنكره أنكر الله ، ذلك رسول الله ونحن)^(١) . انتهى ، ومنها فقرة الخطبة الروحية ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : (أنا الصامت ، ومحمد الناطق)^(٢) ، ومنها فقرة حديث النورانية : (وكان محمد الناطق ، وأنا الصامت ، ولا بدّ في كلّ زمان من ناطق وصامت)^(٣) .

وبالجملة ، من كان له أدنى اطلاع في الأخبار علم بلا غبار أن هذين اللفظين مما استعمل فيهم سلام الله عليهم دون غيرهم ، أيّ : من الألفاظ التي لها حقيقة عرفية خاصة . فاستعمالهما في غيرهم يحتاج إلى القرينة ، إذا وجدا في كلامهم عليهم السلام نحملهما على المعصوم ،

(١) (الصفار) ، بصائر الدرجات . ص ٢٦ ، ص ٥٢٥ .

(٢) الحافظ رجب البرسي ، مشارق أنوار اليقين ، ص ٢٦٠ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٥٦ .

ونريده منهما بلا قرينة ، فكيف إذا احتفا بالقرائن المتصلة أو المنفصلة المفيدة للقطع ! وأما إطلاقهما على غيرهم وإرادة الغير منهما ، يحتاج الى القرينة ، إذ هو مجاز عند العرف الخاص ، وإن كانا مستعملين في المعنى اللغوي ، ولا يصار الى المجاز إلا بدليل ، وأتى له به ؟

الحاصل ، ليس غرضنا في هذا المختصر التعرض لتمام أدلة الخصم ونقضها ، بل المقصود التام ، وما عليه الاهتمام ، هو تنزيه ساحة الشيخ الأوحـد ، والسيد الأـمجد عن لوـث هذه النسبة ، وبيان أن مشايخنا بريئون عن هذا الاعتقاد ، وكلماتهم منزهة ، وليس فيها رائحة ما نسب إليهم بوجه ، كما سيتضح لك أيضاً في الفصول الآتية .



الفصل الرابع

فساد نسبة وحدة الناطق إلى السيد

ومن جملة ما استمسك واستشهد به الحاج محمد خان رحمه الله في رسالته الموضوعية لجواب سؤال الشيخ بلامين الشيخ حسين المزيدي رحمه الله : كلمات سيدنا الأَمجد أنار الله برهانه في رسالته (الحجة البالغة)^(١) ونحن ننقل تلك الكلمات التي تمسك بها كلاً وطراً ، وإن كانت مطولة ، حتى لا تخفى على المنصف خافية ، ولا يغتر بما نسبوا إليه ، ويعلم أنه كذب وافتراء ، وتزوير واجتراء .

قال أنار الله برهانه ، فيها : (وجب الاختبار والامتحان لتبين الكاذب من الصادق ، والمتباكي من الباكي . فاعلم أن الله تعالى ابتلى واختبر الذين قالوا : لا إله إلا الله ، وأظهروا كلمة التوحيد بتكليفهم نبوة محمد صلى الله عليه وآله ، والقول بأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله ، فمن أقرّ به مؤمناً مصداقاً مخلصاً ، فهو من أهل الإخلاص بالتوحيد ، ومن لم يؤمن به مع ظهور أدلة نبوته وآيات رسالته ، فهو من المشركين غير المصدقين بالتوحيد ، لأن المخلص لا يخالف من أخلص له الطاعة ، والمخالف للطاعة ليس مخلصاً له ، فخرج بهذا الابتلاء

(١) راجع المجلد الثاني من مجموعة الرسائل للسيد كاظم الرشتي الحسيني قدس الله سره المطبوع في ايران صفحة (٢٩٠ - ٣٢٠) .

والاختبار خلق كثير ، كاليهود ، والنصارى ، والمجوس ، والصابئة ،
وسائر فرق الكفار) ، إلى إن قال :

وبالجملة ، فإن الله سبحانه ابتلى أمة محمد صلى الله عليه وآله
وافتنهم ، واختبرهم بالأئمة الاثني عشر ، وجعل إنكار أحدهم كإنكار
كلهم ، فهؤلاء الفرق المنكرون لكلهم ، أو واحدٍ منهم ، خرجوا عن
كونهم من أمة محمد صلى الله عليه وآله ، لأنهم خرجوا عن كونهم شيعة
أمير المؤمنين عليه السلام ، فأخرج الله سبحانه أضغانهم ، وأبان
بواطنهم ، وأظهر سرائرهم ، وأبان خروجهم عن أمة محمد صلى الله
عليه وآله ، ومروقهم عن الدين ، فالمنكر لهم أو المنكر لأحدهم كافر
بمحمد صلى الله عليه وآله ، وهو كافر بالله ، فالمنكرون هم الكافرون ،
وهم - ما عدا الاثني عشرية - الفرقة المحقة والحكم بإسلامهم ،
وطهارتهم من شريعة التقية ، والعسر ، والخرج ، فصنفى المؤمنون
الخالصون في الشيعة الاثني عشرية ، إلى إن قال بعد أسطر :

(وأما هؤلاء الاثنا عشرية ، فقد جرى المزج ، والخلط ، واللطخ
فيهم ، إذ ليس كل من أقرّ باللسان يعلم منه أن يكون ذلك معتقده في
الجنان ، ولا كل من أقرّ بالجنان يعلم منه أنه مستقر الإيمان ، فإن
الإيمان المستقر والمستودع في كل شيء محتمل ، والإقرار بالإخلاص
والنفاق في كل فرد ممكن ، وكون النطفة الخبيثة في الأصلاب الطاهرة
في كل مؤمن متوقع ، قد يلد المؤمن خبيثاً ، لكنه حيث نما ونشأ في هذه
الفرقة يظهر دين أبويه ، ويبطن ما حوت عليه سريرته من النفاق ، أو أنه
يظهر الإيمان ، وهو في قلبه شاكُّ مرتاب ، فالموجب الداعي للاختبار في
كل مقام من المقامات الثلاثة ، أي : التوحيد ، والنبوة ، نبوة محمد

صلى الله عليه وآله ، والولاية ، ولاية أمير المؤمنين وأولاده ، هو بعينه ، موجودة في هذه الفرقة التي هي صفوة الصفوة ، فلولا التمييز والتبيين لما امتاز الغث من السمين ، ولما تبين الحق الصريح المبين ، لأن الاعتناء بهذه الفرقة المحقة أكثر والعناية بهم أعظم ، لأنهم صفوة الوجود ، بهم يرزق الله العباد ، وبهم يدفع من البلاء ، وبهم يكشف الضر ، وبهم يدفع الهم) إلى أن قال بعد أسطر :

(ولما كان في جميع مراتب الابتلاء إنما كان الابتلاء بالنواب لا غير ، فإن الله سبحانه ابتلى أهل التوحيد بالنبي القائم مقامه النائب منابه ، لأن النبوة خلافة الله ، والقيام مقام الله في إيصال الأحكام إلى خلق الله ، ومن أطاع هذا النائب والقائم مقام كُتِبَ في زمرة الموحيدين ، ومن خالفه وأعرض عنه ولم يقرّ بالقائم مقامه ، فهو من الخاسرين المشركين) .

(ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله ابتلى أمته وأهل أجاوته ، ليطهر خبيثهم من طيبهم بالنائب بعده ، والقائم مقامه ، وخليفته في أمته ، وهو : مولانا وسيدنا أمير المؤمنين عليه السلام ، لأنه القائم مقام النبي صلى الله عليه وآله ، والحاكم لأحكامه . ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام ابتلى واختبر شيعته القائلين بأنه الخليفة ، بلا فصل ، للنبي الصادق الأمين صلى الله عليه وآله بنوابه ، والقائمين مقامه ، والأوصياء من بعده ، لإخراج الأشرار والكفار من سائر فرق الشيعة ما عدا الاثني عشرية ، ولما تمّ عدد الأئمة بالإمام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه وجعل روي فداه ، وعليه وعلى آبائه السلام ، تمايزت الشيعة الاثنا عشرية من غيرهم من فرق الشيعة ، فوجب عليه عليه السلام الاختبار والابتلاء ، كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام إشارة على هذه

الفرقة : (لَتُبْلَىٰ بُلْبَلَةٌ ، وَلَتُغْرِبَنَّ غَرْبَلَةٌ ، وَلَتُسَاطَنَنَّ سَوَاطِنُ الْقَدَرِ ، حَتَّىٰ يَصِيرَ أَسْفَلَكُمْ أَعْلَاكُمْ وَأَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ ، وَلَيَسْبِقَنَّ سَبَاقُونَ كَانُوا قَدْ قَصَّرُوا ، وَلَيَقْصُرَنَّ سَبَاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا)^(١) انتهى . فإذا وجب الابتلاء والافتتان لهذه الفرقة ، ووجب أن يكون ذلك بالنواب والأبواب جرياً على سنة الله ، واتباعاً لما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله واقتداء بما سنّه أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان لا يمكن ذلك الابتلاء بحضوره عليه السلام ، كما لم يمكن بحضور أسلافه من قبله ، ولما كان في وفاته عليه السلام ، وارتحاله خراب الدنيا ، وهلاكها قبل أوانه ، لأنه آخر الأئمة وتمام الصفوة ، ولم يمكن الابتلاء والاختبار في الحضور ، لأن الذي آمن به لا يسعه مخالفته وهو حاضر ، كما أن القوم الذين خالفوا أمير المؤمنين عليه السلام وأنكروا حقّه وغصبوه ما خالفوه في حياة النبي صلى الله عليه وآله يوم غدير خم ، لما أمرهم بالبيعة والتسليم عليه بإمرة المؤمنين ، في هذه الجهة لا يمكن الابتلاء والفتنة حال الظهور والحضور) .

(ولما كان الإمام عليه السلام وجه الله المتخلق بأخلاق الله ، أجرى سنة الله سبحانه ، فغاب مع وجوده ، وعيّن له أبواباً ، ففي أول غيبته عيّن عليه السلام أبواباً مخصوصين ، وأناساً معلومين ، قد ورد التوقيع لهم بالخصوص ، وندب إلى متابعتهم وحذر مخالفتهم ، وذكر أن طاعتهم طاعته ، ومعصيتهم معصيته ، ثم أوصاهم بأن يرجعوا إليهم ، وكلّ ما يرجع إلى الإمام عليه السلام من الحقوق والأنفال يُدفع إليهم ، وكان

(١) نهج البلاغة ، ج ١ ، ص ٤٧ .

أولئك الأربعة نواباً عنه عليه السلام في أول الغيبة ، متناوبين ، متبادلين ، لا مجتمعين ، وهم عثمان بن سعيد العمري ، ومحمد بن عثمان ، وحسين بن روح ، وعلي بن محمد السمري ، وهؤلاء الأربعة بقوا في هؤلاء الفرقة ، وأقاموا فيها مقام حمد وشكر ، وهلك فيهم خلق كثير .

منهم الذين ادعوا أنهم أبواب له عليه السلام ، وهم كاذبون ، فمنهم أبو محمد المعروف بالشريعي ، وهو أول من ادّعى مقاماً لم يجعله الله فيه ، ولم يكن له أهلاً ، وادّعى أنه باب صاحب الزمان ، وكذّب على الله وعلى حججه عليهم السلام ، ونسب إليهم ما لا يليق بهم ، وما هم منه برآء ، فلَعَنَتُهُ الشيعة ، وتبرأت منه ، وخرج توقيع الإمام عليه السلام بلعنه والبراءة منه ، ثم ظهر منه القول بالكفر والإلحاد . ومنهم محمد بن نصير النميري ، أنكر وكالة أبي جعفر بن محمد بن عثمان ، وأنكر أن يكون باباً له عليه السلام وادّعى لنفسه أنه الباب ، ففضحه الله تعالى ، وأخرج باطنه بما ظهر منه من الإلحاد والجهل ، ولعن أبي جعفر محمد بن عثمان له وتبرئه منه ، واحتجابه عنه ، وقد ادّعى ذلك الأمر بعد الشريعي ثم ظهر بعد ذلك منه أقوال شنيعة ، وعقائد قبيحة ، قد كانت مستجنة في فؤاده ، وصار في وجود الباب محمد بن عثمان سبيلاً لإظهاره ، وكان يدّعي أنه رسول نبي ، وأن محمد بن علي الهادي عليه السلام هو الربُّ ، وكان يقول بالتناسخ ، ويقول بإباحة المحارم ، وتحليل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم ، ويزعم أن ذلك من التواضع ، والإخبات ، والتذلل في المفعول به ، وأنه من الفاعل إحدى الشهوات والطيبات ، وأن الله عزَّ وجلَّ لم يحرم شيئاً من ذلك . ومنهم أحمد بن هلال الكرخي ، أنكر أيضاً ، وكالة أبي جعفر محمد بن عثمان ، فلَعَنَتُهُ الشيعة وتبرؤوا منه ، ثم

ظهر التوقيع على يد أبي القاسم حسين بن روح بلعنه والبراءة منه ، ومنهم : أبو طاهر محمد بن علي بن بلال ، أنكر وكالة أبي جعفر محمد بن عثمان نور الله مضجعه وأمسك الأموال التي كانت عنده ، وامتنع من تسليمها إلى أبي جعفر محمد بن عثمان ، وادّعى أنه هو الوكيل ، حتى تبرأت الشيعة منه ولعنوه ، وخرج التوقيع بلعنه والبراءة منه ، عن صاحب الزمان . ومنهم : حسين بن منصور الحلاج ، ادّعى أنه الباب بلا واسطة ، عن صاحب الزمان ، وصار إلى قم ، وكتب إلى بعض أهاليها أنه رسول الإمام ووكيله ، فلما وقعت المكاتبة في يد حسين بن روح خرقها ومزّقها ، ولعنته الشيعة وتبرأت منه ، وقصته مشهورة وحكايته معروفة ، ومنهم : ابن أبي القراق محمد بن علي الشلمغاني ، ادّعى أنه الباب ، وأنكر وكالة أبي القاسم حسين بن روح ، فلعنته الشيعة وتبرأت منه ، وخرج التوقيع بلعنه والبراءة منه ، وقد كان أظهر القبائح وأمر على الشنائع ، أبدع بدعاً ، واخترع اختراعات إلى أن قتلوه لا رحمه الله . وهؤلاء بإنكارهم الباب ، أي أحد الأبواب الذين قد جعلهم الإمام عليه السلام قائماً مقامه ، ونائباً منابه ، بإنكارهم له خرجوا من مذهب الشيعة ، واستحقّوا من الله ومن الإمام اللعنة ، وتبرأ المؤمنون ، والصالحون ، والعلماء الراشدون ، والصلحاء الصديقون منهم ، وقد أخرجوهم من الاثني عشرية ، وألحقوهم بغيرهم من سائر الملل المخالفة ، والنحل المبطلة) ، إلى أن قال :

(فتبيّن لك أن بهذا الاختبار والامتحان ، خرجت جماعة كثيرة ممن في قلوبهم الشقاق والنفاق ، وما كان قبل ذلك ظاهراً منهم هذا الشقاق والنفاق ، وقد ظهر بهذا الاختبار ، وكانوا قبل ذلك من الفرقة المحقة

الاثني عشرية ، بلا تمييز منهم ولا فرق بينهم ، فلما ظهر حقد المنافقين ، وتبين ضغن الفاسقين ، أراد الإمام عليه السلام زيادة التمحيص والاختبار ، لإخراج جماعة أخرى من أولئك الفجار ، لأن أنحاء اختبارهم مختلفة ، وأطوارهم متشعبة ، فلا بد أن يختبرهم ، حتى لا يبقى إلا الصافي المحض الذي لا يشوبه التغيير) . إلى أن قال بعد ذكر الأخبار الواردة في هذا الباب :

(فجعل له عليه السلام نواباً موصوفين بالصفات ، وقد أشار إليها على جهة الإجمال مولانا الحجة المفضل بقوله : (وأما الحوادث الواقعة ، فارجعوا فيها إلى رؤاة حديثنا فإنهم حجتني عليكم ، وأنا حجة الله عليهم) ^(١) . ثم إن هذا النائب الذي هو الحجة على قسمين : قسم عام وقسم خاص . وإلى القسمين أشار عليه السلام في حديثين ، وأشار إلى النائب الخاص الذي هو العام ، في حديث أبي خديجة ، بقوله : (انظروا إلى رجلٍ منكم عرفَ شيئاً من قضايانا ، فارضوا به حكماً . . .) انتهى . وهذا النائب كل من حمل حقاً أو نوعاً من الخير والحق ، فلا يلزم أن يكون جامعاً ، ولا يلزم أن يكون مؤمناً ، إلا أن يكون نائباً في المسائل الفقهية أو الأحكام الشرعية الفرعية ، وإلا فلا يوصل أحد إلى أحد خيراً أو حقاً إلا بهم وبنياتهم ، وإن لم يشعر النائب أنه نائب ، ولم يدرك الباب أنه باب) إلى أن قال :

(وأما القسم الثاني ، فهو النائب العام الذي هو الخاص ، وهذا هو الأصل ، مثال الإمام عليه السلام وظاهره في الرعية ، أخلاقه وعلومه

(١) بحار الأنوار : ج ٥٣ ص ١٨٠ .

مأخوذة من علومه عليه السلام ، وإلى هذا القسم أشار مولانا الصادق عليه السلام في مقولة عمر بن حنظلة : (انظروا إلى رجل منكم ، رَوَى حَدِيثَنَا ونظر في حلالنا وحرامنا ، وَعَرَفَ أَحْكَامَنَا ، فَارْضُوا بِهِ حَكْمًا ، فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُهُ عَلَيْكُمْ حَاكِمًا ، فَإِذَا حَكَمَ بِحُكْمِنَا وَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ ، فَإِنَّمَا بِحَكْمِ اللَّهِ اسْتَخَفَّ ، وَعَلَيْنَا رَدٌّ ، وَالرَّادُّ عَلَيْنَا رَادٌّ عَلَى اللَّهِ ، وَهُوَ عَلَى حَدِّ الشَّرِكِ بِاللَّهِ)^(١) . وهذا القسم من النائب هو الذي يقع فيه الاختبار والامتحان ، وَحُكْمُ هَؤُلَاءِ كَحَكْمِ الْمَخْصُوصِينَ الْمَنْصُوصِينَ مِنَ الْأَبْوَابِ الْأَرْبَعَةِ ، فَإِنْكَارُ هَؤُلَاءِ ، كإِنْكَارِ أَوْلَئِكَ ، والاختبار في هذا القسم يقع في مقامين : أحدهما في التمييز بين النائب وغيره ، فإنه كما كان في الغيبة الصغرى نواباً ممدوحون وأخرى مُدَّعَوْنَ مَذْمُومُونَ ، كذلك الحكم في هَؤُلَاءِ النواب ، فإن أهل الدعوى كثيرون ، والواصلون إلى الحق قليلون .

خَلِيلِي قُطَّاعُ الْفِيَا فِي إِلَى الْحِمَى كَثِيرٌ وَأَمَّا الْوَاصِلُونَ قَلِيلٌ فالاختبار الأول ، في التمييز بينهم بعلامات وصفات تُشَخِّصُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ ، والماء من السراب . والمقام الثاني في الاختبار : متابعة هَؤُلَاءِ النواب وعدم الاختلاف فيهم ، وعدم الإنكار لهم ، حتى لا يخرج من هذه الفرقة المحقة ، بمخالفته إياهم ، ولا يدخل في زمرة الكفار بمخالفته لهم) ، ثم ذَكَرَ أَنَارَ اللَّهُ بَرَهَانَهُ عَلَائِهِمْ هَذَا الْقِسْمَ مِنَ النَّوَابِ إِلَى أَنْ قَالَ :

(وبالجملّة ، فهؤلاء الأبواب حكمهم حكم الأبواب المخصوصين

(١) العلامة الحلي : مختلف الشيعة . ج ٤ ، ص ٤٦٤ .

والمنصوصين في الكل ، ومخالفتهم مخالفة أولئك ، تُخرج المخالف عن حدّ الإيمان ، وتدخله في حدّ الكفر والنفاق ، ويكون حال المخالفين لهم بالغيبة الكبرى كحال المخالفين في الغيبة الصغرى ، فيكون حالهم حال الشلمغانية ، والحلاجية ، والنميرية ، والشرعية ، والكرخية ، وأمثالهم من الكفرة اللثام ، والفجرة الخارجين عن دين الإسلام ، لمخالفة أولئك الأعلام . وهذا الاختبار لم يزل دائماً ، حتى يكون الأمر كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام في الحديث المتقدم عن ابن نباته^(١) : أنه يفنيهم الاختبار والامتحان ، (حتى لا يبقى من الشيعة إلا كالملح في الطعام ، أو كالكحل في العين) . فهم الذين لا تضرهم الفتنة ، ولا يؤثر فيهم وقوع المحنة ، فبمخالفة هذه الأبواب ، وبالأعراض عنهم بسوء القول فيهم ، يخرجون عن هذه الدنيا أفواجاً أفواجاً ، ثم لا يعودون أبداً ، وهذا هو الطريق الواضح والمنهج الائح ، والمتجر الرابع ، نسأل الله الإعانة وحسن الخاتمة والتسديد والتأييد) ، تم كلامه رفع مقامه .

فانظر في هذه الكلمات الصريحة الدلالات ، فيما أحسن وأجاد ، وأراد وأفاد ، وارجع النظر مرة بعد أخرى ، وكرره مرة بعد أولى ، وراع الانصاف وجانب الاعتساف ، هل ترى فيها ما يشير إلى مدعى الخصم ، وهو وجوب وجود رجل واحد كامل من كل الجهات في كل عصر ، واسطة بين الإمام والرعية في إيصال الفيوضات الكونية والشرعية منه عليه السلام إليهم ، ومرجع لجميع الخلق من العلماء وغيرهم ، بحيث لا

(١) الغيبة : النعماني . ص ٢١٨ . أيضاً : بحار الأنوار . ج ٥٢ ، ص ١١٦ ، الحديث مروي بالمضمون .

يجوز لأحد منهم الإفتاء في مسألة من المسائل الفقهية الجزئية والكلية وغيرها إلا منه ، ويجب على كل واحد معرفته ، وإن مات أحد ولم يعرفه ، مات ميتة جاهلية ، وكفر ، ونفاق . وهل في فقرة من فقرات هذه الكلمات المنقولة ، رائحة هذا المدعى الذي لم يقل به أحد من علمائنا الأعلام وأصحابنا العظام ، فضلاً عن مشايخنا الفخام ؟ وإن كان صادقاً فيما ينسبه إلى السيد الأُمجد في هذه الرسالة ، فَلِمَ أطلق النسبة إليها ، ولا يصرّح بفقرة من فقراتها منها استشهاداً بها ؟ ليت شعري ، هل بالنسبة فقط يثبت المطلب ، أو يمكن أن يَغْتَرَّ بها ذو عقل ومذهب ؟ نعم ، قصارى ما يستفاد من كلامه الشريف في هذه الرسالة أنه لا بدّ من الاختبار والامتحان في كل عصر ، إلى أن وصلت النوبة إلى مولانا الحجة بقية الله عجل الله تعالى فرجه ، فامتحن الخلق أولاً ، ومن يدّعي محبتهم ظاهراً ، في غيبته الصغرى بنوابه الأربعة المخصوصين المنصوصين فخرج وهلك بمخالفتهم وإنكارهم جمعٌ كثيرٌ ، وجمٌ غفير كالفرق المذكورة ، ثم امتحنهم بعد ما اقتضت المصلحة الغيبة الكبرى ، وانقطاع الأخبار ظاهراً عن ناحيته المقدسة بنوابه العامة ، الذين حُكِّمَهُمْ بمقتضى مقولة عمر بن حنظلة ، والتوقيع المبارك ، وغيرهما ، حُكِّمَ المنصوصين المخصوصين المحصورين ، فمن أول الغيبة الكبرى إلى الآن اختبار الخلق ، وامتحانهم ، وافتتانهم بهؤلاء الحافظين لدينهم ، والصائنين لأنفسهم ، والمخالفين على هواهم ، والمتبعين لأمر مولاهم ، فهم النواب والقائمون مقامه عجل الله تعالى فرجه فالرأى عليهم رادٌّ على الله ، ورسله ، وأوليائه ، ومخالفتهم مخالفة الله ، ورسله ، والمنكر لهم

خارج عن الإيمان ، ولا حظَّ له فيه بوجه . هذا مختصر مطول الكلام وحاصل ما يستفاد من المقام ، فهل فيه إشعار إلى ما يدَّعي المرحوم الحاج محمد خان ، ووالده المرحوم ؟ وقد رأيت أن ليس فيه دلالة بأنواع الدلالات ، على ما يدعيه بوجه من الوجوه ، والدليل على ذلك تصريحه في سائر رسائله على خلاف ما يرومه المُدَّعي بأوضح عبارة وبيان ، وأبين تفسير وتبيان . قال أنار الله برهانه في الرسالة الموضوعية ، لبيان الأدلة الأربعة في جواب المسألة الثالثة ، بعد كلام طويل لا حاجة إلى نقله : ولما كان حَضْرُ رعاياهم وَغَنَمُهُمْ في مَتْبُوعٍ ورئيسٍ واحدٍ ، وجمعُهُمْ على متابعتة ، يستلزم توجيه سيوف المخالفين عليهم وإعدامهم ، كما بيَّنا ، أوقع فيهم الاختلافَ وتعدَّدتِ الرؤساء والرعايا ، وجعلهم بلطيف حكمتهم سلام الله عليهم أن لا تنازع بينهم ، ولا تحاسد ، ولا تباغض ، ليدعوهم إلى فناء أنفسهم ، كالرئاسات الظاهرة ، ليدل على تنزُّه الغائب المستتر عن ذلك ، وهذا الحكم يجري فيهم ، حتى يُدَوَّلَ دولتهم ، ويظهر مستودعهم عجل الله تعالى فرجه ، فهناك يرجع الأمر إلى الواحد ، ويخلص التوحيد لله الواحد القهار ، ويستغني بعضهم عن بعض ، كما قال الله تعالى : ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾^(١) ولم يبقَ الاحتياج إلَّا إلى الواحد الذي هو ظهور الأحد جل جلاله وعمَّ نواله ، فالعلماء في هذا الزمان نوابُ أئمتهم ، وحُكَّامُ رعيتهُم ، كما قال : (هم حجَّتي عليكم ، وأنا حجة الله على الخلق . . . الخ) . فظهر

(١) سورة النساء ، الآية : ١٣٠ .

من تصريحه أنار الله برهانه في هذه الرسالة ، بلزوم تعدد الرؤساء والمتبوعين ، في زمان دولة الباطل ، وكون وحدة الرئيس ، وانحصاره في واحد ، خلاف الحكمة إلى أن يقوم قائم آل محمد ، فهناك يرجع الأمر إليه ، وينحصر فيه ، إن نسبة وحدة الناطق ، والقول بها إلى السيد الأُمجد في رسالته (الحجة البالغة) نسبة واهية ، اجتثت من الخيالات الفاسدة ما لها من قرار . فكيف تكون فيها إشارة إلى ما يدعيه ، وهو أنار الله برهانه يصرّح بأوضح عبارة على خلافه في غيرها ، كما رأيت ؟ وهل يمكن اجتهاد في قبال نصه الشريف تبين أن الرسالة المنسوب إليها هذا القول المبتدع ، والمذهب المخترع ، منزّهة من تلك النسبة ، بل هي على خلاف ما نسبته ظاهرة ، بل في النص على خلاف ما يرومه بضميمة عبارة الرسالة الأخرى إليها صريحة زاهرة ؟ ليت شعري ، كيف غفل عن هذا التصريح ، ولم يطلع على هذا النص الصريح ، وهو يدّعي الاطلاع التام ، والتتبع العام ، وابتغاء تأويله .



الفصل الخامس

مسألة القطب، الأركان، النقباء، والنجباء

لما نَزَّهْنَا رسالة الحجة البالغة من تلك النسبة الواهية ، وطَهَّرْنَاهَا من لوث العقائد الفاسدة ، وأثبتنا أن نسبة ذلك القول إلى السيد الأَمَّجِد كنسبة قبح الصورة إلى يوسف عليه السلام ، والبخل إلى حاتم . فلنشرع الآن بنقل عبارات شرح القصيدة وتنزيهها عما يحتمل أن يُنسب إليها ، وإن لم أر أحداً من الوالد ، والولد ، وغيرهما ، ممن يحذو حذوهما مَنْ يستشهد بها في رسالته وكتابه ، لكن لما رأيت أن بعض التابعين لهما يوهمون على بعض العوام ويوحون إلى أوليائهم ببعض عبار ذلك الشرح ، أحببت أن أتعرض لنقلها وتوضيح المقصود منها ، ليتبين كمال تنزَّهِه عن هذه العقيدة ، أقول مما يحتمل أن يغتَرَّ به بعض ضعفاء القلوب ، ما قاله السيد الأَمَّجِد أنار الله برهانه في شرحه على قصيدة عبد الباقي^(١) في شرح هذا البيت :

(١) عبد الباقي أفندي بن سليمان بن أحمد العمري الفارقي الموصلية ، يمتد نسبه إلى عاصم ابن الخليفة عمر بن الخطاب وهو شاعر مشهور ، من أعماله : (الترياق الفارقي) وهو ديوان شعر ، و (الباقيات الصالحات) ، وهي قصائد في مدح أهل البيت عليهم السلام . وُلِدَ سنة (١٢٠٤ هـ) ، وتوفي سنة (١٢٧٨ هـ) ، ودفن في مقبرة الحضرة الكيلانية في بغداد .

هَذَا رُواقٌ مَدِينَةِ الْعِلْمِ الَّتِي مِنْ بَابِهَا قَدْ ضَلَّ مَنْ لَا يَدْخُلُ

في بيان المراد من الرواق ، فيكون لهذا العلم نيابتان عن الولي : إحداهما : نيابته في بذل العلوم والتصرف في الأسرار ، كيفما يريد الولي المختار ، وثانيهما : نيابته في التصرف في الوجود من الغيب والشهود ، وانفعال الأشياء ، وذوات الموجودات ، وصفاتها ، وأعراضها ، وأطوارها . وله تمثيل لأمره ، وتنقاد لحكمه ، وتخبر بخبرها ، وتعلمه بأثرها ، ويشاهد الشعور والارادة فيها ، ويعرف اللغات : لغات الجمادات ، والنباتات ، والحيوانات . فإذا اجتمعت فيه النيابتان ، وتمت فيه الخصلتان ، فلذلك يُسمَّى في عُرْفِ أهل الحقائق والشهود نقيباً ، وهم ثلاثون نفساً ، كما نصَّ عليه أمير المؤمنين عليه السلام ، وهؤلاء عددهم لا ينقص ، ولكن أشخاصهم تتبدل ، ولذا ، سمّوا بالإبدال . إذ متى مات منهم واحد جاء بدله مثله من أهل الطبقة الثانية ، فلا ينقص عددهم عن قوى لام التعريف ، لأنهم مصلحو القوابل ، وهي لا تصلح إلا بعد ثلاثين دورة ، كما أشرنا سابقاً ، وربما نصرّح إليه لاحقاً في مقام يقتضي ذلك ، إن ساعد القدر ، والله هو المساعد والمعين .

وهنا أشخاص موصوفون بهذه الصفات المذكورة وفوقها ، ولهم الهيمنة على هؤلاء النقباء أيضاً ، يُسمّون بالأركان ، وهم أربعة لا تتبدل أشخاصهم ولا صفاتهم ، فهم باقون إلى يوم الوقت المعلوم . فإن كان جامعاً للعلوم خاصة ، وله نيابة في العلوم والأسرار يعطي ما يشاء ، ويمنع عن من يشاء فهو المسمّى بالنجيب ، والأشخاص الذين في مقامهم يسمون بالنجباء ، وهؤلاء يقال إنهم أربعون ، والدليل العقلي والاعتبار

الاستحساني ، وإن كان يساعد ما ذكروا ، ويقوي ما علموا ، إلا أنا ما وجدنا بذلك حديثاً عن النبي وأهل بيته وخلفائه صلى الله عليه وعليهم ، ولا وجدنا آية من الكتاب يدل على هذا العدد ، ولذا توقفت عن العدد ، واقتصرت بالصفة . وبالجمله فالرواق في هذا المقام ينقسم إلى ثلاثة أقسام : أحدها : الأركان ، وهم أربعة موجودون بأشخاصهم وأعيانهم ، لا يتغيرون ، ولا يتبدلون ، ولا يختلفون ، ولهم الهيمنة على الأشياء كلها حتى على النقباء ، وذلك أعلى المقامات ، وأعلى الدرجات ، وأقرب إلى البيت . وثانيها : النقباء ، وهم ثلاثون نفساً ولهم هيمنة على الأشياء بطاعة الله سبحانه ، وظهرت عليهم أحكام الأسماء العظام الثمانية والعشرين ، وكل اسم له هيمنة على عالم من العوالم ، وطور من الأطوار . إلى أن قال : وهؤلاء الثلاثون لهم الاتصال بالغوث الأكبر والسرّ الأعظم بواسطة الأركان ، ويفعلون به ما أرادوا وشاءوا في كل الأعيان ، فكل منهم الإنسان الكامل ، والبشر الواصل ، قد ظهرت فيه النفس الناطقة القدسية التي من عرفها فقد عرف الله ، ومن جهلها فقد جهل الله ، ومن تخلى عنها فقد تخلى من الله ، قد ظهرت فيه القوى الخمس والخاصيتان . أما القوى فهو علم ، وحلم ، وفكر ، وذكر ، ونباهة . وأما الخاصيتان فالنزاهة والحكمة ، فنزهوا عن مقتضى الكثرات ، وامتثلوا حكمة من باري السماوات ، وسامك المسموكات . وهؤلاء هم الرواق الثاني بعد الرواق الأول . وثالثها : النقباء ، وهم أربعون على ما ذكروا وقالوا ، وهؤلاء هم الذين أكملوا الأسفار الأربعة في التكوين ، ولم يصلوا إلى مقام الأسماء والصفات ، ومقام سلب القيود والإنبيات ، مهما شاءوا وأرادوا . وهم العلماء الأعلام ، والأمناء

والقوام ، والحفاظ والحكام ، وهم الذين كُلفوا بحفظ الدين ، وسدّ الثغور التي فيها طرو للشياطين ، وحفظ القلوب عن طريق إبليس اللعين بجنوده من الجن والإنس أجمعين ، وعلموا طرق التعليم بإمارة الحق واليقين ، ومعونة الضعفاء والمساكين ، في أمر الدين من غير أن يتصرفوا في التكوين ، ولا يلزم أن تنقاد الأشياء وتنفع لهم ، وللقباء هيمنة واستيلاء عليهم ، ونسبتهم إلى النقباء نسبة النقباء إلى الأركان ، وهم الذين ورد فيهم عن طريق أهل البيت عليهم السلام : (إن لنا في كل خلف عدولاً ينفون عن ديننا تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين)^(١) ، وهم القرى الظاهرة للسير إلى القرى المباركة . إلى أن قال بعد كلام طويل :

توضيح وتبيين : اعلم أن الفيض الإبداعي لما صدر عن المبدأ الأول الحق ، وإن كان نسبته إلى جميع محاله ومواضعه واحدة ، ولكن تلك المواقع والمحال ، كلما قُرب من مبدئه كان واسطة لإيصال الفيض إلى ما بُعد عنه ، بحيث لا يمكن أن يتحقّق البعيد من دون توسط القريب ، ومعنى ذلك أنه قد قبل ذلك الفيض قبولا لا يصلح للبعد أن يقبل إلّا به ، كما ترى اختلاف النور بحسب قربه من السراج وبعده عنه ، وكذلك نور الشمس بحسب قربه من الشمس وبعده عنها ، وما قرب من الشمس يفيض إلى ما بعد فظهور تلك الحقيقة في تلك الحدود ، على تفاوت وترتب ، لا يمكن وجود السافل إلّا بتحقيق العالي . إلى أن قال بعد

(١) منهاج البراعة في شرح البلاغة : حبيب الله الهاشمي الخوئي . ج ١٣ ص ٣٤١ . أيضاً : تعليقة على معالم الأصول : السيد علي الموسوي القزويني . ج ٥ ص ١٨٢ .

كلام طويل أيضاً : عود في التحقيق بطور أنيق ، فإن تحقّق لك هذا المثال ، وعرفت حقيقة الحال ، فاعلم أن العالم ينحلّ إلى شيئين : أحدهما الأجزاء ، والثاني الكل . فالموجودات لها مقام في الجزئية ، ولها مقام في التمامية ، والجامعية ، فكما أن الأجزاء تحتاج في تحقيقها إلى وجود ما هو أقرب منها ، كذلك الكليات ، ومرادي بها الحقائق الجامعة كأفراد الإنسان مثلاً ، فإن كلّ واحد تام في الجامعية ، وجامع للأجزاء الحقيقية ، وتام هذا النوع لا يتحقق إلّا بالوسائط كالأجزاء ، ففي الإنسان مَنْ هو بمنزلة القطب والنقطة التي يدور عليها الكون بتمامه ، وهو الحقيقة المحمدية صلى الله عليها مع ما تشتمل عليه من المراتب والمقامات التي ذكرها سيد الساجدين ، وسند العابدين عليه السلام من مقام التوحيد الذي هو مقام البيان ، ومقام المعاني أركان التوحيد ، ومقام الأبواب مقام الأنبياء الذين هم سرهم ومبدأ تحقّقهم ، وكلهم قطرات من فاضل سباحته في بحر التفريد والتجريد . إلى أن قال : فهو صلى الله عليه وآله ، وخلفاؤه ، وأولاده ، هو القطب الذي يدور عليهم الوجود من الغيب والشهود ، والموجود والمفقود ، ولولا واحد من خلفائه الحامل لولايته ، لساخت الأرض بأهلها . ولذا اشتهر عند الناس كلمة صحيحة ، وهي قولهم : لو خليت لقلبت . ومن هو بمنزلة العرش : الأركان الأربعة المذكورين ، ومن هو بمنزلة الكرسي الحامل للمنازل التي بالسير فيها ، يكمل القمر شهراً تاماً ، ثم ثلاثين يوماً : هم النقباء ثلاثين نفساً على ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام ، ومن هو بمنزلة الأفلاك السبعة هم النجباء ، فعلى هذا البيان التام تبين لك أن

النجباء لهم مركز يدورون حوله ، ومقام يقفون عنده ، لا يصلون إلى مقام النقباء في حال من الأحوال ، ووقت من الأوقات ، كما أن الأفلاك السبعة لا تصل إلى العرش والكرسي في حال من الأحوال ووقت من الأوقات ، فالسبعة في مقامها تدور ، وتمد ، وتستمد بلا انقطاع ، والكرسي في محله ومركزه يدور بلا انقطاع ، وكل عالٍ منها محل فيض للسافل ، وكذلك النجباء لهم مقام ومرتبة لا يصل إليه أحد مما تحتهم من المؤمنين وغيرهم ، وإن ترقُّوا ما ترقُّوا ، وبلغوا ما بلغوا ، ووصلوا ما وصلوا ، فهم قدامهم أينما ترقُّوا . انتهى كلامه ، رفع في الدارين مقامه . ومختصر هذا المطول وما يدل عليه صريحاً هو أن المراد من المدينة في البيت هو الحقيقة المحمدية التي هي قطب تمام عوالم الكون والإمكان ، وتدور عليها العوالم دوران الرحى ، فالفيض يصل - أولاً - منها إلى الأركان الذين هم الأنبياء الأحياء صلى الله على نبينا وآله وعليهم ، وهم : عيسى روح الله ، وإدريس ، والياس ، والخضر ، ثم بواسطتهم إلى النقباء الذين عددهم ثلاثون نفساً لا يزدون ولا ينقصون ، وإن مات منهم واحد تكمّل واحد من النجباء ويترقى ، وصار بدله ، ولذا ، يسمّون بالأبدال . ثم يصل الفيض بواسطة هؤلاء الثلاثين إلى ما دونهم من مرتبة النجباء ، وعددهم أربعون نفساً ، ثم بواسطة هؤلاء الأربعين إلى نوع بني الإنسان ، وهذا حقٌّ صحيح ، وواضح صريح ، لا يعتريه فساد قبيح ، ولا دلالة فيه على ما يدعي من المطلب الفضيح ، وهو إفاضة القطب أولاً ، إلى أحد الأركان ، ثم بواسطته إلى باقي الأركان ، ثم إفاضة الأركان إلى واحد من دائرة النقباء ، وبواسطته إلى باقي النقباء ، ثم إفاضة النقباء إلى

واحد من النجباء - أكملهم من بينهم - وبواسطته إلى باقي النجباء ، ثم إفاضتهم إلى واحد من مرتبة الصُّلحاء والمؤمنين ، وبواسطته إلى غيره - حاشا وكلا - ليس في العبارة المنقولة إشارة إلى المدعي ، فضلاً عن الدلالة بأنحاءها والتصريح كما ترى ، بل مفادها إفاضة القطب إلى الأركان دفعة واحدة بدون تقديم واحد منهم إلى الآخر ، وهكذا ، إفاضة الأركان إلى النقباء ، والنقباء إلى النجباء ، والنجباء إلى غيرهم . نعم ، يتلقَّى الفيض في كل من المراتب ، كلٌّ على حسب قابليته واستعداده ، فمن كان قابليته واستعداده من بين الأركان ، أو النقباء ، أو النجباء ، أو الصلحاء ، أكثر وأزيد ، كان تلقَّى فيضه من العالي أكثر وأزيد ، كما يظهر من تمثيله أنار الله برهانه بأن العرش الذي هو بمنزلة الأركان يستفيض من القطب ، ويفيظ إلى الكرسي الذي بمنزلة النقباء ، وهو يفيظ إلى الأفلاك السبعة التي هي بمنزلة النجباء ، وهي تفيض إلى الأرض التي هي بمنزلة سائر الخلق . وبالجمل ، الذي يظهر ويتبين من كلامه المنقول أنار الله برهانه أن الفيض يصل دائماً من العالي إلى السافل على الترتيب ، يعني بواسطة المرتبة السابقة إلى المرتبة اللاحقة ، لا انه يصل الفيض من القطب إلى واحد مخصوص من بين أهل المرتبة الأولى أولاً ، ثم بواسطته إلى سائر أهل تلك المرتبة ، وهكذا في سائر المراتب ، كما يدَّعيه من لا دراية له في المقام ، وينسبه إلى المشايخ العظام ، وقد عرفت بحمد الله من كلماتهم ما هو صريح ، في خلاف ما أرادوا من المقصود والمرام ، ثم لا يذهب عليك أن أصل المطلب أي ترتيب القطب ، والأركان ، والنقباء ، والنجباء ، في العالم ، لم نعثر من طرقنا على ما

يدل عليه ، لا على الترتيب المذكور ، ولا على العدد . وهذا الكلام من السيد الأئمة رحمه الله إنما هو مماشاة ، وجري على مذاق العرفاء لا على الحقيقة ، ولذا نسبته في الأثناء إلى القليل ، وأستاذه الشيخ الأئمة قدس سره في رسالته (عصمة الرجعة من جوامع الكلم) في الصفحة (٥٩) ، وفي (شرح الزيارة) في شرح فقرة (خيار مواليكم) في الصفحة (٣١٤) ، لم يرتض هذا المسلك ، ونسبه إلى القليل ، وإلى متصوفة العامة . قال قدس سره في شرح الزيارة : ولم أجد هذا التفصيل من طرفنا ، وإن نقله بعض علمائنا ، وظني أنه من طرق العامة ؛ لأن المتصوفة منهم ذكروه في كتبهم . انتهى .



الإمام علة مستقلة في الإيجاد والتوسط

وراجع الكتابين ، حتى تعرف حقيقة المطلب ، وتتجنب عن سوء الظن ، والمقام لا يقبل التفصيل . ومن جملة ما هو صريح في خلاف ما يرمونه من المذهب أيضاً ، زيادة على ما مرّ عليك في الفصول السابقة ، ما ذكره السيد الأئمة أنار الله برهانه في رسالة ملا حسين علي في جواب المسألة الخامسة ، وهي : بين لي كما أن الأئمة باب الفيض لهم - يعني الأنبياء - ومحيط بهم أيكون الأنبياء كذلك بالنسبة إلى من سواهم من الإنسان ، وكذلك الإنسان إلى من دونهم ، إلى آخر المراتب الثماني ؟ قال في جوابها : وأما قولكم فكما أن الأئمة . . . إلخ ، فأعلم أن حكم الله سبحانه لا يختلف ، والوسائط لا تنقطع ، والطفرة ما تصح ، فنسبة الأسفل إلى ما دونه كنسبة الأعلى إلى الأسفل ، فتكون الأنبياء عليهم

السلام باب الفيض بالنسبة إلى الإنسان ومحيطاً بهم ، وكذلك الإنسان بالنسبة إلى الملائكة ، والجن ، وسائر المخلوقات . إلا أن الفرق أن الأئمة عليهم السلام كل واحد منهم علة مستقلة في الإيجاد والتوسط ، بخلاف الأنبياء ومن دونهم عليهم السلام ، فإن كل نوع من كل طبقة علة وواسطة للنوع الآخر والطبقة الأخرى ، لا كل شخص وكل فرد . ولذا كانت الأنبياء تتعدد في كل زمان لما كثر المكلفون المخلقون ، بخلاف أئمتنا عليهم السلام ، فإن كل واحد مستقل في حفظ أهل زمانه على جهة التفصيل والإجمال . فافهم موضع الدلالة ، ولا تقتصر على العبارة . (انتهى كلامه الشريف) .

كحل عينك بنور البصيرة ، وترق من حضيض التقليد والعمى إلى أوج الاعتبار والهدى ، وانظر إلى كلامه أنار الله برهانه كيف صرح بأن نوع الطبقة العالية - لا فرد من أفرادها - علة وواسطة لنوع الطبقة السافلة ، لا فرد من أفرادها ، في الإيجاد الذي هو أعظم الفيوضات إلا الأئمة عليهم السلام فإن كل واحد وكل فرد من أفرادهم وشخص من أشخاصهم ، علة مستقلة ، وواسطة لنوع ما هم أسفل منهم في المرتبة ، وهم الأنبياء ، وبأن الأنبياء باب الفيض بالنسبة إلى الإنسان ، والإنسان بالنسبة للملائكة والجن وسائر المخلوقات ، ولم يقل إن فرداً من أفراد الأنبياء ، واحداً مخصوصاً منهم ، باب الفيض بالنسبة إلى باقي الأنبياء ، ثم باقي الأنبياء إلى فرد مخصوص من أفراد الإنسان ، وهو بالنسبة إلى باقي الأفراد ، وهكذا إلى آخر السلسلة الثماني ، كما هو مدعى الوالد والولد ومن يتبعهما ، فهل يؤدي مطلب بأصرح مما ذكره أنار الله برهانه في هذه الرسالة على خلاف ما نسبوه إليه ، فظهر أن عبارته المنقولة في شرح القصيدة أيضاً كسائر عبارته وليس فيها ما يتمسك به لوحدة الناطق .

الفصل السادس

تفنيد مزاعم كريم خان وابنه في مسألة وحدة الناطق

لا بأس أن نذكر في هذا الفصل بعض كلمات المرحوم الحاج محمد خان ، من بعض رسائله في هذا المقام ، ونتعرض له زيادة لبصيرة الإخوان ، وتبصرة لهم في البيان ، وإن لم يكن غرضنا في هذا الكتاب كالبوارق ، إبطال هذا القول وإفساده ، بل مقصودنا الأهم فيه هو تنزيه كلمات المشايخ رضوان الله عليهم لا سيما الشيخ الأوحدي ، والسيد الأُمجد عن لوث هذا الاعتقاد ، وتبرئتهم عن القول بهذا الفساد . قال رحمه الله في الرسالة الموضوعية لجواب حاج أبي القاسم النراقي ، بعد الاستدلال ببعض الآيات الدالة على زعمه ، على وجوب وحدة الناطق

اگر کسی بگوید که امام هست و اوحجتست و سائرین هم بأسم او بخوانند چه ضرر دارد عرض میکنم منظور از ناطق حاکم حی حاضر است نه غائب اگر نباشد جمعی از غایب روایت کنند و حکم کنند از جانب او مفسد بر پا میشود لا محالة إلى أن قال پس مراد از ناطق در حقیقت آن شخص ظاهر است که مرجع خلق است او باید واحد باشد اما وحدت غائب دخل بمرحله حکومت ندارد پس ایراد وارد نمیاید که امام واحد باشد و روایات متعدد انتهى .

وفي الرسالة الإسحاقية قال : وأما اینکه فرمودند ناطق یکیست

یامتعدد این مسئله مشکلیست و بسطی لازم دارد چراکه برای پار دوستان مشتبّه مانده است پس اول باید مراد از ناطق را فهمید بدانکه ناطق بمعنی تکلم کردن است بحسب لغت ولی در این مورد که استعمال میشود مراد آن کسی است که ناطق بحق نماید و تأسیس اساس فرماید از خدایا بوحی یا بامر نبی یا بامر خاص از جانب امام یا از جانب آن کسیکه از جانب امام قائم میشود و ریاست خلق را فرماید و این عمل اول شأن پیغمبر است و پس از آن امام است و پس از امام صدق میکند بر نواییکه از جانب امام در زمان غیبت امام تکلم نمایند و کسانیکه در زمان ظهورند اسمشان ناطق نمیشود چراکه دانستی ناطق بمعنی سائیس و مؤسس است و در زمان ظهور ریاست ظاهرة باخود ایشان است و سائرین صامتین و اما در زمان غیبت چون امام بحسب ظاهر نسبت و هداة خود از اخبار و آثار از کتاب و سنت باید احکامرا استنباط کنند و رؤسای خلق میشوند اسم ایشان ناطق میشود یعنی نسبت بخلق چه نسبت بامام صامت باشند و قال فی موضع اخر من ذلك الكتاب برو ساعتي در جای خلوت بنشین و کلاه خود را قاضی کن و با کلاه صحبت بدار که أي کلاه امروز خدا را در ملك حجتی هست یا نه لا محالة باید حجتی باشد چراکه اگر حجت خدا مرتفع شود دین و ایمان تمام میشود الی ان قال حالا ببینیم این حجت ظاهر است و ناطق یا پنهان بدون شبهه ظاهر است چراکه سلطان پنهان بگزار اهل ظاهر نمیخورد اگرچه در جزء و اثری داشته باشد اگر حجتی پنهان حاصل میداشت خداوند خود کافی بود و محیط بهمه بندگان بود و امام پنهان کافی بود پس لا بد باید ظاهر باشد و آشکار و قال ایضا فی ذلك الكتاب اگر کسی بگوید که قلب امام است عرض میکنم بأدله

اثبات كردید که مردم از امام غایب منتفع نمیشوند پس قلبی که مردم احساس نکند چگونه منتفع میشوند . . . الخ ، وقال في رسالة برهان القاطع ، الموضوعة لجواب السيد محمد القره باغي^(١) في ذيل الاستشهاد بآية ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً﴾^(٢) يوم نبعث من كل امة شهيد پس مراد غير ان شهادتي است که الآن دارد وباین معلوم میشود که امام زمان شاهد است ولكن شهادت ان بدرد کار رعیت نمیخورد پس باید شاهد ان در هر عصر وزمان باشند که خلق ایشانرا بینند واز ایشان منتفع شوند . . . الخ .

وبالجملة ، إن أردنا نقل نظائر تلك الكلمات من سائر رسائله ورسائل أبيه رحمهما الله الدالة على نقص الأئمة عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها ، وتنزيلهم عما هم عليه ، لخرجنا عن النظام ، والتجأنا إلى تطويل الكلام تطويلاً مخلاً ، وبسطاً مملاً ، وحيث قال بوجوب وجود الرجل الناطق ووحدته ، وبناء على شفا جرف هار ، جرى على قلمه فيها ما لم يقل به أحد من الإمامية ، ولم يتفوه به من ينتسب إلى الفرقة الحقّة الاثني عشرية . لا بأس أن نشير إلى فساد بعضها منها قوله : اكر کسی بگوید که قلب امام است عرض میکنم بأدلة اثبات كردید که مردم از امام غائب منتفع نمیشوند پس قلبی که مردم احساس نکنند چگونه منتفع

(١) السيد محمد بن إبراهيم الموسوي الحسيني الشيشي القره باغي ، فاضل متبع ، جامع ، من تلامذة الحاج كريم خان الكرمانی ، وله ولاء شديد له ولابنه الحاج محمد خان الكرمانی ، وهو من أعلام القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر ، له : (نتیجه النتائج فيما وصل إلينا من مطالب الأصول من آل الرسول) ألفه سنة ١٢٩٣ هـ .

(٢) سورة النحل ، الآية : ٨٤ .

ميشوند . يعني : إن قال قائل : إنَّ قلبَ العالم هو الإمام عليه السلام ، أقول : ثبت بالأدلة أن الخلق لا ينتفعون من الإمام الغائب ، فالقلب الذي لا يرونه ولا يحسونه ، كيف ينتفعون منه ؟ وقد سبق من والده المرحوم في (إرشاد العوام) نظير هذه العبارة . ليت شعري ، أيُّ دليل دلَّ على أن بقية الله الحجة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه لا ينتفع به الخلق ؟ وقد قال في التوقيع الرفيع المبارك دفعاً ، لمخترعات الأوهام الضعيفة : (أما وجه الانتفاع بي في غيبتي ، فكانتفاع الناس بالشمس إذا جللها السحاب . وفي مقام آخر أما وجه الانتفاع بي في غيبتي ، فكان الانتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الأنظار السحاب ، وإني لأمان لأهل الأرض ، كما أن النجوم أمان لأهل السماء)^(١) . فشبه روعي وأرواح العالمين ، لتراب نعال محبيه الفدا ، انتفاع الخلق بوجوده الشريف في حال الغيبة بانتفاعهم بالشمس حال تجلُّلها بالسحاب . فطرفا التشبيه مقيدان ، أيّ : من تشبيه المقيّد بالمقيّد ، لا المركّب بالمركّب ، كما لا يخفى ، ووجه الشبه وهو التأثير : مفرد . والمعنى : أن الشمس كما لا يمنع من تأثيرها التجلُّل بالسحاب ، فكذلك وجوده الشريف لا يمنع من إفاضته على أهل العالم وتأثيره فيه غيبته . بعبارة واضحة : إن الناس - كما ينتفعون بالشمس ، ولو كانت غائبة خلف الغمام ، ومجلّلة بالسحاب - كذلك ينتفعون بوجوده الشريف ولو كان غائباً عن الأبصار ، ومحجوباً عن الأنظار ، فغيبته لا تمنع من الانتفاع به ، وتأثيره وإفاضته . كما أن غيبوبة الشمس خلف الغمام والسحاب لا تمنع من انتفاع الخلق بها ،

(١) الوافي : الفيض الكاشاني : ج ٢ ، ص ٤٢٥ . حديث ٩٣٣ . ورد أيضاً : الغيبة : الشيخ الطوسي . ص ٢٩٢ . حديث ٢٤٧ .

وتأثيرها في العالم السفلي . ولا شك أن من جملة تأثيرات الإمام عليه السلام في هذا العالم ، وإفاضاته على الخلق ، هدايته إلى طريق الرشاد والسداد ، وهي الفرد الشائع من بين أفراد التأثير المتبادر منه في المقام ، والمنصرف إليه عند الإطلاق ، وهي العمدة أيضاً من بين الأفراد ، ولا يلزم أن يكون الهادي والمفيض والمؤثر دائماً ، بحيث يراه المهتدي والمستفيض ، كما تعرفه - إن شاء الله - مفصلاً مبرهنناً في بيان لزوم التسديد على الإمام عليه السلام .



عود في التحقيق بطور رشيق

لا يخفى على ذي لب : أن منافع الشمس ليست منحصرة في الضياء والحرارة الظاهرتين ، بل لها منافع لا تُحصى ، وخواص لا تُستقصى ، بحيث إن المنفعتين عندها كالعدم ، ولا شك أنها كما تؤثر في العالم السفلي وتلقي جميع فيضها فيه ، حال ظهورها ، وصفاء الجو .

الحق كذلك عند تجلُّلها بالسحاب والغمام ، لا تفقد تلك الخواص والمزايا ، بل تؤثر أيضاً في العالم السفلي ، وتلقي ما لها من الخواص والمنافع فيه بلا فرق . نعم ، الفرق إنها عند غيبوبتها وتجلُّلها تظهر تأثيراتها وتلقي فيوضاتها من خلف الستار والحجاب ، ولا يلزم مشاهدتها ، ولا يشترط تأثيرها في الخلق بمشاهدتهم إياها قطعاً ، فجعل الحجة عجل الله تعالى فرجه الشمس وإفاضتها وتأثيرها من خلف الحجاب والستار مثلاً وآية لوجوده الشريف ، وإفاضته للخلق من خلف حجاب الغيبة والاستتار ، زمان الظلم والجور عن الأبصار ، وكيف لا

يفيـض على الخلق ، وهو غائب عن الأنظار ، ومحتجب عن الأبصار ؟ وقد قال في توقيعه الرفيع إلى الشيخ المفيد رحمه الله : (إِنَّا غَيْرُ مُهِمِّينَ لِمَرَاعَاتِكُمْ ، وَلَا نَاسِينَ لَذِكْرِكُمْ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَا ضَظْلَمَتْكُمْ اللَّأَوَاءُ ، وَأَحَاطَتْ بِكُمْ الْأَعْدَاءُ)^(١) . فظهر أن لا فرق في إيصال الفيوضات الكونية والشرعية إلى أهلها بين شهوده وظهوره ، وبين غيبته واستتاره ، لا سيما إن قلنا : بلزوم التسديد من باب اللطف ، كما هو الحق الحقيق . ويظهر لك صدقه في المقالة الآتية - إن شاء الله - فانتظر . فأَيُّ نفع وفيض كان يصل للخلق من الفيوضات الكونية والشرعية في زمان حضورهم وشهودهم ، لم يصل إليهم في زمان غيبتهم واستتارهم غير التشرف بحضورهم ظاهراً ؟

فَتَبَيَّنَ أَنَّ القول بعدم الانتفاع من الإمام الغائب عجل الله تعالى فرجه كلام لا محصل له بوجه ، ولا يتفوه به شيعي موالٍ ، ولا يرضى به الاثناعشري ، ليت شعري ، ما الفرق بين أهل زمان الغيبة ، وبين أهل البلاد البعيدة في زمان الحضور ، الذين ما كانوا يتمكنون من التشرف بحضورهم والتبرك بليقياهم ، أو ما كان يصل إليهم الفيض كوناً وشرعاً ، أو كان بُعْدُهُمْ عن حضورهم عليهم السلام وعدم رؤيتهم إياهم عليهم السلام مانعاً من إيصال الفيض إليهم ؟ فكذلك الآن عدم رؤية الخلق : وجه الله الأكرم الغائب المستور ، مثل عدم رؤية أهل البلاد البعيدة أئمة زمانهم عليهم السلام ، لا يكون مانعاً من إيصال ما يحتاج إليه الخلق من

(١) تهذيب الأحكام : الشيخ الطوسي . مقدمة الكتاب ص ٣٨ . ورد أيضاً : المزار : الشيخ المفيد . تحقيق السيد محمد باقر الأبطحي . ص ٨ .

الفيض كوناً وشرعاً إليهم ، وليست المشاهدة والرؤية لذلك الجمال الإلهي ووجه الله الأكرم المضيء ، شرطاً للاستفاضة منه وإفاضته عجل الله فرجه نعم ، الاستفاضة مع المشاهدة والتشرف بحضرته ولقياء نور على نور ، بلَّغنا الله ذلك ، فإنه أقصى مناي ومنتهى أُملي ورجاي .

فقوله : مردم از امام غائب منتفع نمیشوند . كلام لا ينبغي أن يجري على قلم المخالف ، فضلاً عن مدَّعي المحبة والمؤالف ، نسأل الله الثبات على ما نحن عليه ، ونعوذ به من سوء المنقلب ، وما هو عليه .

ومنها ما هو نظير كلامه السابق ، قال في كلامه المنقول سابقاً : سلطان پنهانی بکار اهل ظاهر نمیخورد اگرچه در جزء اثری داشته باشد . يعني : أن السلطان المخفي لا يفيد لأهل الظاهر ، وإن كان له تأثير في الجزء ، بعبارة أخرى : إن السلطان المخفي وهو الولي المطلق ، والسلطان الحق ، الحجة ابن الحسن عجل الله تعالى فرجه لا يفيد لأهل الظاهر ، لخفائه واستتاره عنهم فائدة تامة ، ومنفعة كاملة ، وإن كان له أثر جزئي وتصرف خفي فيهم ، بل الفائدة التامة ، والمنفعة العامة ، والأثر الكلي ، والتصرف العمومي ، لذلك الواحد الناطق ، الذي هو مرجع لجميع الخلق في الكون والشرع على زعمه .

فسخافة هذا الكلام أوضح من أن يقام لبيانها دليل وبرهان ، إذ لا تلازم بين خفائه واستتاره عن الخلق ، وعدم جريان مقتضى سلطنته فيهم ، من التصرف ، وتنظيم الأمور ، وإيصال كل ذي حق إلى حقه ، كما أن عادة غالب السلاطين في هذه الأزمنة ، استتارهم عن الرعية وعدم ظهورهم لهم إلا قليلاً ، ومع ذلك لا يختل أمر رعيته ، ولا يتوقف على حضورهم بينهم ، إذ هو لا يباشر بنفسه أمور الرعية ، حتى

يتوقف انتظام أمورهم على حضوره ، بل هو الأمر لذلك ، والمباشر
للأمور ، والتنظيم ، والتقديم ، والتأخير ، وغيرها من المأمورين
المنتظرين لأوامره ونواهيه أنا بعد آن .

وكذلك ولي الله الغائب المستور عجل الله تعالى فرجه ، هو صاحب
الولاية الكلية الإلهية ، والسلطنة العامة الحقيقية ، وإن كان محجوباً عن
أبصار رعيته ، ولا يمكن لهم التشرف بحضرته ولثم عتبته . ومع ذلك كله
يجري في تمام رعيته ، وخلق الله سبحانه مقتضيات سلطنته وولايته
عليهم ، من الأوامر ، والنواهي ، والتصرف الكامل ، بواسطة المأمورين
خصوصاً وعموماً ، ولا يفتر أنا واحداً ، ولا يغفل عن إجراء أوامر الله
سبحانه ونواهيه في خلقه ، إذ هو وليه ، ومظهر ولايته . وحجته ، ووعاء
مشيئته ، سواء كان بوجوده الشريف ، بحيث لا يعرفه أحد ، أو بمأمور
خاص أو عام ، أو تسديد ونحوها ، وكيف يكون صاحب السلطنة
والولاية الكلية الإلهية ، وهو يغفل عن رعيته ، ويرفع اليد عن
محجوجه ، ولا يفيدهم فائدة تامة ، ولا يؤثر فيهم تأثيراً كاملاً ، بل يكون
له فيهم تأثير جزئي ، ويكون سلطاناً ويسمى به ، ويكون مغلول اليد عن
التصرف في الرعية تصرفاً كلياً ، كما زعمه من لا بصيرة له في معرفة
الإمام عليه السلام ، ولا دراية له في المقام ، قالت اليهود : ﴿يَدُ اللَّهِ
مَغْلُولَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾^(١) .

ثم إن جميع ما نرى من التصرفات والتغيرات والتبدلات الموجودة
في ملك الله عز وجل كلها آثار سلطنته ، وآيات ولايته ، وما يجري على

(١) سورة المائدة ، الآية : ٦٤ .

أيدي الأركان الأربعة ، والنقباء ، والنجباء ، ورجال الغيب ، والأوتاد ، والأبدال ، والصلحاء ، والكُمَّلين في أقطاب العالم من تنظيم أمور الخلق ، وسدّ الثغور ، وحفظ الدين المبين عن إفساد المفسدين ، وأهل البدع والمخترعين ، وغيرها كلها ، من تصرفات ذلك السلطان الحق الحقيقي عجل الله تعالى فرجه ، كما أمر - في ابتداء الغيبة الكبرى - الشيعة بالرجوع إلى النواب العامة ، وعيّن لهم أوصافاً مخصوصة ، وقال : (فإنهم حجّتي عليكم وأنا حجة الله عليهم) ^(١) . وقال : (فإني قد جعلته عليكم حاكماً) ^(٢) ، فالتصرفات من هؤلاء المأمورين : عموماً وخصوصاً ، في جميع البلاد ، والأمصار كلها من قبله عجل الله تعالى فرجه ومنه ، ولا استقلال لهم فيها ، بل ، ولا ربط ، ولا دخل لهم فيها بوجه ، إذ تصوّرتُ المأمور لا يُنسبُ إلى نفسه ، بل يُنسبُ إلى الأمر ، والمأمور إنما هو آلة وواسطة ، لإجراء أوامر الأمر ونواهيه ، الذي بأمره قام تمام العوالم وما فيها ، وبوجوده تحرّكت المتحركات ، وسكنت السواكن ، وتعيين المأمورين خصوصاً أو عموماً من لوازم السلطنة ، سواء كان السلطان ظاهراً أم مستوراً ، ولو كانت التصرفات منسوبة إلى الغير لما قال الإمام الغائب المستور عجل الله تعالى فرجه : (إنّا غيرُ مُهمّلين لمراعاتكم ، ولا ناسين لذكركم) ^(٣) . فالشمس إذا سترها الغمام

(١) الغيبة : الشيخ الطوسي . ص ٢٩١ ، حديث ٢٤٧ . ورد أيضاً : الفصول العشرة :

الشيخ المفيد . تحقيق الشيخ فارس حسون . ص ١٠ .

(٢) الكافي : الشيخ الكليني . ج ٧ ، ص ٤١٢ . ورد أيضاً : تهذيب الأحكام : الشيخ

الطوسي . ج ٦ ، ص ٢١٨ ، حديث ٥١٤ / ٦ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار . ج ٥٣ ، ص ١٧٥ .

والسحاب ، لا يقال : إن تأثيرها انقطع عن العالم السفلي ، ولا تفيد لأهل الأرض .

فظهر أن غيبة السلطان الحقيقي لا تكون مانعة من تصرفاته ، وإجراء مقتضيات سلطنته ، وولايته الكلية الإلهية ، في تمام الملك والعوالم ، وإن التصرفات والتأثيرات كلها له ومنه عجل الله فرجه ، والمأمورون كلهم : عموماً وخصوصاً ، من كل صنف وكل طبقة في جميع الأعصار والأمصار ، وسائط ، وآلات ، ومظاهر وأدوات له عليه السلام في إيصال الفيوضات تكويناً وتشريعاً إلى محالها ، وإن كان هو أيضاً قادراً في إيصالها بلا واسطة ، لكن لمقتضى مفاد : أبى الله أن يجري الأمور إلا بأسبابها ، اقتضت المصلحة الإلهية تعيين الوسائط والأسباب بينه وبين الخلق ، كالأركان ، والنقباء ، والنجباء ، والنواب ، بطريق الخصوص والعموم ، فأبى تصرف أعظم من تصرفه عجل الله تعالى فرجه ؟ وهل لتصرف الغير مع تصرفه وجود ؟ وهل تُنسب التصرفات إلى المأمورين مع كونهم وسائط وآلات ؟ إذاً فلا معنى لقوله : سلطان پنهانی بکار اهل ظاهر نمیخورد اگرچه جزو اثری داشته باشد .

ثم إن كان التصرف التام ، كما زعم للناطق الواحد المدعي ، لا للولي المطلق والسلطان الحق ، لزم أن يكون علمه أيضاً ، عاماً ومحيطاً لجميع مُلك الله وما فيه ، إذ لا بدّ لشمول العلم وعمومه مقدار سلطنته ، وقدرته ، وتصرفه ، فمن كان له التصرف الكلي في كل الأمور ، كان علمه بها أيضاً ، عاماً شاملاً لها ، فهذا الناطق الواحد إن كان علمه عاماً ومحيطاً بكل شيء ، ولا يفلت من تحت عموم علمه جزئياً ولا كلياً بمقتضى تصرفه في كل الأشياء : كليها ، وجزئها ، لكان أكمل من الأنبياء الذين هم علته

في الوجود ومؤثره ، كما هو مُبَرَّهَنٌ في بيان السلسلة الطولية : وعلمهم سلام الله عليهم ليس محيطاً بكل ما ذرأ الله وبرأ من الكلي والجزئي ، وليس لنا في السلسلة الثماني مَنْ يكون هكذا ، حتى الأنبياء أولي العزم إلا المعصومين الأربعة عشر . ومعلوم أن الأثر كلما ترقى لا يصل إلى مرتبة مؤثره ، إذ كل شيء لا يتجاوز عن دائرته أبداً ، فكيف يتجاوز منه ويكون أكمل منه ، وهو فرع له ومخلوق من شعاع نوره ؟

وبالجملة ، مفسد قلة التأمل مما يضيق من بيانها التحرير ، ويكلُّ عن إحصائها التقرير . ومنها قوله في العبارات المنقولة سابقاً . ولكن شهادات آن يعني : امام زمان عجل الله تعالى فرجه بدرد كار رعت نيمخورد پس بايد شاهد آن در هر عصر وزمان باشند كه خلق ايشانرا ببينند واز ايشان منتفع شوند انتهى . يعني : أن الحجّة ابن الحسن عجل الله تعالى فرجه وإن كان شاهداً ولكن شهادته لا تفيد للرعية ، فلا بدّ من وجود الشهداء في كل عصر وزمان غير الإمام عليه السلام حتى يراه الناس وينتفعون منه ، وإن كان فساد هذا الكلام أوضح من السابقين مع ذلك ، لا بدّ لنا من التعرض لذلك كنساً للأوهام الضعيفة ، ورفعاً لما رسخ في العقول السخيفة التي لم تميز بين شهادة الإمام - الذي استفاضت الأخبار الصريحة والآيات - بأنه الشاهد على الخلق من قبل الله عزّ وجلّ ، وبين شهادة من هو أثر لأثرهم ، وفرع لفرعهم ، ومن جنس المشهود عليهم ومن سنخهم . العجب كلّ العجب ممن تبعهم على هذا القول ، وقالوا بعدم فائدة شهادة من نصبه الله سبحانه شاهداً على الخلق ، وقبلوا القول بأن هذا المدّعي هو الشاهد عليهم - تعالوا على الإسلام نبكي ونلطم - من جملة الآيات قوله تعالى : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ

عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً^(١) . فِي الْكَافِي^(٢) ، عَنْ سَمَاعَةَ قَالَ : (قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾^(٣) نَزَلَتْ فِي أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَاصَّةً فِي كُلِّ قَرْنٍ مِنْهُمْ ، إِمَامٌ مِنَّا ، شَاهِدٌ عَلَيْهِمْ وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَاهِدٌ عَلَيْنَا) . انْتَهَى . وَمِنْهَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ : ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(٤) فِي الْكَافِي ، عَنْ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ ذَكَرَ هَذِهِ الْآيَةَ ، فَقَالَ : (هُوَ وَاللَّهُ عَلَيَّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ)^(٥) . وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ سَأَلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ : (وَالْمُؤْمِنُونَ هُمُ الْأُئِمَّةُ)^(٦) وَفِي الْكَافِي عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : (إِنَّا نَا عَنِ)^(٧) ، وَفِي الْكَافِي^(٨) ، عَنْ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : (ادْعِ اللَّهَ لِي ، وَلِأَهْلِ بَيْتِي ، قَالَ : أَوْ لَسْتُ أَفْعَلُ ؟ وَاللَّهُ إِنْ أَعْمَالَكُمْ لَتُعْرَضُ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ . قَالَ : فَاسْتَعْظَمْتَ ذَلِكَ . فَقَالَ : أَمَّا تَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(٩) ؟ قَالَ : هُوَ وَاللَّهُ عَلَيَّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ) .

(١) سورة النساء ، الآية : ٤١ .

(٢) الكافي : الشيخ الكليني . ج ١ ، ص ١٩٠ .

(٣) سورة التوبة ، الآية : ١٠٥ .

(٤) الكافي ، ج ١ ص ٢٢٠ .

(٥) المصدر السابق ص ٢١٩ .

(٦) وجدنا الرواية في : بحار الأنوار ، ج ٢٣ ص ٣٣٧ . مناقب آل أبي طالب ، ج ٣

ص ٥٠٤ . الشيخ الطوسي ، الأمالي ، ص ٤٠٩ .

(٧) الكافي ج ١ ص ٢١٩ - ٢٢٠ .

(٨) سورة التوبة ، الآية : ١٠٥ .

ومنها قوله سبحانه : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(١) في الكافي^(٢) ، عن بريد العجلي قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ الآية فقال : (نحن الأمة الوسطى ، ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه) قال الله عز وجل : ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ قال : (إيانا عنى خاصة ﴿هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾^(٣) في الكتب التي مضت ، وفي هذا القرآن ، ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾^(٤) ، فرسول الله صلى الله عليه وآله الشهيد علينا بما بلغنا عن الله عز وجل ونحن الشهداء على الناس ، فَمَنْ صدق صدقناه يوم القيامة ، ومن كذب كذبناه يوم القيامة) . انتهى . وفيه أيضاً عن بريد العجلي مثله مع زيادة^(٥) . وفي خبر (شواهد

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٤٣ .

(٢) الكافي ، ج ١ ص ١٩٠ ح ٢ .

(٣) سورة الحج ، الآية : ٧٨ .

(٤) سورة الحج ، الآية : ٧٨ .

(٥) عن بريد العجلي قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : قول الله تبارك وتعالى : وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال : (نحن الأمة الوسط ونحن شهداء الله تبارك وتعالى على خلقه ، وحججه في أرضه ، قلت : قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم ، قال : إيانا عنى ونحن المجتوبون ، ولم يجعل الله تبارك وتعالى في الدين من حرج فالحرج أشد من الضيق ملة أبيكم إبراهيم إيانا عنى خاصة وسماكم المسلمين الله سمانا المسلمين من قبل في الكتب التي مضت وفي هذا القرآن ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فرسول الله صلى الله عليه وآله الشهيد علينا بما بلغنا عن الله تبارك وتعالى ، ونحن الشهداء على الناس ، فمن صدق يوم القيامة صدقناه ومن كذب كذبناه) . الكافي ج ١ ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ١٣٦٣هـ ، ص ١٩١ ح ٤ .

التنزيل^(١)، قال أمير المؤمنين عليه السلام : (إيانا عنى بقوله : ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ﴾ ، فرسول الله صلى الله عليه وآله شاهد علينا ، ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه ، ونحن الذين قال الله : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ .

وبالجملة ، لو أردنا نقل الأخبار الواردة في كونهم شهداء على الخلق ، وحصر الشهادة فيهم سلام الله عليهم ، لخرجنا عن المقام ، واحتجنا إلى تطويل الكلام . فكفانا هذا المقدار في هذا المضمار ، فتأمل فيما ذُكر منها ، وقس عليها ما لم يُذكر منها . كيف حصروا الشهادة حقيقة في أنفسهم عليهم السلام ، وأوضحوا أن المراد من الشهيد والشهداء في الآيات هم سلام الله عليهم لا غيرهم من الأنبياء المعصومين ، فضلاً عما هو من دائرة الرعية المسمّى عند من زعم لزوم وجوده ووحدته بأسماء عديدة ، كالناطق وغيره ؟ على أن خبر المناقب عن الباقر عليه السلام صريح في عدم جواز شهادة الأمة والرعية على الناس .

قال عليه السلام : (إنما أنزل ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ قال : ولا يكون شهداء على الناس إلا الأئمة والرسل ، فأما الأمة ، فإنه غير جائز أن يستشهدها الله تعالى على الناس ، وفيهم من لا تجوز شهادته في الدنيا على حُرْمَةِ بَقْلِ^(٣) . انتهى . وهذا المدّعي على زعمه والمسمّى عنده بالناطق قطعاً

(١) للحاكم الحسكاني ، شواهد التنزيل ، ج ١ ص ١١٩ - ١٢٠ .

(٢) ج ١ ص ١١٩ - ١٢٠ .

(٣) صححت الرواية حسب المصدر : مناقب آل أبي طالب : ابن شهر آشوب . ج ٣

من الأمة والرعية لا المعصومين ، فلا يجوز شهادته على من هو من سنخه وجنسه من دائرة الرعية والأمة .

فظهر أن استدلال المرحوم الحاج محمد خان ووالده في رسائلهما بهذه الآيات ونحوها ، وتأويلهما إياها ، والأخبار المطلقة في شأن هذا الناطق المدعى ، استدلال لا يُسَمَّنُ ولا يغني من جوع ، وتأويل باطل لا يرضى به آل الرسول . وأن قوله فيما مضى : ولكن شهادات أن يعني الحجة عجل الله تعالى فرجه بدرد كار رعيت نميخورد پس بايد شاهد آن در هر عصر وزمان باشند كه خلق ايشانرا بينند واز ايشان منتفع شوند . كلام واہ ، مبناه الموهومات الخيالية ، لا شاهد له من كلام الله ، وكلام أوليائه ورسله ، فَمَنْ نَصَبَهُ اللهُ وَلِيَّ خَلْقِهِ ، وشاهداً عليهم ، بِنَصِّ الآيات ، وتصريح الأئمة الهداة ، ومطلعاً على أمورهم الكلية والجزئية ، ومدبراً لأموورهم ، إن لم يفد شهادته على الناس ، فهل يفيدهم شهادة من هو مثلهم ، ومن جنسهم ، وسنخهم ، وأحد الرعية والأمة ؟ ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾^(١) . وإن أردت التفصيل في المقام ، فراجع كتاب البوارق لقد أشبعنا فيه الكلام بما لا مزيد عليه في المقام ، وأفردناه لبيان هذه المسألة وتطويل هذه المرحلة .



(١) سورة الحشر ، الآية : ٢ .

الفصل السابع

إطلاق لفظ الشيعة

قد ظهر لك من خبر المناقب من قول الباقر عليه السلام : (لا يكون شهداء على الناس إلا الأئمة والرسل ... إلخ) . حيث حصر الشهادة فيهم عليه السلام ثم أكد بقوله : (فأما الأمة ، فإنه غير جائز أن يستشهدها الله تعالى على الناس ، وفيهم من لا تجوز شهادته في الدنيا على حزمة بقل) . إن المراد من الشهداء على الناس في الآيات والأخبار هم المعصومون : الأئمة والأنبياء ، ولا يجوز أن يُراد به أحد الرعية والأمة . وأما الخبر المروي عن الباقر عليه السلام قال : (وايم الله ، لقد قضى الأمر أن لا يكون بين المؤمنين اختلاف ، ولذلك جعلهم شهداء على الناس ، ليشهد محمد علينا ، ولنشهد على شيعتنا ، ولتشهد شيعتنا على الناس ... إلخ)^(١) .

فالمراد من الشيعة فيه : هو الأنبياء والرسل ، لا الواحد الناطق ، كما يستدل به المدّعي لزوم وجوده . إذ الشيعة مشتق من الشعاع ، أي مأخوذ منه ، ومخلوق منه ، كما قال الصادق عليه السلام : (وشيعتنا خُلِقُوا من شعاع نورنا)^(٢) ، وأول سلسلة اشتقّ وخلق من شعاع نور

(١) الكافي ، ج ١ ص ٢٥١ .

(٢) عن أبي جعفر عليه السلام قال : (... ثم خلق شيعتنا ، وإنما سموا شيعة لأنهم خلقوا

الحقيقة المحمدية الأنبياء سلام الله عليهم . والمؤمنون من الإنسان خُلِقُوا من شعاع نور الأنبياء ، كما نبينه في المقالات الآتية ، إن شاء الله .

فإطلاق الشيعة أولاً ، وحقيقة على الأنبياء ، لأنهم خُلِقُوا بلا واسطة من شعاع الحقيقة المحمدية ، وإطلاقها على المؤمنين من الرعية مجاز ، إذ إطلاقها عليهم بواسطة أنهم خلقوا من شعاع مَنْ خُلِقُوا من شعاع نور الحقيقة ، فهم حقيقة : شيعة الشيعة . وتشهد لذلك الآية الشريفة : ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾^(١) ، إن أرجعنا الضمير إلى علي عليه السلام ، لا نوح ، وهو الحق والصواب في تفسير البرهان القاطع للسيد هاشم البحراني ، نقلاً عن شرف الدين ، قال : رُوِيَ عن مولانا الصادق عليه السلام أنه قال : ((قوله عز وجل)) : ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ أي : إبراهيم من شيعة علي عليه السلام ، ثم قال شرف الدين : ومما يدل على أن إبراهيم عليه السلام في جميع الأنبياء والمرسلين من شيعة أهل البيت ما روي عن الصادق عليه السلام أنه قال : (ليس إلا الله ورسوله ، ونحن وشيعتنا ، والباقي في النار)^(٢) . انتهى .

بل يظهر من بعض الأخبار أنه لا يجوز إطلاق لفظ (الشيعة) على غير الأنبياء والرسول من دائرة الرعية ، ونهى من التسمي باسم الشيعة ، إذ الشيعة كما ورد عنهم عليهم السلام (مَنْ عَمِلَ بِأَمْرِهِمْ ، واجتنب عما نهوا عنه)^(٣) ، وانفك عن الذنوب ، والمعاصي ، والخطايا ، وليس لنا

= بحار الأنوار ، ج ٢٥ ص ٢٣ - ٢٤ ، الحافظ رجب البرسي ، مشارق أنوار اليقين ، ص ٦٢

(١) سورة الصافات ، الآية : ٨٣ .

(٢) السيد هاشم البحراني : البرهان في تفسير القرآن . ج ٤ ، ص ٥٩٩ ، ح ٨٩٩٢ و ٨٩٩٣ .

(٣) الرواية كما وردت : عن أبي عبد الله عليه السلام : (كونوا لنا دعاة صامتين . قالوا : =

في دائرة الرعية من يكون هكذا ، فلم يبق إلا الأنبياء والرسل . قال الإمام العسكري عليه السلام في تفسيره قوله تعالى : ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾^(١) في آخر قوله : (وليس هؤلاء يسمُّون : بشيعتنا ، ولكنهم يسمُّون : بمحبينا ، والموالين لأوليائنا ، والمعادين لأعدائنا ، إن شيعتنا مَنْ شَيَّعْنَا ، وَاتَّبَعَ آثَارَنَا ، واقتدى بأعمالنا)^(٢) . انتهى . في البرهان القاطع أيضاً . قال رجل للحسن بن علي عليهما السلام : إني من شيعتكم ، فقال الحسن بن علي عليه السلام : (يا عبد الله ، إن كنت لنا في أوامرنا وزواجرنا مطيعاً ، فقد صدقت ، وإن كنت بخلاف ذلك ، فلا تزدد في ذنوبك بدعواك مرتبة شريفة ، لست من أهلها ، لا تَقُلْ : أنا من شيعتكم ، ولكن قل : أنا من مواليكم ، ومحبيكم ، ومعادي أعدائكم ، وأنت في خير وإلى خير)^(٣) . وفيه أيضاً ، قال رجل للحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام : يا بن رسول الله ، أنا من شيعتكم ، قال : (اتقِ الله ، ولا تَدَّعِينَ شَيْئاً يَقُولُ لَكَ كَذَبْتُ ، وَفَجَرْتُ في دعواك ، إن شيعتنا مَنْ سلمت قلوبهم الله من كل غش ودغل ، ولكن قل : إني من مواليكم ومحبيكم)^(٤) . انتهى .

وفيه أيضاً ، قال رجل لعلي بن الحسين عليهما السلام : يا بن رسول

= وكيف ذلك ؟ قال : تعملون بما أمرناكم به من طاعة الله ، وتنتهون عما نهيناكم عنه .

شرح الأخبار : القاضي النعماني المغربي . ج ٣ ، ص ٥٠٦ ، حديث ١٤٥٢ .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٨١ .

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ، ص ٣٠٧ .

(٣) البرهان في تفسير القرآن : السيد هاشم البحراني . ج ٤ ، ص ٦٠٣ ، ح ٨٩٩٥ .

(٤) بحار الأنوار : المجلسي . ج ٦٥ ، ص ١٥٦ .

الله ، أنا من شيعتكم الخَلَص ، فقال له ^(١) : (يا عبد الله فإذا أنت كإبراهيم الخليل عليه السلام إذ قال الله تعالى : ﴿وَأَنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ^(٢)) فإن كان قلبك كقلبه ، فأنت من شيعتنا) الخ .

وبالجملة ، فالأخبار في النهي عن التسمي باسم الشيعة لغير دائرة الأنبياء والرسل مستفيضة ، فالقدر المتيقن في التسمي بها هو مرتبة الأنبياء المعصومين وغيرهم مشكوك فيه . فالناطق المدعي قطعاً ، ليس من دائرة الأنبياء المعصومين وأوصيائهم ، بل هو من دائرة الرعية قطعاً ، وليس قلبه كقلب إبراهيم عليه السلام قطعاً ، حتى يطلق : الشيعة ، إذ لا يكون قلب كقلبه ، إلا أن يكون صاحب القلب مساوياً له عليه السلام في الرتبة ، فلم يشمل إطلاق الشيعة .

وفي خبر المناقب : وليشهد شيعتنا على الناس ، وخرج من شمول إطلاقه ، إذ المراد من الشيعة ، كما ظهر لك هو الأنبياء والرسل ، بل لا يجوز إطلاقها على أحد من دائرة الرعية ، فكيف يستدل به على مدّعاها؟ فيما ذكرنا لا بغيره ، ظهر لك الجمع بين هذا الخبر والخبر الآخر من المناقب المتقدم ، حيث قال الباقر عليه السلام : (لا يكون شهيداً على الناس إلا الأئمة والرسل ، فأما الأمة ، فغير جائز أن يستشهدها الله ، وفيهم من لا يجوز شهادته في الدنيا على حَزْمَةٍ بَقْلٍ) . انتهى . وتبين أن الشاهد على الخلق حقيقة هو : المعصومون الأربعة عشر ثم الأنبياء

(١) بحار الأنوار : المجلسي . ج ٦٥ ، ص ١٥٦ .

(٢) سورة الصافات ، الآيتان : ٨٣ - ٨٤ .

والرسل ، ولا حظَّ لغيرهم من دائرة الرعية ، ولا نصيب في هذا المقام .
فقول المرحوم الحاج محمد خان بأن في كل عصر وزمان لا بدَّ من وجود
رجل واحد من دائرة الرعية ، شاهد على كل الخلق ، وشهادة الإمام
المستور الحجة بن الحسن ، لا تفي للخلق ، كلام لا طائل تحته ،
كالكلامين السابقين في الفصل السابق .



الفصل الثامن

تعدد الحجج زمن الغيبة

قال المرحوم الحاج محمد خان ووالده المرحوم ، في العبارات المنقولة من رسائلهما في الفصل الأول من المقالة : إن المراد من الناطق الواحد هو المرجع لجميع الخلق من النقباء ، والنجباء ، والصلحاء ، وغيرهم من سائر الناس في الفيوضات الكونية والشرعية . ليت شعري ، ما الدليل لمرجعية هذا الناطق الواحد المدّعي لتمام الخلق في جميع الفيوضات : كوناً وشرعاً ؟ إن كان هو النصُّ الخاصُّ ، كما وقع في حقِّ النواب الأربعة ، وصدر التوقيع الرفيع من الناحية المقدسة بذلك ، وفي حقِّ سائر وكلاء الأئمة عليهم السلام ، فالمقطوع أنه لم يصدر في الغيبة الكبرى من تلك الناحية المقدسة نصٌّ منه عجل الله تعالى فرجه قط ، وهما مُقَرَّان بذلك أيضاً ، وإن كان الدليل هو النصُّ بطريق الإطلاق والعموم ، فالنصوص الواردة في المقام كلها من قبيل قول الإمام الصادق عليه السلام : (انظروا إلى رجل منكم قد روى حديثنا ، ونظر في حلالنا وحرامنا ، وعرف أحكامنا)^(١) . ومن قبيل : (وأما الحوادث الواقعة ، فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا ، فإنهم حجّتي عليكم ، وأنا حجّة الله

(١) وسائل الشيعة : ج ١٨ ص ٩٩ باب ١١ ح ١ .

عليهم^(١) . ومفادها كما ترى وجوب رجوع الناس في زمان الغيبة الكبرى ، إذا احتاجوا إلى المسائل الشرعية إلى رواة أحاديثهم العارفين بالأحكام من الحلال والحرام ، وكونهم حجج الله عليهم . فالذي يستفاد منها أمران ، كلاهما خلاف ما يدعيان :

الأول : كون الأشخاص الذين جعلهم الله في الغيبة الكبرى حججاً على الخلق ، مرجعاً لهم في الأمور والفيوضات الشرعية فقط ، ومتبعاً لهم فيها ، ولا يجب للخلق الرجوع إليهم في غيرها ، حتى الأمور العادية التي يلزم في بعضها اتباع قول الوالدين إذا أمرا به ، فضلاً عن الفيوضات الكونية ، واستفادتها منهم . وهما رحمهما الله يدعيان وجوب رجوع الخلق كلاً وطراً إلى المدعي ، وجوب وحدته في جميع الفيوضات الكونية والشرعية ، ويستدلان عليه بما ذكرنا من الأخبار ونحوها ، التي ترى عدم دلالتها على ما يدعيان ، وعدم استفادته منها بوجه .

الثاني : تعدّد هؤلاء الذين جعلهم الله حججاً على الخلق في زمن الغيبة الكبرى ، ونواباً لحجّته الغائب المستور ، إذ الميزان والملاك الرجوع إليهم في روايتهم لحديثهم ، ومعرفتهم بالأحكام : الحلال منها والحرام ، ولا يلزم منهما الوحدة ، بل في أي محل ومقام من المحبين والموالين ، وُجِدَ الميزان والملاك أُخِذَتِ المسائل الشرعية منه عند الحاجة ، ويجب الرجوع إليه لدى الضرورة ، فإذا وُجِدَ في زمان واحد ألفاً ممن وجد فيهم ذلك الميزان ، واتّصفوا بالصفات المخصوصة لهم ، جاز الرجوع إلى كلّ منهم ، والأخذ عنهم المسائل الشرعية والفرائض

(١) كمال الدين ص ٤٨٤ ، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٠١ الحق المبين ص ١٠ .

الدينية . فَمِنْ أَيْنَ هذه الأخبار ونحوها ؟ ومن أيها يُستفاد ما يدعيانه من وجوب وجود رجل واحد ناطق في كل زمان ، مرجع للخلق كلهم في جميع الفيوضات الكونية والشرعية ، وعدم تعدده ؟

وقد ذكرنا سابقاً أن وحدته في الغيبة الكبرى موجبة للفساد العظيم ، وهلاك المحبين ، وإتلاف الشيعة ، وخلاف الحكمة الإلهية ، ونقلنا تصريحات السيد الأَمجد أنار الله برهانه بذلك في الفصول السابقة ، فراجع . ثم إن مفاد الآية الشريفة : ﴿ فَلَوْ لَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴾ ^(١) أيضاً تعدد رؤساء الدين وأساطين الشرع المبين في كل عصر وزمان ، لأن الله سبحانه كلّف التفقه في الدين ، وإنذار القوم لطائفة وجماعة من كل قبيلة ، لا واحد ، إذ تكليفه بهذا الأمر العظيم ، وهو من دائرة الرعية تكليف بما لا يطاق ، وغير مقدور له قطعاً - لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها - ، فظهر إن المرجع في الأحكام الشرعية والواسطة في تلك الفيوضات ، لا يجب أن يكون واحداً ، فكيف يقولان رحمهما الله : إنه لا بدّ أن يكون المرجع من دائرة الرعية لجميع الخلق في الفيوضات الكونية والشرعية واحداً ! إن هو إلاّ زور ، وبهتان ، وتحكّم ، وإلى الله المشتكى .



(١) سورة التوبة ، الآية : ١٢٢ .

الفصل التاسع

الرجوع إلى الوكلاء والعلماء

قد ظهر لك من جميع ما ذكرناه في الفصول السابقة : أن القول بوجوب وجود رجل واحد ناطق مرجع ، لتمام الخلق في جميع الفيوضات الكونية والشرعية ، وسلطان كل العوالم الكونية والإمكانية ، غلطٌ فاحش لا يجوز لأحد ادّعاء هذا المقام ، ولا يليق به إلا إمامنا الغائب المستور المنتظر عجل الله تعالى فرجه وإن ادّعى ذلك غيره عليه السلام كان مصداقاً لقوله عز وجل : ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(١) ، إذاً المقام مقام الولاية المطلقة العامة ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾^(٢) ولم يدّع ذلك المقام من دائرة الرعية أحد إلا بعض الزنادقة ، لعين الدنيا والآخرة ، عليه اللعنة والعذاب من ربّ الأرباب من الآن إلى يوم الحساب ، ثم إن المرجعية الموجودة في دائرة الرعية والإمامية ، من ابتداء الغيبة الصغرى إلى الآن ، كانت من قبل الحجة ابن الحسن عجل الله تعالى فرجه إما بنصّ خاص ، كالنواب الأربعة ، وإما بنصّ عام ، كالعلماء الاثني عشرية ، والفقهاء الجعفرية ، أساطين الدين وسلاطين الشرع المبين ، فهذا الناطق الواحد المدّعى المسمّى بأسماء عجيبة ،

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٧٢ .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ٤٤ .

أسماء الله وأسماء رسله وأوليائه ، كالسلطان التام ، ومؤسس الأساس ، ومقنن القانون والحجة الإلهية ، والشاهد على الخلق ، والمنذر ، ومربي جميع الذرات ، وإمام الزمان ، والنائب الخاص ، والإله ، والرحمن ، والله ، والرب ، والمعبود ، والمركز ، والقطب ، وسلطان الدنيا والآخرة ، وغيرها من الأسماء التي مرت عليك في الكلمات المنقولة في الفصل الأول ، إن كان مرجعيته لتمام الخلق باستقلال من ذاته ونفسه ، ففساده وبطلانه أوضح من أن يتجشّم بدليل ، ويتمسك بتكثير القول والقييل ، إذ ليس لنا الآن مرجع مستقل واجب الطاعة من جميع الجهات من الله عزّ وجلّ سوى بقية الله عجل الله تعالى فرجه . وإن كان مرجعاً عن قبل الحجة عجل الله تعالى فرجه ، فهذا لا يخلو من أنه إما يكون : بنص خاص أو عام ، فالأول : باطل بالبداهة ، إذ بعد النواب الأربعة انسداد باب النصّ الخاص ، وانقطع سبيله ، والثاني : دخل تحت عمومه كل الحاملين لآثارهم ، والعارفين للأحكام ، الحلال منها والحرام ، الموجودين في كل عصر وأوان ومصر وزمان . فلم تنحصر المرجعية له وفيه ، بل تكون له ولغيره من العلماء الراشدين ، والفقهاء والمجتهدين ، ففسد طريق الانحصار في الفرد الواحد بحكم العموم من النصوص . وهذه السيرة القويمة والطريقة المستقيمة كانت جارية ، ومستقرة بين أصحابنا الإمامية رضوان الله عليهم من ابتداء الغيبة الكبرى إلى الآن ، وكلّهم كانوا مرجعاً للخلق في الأحكام الشرعية ، وإن كان ألف منهم في زمن واحد وبلدة واحدة ، ولم يخالف هذه السيرة القويمة أحد من الأصحاب سوى المرحومين : الحاج محمد كريم خان وولده الحاج محمد خان ، بل كانت هذه السيرة مستقرة أيضاً ، في الغيبة الصغرى مع

وجود النواب الأربعة المخصوصين المنصوصين ، إذ لم يكن جميع الشيعة من جميع الأطراف والبلاد في ذلك الزمان ، مأمورين بالرجوع إلى أولئك الأربعة في جميع الأمور والمسائل الشرعية وغيرها ، والسؤال عنهم ، بل كان في ذلك الزمان في البلاد والأمصار التي فيها الشيعة أيضاً ، علماء فقهاء ، يرجع إليهم الناس والمحبون في مسائلهم الشرعية والأحكام والحلال والحرام ، ولم ينكر أحد من النواب الأربعة ذلك ، ولم ينهوا الخلق من الرجوع إلى العلماء في زمانهم ، ولم يأمرؤا العلماء بالدعوة والرجوع إليهم ، وسائر الناس بالأخذ منهم والرجوع إليهم ، ولم يصدر أيضاً من الناحية المقدسة الأمر برجوع الخلق والعلماء إلى النواب الأربعة المنصوصين في مسائل الحلال والحرام والأحكام ، دون العلماء الموجودين المرضيين ، بل كانوا يعملون بما عندهم من الأصول الأربع مئة والأخبار المصححة ، ويفتون بها من دون نكير من النواب المخصوصين المنصوصين ، وكل واحد منهم كان مرجعاً للشيعة في مسائل الحرام والحلال . نعم ، كان النواب واحداً بعد واحد في زمان الغيبة الصغرى وكلاء من قبل بقية الله عجل الله تعالى فرجه في جمع الحقوق والأموال ، وما هو راجع إليه عليه السلام من الصدقات ، والأنفال ، وسائر الحقوق ، وإيصال عرائض الشيعة ، إلى مولاهم ، ومالك رقابهم في حوائجهم ، وبعض مسائلهم إذا احتاجوا إليها ، وإيصال ما يصدر من الناحية المقدسة من التوقيع الرفيع إلى أهله ، كوكلاء سائر الأئمة عليهم السلام في سائر الأزمان ، كعلي بن مهزيار^(١)

(١) أبو الحسن ، علي بن مهزيار الأهوازي الدورقي ، من أعلام القرن الثالث الهجري ، =

وكيل الجواد عليه السلام ، ومحمد بن سنان^(١) وكيل الهادي والعسكري عليهما السلام ، وغيرهما من الوكلاء المنصوصين من قبل الأئمة في أزمنتهم ، فكما لم يكن وكلاء سائر الأئمة عليهم السلام في أزمنتهم مرجعاً لكل الشيعة دون العلماء الموجودين في زمانهم ، بل كانت الشيعة ترجع في مسائل الحلال والحرام إلى الوكلاء والعلماء معاً ، فكذلك في زمان الغيبة الصغرى ، كانت الشيعة ترجع إلى النواب الأربعة والعلماء المعاصرين ، لكل واحد منهم في أخذ المسائل الشرعية ، وإن كان النواب مخصصين فيما ذُكر : من جمع الحقوق والصدقات الراجعة إليه عجل الله تعالى فرجه ، ونحوهما دون غيرهم من العلماء المعاصرين لهم .

فظهر : أن القول بوجوب وجود رجل واحد ناطق في كل زمان ، ووجوب رجوع الخلق كلاً وطراً من العلماء والعوام إليه ، ودعوة العلماء في كل قطر إليه ، وعدم جواز الإفتاء لهم في مسألة جزئية وكلية إلا عنه ، قولٌ فاسد ، ومذهبٌ كاسدٌ ، ما قال به أحد من الأصحاب المتقدمين ، والمتأخرين ، والمشايخ الموحدين ، وأنه قول مُستحدث غريب ، ومذهب حادث عجيب .

وبالجملة ، لسنا في هذا المختصر في صدد التعرض بتمام ما

= كان رضي الله عنه من أصحاب الإمام الرضا ، والإمام الجواد ، والإمام الهادي عليهم السلام ، وكان وكيلاً عن الأئمة في بعض المناطق ، من مؤلفاته : (الأنبياء) ، و (البشارات) ، و (التفسير) وغيرها .

(١) محمد بن الحسن بن سنان مولى زاهر ، توفي أبوه الحسن وهو طفل ، وكفله جده فنسب إليه . روى عن الرضا عليه السلام . توفي سنة (٢٢٠هـ) .

يستدلون به في المقام ، كما تعرضنا لغالب أدلتهم الواهية في « كتاب البوارق » ، وإنما غرضنا الأهم ، ومقصودنا الأتم ، تطهير ساحة مشايخنا العظام ، وتنزيه كلمات الشيخ الأوحد ، والسيد الأ مجد عن لو ث ما يُنسَب إليهما في المقام ، حتى لا يبقى لأهل الغرض محل جدال ، ولأهل العناد مجال مُقال . والحمد لله على ذلك ، والشكر على ما هنالك ، حمداً لا يُحصى عدداً ، وشكراً لا يُستقصى أبداً .



المقالة الخامسة
في العلل الأربع لجميع الأشياء

وفيها فصول :

الفصل الأول

معنى العلل الأربع

اعلم أن من المعلوم أنه لا يوجد شيء في الأرض ولا في السماء ،
إلا بعِلل أربع : علَّتَان منها داخلتان ، وهما : مادّة الشيء ، وصورته .
وعِلَّتَان خارجتان : العِلَّةُ الفاعلية للشيء ، والعِلَّةُ الغائية له ، أي : غايته
والفائدة منه ، السَّابِقة على الشيء تصوراً ، واللاحقة له وجوداً . وبفقدان
أحدها لا يتكوّن الشيء ، ولا يدخل إلى عرصة الوجود ، مثاله :
السريّر ، فإن له مادة وهو : الخشب ، وصورة وهو : هيئة السريّر ،
وفاعلاً وهو : النجار ، وغاية وهو : الجلوس عليه أو غير ذلك . وعلى
هذا ، فقس ، وهو واضح . ومن البين أنّ العِلل في أول ما خلق الله
منتھية ، ليس فوقها عِلل أخرى ، وفي سائر الأشياء لتنزلها وبُعدها عن
المبدأ ، تتكثر عِللُها ، وإلى كل مرتبة ينزل الشيء ، تتجدّد لها عللاً
وتُخفي العلل السابقة ، وتصيرُ عللاً معدة بالنسبة إلى العِلل القريبة
للشيء ، وتختلف قلة وكثرة بحسب قربها وبُعدها عن المبدأ . ألا ترى
في المثال المذكور : أنّ السريّر حيث كان خشبة كانت عِللها غير عِلله ،
وقبلها كانت شجرة ، وقبلها نواة ، وهكذا تتراعى إلى أن تنتهي مادة
وصورة إلى مادة المواد . وكذا الإنسان مادته لحم وعظم ، وقبلها
مضغة ، وعلقة ، ونطفة ، إلى أن تنتهي إلى التراب ، إلى الماء الذي خلق
منه كل شيء حي ، وعلى هذه المراتب والطبقات يُحمل الاختلاف الذي

يُرى في الآيات المبينة لمبدأ خلق الإنسان ، من قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾^(١) أو ﴿ مَاءٍ مَّهِينٍ ﴾^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾^(٤) ، وقد جمع بعضها في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾^(٥) ، إلخ . وكذلك ترمى فاعلاً إلى مشيئة الله سبحانه قال عليه السلام : (لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بسبعة : بِمَشِيئَةٍ ، وَإِرَادَةٍ ، وَقَدَرٍ ، وَقَضَاءٍ ، وَإِذْنٍ ، وَأَجَلٍ ، وَكِتَابٍ)^(٦) .

ويشهد للمقامين ما رواه في (عيون الأخبار)^(٧) ، عن الرضا عليه السلام ، عن آبائه ، عن الباقر عليه السلام ، عن جدّه عليه السلام ، قال : (دعا سلمان أبا ذر رحمة الله عليهما إلى منزله ، فقدم إليه رغيفين ، فأخذ أبو ذر الرغيفين فقلبهما ، فقال سلمان : يا أبا ذر ، لأي شيء تقلب هذين الرغيفين ؟ قال : خفت أن لا يكونا نضيجين ، فغضب سلمان من ذلك غضباً شديداً ، ثم قال : ما أجراك حيث تقلب هذين

(١) سورة الطارق ، الآية : ٦ .

(٢) سورة السجدة ، الآية : ٨ .

(٣) سورة طه ، الآية : ٥٥ .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية : ٣٠ .

(٥) سورة الحج ، الآية : ٥ .

(٦) روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : (لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبع : بمشيئة وإرادة وقدر وقضاء وإذن وكتاب وأجل) الكافي ، ج ١ ص ١٤٩ .

(٧) الشيخ الصدوق ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ، ج ١ ص ٥٧ (تم تصحيح الرواية حسب المصدر) .

الرغيفين ! فوالله ، لقد عمل في هذا الخبز الماء الذي تحت العرش ، وعملت الملائكة حتى ألقوه إلى الريح ، وعملت فيه الريح حتى ألقته إلى السحاب ، وعمل فيه السحاب حتى أمطره إلى الأرض ، وعمل فيه الرعد ، والبرق ، والملائكة ، حتى وضعوه مواضعه ، وعملت فيه الأرض ، والخشب ، والحديد ، والبهايم ، والنار ، والحطب ، والملح ، وما لا أحصيه أكثر ، فكيف لك أن تقوم بهذا الشكر ؟) .

إذا عرفت ما ذكر ، فاعلم أن الفاعل والموجد حقيقة ، والمتصرف في جميع الأشياء ، ليس إلا الواجب الحق عز شأنه لا غيره ، وهو القائم بذاته ، المستقل في صفاته ، وما سواه كائناً ما كان ، ممكن ، وذاتي الممكن الفقر والاحتياج ، وعدم الاستغناء طرفه عين أبداً ، لأن الإمكان ينافي الاستقلال ذاتاً دائماً ، لا في آنٍ دون آن ، وإلا لانقلب في ذلك الآن واجباً ، هذا خلف ، فالمقتضي لاحتياجه وفقره في حال وجوده وصدوره بعينه معه في كل حال لا يفارقه ، فإذا كان الممكن عاجزاً صرفاً ، وفقرراً محضاً ، استحال منه سد فقرٍ مثله استقلالاً ، أو شراكة ، أو تفويضاً من الغني بالطريق الأولى ، فلا مؤثر في الوجود إلا الله ، ولا فاعل ولا متصرف حقيقة سواه . هذا مختصر القول في الفاعل الحقيقي ، ويأتي تمام الكلام في العلة الفاعلية وبقية العلل ، إن شاء الله تعالى ، في الفصول الآتية .

قال بعض المعاصرين من الأفاضل قدس سره في أول رسالته :
مسئله از جمله مسائلي كه محل اختلاف است بين فريقين علل اربعة بودن
ائمه طاهرين است ، از براي جميع المخلوقات . ثم ذكر بعض العبارات
من شرح الزيارة ثم قال : ودر بعضی از فقرات تشبيه ميكند ائمه را

بسراج که ظهور نارغیبي از آنست وانست وجه نار وموقع اسماء ومحل صفات آن پس همچنانکه نار احراق واضائه مینماید اشیائرا بفعلش که ظاهر از سراج است ومحل انفعال دهن سراج است همچنین خداوند جمیع افعال خود را اظهار نموده است بمشیتی که محل آن حقیقت محمدیه است که بمنزله دهن است پس چون مشیت تقوم ظهوری حاصل کرد بحقیقت محمدیه وآن حقیقت تقوم رکنی حاصل نمود بآن مشیت از میان این فعل وانفعال مولوی حاصل شد که عبارتست از وجود کل وکل وجود من العقل الى الهباء ، ومن الدرة الى الذرة ، پس همچنانکه جمیع آثار نار منسوب سراج است وجمیع صفات نار در شعله سراج است همچنین جمیع صفات الهی در ائمة طاهرین است ، وجمیع آثار ربوبیت از ایشان است ، نه اینکه ایشان مستقل هستند بلکه اشیان محل تأثیر الهی هستند وآن خود بنفسه هیچ تأثیر ندارند .

يعني : من جملة المسائل التي هي محل الخلاف بين الفريقين : كون الأئمة الطاهرين عللاً أربعاً لجميع المخلوقات ، ثم ذكر بعض عبائر الشيخ الأوحد من « شرح الزيارة » ، ثم قال : وفي بعض الفقرات ، يُشَبَّهُ الأئمة بالسراج الذي منه ظهور النار الغيبية ، وهو وجه النار ، وموقع الأسماء ، ومحل الصفات . فكما أن النار تحرق الأشياء ، وتضيء لها بفعلها الظاهر من السراج ، ومحل انفعال دهن السراج ، فكذلك الله أظهر جميع أفعاله بمشيئة التي محلها الحقيقة المحمدية ، التي هي بمنزلة الدهن ، فلما تقوّمت المشيئة تقوّم ظهور بالحقيقة المحمدية ، وتقوّمت الحقيقة بالمشيئة تقوّم ركن ، حصل من بين هذا الفعل والانفعال مولود ، وهو عبارة عن وجود الكل ، وكل الوجود من العقل إلى الهباء ، ومن الدرة إلى الذرة ،

فكما أن جميع آثار النار منسوبة إلى السراج ، وجميع صفات النار ظاهرة في شعلة السراج ، فكذلك جميع الصفات الإلهية ظاهرة في الأئمة الطاهرين ، وجميع آثار الربوبية ظاهرة منهم ، لا أنهم مستقلون ، بل هم محال التأثيرات الإلهية ، وليس من أنفسهم تأثير أبداً . انتهى .



الأئمة واسطة وآلة لفعل الله

أقول : نعم ، كما قال رحمه الله وعرفه من كلمات الشيخ الأوحى ، من كون الأئمة الطاهرين واسطة وآلة لفعل الله سبحانه في إيجاد الأشياء ، كما سنفصل في الفصول الآتية ، ونوضح مقصوده من كونهم آلة لفعل الأشياء ، ونثبت أن المراد من كونهم علة فاعلية لكل الأشياء ، كونهم واسطة ، ومحلاً لفعل الله ، ومظهراً له في إيجادها ، ولقد أصاب رحمه الله في معرفة ما ذكر من كلماته أعلى الله مقامه من معنى العلية لهم عليهم السلام ، ولكن اشتبه عليه الأمر في معرفة معنى القيام بين المشيئة والحقيقة المحمدية ، أي قيام كل واحدة بالأخرى .

قُلْ لِلَّذِي يَدْعِي فِي الْعِلْمِ فَلَسَفَةً حَفِظْتَ شَيْئاً وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ^(١)

حيث قال : پس چون مشيت تقوم ظهوري حاصل كرد بحقيقة محمدية وأن حقيقت تقوم ركن حاصل نمود بآن مشيت از میان این فعل وانفعال مولودي حاصل شد . . . الخ . يعني : لما قامت المشيئة بالحقيقة المحمدية تقوُّماً ظهورياً ، وقامت الحقيقة بالمشيئة تقوُّماً ركنياً ، ومن بين

(١) هذا الشعر لأبي فراس الحمداني ، أحد شعراء الدولة الحمدانية .

هذا الفعل والانفعال حصل مولود ، فزعم من كلماته أن قيام المشيئة بالحقيقة المحمدية قيامٌ ظهوري ، كقيام الكسر بالانكسار ، والحال ، أن قيام المشيئة بالحقيقة المحمدية قيام ركني ، أي : تَحَقُّقِي ؛ لأنها محل ووعاء للمشيئة^(١) ، وزعم أيضاً أن قيام الحقيقة المحمدية بالمشيئة قيام ركني ، والحال ، أن قيامها بالمشيئة قيام صُدوري ، إذ مشيئته تعالى علة لجميع الموجودات ، على ما يأتي تفصيله . وأول ما صدرت منها الحقيقة المحمدية ، وهي أول ما تعلّقت بإيجادها من بين الأشياء ، ولو كانت قيامها بالمشيئة قياماً ركنياً ، كما زعم من كلماته ، لزم القول بمذهب ضرار ، وهو القول بوحدة الموجود ، وهو كون المشيئة مادة للأشياء ، فمادة كل فرد منها حصة من المشيئة ، والحقيقة المحمدية فرد من أفرادها . وقد ملأ عَظُرَ الله رمسه كتبه ، ومصنفاته ، ورسائله ، بإبطالها وإثبات أن قيامها بالمشيئة قيام صُدوري ، كقيام نور الشمس بالشمس .

(١) اعلم أن للحقيقة المحمدية مع المشية اعتبارين ، وإن شئت قلت مقامين : أحدهما : أن الحقيقة أثر المشية والمشية قائمة بها قيام ظهور ، والحقيقة قائمة بها قيام صدور ، وهذا شأن كل مؤثر مع أثره ، فإن المؤثر ظاهر بأثره قائم قيام ظهور كقيام ضرب الفعل بأثره وهو الضرب المصدر ، فإن قيامه بالمصدر قيام ظهور كالكسر بالانكسار بلا ريب .

وثانيهما : أن الحقيقة محل للمشيئة ووعاء لها كما في الزيارة السلام على محال مشية الله وفي غيبة الطوسي عن كامل بن إبراهيم المدني إلى أن قال الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه : (وجئت تسأله عن مقالة المفوضة كذبوا بل قلوبنا أوعية مشية الله) . ويأتي في المقالة العاشرة مقالة التفويض هذه الرواية بطولها ، فإذا كانت الحقيقة محلاً ووعاء للمشيئة فيكون قيامها بالحقيقة قيام ركن أي قيام تحقق ، فافهم إن كنت تفهم . فالمشيئة عندنا حادثة من صفات الأفعال لا من صفات الذات بدليل العقل والنقل ، فلا بد لها من محل تقوم به وليس لها محل حكمة إلاّ الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله . علي بن موسى الحائري .

القيام وأقسامه عند الشيخ الأوحـد

وبالجملة ، لما كانت اصطلاحات الشيخ الأوحـد وحشية جديدة ، ولم يستأنس بها الفاضل المرحوم اشتبه عليه الأمر ، مع أن مسألة القيام وانقسامه إلى أربعة أقسام : الركني ، والصّـدري ، والظهوري ، والعروضي ، من جملة اصطلاحاته المنفرد بها ، المكررة في تصانيفه ورسائله ، خوفاً من الوقوع في الاشتباه ، كما وقع من وقع ، وَرُبَّ مَنْ لم يطلع على مصطلح الشيخ الأوحـد ، ومصنفاته ، ورسائله ، ونظر إلى ما ذكره الفاضل المرحوم ، ونسبه إلى الشيخ الأوحـد أساء الظنّ بذلك الأواه ، وظن أنه قال بمذهب ضرار ، وكون المشيئة مادة الأشياء .

قال في شرحه على عرشية الملا صدرا الشيرازي ، في شرح كلامه : (قاعدة مشرقية : المتكلم من قام به الكلام) : قوله : المتكلم من قام به الكلام ما يريد به ؟ فإن القيام يُراد به ، إذا أطلق أحد معانٍ أربعة :

أحدها قيام الصدور : كقيام نور الشمس بالشمس ، ومعناه قيام الشيء بإيجاد موجدّه ، بحيث لا يتحقّق في مدة أكثر من مدة إيجاده ، وذلك كنور الشمس ، وكالصورة في المرأة .

وثانيها قيام الظهور : كقيام الكسر بالانكسار ، فإن الكسر سابق بالذات ، ولكنه لا يمكن ظهوره في الأعيان إلّا بالانكسار ، لأن الانكسار هو قبول الكسر للإيجاد ، ولهذا قبل الكسر وجد أولاً ، وبالذات والانكسار وجد ثانياً وبالعرض .

وثالثها قيام التحقّق : كقيام الانكسار بالكسر ، بمعنى أنه لا يتحقّق : لا في الخارج ولا في الذهن ، إلّا مسبوقاً بالكسر ، لأنه انفعال الكسر

لفعل الفاعل ، إذ لا تتعقّل الصفة قبل الموصوف ، وقد يطلق على هذا أعني القيام الثالث الركني ، بمعنى أن الانكسار في الحقيقة مادته من نفس الكسر ، من حيث هو هو ، لا من حيث فعل الكاسر ، وذلك كقيام السرير بالخشب قياماً ركنياً ، لأن الخشب هو ركنه الأعظم الذي يتقوم به ، والركن الثاني الأيسر هو الصورة ، فَلَكَ أن تقول : إنه تقوّم بالخشب التقوّم الركنيّ ، وأن تقول : إنه تقوّم بالخشب تقوّم التحقق .

ورابعها تقوم عروض : كتقوم الصبغ بالثوب . انتهى كلامه رفع مقامه .

فالقيام بأقسامه الأربعة ، كما ترى من جملة اصطلاحاته المخصوصة ، إذا أطلق القيام ، أراد به أحد تلك الأقسام ، لا إشكال فيه ، وإنما الإشكال في موارد استعماله ومعرفته ، فمن مارس كلماته ، واطلع تلك الموارد ، اطلع على مراده نُورُ ضريحه ، كما هو المرسوم في سائر العلوم ، وإلا وقع في المَهالك ، وارتكب ضيق المسالك . واللازم لمن دخل في كل علم من العلوم الاطلاع أولاً على اصطلاحه وألفاظه المتداولة بين أهله ، ثم توضيحه إن أراد ، أو إيراد إشكالٍ إن أشكل عليه .

فالفاضل المرحوم لمّا لم يمارس مصنفات الشيخ الأوحّد ، ولم يطلع على اصطلاحاته ، ولم يَسْمَعْها من أهله ، ورأى عبارة له نُورُ الله ضريحه في الجزء الثالث من (شرح العرشية) في بيان معنى الصراط أو غيره ، ولم يعرف مراده منها ، اشْتَبَهَ ذلك الاشتباه في بيان مقصود ذلك العبد الأوّاه ، والعبارة هذه ، قال : وإن شئت قلت : فهو تعالى بهم يفعل ما يشاء ، لأن فعله متقومٌ بهما ، يعني : بمحمد وعلي تقوّم ظهور ، وهما

تَقَوُّمَا بفعله تَقَوُّمَ تحقُّق ، وآية فعله بهما ، أي تَقَوُّم فعله بهما ، وَتَقَوُّمُهُمَا بفعله كالقائم والضارب بالنسبة إلى زيد ، وله المثل الأعلى ، فإن القائم والضارب اسما فاعل : القيام والضرب ، وليسا اسمين لذات زيد ، ولا يُحْمَلَانِ على ذات زيد إِلَّا مجازاً^(١) . انتهى .

وحيث لم يعرف موارد استعمال القيام ، ولم يفرِّق بين مرتبة اسم الفاعل المسمّى بمقام الحكاية والبيان ، وبين مرتبة أثر الفعل ، وهو الحقيقة المحمدية ، استعمل القيام الذي بين المشيئة واسم الفاعل ، أي قيام المشيئة باسم الفاعل ، وهو القيام الظهوري في المشيئة والحقيقة المحمدية ، أي في قيام المشيئة بالحقيقة المحمدية ، وهو قيامٌ تحقُّقٌ ، واشتبه بين موردي استعمال القيام .



بيان الذات والصفة واسم الفاعل والفعل

وبالجملة ، بيان هذا الاشتباه وتوضيحه يتوقف على تقديم مقدمة نافعة ، وهي : أنك إذا قلت : زيدٌ قائم . يُعْلَمُ منه أشياء أربعة : الأول : ذات زيد ، والثاني : صفته وهي القائم ، وهو اسم الفاعل أي اسم لفاعل فعل القيام ، الثالث : قام وهو فعل زيد . الرابع : القيام ، وهو المصدر وأثر فعل زيد . فنسبة قام الذي هو فعلُ ذاتِ زيد ، إلى ذات زيد مجاز على اصطلاح النحويين ، لأن الذات لا تباشر الفعل وهو قام ، وأجل من المباشرة بالبداهة ، إذ لو كانت تباشر لزم أن تكون قائماً دائماً ولا تفارقه

(١) شرح العرشية ج ٣ ص ٥٥ - ٥٦ .

أبداً ، لأن الذاتيات لا تتغيّر قطعاً ، وهو الفارق بين صفات الذات وصفات الفعل ، بل الذات توجد الفعل بنفسه ، ثم تظهره بواسطة صفته ، أي : صفة فعله ، وهي القائم (أبى الله أن يجري الأمور إلّا بأسبابها) ^(١) ، فصفة القائم سبب وواسطة لظهور فعل الذات ، ولذا تُسمّى هذه الصفة بالذات الظاهرة ، وهذه الصفة وهي القائم ، مركّب من أمرين ، وهما : الفعل وهو قام ، وأثر الفعل وهو القيام ، المصدر بناء على ما حقّق في محله من كون الفعل هو الأصل ، والمصدر أثره ، يعني : مشتق منه ، وهو مذهب الكوفيين . فالمباشر حقيقة للفعل هو القائم الذي هو مظهر الفعل وصفته ، لا ذات زيد ، لأن الذات موجدة الفعل بنفسه ، وهو حادث ، والذات منزّهة من مباشرة الحوادث : وكيف يجري عليه ما هو أجراه) ، بل الذات تُظهر فعله بصفة القائم ، فالصفة هي المباشر ، ولذا قال في عبارته المنقولة : فهو تعالى يفعل بهم ما يشاء . يعني يظهر الله بهم ومنهم أفعاله ، لأنهم صفاته ، كما أن زيدا يظهر أفعاله من صفاته وهي عناوينه ، فظهر أن فعل زيد وهو قام يظهر من قائم ، وهو عنوانه وصفته ، لا من ذاته ، وقيامه به قيامٌ ظهور ، كقيام الكسر بالانكسار ، ولذا قال في عبارته المنقولة : لأن فعله يتقوّم بهما تقوّم ظهور ، يعني : أن فعل الله سبحانه قائم بمحمّد وعليّ اللّذين هما صفاته قيام ظهور ، وقائم الذي هو صفة زيد واسمه لما كان مركّباً من قام الذي هو فعله ، ومن القيام الذي هو أثر فعله ، قلنا : إنه قام بالفعل ، وهو قام قياماً تحقّقياً ، لأنه لولا الفعل لما اتصف زيد بقائم ، وأما القيام وهو أثر قام .

(١) مستدرك سفينة البحار : الشيخ علي النمازي الشاهرودي . ج ٤ ، ص ٤٢٤ .

قام بقيام قياماً صدورياً ، لأنه أثره وصدر منه ، فالقائم له لحاظان ، فبلحاظ أنه اسم زيد وآيته ، وآلة ظهور فعله ، وواسطته ، وعنوانه ، وحاكه مقدّم على الفعل رتبة ، والفعل قائم به قيام ظهور ، كقيام الكسر بالانكسار ، وبلحاظ تركّبه من الفعل وأثره ، واتصاف زيد به بعد الفعل وأثره ، مؤخّر من الفعل وجوداً ، فذات زيد - ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾^(١) - مثال الذات الأحدية جلّ وعلا ، وقائم مثال عنوانية آل محمد وصفيتهم لله سبحانه وتعالى ، وقام مثال فعله ، والمشئنة والقيام مثال الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله .

فالله سبحانه يظهر جميع أفعاله بصفاته ، وهم آل محمد ، وهذا المقام هو مقام العنوان ، واسم الفاعل والحكاية والفعل قائم به قياماً ظهورياً ، وهو قائم بالفعل قياماً ركنياً تحقّقياً ؛ لأن الفعل ركنه ، والفعل قائم بالحقيقة المحمدية ، وهي أثر الفعل ، وأول صادر منه قياماً ركنياً ، لأنها محلّه ووعاؤه ، والحقيقة المحمدية قائمة بالفعل قياماً صدورياً ، لأنها أول صادر منه .

إذا عرفت هذه المقدمة وأتقنتها ، ظهر لك طريق اشتباه الفاضل المرحوم ، وأنه بواسطة عدم اطلاعه على مطالب الشيخ الأوحّد ، وعدم ممارسته بكلماته ، لم يفرّق بين مقام اسم الفاعل وهو العنوان ، وبين مقام الحقيقة المحمدية ، وهي أثر الفعل وأول صادر منه . وقال : مشيت : تَقَوُّمُ ظُهُورِيٍّ حاصل كرد بحقيقت محمدية . وأن حقيقت تَقَوُّم ركنيٍّ حاصل نمود بآن مشيت . وأنت عرفت بأوضح بيان بحمد الله

(١) سورة النحل ، الآية : ٦٠ .

المستعان . إن قيام المشيئة بالحقيقة المحمدية تقوم ركني لأنها محل المشيئة لا ظهوري كما توهم ، والذي قامت المشيئة به تقوماً ظهورياً هو مقام اسم الفاعل والحكاية والعنوان ، لا مقام الحقيقة المحمدية كما توهم ، وأن الحقيقة المحمدية قائمة بالمشيئة تقوم صدورياً لأنها أول صادر من المشيئة لا تقوم ركنياً كما توهم ، لأنه يلزم منه مذهب ضرار وهو كفر صريح ومذهب قبيح . فتأمل جيداً فيما ذكرنا ؛ لأنه من مزال الأقدام ، ومحل اضطراب الأفهام ، ومحك أفهام الأعلام ، وبالجمله هذا القليل من الاشتباه كثيرٌ في رسالته .



الفصل الثاني

تقدّم وجود المعصومين على سائر الأشياء

قال الفاضل المعاصر المرحوم في تلك الرسالة بعد العبارة المنقولة في الفصل السابق ، ونقل بعض كلمات الشيخ الأوحد والسيد الأ مجد واشتباهه في بيان المراد منها : پس میگوئیم در این مسئله دو مقام است ، یکی : تقدّم وجود ائمه طاهرين بر وجود سائر اشياء در عالم أنوار واشباح . دوم : علل اربعة بودن ایشان از برای ما سوى الله ، وعمدة محل اختلاف مسئله دوم است ، وأما اول پس بسیاری از متشرعة نیز قائل بآن هستند مثل علامه رحمه الله وشيخ كليني وشيخ صدوق وغيرهم ، نظر بأخبار بسیاری که ممکن است ادعای تواتر آنها ، وعجب است از انکار شيخ مفيد وسيد مرتضى این امر را باینکه دليل معتبری از عقل ونقل بر خلاف آن نیست ، واز قدرت خدا بعید نیست ، پس چه داعی کرده بر طرح و تأویل این اخبار بسیار ؟ لیکن در اینجا لطیفه است وآن اینست که شيخ احمد را اعتقاد اینست که تسدید بر امام من باب لطف لازم است ، یعنی نمیگذارد که علماء در زمان غیبت در خطا واقع شوند بلکه در قلب ایشان میاندازد آنچه را که صواب است وحق است حال میگوئیم : شبهه وشکی نیست که شيخ مفيد از مشايخ شیعه ومروجين احکام شریعت بود بلکه در حق او است : (یا شيخ منك الخطأ ومنا التسديد وقضية الحق مع ولدي والشيخ معتمدي) ، در حق او

است با سيد مرتضى ، وتوقيع از حضرت حجت در مرثيه شيخ منقولست
 كه فرمودند (لا صوت الناعي بموتك إنه يوم على آل الرسول عظيم) .
 پس چگونه ميشود كه اين دو بزرگوار در اين مسئله بخطا رفته باشند وامام
 ايشانرا ردع نفرموده باشد پس ؟ بر شيخ احسائي لازم است احد آمرين :
 يا متابعت كند شيخ مفيدرا در عدم تقدم وجود ائمة بر سائر اشياء ودست
 بر دارد از جميع مطالب خود كه متفرع بر اين مسئله است ، يا اينكه قول
 بتسديد را باطل داند وردع بر امام لازم نداند وثاني اسان تراست از براي
 او . . . إلخ .

يعني : فنقول : في هذه المسألة مقامان : أحدهما : تقدم وجود
 الأئمة الطاهرين على وجود سائر الأشياء في عالم الأنوار والأشباح .
 ثانيهما : كون الأئمة عللاً أربع لما سوى الله ، وعمدة محل الاختلاف
 المسألة الثانية ، وأما الأولى فكثير من المتشعبة أيضاً ، قالوا بها ،
 كالعلامة ، والشيخ الكليني ، والشيخ الصدوق ، وغيرهم ، نظراً إلى
 الأخبار الكثيرة التي يمكن ادعاء تواترها . والعجب من إنكار الشيخ
 المفيد رحمه الله والسيد المرتضى هذا الأمر ، مع أنه ليس دليلاً معتبراً
 من العقل والنقل على خلافه ، وليس بعيداً من قدرة الله ، فما الداعي إلى
 طرح وتأويل هذه الأخبار الكثيرة ؟ لكن هنا لطيفة ، وهي أن الشيخ أحمد
 اعتقد أن التسديد لازم على الإمام من باب اللطف ، يعني : لا يدع - في
 زمان الغيبة - أن يقع العلماء في الخطأ ، بل يُلقى في قلوبهم ما هو
 الصواب والحق ، فنقول : الحال ، لا شك ولا شبهة أن الشيخ المفيد
 من مشايخ الشيعة ، ومروحي أحكام الشريعة ، بل في حقه ورد : (يا
 شيخ منك الخطأ ، ومنا التسديد . وقضية الحق مع ولدي والشيخ

معتمدي) في حقه مع السيد مرتضى ، وخرج من التوقيع مرثية في حقه
(لا صَوَّتَ النَّاعِي بِمَوْتِكَ إِنَّهُ يَوْمَ عَلَى آلِ الرُّسُولِ عَظِيمٌ)

فكيف يمكن أن يقول هذان الرئيسان بالخطأ في هذه المسألة ، ولا يردعهما الإمام عليه السلام ؟ فلزم على الشيخ الأحسائي أحد الأمرين :
إما متابعة الشيخ المفيد في عدم تقدم وجود الأئمة على سائر الأشياء ،
ويرفع يده من جميع مطالبه التي فرّعها على هذه المسألة ، وإما يقول
ببطلان القول بالتسديد ، وعدم لزوم الردع على الإمام عليه السلام ،
والثاني أسهل له . انتهى .

وغرضه رحمه الله من هذه اللطيفة هو الطعن في حقّ الشيخ الأَوْحَد
بطريقٍ حَسَنٍ على زعمه ، وهو أن الشيخ الأَوْحَد يقول بوجوب التسديد
على الإمام عجل الله تعالى فرجه من باب اللطف ، وَتَقَدَّمَ وجود
المعصومين الأربعة عشر سلام الله عليهم أجمعين على وجود جميع
الأشياء . والشيخ المفيد والسيد المرتضى اللذان هما من أعظم مشايخ
الشيعة ومروّجي الشريعة يقولان : بعدم تقدّم وجودهم على جميع
الأشياء ، وذهب أكثر الأصحاب كالمجلسي ، والكليني ، والصدوق ،
على خلافهما ، وهو الحقّ . والأخبار الكثيرة بل المتواترة تصرّح
بذلك ، فإن كان التسديد لازماً على الإمام عجل الله تعالى فرجه ، كما
ذهب إليه الشيخ الأَوْحَد ، وجب عليه عليه السلام ردعهما مما ذهباً إليه ،
فاللزام على الشيخ الأَوْحَد أحد أمرين : إما القول بما ذهباً إليه من عدم
تقدّم وجودهم عليهم السلام على جميع الأشياء ، ورفع اليد عمّا فرّعه
على مذهبه من تقدمهم عليهم السلام على جميع الأشياء . وإما القول
ببطلان القول بوجوب التسديد ، والثاني أسهل له من الأول .

أقول هذه اللطيفة منه رحمه الله عجيبة واردة عليه ، إذ هو رحمه الله لو قال بالتسديد ، وَتَقَدُّمُ وجود المعصومين على جميع الأشياء ، كما يظهر من كلماته ، جرت في حَقِّه رحمه الله تلك اللطيفة أيضاً ، ولو لم يقل بالتسديد فما معنى تمسكه بتعظيم الشيخ المفيد عليه الرحمة بقوله عجل الله تعالى فرجه : (يا شيخ منك الخطأ ومنا التسديد) ؟ اللهم إلا أن لا يعتمد على هذا النقل ، أو يؤول التسديد بالتسديد الشخصي للمفيد رحمه الله . وبالجمل ، فحيث أن الظاهر أنه خفي على الفاضل المعاصر المرحوم معنى التسديد من كلمات الشيخ الأوحده ، وغفل عن ذلك ، فاللازم في هذا المقام رفع الاشتباه ببيان مطلبين على طريق اختصار غير مخل :



مراد الشيخ الأوحده بالتسديد

الأول : بيان معنى التسديد ، ومراد الشيخ الأوحده منه .

الثاني : بيان لزوم التسديد ووجوبه من باب اللطف على الإمام عليه السلام الذي جعله الله سبحانه راعياً لحفظ الخلق ، ونظم أمورهم في أمر دنياهم ودينهم ، لا سيما في زمان الغيبة الكبرى .

وأما المطلب الأول : في معنى التسديد ، وهو لغة : التوفيق للسداد ، وهو الصواب من القول والعمل ، ومراد الشيخ الأوحده منه هو ذلك أيضاً ، والمراد من القول والعمل أعم من الظاهري والواقعي .

يعني : علماؤنا الإمامية الحقّة رضوان الله عليهم لما كانوا طالبين للحق والصواب دائماً في مقام استنباطهم للأحكام الإلهية ، ومجاهدين ليلاً

ونهاراً في طريق إيضاح الأحكام الشرعية الفرعية وغير الفرعية واستيضاحها ، ومستغرقين جميع أوقاتهم في تلقي الفیوضات الإلهية . والله وعدهم إراءة الطريق ، بل الإیصال إلى المطلوب بنوع التأكيد ، حيث قال عزّ من قائل : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(١) ، فالمجاهدة قرينة قوية على أن المراد من الهداية هو الإیصال إلى المطلوب ، إراءة الطريق للخلق إتماماً للحجة ، وقطعاً للسان الاعتذار يوم الحساب ، لازم على الله سبحانه سواء جاهدوا أم لا ، وجب على الإمام عجل الله تعالى فرجه الذي هو القرية المباركة ، والواسطة في إيصال الفیوضات ، وإيضاح الحق الظاهري والواقعي ، أن يسدّدهم ما داموا في المجاهدة وطلب الحق ، ويوفّقهم إلى القول والعمل الحقّ ، ويوصل كل واحد منهم إذا انحرفوا عن طريق الحق في الأحكام الإلهية ، قولاً وعملاً إلى الحق ، ويطلعهم على ما هو دليله من الآيات والأخبار نصّاً أو تصريحاً أو إشارة أو تلويحاً ، حتى يفوزوا وينالوا بما هو الحقّ في حقّهم وتكليفهم في زمانهم ، ولا يكون عجل الله تعالى فرجه مهملاً لمراعاتهم ، وأي مراعاة أحسن وأعظم من إيصال العلماء الحقّة المجاهدين في طريق الوصول إلى الحق إلى ما هو المطلوب ؟ وإلا لزم الإهمال التام في مراعاة حال الأغنام ، فضلاً عن العلماء المجاهدين في تحصيل المرام والوصول إلى الغاية القصوى في كل مقام ، وقد قال في توقيعه الرفيع : (إِنَّا غَيْرُ مُهْمِلِينَ لِمَرَاعَاتِكُمْ)^(٢) ، والمراد من الحق

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٦٩ .

(٢) تهذيب الأحكام : الشيخ الطوسي . ج ١ ، ص ٣٨ مقدمة الكتاب أيضاً الاحتجاج للطبرسي ج ٢ ، ص ٣٢٣ .

الواجب إيصالهم إليه أعم من الظاهري والواقعي ، إذ مقتضى المصلحة في بعض الأوقات تسديدهم وتوفيقهم ، كلاً وطراً ، إلى الحكم الواقعي الأولي كما في دولة الحق ، وفي بعض الأوقات تقتضي المصلحة التامة والحكمة العامة تسديدهم إلى الحكم الواقعي في بعض المسائل ، وإلى الحكم الظاهري في بعضها ، حفظاً للحمى من شرّ الأعداء ، يفرق بينهم في وقت ويجمع في آخر ، ليسلموا ، لأن الإمام عليه السلام هو الراعي الذي استرعاه الله أمر غنمه ، وهو أعلم بمصالحهم ، يوقع الخلاف بينهم ، حتى يحفظهم بذلك ويُسَلِّمَهُمْ من شرّ الأعداء المجدين في إطفاء نور الحق ، ولذا ترى الخلاف بين أصحابنا رضوان الله عليهم في غالب المسائل ، وليسوا متفقين إلا في قليل من المسائل ، ولو سُدُّوا في كل وقت وأوان ، وكل عصر وزمان ، إلى الحكم الواقعي لما وقع بينهم خلاف ، والحال ، أن وقوعه وجدائي ، ولا يكون تسديد العلماء بأجمعهم إلى الحكم الواقعي ، والصواب في كل مسألة ، إلا عند ظهور دولة الحق وزوال الظلم والجور ، وانتشار الحق والعدل . وهذا هو المراد من التسديد في كلمات الشيخ الأوحد ، ولا بأس أن ننقل بعضاً منها ، حتى يتضح المراد ، ويتميز الصحيح من الفساد .

قال في الفصل الثالث ، من بيان القسم الثالث من الإجماع : (فمهما كانت في المسألة قولان أو أكثر ، لا بدّ أن ينصبوا دليلاً في أخبارهم ، وإشاراتهم ، وهدايتهم ، تصريحاً أو تلويحاً يدل على أن حكمهم وقولهم المتعين الذي هو دينهم في قول مَنْ تَفَقَّدَ من أهل الاستنباط وجده البتة ، إن لم يكن الكل فالبعض ، فمن استفرغ في وسعه من أهل الاستيضاح والاستنباط ، لتحصيل ذلك الدليل المعين ، لدخول

قول المعصوم عليه السلام في جملة أقوال من الأقوال (إلى أن قال :
والسرُّ في هذا السرُّ أن التكاليف في الغالب جارية بالاقتضاءات ، فقد
يقتضي وصف المكلفين في مكان دون آخر ، أو في زمان دون آخر ،
حكماً غير ما يقتضيه الوصف في ذلك الزمان وذلك المكان ، وأما حُكْمُ
الله الواحد الذي لا يختلف أبداً ، فإنه قد يطابقه حكم الله المتعدد
المتكثّر ، وقد يخالفه . والإمام عليه السلام عنده الحكمان :

أما الأول الواقعي الذي لا يختلف ، فإنه عليه السلام في نفسه ، لا
يلزمه العمل به في كل حال ، ما دامت دولة الضلال ، إلّا إذ اتفقت الأمة
على خلاف الحكم الذي هو دينهم في قول مَنْ تفقد من أهل الاستنباط ،
وجده البتة لا تختلف ، فإنه عليه السلام يتعيّن عليه العمل به إن لم تكن
تقتضي الحكمة عمله بخلافه ، وإلا عمل بالحكم المختلف إذا اقتضى
الوقت ذلك ، بشرط أن يكون عاملاً بالواقعي من الفرقة المحقّقة ، لئلا
يرتفع الحقُّ عن أهله ، لأن تكليفه مشارك لنا في أكثر الأحوال ، وذلك
يجري منه على حسب ما يصلح للرعية ، كما قال الصادق عليه السلام :
(والله إنّنا لا ندخلُكم إلّا فيما يُصلِحُكم)^(١).

وأما الثاني المتكثّر ، فالعلماء الذين هم أبواب الحجّة ، ووسائط بينه
وبين غنمه ، الذي أمر غنمه ورعيته بالأخذ عنهم والاقتراء بهم ، كما
أشار سبحانه بقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا

(١) روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : (إنّا والله لا ندخلُكم إلّا فيما يسعكم) .
بحار الأنوار ، ج ٢ ص ٢٢٨ . الكافي ، ج ١ ص ٦٧ . الحر العاملي . وسائل الشيعة ،
ج ٢٧ ص ١٠٩ .

قُرَى ظَاهِرَةً^(١) فالقرى التي بارك الله فيها (آل محمد) والقرى الظاهرة هم العلماء المشار إليهم ، ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾^(٢) ، بأن يأخذ مقلدوهم الذين هم غنم الإمام عليه السلام عنهم ما يحتاجون إليه من الأحكام ، وإن اختلفوا ، لأن الاختلاف أوقعه الإمام عليه السلام بينهم إبقاءً لهم ، فهم المكلفون به ، وهو كما قلنا قد يطابق الأول وقد يخالف ، فإن لم يحصل مانع من العمل بالحكم الأول الواقعي ، الذي لا يختلف في وقت ومكان ، وَجَبَ عليه عليه السلام العمل به ، ووجب عليه عليه السلام هداية الوسائط إليه ، لوقوع الاتفاق أو الإجماع وذلك بحسب الإمكان .

ويجب - في الحكمة - إصابة بعض العلماء من أبواب الإمام ووسائطه ، ولو من عالم يُعْتَبَرُ بعلمه ، لئلا يخرج الحق عن الفرقة المحقة ، الذين لا يزالون على الحق حتى تقوم الساعة ، وإن حصل مانع من العمل بذلك الحكم الواقعي ، بحيث يلزم منه استئصال الفرقة المحقة ، كان تكليفهم فيما فيه النجاة ، وكان على الإمام عليه السلام أن يجري في ذلك في الظاهر ، إن كان ظاهراً مع شيعته بأن يكون في جملة القائلين بذلك الحكم ، ويلزمه العمل بذلك الحكم الواقعي لنفسه باطناً ، وكذا إذا كان مستتراً حفظاً لوجود النوع المتوقف على وقوع الحق فيه في الجملة ، ولا بد من شيعته من موافق له في ذلك الحكم الواقعي ، ويكون بذلك مستتراً كإمامه أو متروك القول بالنسبة إلى المشهور ، إلى أن قال أعلى الله مقامه : (وعلى الإمام عليه السلام إرشاد العلماء من فرقته

(١) سورة سبأ ، الآية : ١٨ .

(٢) المصدر السابق .

وشيعته على الحالتين ، على المصلحة التي يعلمها إلى سلوك طريقته وإصابة بعض منهم ، ولو واحداً ، لقوله على الفرضين بنصب دليل يدل على مراده منهم في الاختلاف والإصابة . . . إلخ) .

وقال في الفصل السابع من القسم السابع ، وهو الإجماع السكوتي :
(وأما على مذهبنا المبني فيه أمر الإجماع على دخول قول الإمام عليه السلام في جملة القائلين ، فحيث ما عُلِمَ ذلك تحقّق الإجماع ، فلا يحتاج فيه إلى الإحاطة بجميع أقوال من يعتبر قولهم ، مع معرفة ما اتفقوا عليه ، عن صميم قلوبهم ومحض معتقداتهم ، لأن مذهبنا دين الله الذي لا يُظَفَّرُ نوره ، ولا يرتفع عن أهله ، محفوظ عن كل ما يخدشه ، أن لا يكون جهة من جهات العبادات ، ولا نحو من أنحاء النفوس ، ولا مذهب من مذاهب العقول ، إلّا وقد وضع لنا حَفَظَةُ الشرع عليه دليلاً يبينه من صحة أو فساد ، وأمانة توصل إلى ما فيه السداد ، وحجة واضحة موضحة سبيل الرشاد ، وذلك يحصل بالعبرة أو بالإشارة ، أو بالإلهام ، أو بالتنبيه ، أو غير ذلك ، في نص ، أو ظاهر بخصوص أو عموم ، أو تقييد أو إطلاق ، أو إيماء أو تقرير ، أو مثل ، وما أشبه ذلك . ولذا قال عليه السلام : (ما من شيء إلّا وفيه كتاب أو سنة)^(١) ، فإذا استفرغ من له أهلية الاستيضاح والاستنباط وسعه في تحصيل معرفة حكم الإمام عليه السلام وقع عليه ، وعرف قوله وحكمه فيه لأنه عليه السلام مهما طلب الحكم من النحو الذي أمر بطلبه منه وجده ، فإن لم تجد هنالك ، وجدناه حتى يوجدنا أنفسه ، لأنه هو القيّم على هذه

(١) الكليني : الكافي ، ج ١ ، ص ٥٩ ، حديث ٤ .

الفرقة ، وهم رعيته ، وعليه تسديدهم ، كما أشارت إليه النصوص وبراہین هذه المعاني مما يطول به المقام^(١) . انتهى كلامه رفع مقامه .

وقد صرّح بهذا المسلك الحسن في سائر رسائله ، ومصنفاته ، وأنّ مراده من التسديد هو ما أوضحناه ، ونوضحه أيضاً في المطلب الثاني ، وكفانا ما نقلناه من كلماته ، فلا حاجة إلى التطويل الممل ، وقد سبقه في هذا المسلك العالم الماهر المولى آقا باقر البهبهاني^(٢) قدس سره في رسالته الإجماعية ، والسيد السند السيد مهدي الطباطبائي^(٣) عطر رسمه في رسالته الفوايد ، ولولا الاختصار في هذا المختصر لنقلنا من عبارتهما ما يوجب العبرة لمن اعتبر ، والبصيرة لمن تبصر ، فراجع ترّ صحة الخبر .



(١) جوامع الكلم ج ٤ ص ٤٢٠ .

(٢) الشيخ محمد باقر ابن الشيخ محمد أكحل بن محمد صالح ، المعروف بالوحيد البهبهاني ، وينتهي نسبه إلى الشيخ المفيد . وُلد عام ١١١٧هـ بمدينة أصفهان . سافر إلى كربلاء المقدسة ، واستقرّ بها ، فقام بأعباء المرجعية ، فبانت مكانته وعلمه الغزير . له مؤلفات كثيرة ، منها : (الفوائد الحاثريّة) ، (التحفة الحسينية) ، (الحاشية على الكافي) ، (رسالة في الاجتهاد والإخبار) . توفي في ٢٩ شوال ١٢٠٥هـ ، بمدينة كربلاء المقدسة ، ودفن في رواق حرم الإمام الحسين عليه السلام ، مما يلي أرجل الشهداء .

(٣) السيد محمد مهدي بن السيد مرتضى ، ولقبه بحر العلوم ، وينتهي إلى الحسن المثنى ابن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام . وُلد في الأول من شوال ١١٥٥هـ بمدينة كربلاء المقدسة . من مؤلفاته : (الفوائد الرجالية) ، (الدرة النجفية) ، (رسالة في الفرق والملل) ، (الفوائد الأصولية) ، (كتاب المصاييح) .

وجوب التسديد

وأما المطلب الثاني : وهو وجوب التسديد على الإمام عجل الله تعالى فرجه : فاعلم أن المتبصّر لو تأمّل قليلاً في معرفة الإمام عليه السلام ، ووجوب وجوده في ملك الله سبحانه رأى وجداناً وجوبه عليه عليه السلام ، ومع ذلك إراءة لأنحاء طرق الاستدلال على وجوبه ، نذكر شيئاً منه . فاعلم أن الله تبارك وتعالى أتمّ علينا نعمه : ظاهرة وباطنة ، وَمَنْ عَلَيْنَا مِثَّةٌ تَامَّةٌ بوجود إمامنا المستور الحق ، العادل ، الرؤوف ، العطوف ، العالم بجميع أحوال الخلق وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم والمطلع على غيبهم وشهودهم ، ظاهرهم وباطنهم ، سرهم وعلانيتهم ، ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(١) . وبه أكمل الله ديننا ، وأتمّ نعمته علينا : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾^(٢) . ولولاه لكانوا في هرج ومرج ، ولم يستقم لهم أمور دينهم ودنياهم أبداً ، وليس ذلك كله إلا لاحتياجهم إليه في جميع الأحوال ، وعدم غنائهم عنه في كل آن ، إذ هو قلب العالم ، وقطب رحي المخلوقات فضلاً عن بني آدم .

فانظر إلى اللطاف الله سبحانه كيف جعل للإنسان الذي هو نوع من أنواع المخلوقات في جسده رئيساً لأعضائه ، وجوارحه ، وهو القلب ، ولا غناء لها عنه بوجه في كل الآنات ، يميز ما يرد عليها من الشك والارتباب والخلل والاضطراب ، وإذا شكّت في شيء ، ردّته إليه ، حتى

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٠٥ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٣ .

يحقّ الحق وَيُبْطَل الباطلُ ، إذ أقامه الله سبحانه قطباً ورئيساً ، لشدّ كسر الأعضاء ووصلها ، بل جعل مثل هذا الرئيس في الحيوانات أيضاً ، كالنحل إذا هلك ، انتشرت أفرادُه انتشار الجراد ، وآل أمرها إلى الفساد ، فإذا لم يترك الله عزَّ وجلَّ أنواع المخلوقات بلا رئيس ترجع إليه عند الحاجة ، ويدبر أمورهم ، ويقضي حوائجهم ، ويزيل شكَّهم ، فكيف يترك هذا الخلق وهذا العالم في الحيرة والشك ، ولا يقيم لهم رئيساً يُوردون إليه شكوكهم وما يحتاجون من أمور دنياهم وعقباهم ، ويزيل عنهم شبهاتهم ، ويظهر لهم ما هو صلاحهم من إيضاح الحق وإبطال الباطل ، وحافظاً لشريعته عن التغيير والتبديل والشبهات الشيطانية ، والتخيلات الوهمية ، وسدّ الثغور ؟

وبالجملة ، إذا تكحَّلت بنور البصيرة ، رأيت هذا العالم كالسفينة السائرة ، فكما أن السفينة تحتاج إلى مدبّر خبير بحالها ، عالم بالطرق الموصلة إلى المطلوب ، بصيرٍ بمقدار ما تتحمَّله من الأمتعة والنفوس ، عارف بتدبير ما يقع فيها من المفاسد ، ماهرٍ في سدّ فرجها والثغور ، مانع لها من الغرق ، إذا اضطربت ، دافع لها من العوارض إذا اعترت ، ولولاه لآل أمرها إلى الغرق والتلف ، كذلك هذا العالم لا بدَّ له من رئيس يكون هادياً للنجاة ، مقوِّماً للعصاة ، رادعاً للغواة ، معلماً للجهال ، محذراً من الضلال ، عالماً للأحكام ، الحلال منها والحرام ، حامياً بيضة الإسلام ، مطلعاً على جميع حالات الأنام ، موجوداً قبل الخلق لكونه واسطة وآلة لإيجاده ، وبعد الخلق لكونه من الغايات المنتهي إليه الجسمانيات ، ومع الخلق لكونه حجّة عليهم ، ونوراً يهتدون به في ظلمات الأحوال ومشتبهات الأمور .

وبما ذُكِرَ يندفع ما عسى أن يتوهم من أن الحجج عليهم السلام إنما خلقوا وبعثوا هداية للخلق ، وهي الغاية في وجودهم عليهم السلام ، وليس كذلك ، إذ الغرض من وجودهم ليس إصلاح حال العباد فقط ، نعم ، يترتب على أفعالهم ذلك في كل العوالم ، كما يترتب على حركات الأجرام الفلكية ، ليلاً ونهاراً ، نفع السافلات بوقوع أشعتها عليها ، وليس المقصود بالذات من وجودها وحركاتها ذلك ، بل إنها مسخرات بأمره تعالى ، مقيّدات بزمام التقدير ، وما حركتها إلاّ عبادة له تعالى ، وتقرّب إليه سبحانه ، كما أنهم ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾^(١) .

وبالجملة ، لما كان وجودهم علّةً غائيّةً ، لإيجاد الموجودات ، لا جرم كان خلوّ كل العوالم منهم آنأً ما ، سبباً لخرابها وفسادها وهلاك أهلها ، وقد ظهر مما ذكرنا أيضاً ، جواب ما طعن به علينا مخالفونا من أهل السنة والجماعة ، من أنه إذا كان الحجّة مستوراً عن الأبصار ، وغير ظاهر في الأنظار ، وأنه لا يُعرف شخصه ، ولا يهتدي أحد بنور تعليمه وإرشاده ، فما الفائدة في وجوده ؟ وهذا غير وارد علينا كما عرفت ، ولا حاجة إلى الإعادة والتكرار ، إذا عرفت ما ذكرنا من وجوب وجود رئيس وإمام ، يكون من أوصافه كذا ، وكذا ، ظهر لك أنه يجب عليه تسديد المحتاجين إليه ، والمفترشين ببابه ، والمادين أعناقهم إلى جنبه ، والمتمسكين بأطناب خيمه ، والراجين أنواع كرمه ، والباسطين أيديهم إليه بالسؤال ، إذ هو واسطة فيوضات ذي الجلال ، لا سيما العلماء

(١) سورة الأنبياء ، الآيتان : ٢٦ - ٢٧ .

الحقة ، والحاملين لأحكام الفرقة المحقة ، المحتاجين دائماً لتلقي الفيوضات الشرعية ، وإيصالها إلى الرعية ، المجاهدين في تحصيل الحق والصواب ، المجدين أبداً في طلب ما كُلفوا به ، المجتهدين في استنباط ما أمروا به من الآيات القرآنية والأخبار المعصومية . نعم ، إن قلنا إن الإمام الغائب المستور لا ينفع الخلق ، ولا ينتفعون بوجوده لغيبته ، أو قلنا بأنه عجل الله تعالى فرجه ليس عالماً بأحوال الخلق ، ولا محيطاً بأسرارهم في غيبهم وشهودهم ، وما يصلح لهم في دنياهم وعقباهم ، أمكن القول بعدم وجوب التسديد له عجل الله تعالى فرجه . وأما إن قلنا بأن غيبته ليست مانعة من الإفاضة ، وإيصال الفيوضات الكونية والشرعية إلى الخلق ، ورفع ما يحتاجون إليه ، ولا فرق بين الإمام الحي الحاضر المشهود ، والإمام الغائب المستور الموجود ، بوجه من الوجوه ، إلا في غيبوبة شخصه المبارك موقتاً عن الأبصار ، فكيف لا نقول بوجوب تسديده للخلق ، وإيصال المحتاجين إلى ما فيه رضاه ، ورضا الله سبحانه ؟ وكيف نقول - والعياذ بالله - ببخله في هداية الخلق ، ورفع حوائجهم ، وتوفيقهم إلى طريق الصواب ؟ ومعلوم أن ليس رؤيتهم لمدبرهم والمتصرف فيهم ، والممد لهم شرطاً في التدبير والتصرف والإمداد ، كالملائكة المدبرات الذين هم من جملة خدام إمامنا المستور عجل الله تعالى فرجه ، يدبرون أمور الخلق وهم لا يرونهم ، وعدم رؤية الخلق إياهم لا يمنع من تدبيرهم لأموالهم ، وأيضاً ، كيف لا نقول له بوجوب التسديد له عجل الله تعالى فرجه إن قلنا بحضوره بين المحجوجين ، وعلمه بأحوالهم الكلية والجزئية ، واطلاعه بأسرارهم

الجلية والخفية ، وإحاطته بها إحاطة كلية ، وكونهم بمرأى ومسمع منه وجهلهم واحتياجهم دائماً وأبداً ، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً ، وعدم انقطاعهم في التعلم ، ورفع جهالتهم ، واستفاضتهم ، ومجاهدتهم في سبيل معرفتهم لما يحتاجون إليه .

فاللزام عليه عجل الله تعالى فرجه أن يسدّدهم ، ويهديهم ، ويوصلهم إلى مطلوبهم ما داموا على هذه الأحوال ، وكيف لا ، والله سبحانه وتعالى ، يقول : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(١) ، والمجتهد قطعاً يجاهد دائماً في تلقي الأحكام الإلهية : الشرعية الفرعية وغير الفرعية . والحجة عجل الله تعالى فرجه يقول في توقيعه الرفيع : (إنا غير مهملين لمراعاتكم ، ولا ناسين لذكركم ، ولولا ذلك لاضطلمتكم اللأواء ، وأحاطت بكم الأعداء)^(٢) .

ثم إن طريق التسديد والهداية وإيصال الخلق ، لا سيما المجتهد المجاهد المحتاج المستغرق أوقاته في الوصول إلى الحق والمطلوب ، ليس بمنحصر في المشافهة ، والمشاهدة ، والمواجهة ، بل يسدّدون طالبي الحق ، ويوصلونهم إلى ما يستحقونه بأنواع مختلفة ، وأطوار عديدة ، وأنحاء متشتتة ، كالتصريح ، والتلويح ، والإشارة ، والتنبيه ، والمثال ، والبيان ، والإخفاء ، والإعلان ، والإجمال ، والتفصيل ،

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٦٩ .

(٢) (. . .) إنا غير مهملين لمراعاتكم ، ولا ناسين لذكركم ، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء واضطلمكم الأعداء (. . .) .

بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٧٥ ، معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام ج ٤ ص ٤٦١ ، الاحتجاج ج ٢ ص ٣٢٣ .

والكناية ، والتشبيه ، والاستعارة ، والتقيد ، والإطلاق ، والعموم ، والخصوص ، ونحوها من الأنحاء ، فقول القائل : وجوده لطف ، وتصرفه لطف آخر ، وعدمه منا ، ينبغي أن يترك في زاوية الإهمال ، إذ مفاسده كثيرة ، منها : أن المراد من ضمير (منا) بقرينة المقام هو الشيعة المصدقين له عجل الله تعالى فرجه ، وهم وإن اعتراهم الضعف لمعاشرتهم ، ومخالطتهم للمخالفين ، وكثرة معاصيهم ، والضعف مانع لهم من الوصول إلى حضرته ، والتشرف بدرك فيض حضوره ، إلا أنهم مجدون في طلب الدين ، والعمل بالشرع المبين ، وباسطون أكفهم بالسؤال ، وراجون منه النوال ، فما الداعي لرفع يده الباسطة عن التصرف فيهم ، وصرف النظر والتوجه عنهم ، وعدم مداواة أمراضهم ، وتقويتهم برفع الضعف عنهم ؟ فوجع العين ، وإن كان مانعاً من النظر إلى الشمس ، لكن الشمس لا تمتنع بذلك من التأثير والإشراق في حقه ، والتسخين وتجفيف رطوباته وسائر تدابيرهِ . والمريض الأعمى والأصم ، إذا أتى إلى الطبيب لمعالجة نفسه ومداواة صممه وعماه ، وإن لم يسمع كلام الطبيب ، ولا يرى شخصه ، لكنه مع ذلك لا يقصّر في معالجته ، ولا يمتنع من مداواته إلا إذا عجز عنها ، ولو لم يكن الأمر كما ذكرنا ، ورفع يده عجل الله تعالى فرجه عنا ، لما قال في توقيعه الرفيع : (أما وجه الانتفاع بي في غيبتي ، فكالاتفاع بالشمس إذا غيبتُها عن الأنظار السحاب ، وإني لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء)^(١) ، فإن كان ضعف سائر الناس وذنوبهم سبباً ، لعدم تصرفه عجل الله تعالى فرجه ، وإعراضه عنهم ،

(١) (وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالاتفاع بالشمس إذا غيبتُها عن الأبصار السحاب ، وإني لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء) . =

فما تقصير العلماء الربانيين ، والكملين ، المجاهدين ، الإلهيين الذين بذلوا مهجتهم دون الوصول إلى مقصودهم ، وتلقَّى الفيضَ الشرعيَّ من إمامهم ، والبلوغ إلى أقصى مآربهم ؟ فحاشا الإمام ورئيسهم عن الإهمال والتقصير في حقهم ، والإعراض منهم ، وعدم التصرف فيهم ، والتوجه لهم بما يستحقون ، وقد وعدهم عجل الله تعالى فرجه في توقيعه الرفيع بمراعاتهم ، وعدم نسيان ذكرهم . وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾^(١) ، وهو يد الله الباسطة على الإطلاق ، لا يعطلها من التصرف ذنبُ المذنبين ، ولا ضعف المستحقين .

وبالجملة ، فالذي يقول بعدم وجوب التسديد ، لا بدَّ له أن يختار أحد المذاهب الفاسدة : إمَّا القول بتقصير نبينا صلى الله عليه وآله - والعياذ بالله - في نصب الخليفة ، بأن لم يُنصَّب لأُمته أوصياء ، علماء ، حكماء ، حاضرين بينهم ، وناظرين لأعمالهم ، ومطلعين لأسرارهم ، وعالمين بمصالح الأمة والرعية . وإمَّا القول بأنه صلى الله عليه وآله نَصَّبَ أوصياء كما ذكر ، لكنهم مع قدرتهم - العياذ بالله - قَصَّروا في الأداء ، وتبليغ ما تقتضي الأمة ، ويصلح حالهم إليهم ، سيِّما المخلصين المحتاجين المجاهدين منهم . وإمَّا القول : بعدم قدرة أولئك الأوصياء ، وعدم تمكنهم عن أداء حقوق المحتاجين أصلاً ، أو لغيبته واستتاره . ومفاسد هذه المذاهب ومخالفتها لمذهب الإمامية أكثر من أن تُحصى ، وأبين من أن تُستقصى .

= بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٩٢ ، الاحتجاج ج ٢ ، ص ٢٨٤ ، كمال الدين وتمام النعمة ص ٤٨٥ .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٦٤ .

إن قلت : إن التسديد إن كان لازماً على الإمام عجل الله تعالى فرجه يقتضي عدم الخلاف بين العلماء الحقّة الإمامية ، والخلاف أظهر من الشمس ، وأبين من الأمس . قلت : إن الخلاف الواقع بينهم ليس من الأحكام الواقعية الأولية ، بل من الأحكام الثانوية ، كالتقية إن اقتضت المصلحة وجبت ، ولذا قالوا عليهم السلام : (نحن أوقعنا الخلاف بينكم ، وراعيكم الذي استرعاه الله أمر غنمه ، أعلم بمصالح غنمه ، إن شاء فرق بينها ؛ لتسلم ، وإن شاء جمع بينها ؛ لتسلم)^(١) .

إن قلت : إن وجوب التسديد يقتضي أن تكون جميع الأحكام بنظره عليه السلام ورضاه ، حقاً وصواباً ، ولزم أن يكون الأصحاب مَصُوبَةً لا مخطئة . قلت : على مذهب المصوبة ليس في الواقع حكم ، بل حكم الله تابع لرأي المجتهد ، وكلما ظنَّ المجتهد ، فهو حكم الله الواقعي في حقه لا غيره ، وأما المخطئة فحكم الله عندهم واحد معين في الواقع ، وباب العلم به مسدود ، وكل ما ظنه المجتهد وحصله من الأدلة ، فهو حكم الله الظاهري في حقه ، يجب عليه العمل به ، ويمكن أن يصيب به الحكم الواقعي المعين ، ويمكن أن يخطئه ، فلا يلزم من رضاه بذلك الحكم الظاهري ، وتسديده إياه التصويب . فافهم .

وبالجملة ، فالأخبار الدالة على وجوب التسديد يمكن ادعاء

(١) روي عن عبد الله بن زرارة قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : (. . . والذي فرق بينكم فهو راعيكم الذي استرعاه الله خلقه ، وهو أعرف بمصلحة غنمه في فساد أمرها ، فإن شاء فرق بينها لتسلم ، ثم يجمع بينها ليأمن من فسادها وخوف عدوها . . .) .
بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٤٦ - ٢٤٧ ، معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام ج ٣ ص ٤١٩ .

تواترها . معنى ، لا بأس بذكر بعض ، منها ما رواه الصدوق عن حسن بن محبوب ، عن يعقوب بن سراج قال : (قلت لأبي عبد الله عليه السلام : تبقى الأرض بلا عالم حيّ ظاهر يفرّج إليه الناس في حلالهم وحرامهم ؟ فقال لي : إِذَا لَا يُعْبَدُ اللَّهُ يَا أَبَا يَوْسُفَ)^(١) . ومنها صحيحة ابن مسكان ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (إن الله لا يدع الأرض إلّا وفيها عالمٌ يعلم الزيادة والنقصان ، فإذا زاد المؤمنون شيئاً ردّهم ، وإذا نقصوا أكملهم لهم) ، فقال : (خذوه كاملاً ، ولولا ذلك لالتبس على المؤمنين أمرهم ، ولم يُفَرَّقَ بين الحق والباطل)^(٢) .

والأخبار بهذا المضمون ، وبهذه الألفاظ ، بتغيير جزئي كثيرة ، عليك بالمجلد السابع من البحار ، أوله (باب الاضطرار إلى الحجّة عجل الله تعالى فرجه ، ولا حاجة إلى نقلها . ومنها ما مرّ من التوقيع الرفيع ، ومنها ما في البحار أيضاً ، في خبر كميل عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : (اللهم إنك لا تخلي الأرض من قائم بحجة ، إما ظاهر أو خائف مغمور ، لئلا تبطل حججك وبيّناتك)^(٣) .

ومنها أيضاً ، ما في البحار عن الصادق ، عن أمير المؤمنين عليه السلام : (اللَّهُمَّ أَنَّهُ لَا بُدَّ لَأَرْضِكَ مِنْ حُجَّةٍ لَكَ عَلَى خَلْقِكَ ، يَهْدِيهِمْ إِلَى دِينِكَ وَيُعَلِّمُهُمْ عِلْمَكَ ، لئلا تَبْطُلَ حِجَّتُكَ وَلَا يَضِلُّ تَبَعُ أَوْلِيَائِكَ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ بِهِ ، إما ظاهر ليس بالمطاع ، أو مكتتم ، أو مترقّب ، إن غاب

(١) الصدوق : علل الشرائع ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

(٢) المصدر السابق نفسه ، ج ١ ، ص ١٩٥ - ١٩٦ .

(٣) بحار الأنوار ، ج ٢٣ ، ص ٤٩ .

عن الناس شخصه في حال هدنتهم ، فإن علمه وآدابه في قلوب المؤمنين مثبتة ، فهم بها عاملون^(١) .

ومنها ما في البحار أيضاً ، عن الصادق عليه السلام قال : (ولم تَخُلْ الأرض منذ خَلَقَ الله آدمَ من حُجَّةِ الله فيها ، ظاهرٌ مشهورٌ أو غائبٌ مستورٌ ، ولا تخلو - إلى أن تقوم الساعة - من حجة الله فيها ، ولولا ذلك لم يعبد الله) قيل : فكيف ينتفع الناس بالغائب المستور ؟ قال : (كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب)^(٢) .

ومنها الخبر المعروف : (ما من عبد أحبنا ، فأخلص في معرفتنا ، وسُئِلَ عن مسألة إلّا وَفَّقْنَا في روعه جواباً لتلك المسألة)^(٣) .

ووجه الاستدلال بهذه الأخبار على المدّعي لا يحتاج إلى البيان ، فلنرجع إلى ما نحن بصدد ، ونقول : إن المراد من الحق الذي يجب على الإمام عجل الله تعالى فرجه تسديد المستحقين المحتاجين إليه ، هو الأعم من حكم الله الواقعي والظاهري ، يعني تقتضي المصلحة في زمان تسديدهم تماماً إلى الأحكام الواقعية لا غير ، وهدايتهم إليها كزمان دولة الحق ، وفي زمان كزماننا هذا ، في بعض المسائل إلى الحكم الواقعي ، وفي بعضها إلى الحكم الظاهري ، والحكم الظاهري يختلف باختلاف الأشخاص والمكان والزمان ، كحكم زمان التقية وغيرها ، وقضية وضوء

(١) بحار الأنوار ، ج ٢٣ ، ص ٤٩ - ٥٠ .

(٢) المصدر السابق نفسه ، ج ٢٣ ، ص ٦ .

(٣) تفسير الصراط المستقيم : السيد حسين البروجدي ، ج ١ ، ص ٤٤٢ .

علي بن يقطين^(١)، وداود الرقي^(٢) مشهورة معروفة .

وبالجملة ، لما ثبت وجوب التسديد له عجل الله تعالى فرجه من باب اللطف ، سيّما في زمن الغيبة الكبرى ، وكثرة المحتاجين والاحتياج ، وإن مراد الشيخ الأوحّد أعلى الله مقامه منه هو ما ذكرناه ، وبرهناه ، وفصلناه ، علمت أن لطيفة الفاضل المعاصر المرحوم مردودة عليه ، إذ زمان الشيخ المفيد عليه الرحمة لما كان زمان التقية ، وخفاء الحق ، لقلة الشيعة وضعفهم ، اقتضت المصلحة تسديده بالحكم الظاهري ، وهو القول بعدم تقدم وجود المعصومين الأربعة عشر على سائر المخلوقات .

وزمان الشيخ الأوحّد لما كثرت الشيعة وقوي الحقّ ، بحمد الله ، وانتشرت مصنفات علمائهم ، وأخبار مواليتهم سلام الله عليهم ، اقتضت المصلحة تسديده ، والعلماء المعاصرين له ، والمتقدّمين عليه قريباً بالحكم الواقعيّ ، وهو القول بتقدّم وجودهم سلام الله عليهم على تمام المخلوقات وجميع العوالم . فكلا القولين حقّ - لا ريب فيهما - بحسب اختلاف الزمان كما عرفت ، ولا تنافٍ بين القول بوجوب التسديد ، والقول بعدم تقدّم وجود المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام كما توهم ، إذ قول الشيخ المفيد عليه الرحمة ليس حكماً واقعياً لا يتغيّر ، بل

-
- (١) علي بن يقطين بن موسى ، مولى بني أسد ، وكنيته أبو الحسن . وُلد عام ١٢٤هـ ، وكان من أصحاب الإمامين : الصادق والكاظم عليهما السلام ، وممن روى الحديث عنهما . كان وزيراً لهارون الرشيد بتوصية من الإمام الكاظم عليه السلام لحماية المظلومين ، ودعم أتباع أهل البيت عليهم السلام . توفي عام ١٨٢هـ ببغداد ، ودفن فيها .
- (٢) داود بن أبي كثير الرقيّ ، أدرك الإمام الصادق عليه السلام ، والإمام الكاظم ، والإمام الرضا عليهما السلام ، وروى عنهم ، توفي بعد سنة ٢٠٠هـ .

هو حكم ظاهري يقتضي الحكمة والمصلحة ذلك في زمان ، وتقتضي عكسه في آخر ، كحكم التقية ، ألا ترى كيف أمر الكاظم عليه السلام بمكاتبة عليّ بن يقطين حفظاً له ، وحقناً لدمه ، بالتوضؤ بوضوء العامة ، ثم بعد انقضاء مدة خوف إراقة دمه ، وبطش هارون الرشيد^(١) في حقه ، أمره مكاتبة أيضاً ، أن يتوضأ وضوء الشيعة . فلا يمكنك أن تقول إن وضوءه أولاً بطريق العامة ، ما كان صحيحاً وحقاً ، بل كان حكم الله سبحانه في ذلك الوقت هو ذلك ، وإن كان مخالفاً للحكم الواقعي ، ولو كان يتوضأ بوضوء الشيعة في الوقت الذي أمره الإمام عليه السلام بوضوء العامة ، وإن كان وافق الحكم الواقعي ، لكنه كان مخالفاً لحكم الله في حقه في ذلك الوقت ، وكانت صلاته باطلة ، كما أنه لو كان يعمل بخلاف ما أمره ثانياً ، ويتوضأ بوضوء العامة كان مخالفاً لحكم الله ، وفسد عمله .

فقول الشيخ المفيد عليه الرحمة كوضوء عليّ بن يقطين بوضوء العامة ، اقتضت المصلحة في حقه في ذلك الوقت ، أن يسدّد بالقول بعدم تقدّم وجود المعصومين الأربعة عشر على سائر المخلوقات ، وفي حق الغير أو بعد زمانه ، اقتضت المصلحة عكس ذلك ، كما يشهد لذلك قوله عجل الله تعالى فرجه في حقه : (منك الخطأ ومنا التسديد)^(٢) .

(١) هارون الرشيد ، هو الحاكم العباسي الخامس ، ويعتبر من أشهر الحكام العباسيين ، وأول حاكم قاد الغزو بنفسه . تولى الحكم عام ١٧٠هـ ، وتوفي بمدينة طوس ، ودفن بها سنة ١٩٣هـ .

(٢) الرواية كما وردت : (أفد يا مفيد ، فإن أخطأت فعلينا التسديد) . السيد محمد باقر الموسوي الخونساري : روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات . ج ٦ ، ص ١٥٦ .

فقوله رحمه الله بذلك منه في ذلك الزمان ، كان حقاً في حقه والتابعين له ، وفي حق غيره ممن عاصره أولاً ، ممن لم يقولوا بقوله ، كان محتملاً .

فظهر أن لا تنافٍ بين قول الشيخ الأوحى بوجوب التسديد ، وبين القول بحقيّة قول الشيخ المفيد عليه الرحمة في ذلك الزمان ، إذ قوله من الأحكام الظاهرية تختلف بحسب الوقت والمكان والأشخاص ، وأن ترديد الفاضل المعاصر المرحوم ليس في محله ، حيث قال في العبارة المنقولة في أول الفصل : (پس بر شيخ احسائي لازم است احد آمرين : يا متابعت كند شيخ مفيد را در عدم تقدم وجود ائمة بر سائر اشياء ، ودست بر دارد از جميع مطالب خود كه متفرع بر اين مسئله است ، يا اينكه قول بتسديد را باطل داند وردع بر امام لازم نداند ، وثاني اسان تراست از برای) . أو يعني أنه يلزم للشيخ الأحسائي أحد أمرين : إما متابعة الشيخ المفيد في عدم تقدّم وجود الأئمة على جميع الأشياء ، ويرفع يده من جميع المطالب التي فرّعها على هذه المسألة ، وإما القول ببطلان التسديد ، وعدم لزوم الرد على الإمام . والثاني أسهل له من الأول . انتهى . ومن أتقن ما ذكرناه علم أن ترديده رحمه الله ناشئ ظاهراً من عدم الالتفات إلى معنى التسديد ، والفرق بين الحكم الظاهري والواقعي ، وإن كلاهما في حقه في غاية البعد .

وبالجملة ، نقول في جواب ترديده أيضاً ، مختصراً : أن الشيخ الأوحى يقول بوجوب التسديد ، وحقيّة قوله بتقدّم وجود المعصومين الأربعة عشر سلام الله عليهم على جميع الأشياء ، وخطأ قول الشيخ المفيد رحمه الله بعكس ذلك في هذا الزمان ، وحقيقة في حقه وحق

تابعيه في ذلك الزمان ، لكونه مقتضى التسديد ، واختلاف الحكم الظاهري ، ولا يرفع يده أبداً عن المسائل التي فرّعها على القول بتقدّم المعصومين عليهم السلام على جميع الأشياء والعوالم ، وليس بين القول بوجوب التسديد والقول بحقية قول الشيخ المفيد عليه الرحمة في زمنه منافاة بوجه من الوجوه ، فتبصر قليلاً فيما أسلفناه حتى يتضح لك صحة المقال ، وتميز السراب من الماء الزلال .



الفصل الثالث

الاختلاف في العلة الفاعلية

قال الفاضل المعاصر المرحوم بعد عبارته السابقة المنقولة في الفصل السابق بأسطر : وأما مسألة علة فاعلية ياليه پس دانستي كه مرحوم علامة مجلسي فرموده كه در أخبار صحيحة نهی رسیده است از اطلاق ان وشيخ احمد مرحوم نیز در شرح فقره (ذكركم في الذاكرين) ميفرمايد كه معلوم از مذهب ما انست كه اطلاق علة فاعليه بر ائمة عليهم السلام ممنوع است ، واخبار بسيار بر منع از ان وارد است ، واين حديث را نقل ميفرمايد . روى الكشي بسنده عن عبد الرحمن بن كثير ، قال : قال أبو عبد الله عليه السلام يوماً لأصحابه : (لعن الله المغيرة بن سعيد^(١) ، ولعن الله يهودية كان يختلف إليها ، يتعلم منها السحر والشعبذة والمخاريق ، إن المغيرة كَذَّبَ على أبي عليه السلام ، فسلبه الله الإيمان ، وإن قومًا كَذَّبوا عليّ ، ما لهم أذاقهم الله حرّ الحديد ، فوالله ، ما نحن إلّا عبيد الذي خلقنا واصطفانا ، ما نقدر على ضرّ ولا نفع ، إن رحمتنا فبرحمته ، وإن عذبنا فبذنوبنا ، والله ما لنا على الله من حجة ، وما معنا

(١) المغيرة بن سعيد ، كثرت الروايات بكونه كذاباً ، فكان يتعمّد الكذب ، ويدسّ الكفر والزندقة في الروايات ، ويثبتها في الشيعة ، وكل ما كان في كتب الأصحاب ، فذاك ممّا دسّه المغيرة بن سعيد في كتبهم .

من براءة ، وإنّا لميتون ، ومقبورون ، ومنشورون ، ومبعوثون ، وموقوفون ، ومسؤولون ، وَيَلْهُم ، ما لهم لَعَنَهُم الله ، لقد آذوا رسول الله صلى الله عليه وآله في قبره ، وأمير المؤمنين ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، وعلي بن الحسين ، ومحمد بن علي وها أنا ذا بين أظهركم لحم رسول الله ، وجلد رسول الله صلى الله عليه وآله ، أُبَيْتُ على فراشي خائفاً وجلاً مرعوباً ، يأمنون وأفزع ، ينامون على فراشهم ، وأنا خائف ساهر أتقلقل بين الجبال والبراري ، أبرأ إلى الله مما قال فيّ الأجدع البراء^(١) ، عبد بني أسد أبو الخطاب لعنه الله ، والله لو ابتلوا بنا ، وأمرناهم بذلك لكان الواجب أن لا يقبلوه ، فكيف وهم يروني خائفاً وجلاً ، أستعدي الله عليهم وأبرأ إلى الله منهم ؟ ، أشهدكم أنني امرؤ ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله ، وما معي براءة من الله ، إن أطعته رحماني ، وإن عصيته عذّبني عذاباً أليماً شديداً ، أو أشدّ عذابه^(٢) . انتهى . وكفته است : وأمثال هذا كثير في رواياتهم ، وأن بواطن أخبارهم فدالة على ذلك تصريحاً أو تلويحاً ، ولكن التصريح ممنوع عنه . انتهى . واز اين كلام برآمد كه بواطن اخبار بر خلاف ظاهر انست ودر شرح فقرة : (فبحقهم الذي اوجبت لهم عليك كفته : كه شرط صحة دليل ذوقي ، اولا انست كه مطابق باشد باكلام معصوم بظاهره وباطنه الذي يوافق ظاهره ، دوم اينكه مطابق باشد بظاهر كلام عوام مسلمين

(١) الأجدع البراء : هو محمد بن أبي زينب ، واسمه مقلاص أبو الخطاب ، ويكنى أبا الظبيان ، اشترك مع آخرين في الضلالة ، وفساد العقيدة ، وكان يدسّ الأكاذيب في أحاديث الأئمة عليهم السلام ، وقد لعنه الصادق عليه السلام .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ، ج ٢٥ ، ص ٢٨٩ .

انتهى . بسیار عجب است از جناب شیخ که با اقرار باینکه در اخبار منع از اطلاق علت فاعلیه وارد است مخالفة امام معصوم نموده ، و در کتاب خود مکرر تصریح نموده یا اطاعت امام علیه السلام لازم ندانسته ، یا اینکه صلاح عباد را بهتر از امام علیه السلام دانسته ، یا اینکه این حکم موقت بوده است تا زمانی که شیخ بیاید و بعد از آن منع مبدل بر رخصت شده است تم محل الحاجة من كلامه رحمه الله . ثم نقل بعد هذه العبارة نظائر خبر الكشي .

ومقصوده أن إطلاق العلة الفاعلية على الأئمة عليهم السلام لا يجوز ، كما أن الشيخ الأوحـد أيضاً ، يصرّح بذلك ، فكيف يطلقها عليهم عليهم السلام في كلماته ؟ وكيف يقول : إن بواطن الأخبار تدلّ على الجواز والحال ، أنه يقول : إن شرط صحة الدليل الذوقي ، هو مطابقته مع كلام المعصوم ظاهراً وباطناً^(١) ، وقد وردت الأخبار الكثيرة على عدم جواز الإطلاق ، والشيخ الأوحـد أيضاً ، نقل بعضاً منها في شرحه على الزيارة في شرح فقرة (فبحقّهم الذي أوجبت لهم عليك) ، فظهر التناقض بين كلاميه . ولكن الإنصاف أن موردي النفي والإثبات في كلام الشيخ قدس الله سره متغايران كما ستعرف ، وأن التناقض المشاهد في بادئ النظر إنما هو من عدم الاطلاع التام على كلامه ، وسنوضح أن المراد من العلة الفاعلية في كلماته التي لا يجوز إطلاقها على الأئمة ما هو ؟ وما يجوز إطلاقها عليهم عليهم السلام ما هو ؟

(١) جوامع الكلم ج ٤ ، ص ٣٤٨ وما بعدها .

الفصل الرابع

مقالة الشيخ الأوحدي في العلة الفاعلية

اعلم أن العلة على قسمين : تامة وناقصة ، فالعلة التامة : هي التي يمتنع تخلف المعلول عنها ، ولا ينفك عنها بوجه . والعلة الناقصة : هي التي تحتاج إلى ممدّ في إيجاد المعلول ، ولا تستقلّ بنفسها ، وهي بقسميها : إما فاعلية أو مادية ، أو صورية أو غائية .

والحقّ أنها بأقسامها لا يمكن إطلاقها على الذات المقدسة ، لا لفظاً ولا معنى ، وإن كان المتكلمة والمتفلسفة يجوزون ذلك . أما لفظاً ، فلأن أسماء الله جلّ وعلا توقيفية لا يجوز تسميته إلّا بما ورد عن المعصومين عليهم السلام تسميته به ، كما قال الرضا عليه السلام لسليمان المروزي : (ليس لك أن تسميه بما لم يسم به نفسه)^(١) . ولفظ العلة أو علة العلل ، على أقسامها مما لم يرد من الشارع تسميته تعالى بها ، لا في الأخبار ، ولا في الدعوات ، نعم ، ورد في الدعوات (يا مُسَبِّبَ الأسبابِ ، يا سَبِّبَ مَنْ لا سَبَبَ له)^(٢) ، ولم يرد : يا علة أو يا

(١) بحار الأنوار ج ١٠ ص ٣٣٦ ، التوحيد ص ٤٥١ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٦٧ .

(٢) من أدعية لطلب وتيسير الرزق : (اللهم يا سبب من لا سبب له يا سبب كل ذي سبب يا مسبب الأسباب من غير سبب صل على محمد وآل محمد واغثني بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك ...) .

علة العلل . وأما معنى ، فالمادية والصورية منها ظاهرتان ، إذ ذاته تعالى أجلّ وأقدس من أن تكون مادة للأشياء أو صورة ، إلّا على مذهب وحدة الوجود ، تعالى ربنا عن ذلك . والغائية كذلك ، إذ هي عندهم ما يكون مقدّمًا في التصور ، ومؤخّرًا في الوجود ، والذات أجلّ من أن تتصور ، أو تقدّم وتؤخّر ، فلا تكون غاية لشيء أبدًا . وأما العلة الفاعلية فالناقصة منها أيضًا لا تجوز ، للزوم احتياج الذات إلى مُكَمِّل وممدّد آخر ، إذ العلة الناقصة كما ذكر ، هي التي تحتاج في إيجاد المعلول إلى مُمدّد ومُعِين ، والاحتياج والفقر مستلزم للحدث الممتنع عن الأزل ، والله هو الغني المطلق . فظهر أن كلام ملا جعفر الاسترابادي في رسالته (حياة الأرواح) حيث قال : (وإطلاق العلة على ذات الله صحيح ، أما الناقصة ، فلنقص المعلول ، وأما التامة ، فبملاحظة المشيئة والإرادة) . وهكذا كلام غيره في غيرها ، فكلام غير مأخوذ عن أهل بيت الوحي عليهم السلام . اتضح بطلان شطره الأول ، ويأتي تمام الكلام في بطلان الآخر .

وأما التامة فإن أريد منها ما هو خلاف المصطلح ، أيّ : المحدث والموجد ، فقد مرّ في صدر المقالة أن ذلك من الممكن محال ، وأن المحدث والموجد للأشياء حقيقة بعلمها هو الله تعالى وحده ، بلا معاونة أحد ، ولا احتذاء شريك ، ولا ضير في ذلك ، بيد أن فيه تسميته بما لم يسمّ به نفسه ، وقد مرّ ذلك . ويأتي أن العلة أُطلقت في الخطب والدعوات على صنعه وفعله . وإن أريد منها ما هو المصطلح ، أيّ : ما يمتنع تخلف المعلول عنها ، ففيها مفاصد لا تحصى .

الأول : كون الأشياء من لوازم ذاته كما هو مقتضى العلة التامة ، فيلزم أن يكون بينه تعالى وبين خلقه نسبة وارتباط ، وبطلانه أوضح من أن يبين .

الثاني : لزوم التضاييف ، إذ العلية والمعلولية متضاييفان لا يتصور كل منهما إلا بالأخرى ، وذاته منزّهة عن ذلك .

الثالث : لزوم كونه تعالى فاعلاً مضطراً موجباً لا مختاراً ، لامتناع تخلف المعلول عن علته التامة ، ولزوم وجوده قهراً لدى وجودها ، وهو خلاف التوحيد ، بل خلاف الوجدان والضرورة أيضاً ، إذ كل صانع مختار يجد من نفسه الاختيار ، إن شاء فعل ، وإن شاء ترك ، وإنما يصدر عنه المفعول والأثر بمشية منه ، وتعلّق فعل بذلك المفعول ، وقبل تعلّق الفعل : لا علة ولا معلول . فلو كان الأثر من لوازم ذات الفاعل والصانع ، للزم صدور الأثر منه بوجود ذاته بلا مهلة ، وهو خلاف الحسّ والوجدان ، فالذي ينبغي أن يُقال في هذا المقام : إن لفظ الفاعلية أيضاً ، يأبى أن تكون الذات تلك العلة ، وذلك لأن الفاعلية صفة فعل ، لا صفة ذات ، بل هي ظهور من ظهوراته الفعلية .

بيان ذلك على وجه الاختصار ، أن الصفات على قسمين : صفات ذاتية كالعلم ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، ونحوها ، وهي التي لا يمكن سلبها عن الذات بوجه ، ولا يمكن اتصاف الذات بها وبنقيضها ، لا يقال : الله قدر ولم يقدر ، أو علم ولم يعلم . وصفات فعلية كالخلق والرزق ، والفعل والصنع ونحوها ، وهي التي يتصف الذات بها وبنقيضها ، يقال : الله خلق كذا ، ولم يخلق كذا ، أو رزق كذا ، ولم يرزق كذا ، وأنه فاعل الخيرات وليس بفاعل الشرور ، ومن هنا اخترنا

في محله كون المشيئة والإرادة من صفات الأفعال ، كما هو صريح الروايات ، لا من صفات الذات ، كما هو مذهب أهل الكلام والفلسفة . فافهم ، واطلب التفصيل من غير هذا المختصر .

والحاصل ، أن جمعاً من قدماء الأصحاب ، كالكليني في الكافي ، والصدوق وغيرهما ، والمتأخرين ومتأخري المتأخرين ، كالمجلسي في البحار ، وغيره في غيره ، صرّحوا بالفرق المذكور بين صفات الذات وصفات الفعل ، فحينئذ ليس لك أن تتوقف في أن الفعل والصنع هما من صفات الفعل لا من صفات الذات ، لوضوح سلبها عن الذات أحياناً ، يقال : الله ليس بفاعل الشرور ، كما سبق ، فالذات إنما يتصف بالفاعل في رتبة الفعل ، وإلا فهي منزّهة في نفسها عنه ، وعما يقابله كالقائم من زيد - ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ - ، فإن قائماً وصف لزيد حصل من قام قياماً اللذين هما فعل زيد وأثر فعله المؤكد له ، فاتّصف به زيد في رتبة صدور ذلك الفعل وليس بعين ذاته ، لأنه قد يكون زيد ، وليس بقائم ، ولو كان عين ذاته لما فارقه أبداً ، لأن الذاتي لا يتغيّر ولا يتبدّل .

فتبيّن أن اتصاف زيد بالقائم إنما يكون عند ظهوره بأثر القيام لا قبله ، ولا يكون الظهور إلا بتعلّق فعل من زيد ، أيّ مشيئة ، وهو قام بالقيام ، فلولا تعلّق الفعل من زيد ، ما أحدث ذات زيد القيام ، وما اتصف بالقائم . فالقيام إنما صدر وحصل من قام واستند إليه ، وصفة القائم وجدت بعدهما . فذات زيد من حيث هي في رتبته متعالية ، وخلو عن قام والقيام والقائم ، فهي إنما تحدث وتوجد قام ، ومن قام القيام ، والقائم لدى ظهورها وتجليها بالقيام ، وقبل الظهور ليس هناك شيء . فالعلة التامة بالمعنى المصطلح للقيام والقائم ، هو قام ، لا ذات زيد ، وإن كانت هي

الموجودة والمحدثة ، وإلا لكان زيد قائماً دائماً ، ومبدأ القيام واشتقاقه إنما هو قام لا الذات ، فافهم الفرق بين المحدث والموجد ، وبين العلة التامة بالمعنى المصطلح ، وقس على ذلك بقية الصفات .

فإذا أتقنت ذلك اهتديت للاستدلال على صفات الله الفعلية ، كما قال الرضا عليه السلام : (قد عَلِمَ أولو الألباب أن الاستدلال على ما هنالك لا يُعَرَفُ إِلَّا بما ههنا)^(١) . وعرفت أن فعله تعالى ومشيئته ، هو المبدأ لجميع الأشياء ، وهي العلة التامة بالمعنى المصطلح ، لا ذاته تعالى ، وإن كانت هي الموجد والمحدث ، واتصلت إلى معنى قول الصادق عليه السلام : (خَلَقَ الله الأشياء بالمشيئة ، وخلق المشيئة بنفسها)^(٢) حيث بين أن جميع الأشياء بالجمع المحلى بالألف ، واللام مخلوقة بالمشيئة ، وهي العلة لها ، لا ذاته تعالى ، وخلق المشية بنفسها لا بشيء آخر ، ولأجل كونها مخلوقة بنفسها اندفع التسلسل المتوهم ، كما أنك تحدث جميع أعمالك بالنية ، ولا تحدث النية بنية أخرى ، بل

(١) روي عن الإمام الرضا عليه السلام : (. . وقد علم ذوو الألباب أن الاستدلال على ما هناك لا يكون إِلَّا بما ههنا) .

التوحيد ص ٤٣٨ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٥٦ ، بحار الأنوار ج ١٠ ص ٣١٦ .

(٢) وجدنا روايتين مقاربتين في المعنى هما : الأولى : عن عمر بن أذينة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ((خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة)) .

بحار الأنوار ج ٤ ص ١٤٥ ، الكافي ج ١ ، ص ١١٠ . الثانية : عن أبي سعيد القماطي ، قال أبو عبد الله عليه السلام : (خلق الله المشية قبل الأشياء ، ثم خلق الأشياء بالمشية) . بحار الأنوار ج ٤ ص ١٤٥ .

بنفس تلك النية . ومثله أيضاً الوجود ، فإنه لا يحتاج في إيجادهِ إلى وجود آخر ، لأنه بنفسه وجود ، فانقطع التسلسل . ونظير هذه الرواية كلام سيد الموحدين في خطبته المعروفة الدرة : (علّة ما صنع صنعه ، وهو لا علّة له)^(١) ، يعني أن صنع الصنع بنفسه لا بشيء آخر ، وتفصيل القول في المشيئة موكول إلى محله ، والمقصود هنا إثبات عليته فقط . وفي مقام آخر من تلك الخطبة قال عليه السلام : (وكل قائم في سواه معلول بصنع الله (إليه) يستدل عليه)^(٢) انظر كيف صرّح في هذه الفقرة وفي الفقرة القبلية بأن علة المصنوعات صنعه وفعله لا ذاته المقدسة وفي الدعاء : (كل شيء سواك قام بأمرك)^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾^(٤) ، ولم يقل بذاته . وأمثال ذلك في كتاب الله تعالى والدعوات والزيارات ، كثيرة ظاهرة لمن مرّ عليها بلا إعراض ، ونظر إليها من غير إغماض . وأصرّح من جميع ذلك وأبين فقرة : دعاء العديلة : (كان عليماً قبل إيجاد العلم والعلّة) ، قد صرّح بأن العلة غير الذات ، وأنها داخلّة تحت الإيجاد . وستعرف في مقالة العلم إن شاء الله تعالى معنى إثباته لله سبحانه علمين ، فلا نتعرضه هنا .

فتحصّل مما ذكرنا أن الله خلق جميع الموجودات والمعلولات من العدم ، وخلق لها عللاً كثيرة أو قليلة ، وجعل علّة العلل مشيئته وصنعه

(١) سيد حيدر الآملي : جامع الأسرار ومنبع الأنوار .

(٢) الصدوق : التوحيد ، ص ٣٥ .

(٣) مصباح المتهجد ص ٤٣١ ، بحار الأنوار ج ٨٧ ص ١٤٨ .

(٤) سورة الروم ، الآية : ٢٥

تبارك وتعالى ، وأنت إذا أحطت خبراً بجميع ما ذكر من معنى العلة في الاصطلاح والتوالي الفاسدة المرتبة على كون ذاته جلّ شأنه هي العلة ، وتسميتها بالعلة ، عرفت وجه الوحشة من إطلاق العلة على الحق سبحانه ، وإلا فليس لأحد عداوة مع الحق . وعلمت أن ما ذكرناه هو الحق الواضح ، والنور اللامع ، وأن القول بأن ذات الله العليا هي العلة وعلة العلل ، خروج عن الطريقة القويمة والجادة المستقيمة ، ويظهر من سياق كلمات الفاضل المعاصر المرحوم أنه ممن تبع القوم في المسلك المذكور ، وغفل عما فيه ، والإشكالات التي تعتريه .

وبالجملة ، إذا عرفت أن المشيئة هي العلة ، بالمعنى المصطلح ، فلنرجع إلى ما نحن بصدده ونقول : إن الحقيقة المحمدية صلى الله عليها لما كانت أول صادر من المشيئة ، وأول ما تعلّقت بها من المخلوقات ، كما دلّت عليه الأخبار المتواترة ، وهي الوساطة في إيجاد المخلوقات وصدور جميع الفيوضات ، كما نقرأ في الزيارة : (إرادة الربّ في مقادير أموره تهبط إليكم ، ويصدر من بيوتكم ، الصّادرُ عما فصّل من أحكام العباد)^(١) ، وهي محل ووعاء مشيئته ، ولسان إرادته ، كما في الأخبار والزيارات ، صحّ أن يطلق عليها العلة الفاعلية مجازاً ، والعلاقة المصحّحة هي علاقة الحالّ والمحل ، كجري الميزاب ، وجري النهر ، وكلمات الشيخ الأوحّد صريحة فيما ذكرناه ، لا بأس للعرض ، ونقل فقرة منها تنزيها لساحته عن لوث بعض النسب . قال في بيان معتقداته :

(١) هذه من الزيارات المطلقة للحسين عليه السلام ، مروية عن الإمام الصادق عليه السلام . انظر : الكليني ، الكافي ، ج ٤ ، ص ٥٧٧ .

(ومن ذلك أنه سبحانه خالق كل شيء ، قال تعالى : ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(١) . وأما أفعال العباد الاختيارية ، ففيها الخلاف بين العلماء ، وكل من اعتقد أن أحداً غير الله خالق شيء من السماوات والأرض ، أو مما فيهما ، أو رازق لشيء مما فيهما ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، نعم قد يطلق هذان مجازاً ، كما قال تعالى : ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٢) ، وقال الله تعالى : ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(٣) . يعترض به بعض من ليس له إنس بالفن ، ولا باصطلاح أهله بأني قلت : إنهم عليهم السلام العلة الفاعلية ، فمرادي أنهم محالّ مشيئة الله ، بمعنى أن الله سبحانه أطلعهم على ما خلق ، فوجودهم شرط لإيجاد غيرهم ، لأنهم الوسائط من الله ومن خلقه ، وإن كان تعالى قادراً على الإيجاد بدون توسط الأسباب والآلات ، إلا أنه عز وجل جرت عادته أن يجري الأشياء على ترتب أسبابها ، ليعرف العباد الدليل على معرفة ما يريد منهم ، على نمط قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾^(٤) ، فإنه تعالى إنما يخلق على العلل ، ليعرف لعباده كل شيء) إلى أن قال : (وليس المراد بالعلة الفاعلية أنهم هم الخالقون ، تعالى الله عن أن يشاركه في خلقه

(١) سورة الرعد ، الآية : ١٦ .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية : ١٤ .

(٣) سورة الجمعة ، الآية : ١١ .

(٤) سورة الحج ، الآية : ٥ .

علواً كبيراً ، أما تقرأ قول الله تعالى : ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾^(١) انتهى . وسائر مصنفاته لا سيما (شرح الزيارة) مملوءة بالتصريح بما ذكر^(٢) ، وإن إطلاق العلة الفاعلية عليهم سلام الله عليهم مجاز ، لا إنهم فاعلون للأشياء حقيقة ، فلاحظ شرح فقرة : (مؤمنٌ بسرِّكم وعلانيَّتكم) وفقرة : (وأجسادكم في الأجساد) وفقرة : (موالى لا أحصى ثناءكم) وفقرة : (بكم فتح الله وبكم يختم) كيف يصرح فيها بذلك بعبارات وافية ، وبيانات شافية ؟ .

فظهر أن مراده من العلة الفاعلية في أي محل أطلقها عليهم عليهم السلام هو كونهم محال المشيئة التي هي العلة حقيقة لا غيرها ، وعلاقة التجوُّز وهي علاقة الحال والمحَل موجودة ، لا أنهم حقيقة هم العلة الفاعلية كما توهم من لم يُحِط خبراً بمقاصده وكلماته قدس الله سره ، إذ هو صرَّح بكفر من قال بذلك (في شرح التبصرة)^(٣) في مبحث نجاسة سُور الكفار ، وإلحاق الغلاة بهم ، وحمل الأخبار الدالة على عدم جواز إطلاق العلة الفاعلية عليهم عليهم السلام على ذلك ، أي إطلاقها حقيقة .

والمنصف المتبصر ، إذا نظر إلى سياق تلك الأخبار التي نقلها في هذا المقام ، ونقل الفاضل المعاصر المرحوم أيضاً في تلك الرسالة ، ولاحظ بعض فقراتها كتبريهم عليهم السلام من نسبة الغلاة إليهم بعض

(١) سورة لقمان ، الآية : ١١ .

(٢) ورد المضمون في (تراث الشيخ الأوحدي) (مصدر سابق) شرح العرشية ج ٣ ، شرح الزيارة ج ٤ ، ص ٤٠ وما بعدها .

(٣) جوامع الكلم ج ٦ ، ص ١١٩ .

صفات الربوبية ، ولعنهم عليهم السلام ، وإظهارهم العبودية والعجز ، قَطَعَ أن مراد المعصومين عليهم السلام من عدم جواز إطلاق العلة الفاعلية عليهم ، هو إطلاقها عليهم حقيقة ، كما أن الغلاة والمفوضة لعنهم الله ، كانوا يعتقدون ذلك ، لا إطلاقها عليهم مجازاً ، إذ اطلقت على غيرهم سلام الله عليهم من الأنبياء والملائكة كثيراً ، فضلاً عنهم عليهم السلام .

في تفسير الصافي عن الرضا عليه السلام ، قال : (إن الله تبارك قال : ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(١) وقد أخبر أن في عباده خالقين وغير خالقين ، منهم عيسى ابن مريم ، خلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله ، والسامري ، خلق لهم عجباً جسداً له خوار^(٢) . انتهى . وفي الكافي في صحيحة زرارة ، عن الباقر عليه السلام قال : (ثم يبعث الله تعالى مَلَكَيْنِ خَلَائِقَيْنِ فِي الْأَرْحَامِ مَا يَشَاءُ اللَّهُ ، فيقتحمان في بطن المرأة ، من فم المرأة فيصلان إلى الرحم)^(٣) . انتهى . وفي قرب الإسناد عن الرضا عليه السلام قال : (قال أبو جعفر عليه السلام في النطفة ، قال : فإذا تَمَّتِ الأربعة الأشهر ، بعث الله تبارك وتعالى إليها مَلَكَيْنِ خَلَائِقَيْنِ يَصُورَانِهِ ، ويكتبان رزقه وأجله ، وشقياً وسعيداً)^(٤) . ونظائر هذه الأخبار كثيرة لا تُحصى .

ومن الواضح ، أن نسبة الخلق فيها وفي غيرها إلى عيسى ابن مريم ،

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ١٤ .

(٢) الفيض الكاشاني : التفسير الصافي ، ج ٣ ، ص ٣٩٦ .

(٣) الكافي ج ٦ ص ١٤ .

(٤) الحميري القمي : قرب الإسناد ص ٣٥٢ - ٣٥٣ .

والسامري ، والملائكة ، وغيرهم ليس بعنوان الحقيقة قطعاً ، إذ القول بخالق - حقيقة - غير الله سبحانه كُفْرٌ صَرِيحٌ : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾^(٢) ، فلا خالق غير الله .

فتبين أن إطلاقها عليهم مجاز قطعاً ، لوجود العلاقة المصححة ، إذ الأنبياء والملائكة كلهم مظاهر فعل الله سبحانه ولو بواسطة المظاهر الأولية الحقيقية ، ليت شعري ، ما المانع من إطلاقها على المعصومين الأربعة عشر مجازاً ؟ إن كان المانع عدم وجود العلاقة المصححة والمجوزة ، فهي موجودة فيهم ، لأن قلوبهم أوعية مشيئة الله ، كما في خبر محمد بن سنان . وإن كان عدم الوجود عنهم ، وقد ملأ الخطب والزيارات وروده عنهم عليهم السلام . وقال مولانا الحجة عجل الله تعالى فرجه على ما رواه الشيخ رحمه الله في كتاب الغيبة في توقيعه الرفيع ، في أول توقيع ذكره : (ونحن صنائع ربنا والخلق بُعد صنائعنا)^(٣) ، ويأتيك - إن شاء الله - زيادة توضيح المقام في مقالة التفويض . فأَيُّ ضرر يكون ؟ وأي محذور يقع ؟ وأي كفر يلزم ؟ وأي خلاف الضرورة يلتزم ، إن قلنا بصحة إطلاق العلة الفاعلية على الأئمة

(١) سورة الروم ، الآية : ٤٠ .

(٢) سورة الحج ، الآية : ٧٣ .

(٣) الشيخ الطوسي : الغيبة ، ص ٢٨٥ .

المعصومين مجازاً ، كما صَحَّ إطلاق الخالق على غيرهم عليهم السلام من عيسى ابن مريم ، والملائكة ، والسامري ، وغيرهم في الأخبار التي مرت عليك ؟

وبالجملة ، ظهر من جميع ما ذكرنا أن ليس بين كلامي الشيخ الأوحد أعلى الله مقامه تناقض بوجه من الوجوه ، فحيث قال : إنه لا يصحُّ إطلاق العلة الفاعلية عليهم عليهم السلام ، واستدلَّ عليه بأخبار المنع ، فمراده منه بعنوان الحقيقة . وحيث يقول بصحة إطلاقها عليهم ، ويستدلَّ عليه ببواطن الأخبار تلويحاً وتصريحاً ، فمراده الإطلاق بعنوان المجاز ، كما صرَّح بذلك مكرراً في كلماته الشريفة ، ومرت عليك فقرة منها . ولم يخالف الإمام عليه السلام كما توهم ، بل أطاعهم في ذلك ، جمعاً بين أخبارهم الواردة عنهم عليهم السلام في البين ، المختلفة ظاهراً في بادي النظر ، وعدم طرح فرقة مهما أمكن . فالمرحلتان مختلفتان ، يُحمَّل كل طائفة من كلامه على مرحلة مخصوصة ، كالأخبار الصادرة في المقام باعتبار الجمع بينها . هذا إن لم يصرَّح هو بذلك في موارد كثيرة ، وإلا فالاجتهاد في قبال النص وقبحه لا يُخفى على ذي حجب .

ثم إن غاية دلالة الأخبار الناهية التي ذكرها الفاضل المرحوم في تلك الرسالة وغيرها ، ونهاية ما يستفاد منها ، عدم صحة إطلاق العلة الفاعلية عليهم عليهم السلام حقيقة لا مطلقاً ، ولو مجازاً ، فدلِّل النهي ، وهي الأخبار الناهية ، لم يتم ، إذ لا يُطلقُ كلامُ عوام المسلمين ، وبواطن أخبار المعصومين الدالة على صحَّة الإطلاق ، فلا تدلُّ على عدم صحة إطلاقهما عليهم عليهم السلام مطلقاً ، وهذا مراده نور الله ضريحه مما ذكره في عبارته المنقولة سابقاً من (شرح الزيارة)

وهي هذه : بل شرط قول المستدل أن يحصل له شاهدان بقوله بلا تأويل ، أحدهما : كلام المعصوم بظاهره وباطنه الذي يوافق ظاهره ، وثانيهما : أن يكون قوله مطابقاً لما عليه ظاهر كلام العوام من المسلمين المؤمنين . والذي ليس له أنس بكلماته نور الله ضريحه ، لمّا لم يعط للنظر حقه ، ولم يتأمل في مطالبه الحق ، زلّ عن الطريق ، وتخلّف عن الرفيق ، نسأل الله التوفيق في المقال ، وجعله خير الرفيق في المبدأ والمآل .



الفصل الخامس

مقالة السيد الأمد في العلة الفاعلية

قد عرفت في الفصل السابق : المراد من كونهم عليهم السلام علة فاعلية للأشياء أنهم محال المشيئة ، وقلوبهم أوعيتها . وإن إطلاقها عليهم عليهم السلام مجازاً صحيح بلا ارتياب ، للعلاقة المصححة الموجودة . بعبارة أخرى : المراد منها إذا أطلقت عليهم أنهم عليهم السلام مظاهر فعل الله سبحانه ، الذي هو علة العلل ، ومنتهى العلل ، على الحق الحقيقي . وإذا أردت زيادة توضيح في المقام ، والوصول إلى المقصود والمراد ، من بيانات الشيخ الأوحى ، فعليك برسالة (كشف الحق)^(١) للسيد الأمد السيد كاظم الرشتي قدس الله سره ، قال في مسألة العلل منها : وفي مسألة العلل الأربع ذكر - يعني الشيخ الأوحى - أن الأئمة هم العلل الأربع في العالم ، ثم فصل ، وقال : إنها فاعلية كما في قوله عليه السلام : (نحن صنائع ربنا والخلق بعد صنائعنا ، أو صنائع لنا) . وكما في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾^(٢) ، وكما قال تعالى للعقل الكلي الذي هو

(١) راجع المجلد الثاني من مجموعة الرسائل للسيد قدس الله سره .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ١١٠ .

عقلهم : (أَذْبِرْ فَأَذْبِرْ ، ثم قال له : أَقْبِلْ فَأَقْبِلْ)^(١) ، انتهى . وهذا وإن كان ليس فيه صراحة ولا ظهور في مخالفة ما عليه الأئمة . لكن شَرَحَ ذلك ، وَبَيَّنَ وأوضح ذلك ، وأعلن في (شرح الجامعة) عند قوله عليه السلام : (وأثاركُم في الآثار) على أن المراد من الفاعل والخالق ، والعلَّة وأشباهاها ، من العبارات ليس كما تتوهمه عامة الناس من الفاعلية الحقيقية ، وإنما هي مجازية . كما قال ما لفظه الشريف : (أوصيك وصية ناصح أن لا تستغرب هذه وتنكرها ، فإننا لا نريد بذلك أنهم فاعلون ، وخالقون ، ورازقون ، بل الله هو الخالق ، والرازق ، والفاعل لما يشاء وحده عزَّ وجلَّ ، لم نجعل له شريكاً في شيء ، إلَّا أنا نقول إنه سبحانه لا يفعل شيئاً بذاته ، لتنزُّهه وتكرُّمه عن المباشرة ، وإنما يفعل ما يشاء بفعله وبمفعوله من غير تشريك ، بل هو الفاعل وحده) إلى أن قال الشيخ الأوحَد : (فلو صحَّ عنهم أنهم قالوا : إِنَّا نفعل شيئاً من ذلك ، فليس فيه إشكال كما سمعت قوله تعالى في حق عيسى عليه السلام : ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾ ولا يلزم منه غلو ، ولا جبر ، ولا تفويض ، ولا شيء ، يُنافي الحق بوجهٍ ما ، لأنه إذا ورد شيء من ذلك ، فمرادنا منه ما ذكرناه أولاً ، وهو كمال العبودية . والأدلة من الكتاب والسنة جارية على ذلك متواردة فيه ، وإنما تتوقف على صحة ورود ذلك عنهم)^(٢) ، انتهى كلامه رفع مقامه .

ثم قال السيد الأَمجد قدس الله سره بعد نقل هذه العبارة : (الآن

(١) الكليني : الكافي ، ج ١ ، ص ١٠ .

(٢) شرح الزيارة ج ٤ ، ص ٥٨ .

انظر أيها العاقل اللبيب المنصف في صراحة هذا الكلام ، وتوضيحه
 لمعنى أنهم عليهم السلام علل ، فقلوه : إذا ورد شيء من ذلك فمرادنا ما
 ذكرناه ، من كونهم أسباباً وأبواباً ، جعلها الله سبحانه لخلقه في إيصال
 الفيض إليهم ، كما جعل الشمس سبباً لإضاءة الأرض ، والنار سبباً لطبخ
 أغذيتهم ، والهواء لنفخ طبائعهم ، والملائكة لإيصال التدابير الخاصة
 إليهم ، كما روي في تفسير قوله تعالى : ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾^(١) . وهل
 لعاقل أن ينسب هذه الأشياء والمسببات لهذه الأسباب ، ويعزل الله عن
 حكمه وسلطانه ؟ سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً . وهل لعاقل أن
 ينكر مدخلية هذه الأسباب في هذه المسببات ، ويذهب إلى ما تقوله
 الأشاعرة أو مطلقاً ؟ أو لعاقل أن يقول : إن الله تعالى يفعل بذاته ،
 ويباشر الأشياء بنفسه ، حتى المولى المجلسي رحمه الله جعل الفعل
 بالمباشرة مما يمتنع على الله تعالى ، ومما لا يقدر سبحانه عليه . وهل
 لعاقل أن يقول إن الله يفعل بغير أسباب ، وهو سبحانه مُسَبَّبٌ كُلُّ سَبَبٍ ،
 وَمُسَبَّبُ الأسبابِ من غير سببٍ ؟ فلو قال قائل : بأن الله سبحانه جعل
 محمداً وآل محمد السبب الأعظم لوجود هذا العالم ، كما جعل الملائكة
 المدبِّرات الجزئية ، كعزرائيل جعله الله سبباً للوفاة ، والله سبحانه هو
 المتوفي والمميت ، وجعل ميكائيل سبباً لأرزاق العباد ، والله سبحانه هو
 الرزاق ذو القوة المتين ، وجعل الملكين الخلاقين في رحم المرأة سبباً
 لخلق الولد ونشوئه ، والله سبحانه هو الخالق وحده . وقد قال تعالى :
 ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ

(١) سورة النازعات ، الآية : ٥ .

يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ^(١) . ومع ذلك قد نسب سبحانه الفعل إلى الأسباب أيضاً مجازاً ، كما في قوله تعالى : ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾^(٢) . وقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُم الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾^(٣) . وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَ﴾^(٤) الآية . وقوله تعالى : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾^(٥) التكوير أي القرآن مع أنه قول الله وكلامه ، وأبان سبحانه عن حقيقة الأمر بقوله : ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾^(٦) .

انظر إلى قوله تعالى : لَـ ﴿يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ ، فنسب الفعل إليهم ، وجعل اليد آلة وسبباً ، لإظهار الكتابة ، وجعل الكاتب الشخص كما هو المعلوم ، ثم أراد سبحانه أن يبين أن الفعل قد يُنسب إلى السبب القريب المقارن ، فقال سبحانه : ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ، فنسب الكتابة إلى اليد بعد ما نسبها أولاً إلى الشخص ، وهي نسبة مجازية لا حقيقية ، كما أن النسبة الأولى حقيقية لا مجازية ، فلو قال قائل : إن محمداً وآله عليهم السلام من أعظم الأسباب والشرائط لإيجاد العالم

(١) سورة الروم ، الآية : ٤٠ .

(٢) سورة السجدة ، الآية : ١١ .

(٣) سورة النحل ، الآية : ٣٢ .

(٤) سورة النحل ، الآية : ٢٨ .

(٥) سورة المائدة ، الآية : ١١٠ .

(٦) سورة التكوير ، الآية : ١٩ .

(٧) سورة البقرة ، الآية : ٧٩ .

وأهله ، في خلقهم ورزقهم وحياتهم ومماتهم ، كما أن الملائكة كذلك في التدبيرات الجزئيات على القطع واليقين ، فأَيُّ ضرر يخافه ؟ وأيِّ محذور يخشاه ؟ وأيِّ غلوّ وكفر يلزمه ؟ وأيِّ ضرورة ينكرها ؟

فإن كان ما يحصل بالملائكة تفويضاً باطلاً ، فكيف يجوز على الله أن يحكم بالباطل ، وينسب الفعل إليهم ، ويجعلهم من أسباب الإيجاد والخلق والرزق ؟ وكيف جاز هذا التفويض ، وصحّ في بعض ، ولا يصحّ في بعض آخر ؟ إن هو إلّا مجازفة وسفسطة ، أو مكابرة معاندة . انتهى كلامه رفع مقامه .

انظر أيها العاقل المنصف ، هل ترى عبارة أصرح بياناً وكلاماً أوضح تبيناً مما ذكره السيد الأُمجد أنار الله برهانه في تحرير المقصود ؟ وهو أن إطلاق العلة الفاعلية ، والخالق الرازق ، والمحيي والمميت ، وغيرها من صفات الأفعال على محمد وآله صلى الله عليه وآله مجاز لا حقيقة ، وأنهم أسباب ، وآلات ، ووسائط محضة في إيجاد الأشياء ، وإجراء الفيوضات ، وأنهم السبب الأعظم والشرط الأقوم ، وأولها وأقربها إلى الله سبحانه ، كما أن الملائكة الأربعة آلات صرفة ، ووسائط محضة للفيوضات الأربعة ، وسائر الملائكة للتدبيرات الجزئية ، ونسب الله سبحانه في كلامه المجيد تلك الفيوضات إليهم مجازاً قطعاً ، لا حقيقة ، وجعلهم أسباباً وآلات للإيجاد ولوازمه ، ولا يلزم من ذلك الاعتقاد فيهم ضرر ولا فساد ، ولا كفر ولا إلحاد ، ولا غلو ولا خلاف الرشاد .

ليت شعري ، ما السبب في صحة هذا الاعتقاد في حق الملائكة ، الذين هم خدام آل محمد صلى الله عليه وآله ، وعدم صحته في حقهم

عليه السلام ؟ إن كان نسبة تلك الأفعال إلى الملائكة وغيرهم صحيحة كما نسبها الله سبحانه إليهم ، فنسبتها إلى أوليائه الطاهرين بالطريق الأولي ، وإلا يلزم على الله سبحانه الإغراء بالجهل ، والحكم بالباطل ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

فظهر أن نسبتها إليهم عليهم السلام مجازاً صحيحة ، وَرَدَتْ فِي الآيات والأخبار ، والخطب ، والأدعية ، والزيارات ، ولا يلزم منها غلوٌ ولا تفويض ، بل ما ذكر هو التوحيد التام ، والمعرفة الكاملة في حق سادات الأنام ، وإن ما اعتقده السيد الأمام من كونهم عليهم السلام آله وواسطة صرفة في إيجاد الموجودات ، وإجراء الفيوضات ، عين ما اعتقده وبينه الشيخ الأوحى بلا زيادة ، كما عرفت من كلماته المنقولة قريباً ، وإن ما قاله الفاضل المرحوم في رسالته : وأما معتقد سيد پس قدري بالاتر است از اين اشتباه صرف . والعبرة التي نقلها من « شرح الخطبة التنجنية »^(١) في تلك الرسالة ، لو تتأمل فيها وفيما قبلها وما بعدها ، لا تضح لك الحال وارتفع الاشتباه ، من كلام ذلك العبد الأواه .

(١) كتاب شرح الخطبة التنجنية ، جزءان - مطبوع في إيران ، تأليف السيد كاظم الرشتي قدس الله سره . قال عنه مؤلفه في كتابه دليل المتحيرين المطبوع في النجف صفحة (١٣٣) عند تعداد مصنفاته ومؤلفاته : (ومنها شرح الخطبة التنجنية لأمر المؤمنين عليه السلام ، وقد خطبها رُوحِي له الفداء بين المدينة والكوفة ، كتبته بالتماس السادة النجباء الأتقياء ، وسلكت فيها مسلك المتن ، وأودعت فيها عجائب المطالب وغرائب المآرب . ونشرت فيه من أسرار آل الله سلام الله عليهم ما لا تتحمله إلا الصدور المنيرة والقلوب الطيبة والفتوة الزكية ، ونفيت الغلو من الاستقلال والشراكة والتفويض ، وأظهرت النمط الأوسط والطريقة المثلى ، وقد برز من هذا الشرح مجلدان نسأل الله إتمامه) .

ولما نسبت إليه ما توهمت من كلامه ، من كون تلك الأفعال اختيارية للإمام عليه السلام . ولولا الخوف من الإطالة لكنا نذكر تلك العبارة ، ونرخي عنان القلم في توضيحها ، ونعطيها حقها على أن رفع الاشتباه ، وكنس الغبار عن قلب من ليس له أنس بالاصطلاح ، مشكل غاية الإشكال ، ومؤدٍ إلى تطويل المقال ، إذ يقتضي أولاً بيان الاصطلاح ، ثم توضيح المقصود والمرام ، ثم رفع الاشتباه والالتباس ، بنقل العبارات من الرسائل والمصنفات ، وفيما تقدم كفاية (للمنصف) .

نسأل الله حسن الخاتمة الكاشف عن الفاتحة .



الفصل السادس

بيان الالتباس في العلة الغائية والمادية والصورية

لما برهناً وأوضحنا المراد من العلة الفاعلية في حق محمد وآله الطاهرين ، فلنشرع الآن في بيان المراد من كونهم عليهم السلام باقي العلل : الغائية ، والمادية ، والصورية . قال المرحوم في تلك الرسالة أيضاً : وأما مسألة علة مادي وصوري پس بدانکه علة مادي در اصطلاح ماده شئی را گویند مانند خشب از برای سریر ، و علت صوري صورت سریر است ، پس اگر از درختي دري بسازند و آن زيادتي آن پنجره بسازند نمیتوان گفت که در علت مادي پنجره است پس هرگاه خداوند از فاضل طينت ائمة عليهم السلام طينة شيعيانرا خلق فرموده باشد چنانچه در بعض اخبار است ، پس ائمة عليهم السلام علت مادي نمیشوند ، وهمچنين است كلام در صورت با اینکه در آن روايتي بنظر نرسیده است که دلالت کند بر اینکه صور خلق از شعاع صورت ایشان است ، و در مسئله ماده هم نسبت بكل خلق نیست بلکه نسبت بشيعيان ایشان وارد است ، چنانچه در اصول کافی روايت نموده مرسلأ عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا مِنْ عَلِيِّينَ ، وَخَلَقَ أَرْوَاحَنَا مِنْ فَوْقَ ذَلِكَ ، وَخَلَقَ أَرْوَاحَ شِيعَتِنَا مِنْ عَلِيِّينَ وَخَلَقَ أَجْسَادَهُمْ مِنْ ذَلِكَ . فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ

القرابة بيننا وقلوبهم تحن إلينا^(١).

(ورواية كرده) مسنداً عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : سمعته يقول : (إنَّ اللهَ خَلَقَنَا من نورِ عَظَمَتِهِ ، ثم صَوَّرَ خَلْقَنَا من طِينَةٍ ، مخزونةٍ ، مكنونةٍ ، من تحت العرش ، فَأَسْكَنَ اللهُ ذلكَ النورَ فيه) إلى قوله : (لم يجعلَ لأحدٍ في مثل الذي خلقنا منه نصيباً ، وَخَلَقَ أرواحَ شِيعَتِنَا من طِينَتِنَا ، وأبدانَهُم من طِينَةٍ مخزونةٍ ، أسفل من ذلك ، ولم يجعلِ اللهُ لأحدٍ في مثل الذي خَلَقَهُم منه نصيباً ، ولذلك صرنا نحن ، وهم الناس ، وسائر الناس همجٌ للنار ، وإلى النار) .

ورواية كرده است مسنداً عن أبي حمزة الثمالي ، قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : (إنَّ اللهَ خلقنا من أعلى عِلِّيِّينَ ، وَخَلَقَ قُلُوبَ شِيعَتِنَا مما خلقنا ، وخلقَ أبدانَهُم من دون ذلك ، فقلوبُهُم تَهْوِي إِلَيْهِم لأنها خُلِقَتْ مما خُلِقُوا منه)^(٢) . الخبر وانصاف اينست كه شيعة چگونه راضي ميشود كه بگويد : دشمنان خدا در ماده و صورت شريك با

(١) الكليني : الكافي ، ج ١ ، ص ٣٨٩ . محمد بن الحسن بن فروخ : بصائر الدرجات ، ص ٤٠ .

(٢) عن أبي حمزة الثمالي قال : (سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إنَّ اللهَ خلقنا من أعلى عِلِّيِّينَ ، وخلقَ قُلُوبَ شِيعَتِنَا مما خلقنا ، وخلقَ أبدانَهُم من دون ذلك ، فقلوبُهُم تَهْوِي إِلَيْنَا ، لأنها خلقت مما خلقنا ، ثم تلا هذه الآية : ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ وخلقَ عدونا من سجين وخلق قلوب شيعتهم مما خلقهم منه ، وأبدانَهُم من دون ذلك ، فقلوبُهُم تَهْوِي إِلَيْهِم ، لأنها خلقت مما خلقوا منه ، ثم تلا هذه الآية : ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ . الكافي ج ١ ص ٣٩٠ .

أئمة طاهرين بودند ، واين را از فضائل بشمارد ، ومنكر آنرا منكر فضائل داند من نمیدانم عقل مردم كجا رفته - الحكم لله تعالى . - انتهى .

أقول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . مختصر ما قاله رحمه الله أن العِلَّةَ المادية في الاصطلاح ، يقال : لمادة الشيء كالخشب للسرير ، والعلة الصورية : هي صورة السرير . فإذا صنعت باباً من شجرة ، وصنعت من فاضل الشجرة شبكة ، لا يقال : إن الباب علة مادية للشبكة . فإن خلق الله من فاضل طينة الأئمة ، طينة شيعتهم كما في الأخبار ، فلا يكون الأئمة عِلَّةً مادية لهم . وكذا الكلام في الصورة . مع أنني لم أر رواية تدل : على أن صورة الخلق خُلِقَتْ من شعاع صورتهم عليهم السلام . وفي مسألة المادة أيضاً ، لا تدل الأخبار : على كونهم مادة كلِّ الخلق ، بل وردت في كونهم عِلَّةً لشيعتهم .

ثم نَقَلَ الأخبار المذكورة ، ثم قال : كيف تَرْضَى الشيعة بأن أعداء الله يشاركون الأئمة في المادة والصورة ، ويحسبون هذا من الفضائل ، ومنكره منكر الفضائل ؟ ! لا أدري ، أين عقول الناس ؟ انتهى ملخص كلامه .

لا حكم إلا الله . لا بدّ لنا من التعرض لبيان الالتباس ، كنساً لغبار أوهام بعض الناس ، ولا يمكن ذلك إلا بعد توضيح المراد من كونهم باقي العلل عند الشيخ الأوحّد ، ونقول : أما المراد من كونهم عليهم السلام عِلَّةً غائية للموجودات ، فالظاهر أنه ليس خفياً على أحد من الفرقة الناجية ، الاثني عشرية ، ولا خلاف لهم فيها . مع ذلك نتبرك بذكر بعض الأخبار الظاهرة فيها ، كالحديث القدسيّ المشهور ، خطاباً لنبيّنا صلى

الله عليه وآله : (خَلَقْتُكَ لِأَجْلِي ، وَخَلَقْتُ الْأَشْيَاءَ لِأَجْلِكَ)^(١) والخبر معروف ، بين الخاصة والعامة : (لَوْلَاكَ ، لَمَا خَلَقْتَ الْأَفْلَاكَ)^(٢) . وَخَطَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَعَاوِيَةَ : (أَمَا بَعْدَ : فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا ، وَالْخَلْقُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا)^(٣) . وخبر الصادق عليه السلام : (نَحْنُ صَنَائِعُ اللَّهِ ، وَالْخَلْقُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا)^(٤) ، وفقرة حديث الكساء - وإن كان ضعيفاً - إِلَّا أَنَّ الْأَصْحَابَ تَلَقَّوهُ بِالْقَبُولِ - : (وَعَزَّتِي وَجَلَالِي ، إِنِّي مَا خَلَقْتُ سَمَاءً مَبْنِيَّةً ، وَلَا أَرْضاً مَدْحِيَّةً ، وَلَا قَمَراً مَنِيَّراً ، وَلَا شَمْساً مُضِيئَةً ، وَلَا فَلَكَاً يَدُورَ ، وَلَا بَحَراً يَجْرِي ، وَلَا فَلَكَاً تَسْرِي ، إِلَّا لِأَجْلِكُمْ ، وَمَحَبَّتِكُمْ . . . إلخ) . وغيرها مما لا تُحصى ، ودلالاتها على المرام ظاهرة إن قلنا إن اللام في لنا ولأجلكم للاختصاص . وأما إن قلنا : إنه للتمليك : كما هو الحق ، والأصل فيه ، ويدل عليه : العقل ، والنقل . كما يمرّ عليك - إن شاء الله - في مقالة مخصوصة ، فلا دلالة فيها .



(١) ورد في الحديث القدسي : (عِبْدِي خَلَقْتُ الْأَشْيَاءَ لِأَجْلِكَ وَخَلَقْتُكَ لِأَجْلِي ، وَهَبْتُكَ الدُّنْيَا بِالْإِحْسَانِ وَالْآخِرَةَ بِالْإِيمَانِ) مشارق أنوار اليقين ص ٢٨٢ ، الجواهر السنية ص ٣٦١ .

(٢) بحار الأنوار ج ١٦ ص ٤٠٦ ، مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٨٦ .

(٣) وجدنا رواية (فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا وَالنَّاسُ بَعْدَ صَنَائِعِ لَنَا) بحار الأنوار ج ٣٣ ص ٥٨ ، نهج البلاغة ج ٣ ص ٣٢ .

(٤) وجدنا رواية مروية عن النبي صلى الله عليه وآله في مشارق أنوار اليقين ص ٥٧ .

إشكال العلة المادية

وأما المراد من كونهم علة مادية لجميع الموجودات : من الأنبياء إلى الجمادات ، فهو أن الله عزَّ وجلَّ خلقهم من شعاع نور الأنوار الأربعة عشرة - سلام الله عليهم - لا أنهم مادة كل شيء قال : بقية الله عجل الله تعالى فرجه : (اللَّهُمَّ إِن شِيعَتَنَا مِنَّا ، خُلِقُوا مِن فَاضِلِ طِينَتِنَا ، وَعُجِّنُوا بِمَاءِ وَلَايَتِنَا) ^(١) ، والمراد من الفاضل هو الشعاع ، كما يدلُّ عليه خبر روض الجنان عن ابن عباس ، قال : قال : أمير المؤمنين عليه السلام : (اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ) ، قال : قلت : يا أمير المؤمنين ، كيف يُنْظَرُ بنور الله ؟ قال عليه السلام : (لِإِنَّا خُلِقْنَا مِنْ نُورِ اللَّهِ ، وَخَلَقَ شِيعَتَنَا مِنْ شُعَاعِ نُورِنَا) ^(٢) . ولو لم يكن المراد منه هو الشعاع ، لزم مشاركة الغير معهم عليهم السلام في الطينة .

وقد قال الصادق عليه السلام في خبر الكافي مسنداً : (لم يجعل لأحدٍ في مثل الذي خَلَقْنَا مِنْهُ نَصِيباً) ^(٣) .

ومما يدلُّ على أنهم عِلَّةٌ مادية للأنبياء والشيعة ، ما ورد عن الصادق عليه السلام قال : (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نُورِهِ ، وَصَبَغَهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ، الْمُؤْمِنُ أَخُ الْمُؤْمِنِ : مِنْ أُمِّهِ وَأَبِيهِ . أَبُوهُ النُّورُ ، وَأُمُّهُ الرَّحْمَةُ) ^(٤) . بدلالة أن من تدخل في المادة ، والمادة هي الأب ،

(١) بحار الأنوار ، ج ٥٣ ، ص ٣٠٢ .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ، ج ٢٥ ، ص ٢١ ، حديث ٣٢ .

(٣) الكافي ج ١ ص ٣٨٩ .

(٤) عن معاوية بن عمار قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : (جعلت فداك هذا الحديث =

والصورة التي هي الرحمة ، هي الأم ، لا بالعكس كما توهم .

والظاهر أنه لا إشكال في كونهم عليهم السلام علة مادية للأنبياء والشيعة من الإنس ، بمقتضى مفاد هذه الأخبار . وما ذكره المرحوم في عبارته المنقولة . أَنَّ عَمَمَنَا الشيعة ، وقلنا : لشمولها لدائرة الأنبياء ، كما هو الصواب . بل أُطْلِقْتُ عليهم عليهم السلام ، كما في الأخبار السابقة في المقالة السابقة ، وفي الآية المباركة : ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾^(١) إن مرجع الضمير إلى علي عليه السلام في الباطن ، كما في التفسير لا إلى نوح عليه السلام ، وإنما الإشكال في كونهم علة مادية لجميع المخلوقات ، من الأنبياء إلى الجمادات على هذا الترتيب ، يعني خَلَقَ الله (سبحانه) من شُعاعِ نورِ مُحَمَّدٍ وآلِهِ الأنبياء ، ومن شعاع نور الأنبياء مؤمني الإنس ، ومن شعاع نورهم مؤمني الجن ، ومن شعاع نورهم الملائكة ، ومن شعاع نورهم مؤمني الحيوانات ، ومن شعاع نورها مؤمني النباتات ، ومن شعاع نورها مؤمني الجمادات ، هذا في المؤمنين من كل طبقة وسلسلة . وأما كَفَّارُ الطبقات غير الأنبياء والملائكة ، خلقت مادة كَفَّار كل طبقة منها من عكس شعاع مؤمني تلك الطبقة ، ويُسمَّى الشيخ الأوحَد هذا الترتيب : (بالسلسلة الطولية) ، ويُعرَّفُها بأنها هي : التي يكون شعاع العالي مادة للسافل :

= الذي سمعته منك ما تفسيره ؟ ، قال : وما هو ؟ ، قلت : إن المؤمن ينظر بنور الله ، قال : يا معاوية ، إن الله خلق المؤمن من نوره ، وصبغهم في رحمته ، وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية على معرفته ، يوم عرفه نفسه ، فالمؤمن أخ المؤمن لأبيه وأمه ، أبوه النور وأمه الرحمة ، فإنما ينظر بذلك النور الذي خلق منه (بحار الأنوار ج ٦٤ ص ٧٤ .

(١) سورة الصافات ، الآية : ٨٣ .

لكن بيان هذا الإشكال ، وإثبات حقيقة هذا الترتيب الذي ذهب إليه الشيخ الأوحّد ، يحتاج إلى رسم مقدّمة نافعة ، وهي : أنّ الحكماء وعلماء الملل بنوا على أن الموجودات المتعدّدة ، والمخلوقات المختلفة ، خُلِقُوا كلهم من طينة واحدة ، والاختلاف الموجود فيها بواسطة اختلاف مُشَخَّصاتها ومعايناتها ، وبواسطة قربها وبعدها من المبدأ ، كاختلاف أشعة السراج قُرباً وبعُدّاً ، خَلَقَ أولاً من صفوة تلك الطينة وطيبها محمّداً وأهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ، ثم من صفوة الباقي خَلَقَ الأنبياء والمرسلين ، ثم خلق من صفوة الباقي مؤمني الإنس ، ثم خلق من صفوة الباقي مؤمني الجن ، ثم خلق من صفوة الباقي الملائكة ، ثم خَلَقَ من صفوة الباقي مؤمني الحيوانات ، ثم خلق من صفوة الباقي المعادن ، ثم خلق الجمادات . فالكلّ من هذه المراتب مشترك في الطينة ، إلّا أن الحصة المخلوق منها محمد وأهل بيته صلى الله عليه وآله صفوة كلّ الحصص المخلوق منها سائر المراتب ، ثم الحصة المخلوق منها الأنبياء ، بالنسبة إلى الباقي ، كالحصة الأولى بالنسبة إلى سائر الحصص ، وهكذا سائر المراتب إلى آخرها .

وأما الكفّار من الإنس ، والجن ، والشياطين ، والمسوخ والنباتات ، والجمادات غير المؤمنة ، كالنباتات والمياه المرّة والمالحة ، والأراضي السبخة وغيرها ، خُلِقُوا من عكس وظل تلك الحصص والأنوار . وظواهر الأخبار والآيات ربما تدل على هذا التفصيل ، كما رأيتموها ، لكنه فاسد فاحش ، لأن كون هذه المراتب كلها في عرض واحد ، وشراكتها في طينة واحدة ، يلزم منه مفسد كثيرة ، منها :

إمكان وصول الناقص مع نقصانه الذاتي إلى مرتبة الكامل ودرجته ، وهو قطعاً محال ، إذ النقصان الذاتي مانع عن ذلك .

ومنها : إمكان كون المؤمن بالأعمال الصالحة نبياً ، ووصوله وترقيه إلى مرتبة النبي ودرجته وكون النبوة كسبية ، والحال أنها إرثية ، يعني : خصّها الله سبحانه بأشخاص معلومين معدودين لا يمكن الزيادة والنقصان فيهم بوجه .

ومنها : إمكان خروج الشيء وتدنيه عن رتبته ودائرته ، وقد قال الإمام عليه السلام : (إِنَّمَا تَحْدُ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا وَتَشِيرُ الْأَلَاتُ إِلَى نِظَائِهَا)^(١) .

ومنها : إمكان وصول الأنبياء أو سائر الناس إلى مقام المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام ورتبتهم ، وقد مرّت عليك في الأخبار السابقة قول الإمام عليه السلام : (لَمْ يَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِي مِثْلِ الَّذِي خَلَقْنَا مِنْهُ نَصِيباً) ، وقوله في الزيارة الجامعة : (فَبَلَغَ اللَّهُ بِكُمْ أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكْرَمِينَ ، وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْمُقَرَّبِينَ ، وَأَرْفَعَ دَرَجَاتِ الْمُرْسَلِينَ ، حَيْثُ لَا يَلْحَقُهُ لَاحِقٌ ، وَلَا يَفُوقُهُ فَائِقٌ ، وَلَا يَسْبِقُهُ سَابِقٌ ، وَلَا يَطْمَعُ فِي إِدْرَاكِهِ طَامِعٌ) ، ولو أمكن الوصول لَمَا نُهِيَ فِي الْأَخْبَارِ عَنْ تَمْنِي رِتَبَتِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

ومنها : أنه يلزم أن يجمع هذه المراتب كلها حقيقة واحدة ، إلا أن حصّة بعضها أصفى وأطيب من بعض ، ويتساوى أهل بيت العصمة والطهارة والأنبياء والإنسان والحيوانات نجس العين منها والطاهر ،

(١) الاحتجاج ، ج ١ ، ص ١٧٧ ، بحار الأنوار ج ٤ ص ٢٥٤ .

وغيرها - والعياذ بالله - في حقيقة واحدة وهي الجنس ، كما هو مراد القوم . والحال ، أن حقيقة آل محمد صلى الله عليه وآله : الحصاة الملكوتية الإلهية ، وحقيقة الإنسان الناطقة القدسية ، وحقيقة الحيوانات الحيوانية الفلكية الحساسة ، والثالثة أثر للثانية ومركب لها ، والثانية أثر للأولى خُلِقَتْ من فاضلها أي من شُعاعها ، ونسبةُ الثالثة إلى الثانية وهي إلى الأولى نسبة النور إلى المنير ، فكيف يجمعها حقيقة واحدة ، ويكون الأثر من حقيقة المؤثر ، وقد صرحت الأخبار السابقة : بأن الشيعة الشاملة للأنبياء ومؤمني الإنس خُلِقُوا من فاضل طينتهم وشعاع نورهم سلام الله عليهم ؟ نعم ، يجمعها مفهوم لفظ الحيوان ، وهو الحساس المتحرك بالإرادة ، لكنه غير المعني المسمَّى والمفهوم حقيقةً للثالثة ، وعرض للثانية والأولى ، وحقيقة الثانية وهي الناطقة القدسية مع عرضها عرض للأولى . فلم يبق إلا الاشتراك في التسمية بهذا اللفظ ، ولا يلزم منه الدخول في حقيقة واحدة ، وكونها أفراداً منها ، إذ أوقات التسمية وأمكناتها متفاوتة متفاوتاً كاشفاً عن تعدد الوضع والحقيقة ، واستعمال اللفظ في وقت ومكان لم يكن المسمَّى المتأخر موجوداً ، فالوضع والاستعمال في المسمَّى المتقدم منه حقيقة ، وفي المتأخر منه حقيقة بعد حقيقة ، كما هو شأن المشتركات اللفظية .



إطلاق لفظ الوجود على الواجب والممكن

فظهر لك من هذا أن : إطلاق لفظ الوجود على الباري عزَّ وجلَّ ، والممكن ليس من قبيل الاشتراك المعنوي ، للزوم الاتحاد في جهة حقيقة

جامعة بين الأفراد ، المستلزم كون الواجب والممكن من جنس واحد ، ولزوم تركيب الواجب الحق مما به الاشتراك وما به الامتياز . والجواب بأن ما به الاشتراك عين ما به الامتياز في الواجب ، مؤيد لنا لا لهم ، إذ يلزم منه الافتراق في الحقيقة بين الواجب والممكن ، وعدم الاشتراك في الحقيقة . فلا اتحاد في جهة حقيقة جامعة ، ولا تركيب في الواجب ، ولزوم كون الممكن قسيماً للواجب تعالى ، وقسيم الشيء ضده ، وصدور الضد من الضد محال ، للزوم شيء ثالث غير الواجب ، والممكن أعم منها وهو المقسم ، وهو محال إذ لا ثالث بينهما . وقال الرضا عليه السلام : (حَقٌّ وَخُلُقٌ لَا ثَالِثَ بَيْنَهُمَا)^(١) .

ولا من قبيل الاشتراك اللفظي ، للزوم بينونة العزلة بين الواجب والممكن ، لاشتراط تغاير حقائق الموضوع له من جميع الجهات بحسب الوضع ، بحيث لا يكون جهة جامعة بينهما وضعاً ، ولا يكون كل منها دليلاً على الآخر ، كالعين الموضوع للذهب والفضة أو الإنسان ، فالذهب ليس دليلاً على الفضة وليس بينهما جهة جامعة في الوضع ، وإلا فلا فرق بين الاشتراكين ، وأما الواجب والممكن فليس كذلك ، إذ الممكن أثر الواجب ودليله وآيته . وبينونته عن الواجب بينونة صفة لا عزلة ، قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : (توحيده تمييزه من خلقه ، وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة)^(٢) .

(١) قال الإمام الرضا عليه السلام : (. . . إنما هو الله عز وجل وخلق لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما) .

بحار الأنوار ج ١٠ ص ٣١٦ ، ص ١٥٦ ، التوحيد ، ص ٤٣٨ .

(٢) بحار الأنوار ، ج ٤ ، ص ٢٥٣ ، الاحتجاج ، ج ١ ، ص ٢٩٩ .

ولا من قبيل الحقيقة والمجاز ، لعدم صحة سلب الوجود عن الممكن ، ولوجود المناسبة بين الحقيقة والمجاز ، ولا مناسبة بين الحادث والقديم ، فصَحَّ أن إطلاق الوجود على الواجب تعالى حقيقة ، وعلى الممكن حقيقة بعد حقيقة .



السلسلة الطولية^(١)

وبالجملة ، فلنرجع إلى ما نحن بصده ، ونقول : إن الحق في المسألة لَمَّا ذُكِرَ من المفاسد اللازمة على قول الحكماء ، هو ما قال به الشيخ الأوحـد من عدم شراكة المراتب الثمان ، وعدم اتحادها في الطينة ، وعدم وجود للمرتبة السافلة في مقام المرتبة العالية ، ولا ربط بينهما إلَّا بالعِلِّيَّة والمعلوليَّة ، يعني : شعاع المرتبة العالية عِلَّة مادية للمرتبة السافلة ، وهي أنزل من العالية بسبعين مرتبة ، كما هو شأن المعلول بالنسبة إلى علته ، والنور إلى منيره ، والأثر إلى مؤثره ، ويسمَّى هذا عند الشيخ الأوحـد : بـ (السلسلة الطولية) ، يعني كل مرتبة في طول الأخرى لا في عرضها ، كما ذكر الحكماء ، وشعاع العالي عِلَّة للسافل ، ولا يلزم من القول به عيب ولا إشكال بوجه ، إلَّا على مذهب الشيخ الجليل الشيخ المفيد عليه الرحمة ، حيث قال : بعدم تقدّم وجود المعصومين الأربعة عشر على جميع الموجودات ، وفساده - بحمد الله - في هذا الزمان من أوضح الواضحات ، وأبده البديهيّات . والأخبار المتواترة في تقدمهم على جميع ما ذرأ وبرأ صريحة ، وإثباته تحصيل

(١) شرح العرشية ج ٢ ص ٨٨ (بالمضمون).

للحاصل ، ونقل تلك الأخبار لكثرتها وانتشارها كنقل التمر إلى هجر ، وتمر بعضها عليك في مقالة التفويض . وعلم الأئمة عليهم السلام .

والحق أن هذا القول من ذلك الشيخ الجليل مع وجود الأخبار المستفيضة ، بل المتواترة الصريحة في تقدمهم على كل الموجودات في غاية العجب ، وأعجب منه نسبته القول به إلى الغلو ، ولا بأس بنقل عبارته ، قال رحمه الله في مسائل التلعكبري في جواب سؤال عن أن أشباح آل محمد سابقة على وجود آدم عليه السلام أم لا ؟ قال : والمراد بذلك أن أمثلتهم في الصور كانت في العرش ، فرآها آدم ، وسأل عنها ، فأخبره الله أمثال صور من ذريته شرفهم بذلك وعظمهم به ، وأما أن تكون ذواتهم كانت قبل آدم عليه السلام موجودة ، فذلك باطل بعيد عن الحق ، لا يعتقده محض ولا يدين به عالم ، وإنما قال به طوائف من الغلاة الجهال ، والحشوية من الشيعة ، الذين لا بصر لهم بمعاني الأشياء ولا حقيقة الكلام ، وقد قيل : إن الله تعالى كان قد كتب أسماءهم على العرش ، فرآها آدم عليه السلام وعرفهم بذلك ، وعلم أن شأنهم عند الله عظيم ، وأما القول بأن ذواتهم كانت موجودة قبل آدم عليه السلام ، فالقول ببطلانه على ما قدمناه . انتهى .

ولولا القائل بهذا القول الشنيع هذا الشيخ الجليل ، لسارعنا في تسفيه قائله وتخطئته بأنواع مختلفة ، لكن ليس لنا بد في صدور هذا الاعتقاد وأمثاله من مثله إلا الحمل على التسديد ، والقول بحقيقة قوله في ذلك الزمان ، وإن كان فسادة الآن مما لا يحتاج إلى البرهان ، كما ذكرنا في المقالة السابقة . وأما الفاضل المعاصر المرحوم لما لم يقل بلزوم التسديد في كل زمان ، فلا بد له من تخطئة الشيخ الجليل ،

والخطب الأعظم أنه لم يقل بلزوم التسديد ! ومع ذلك يستشهد في مقام تعظيم الشيخ الجليل بفقرة التوقيع الرفيع : (يا شيخ ، منك الخطأ ، ومنّا التسديد) ، والظاهر أنها من زلات قلمه ، سبق بها بلا قصد منه والتفات .

وبالجملة فالمؤمن ، من كل مرتبة ، خلق من شعاع نور العالي ، وشعاع نور العالي مادة السافل على الترتيب السابق من الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله إلى الجمادات ، وأما الكافر من كل مرتبة من الإنسان إلى الجماد ، خُلِقَ من عكس وظل تلك المرتبة ، لأن كل مرتبة وإن كان نوراً للعالي لكنه منيرٌ للسافل ، والمنير له نور وظلٌ ، الذي هو عكس النور ، كالشمس لها نور ، وهو الشعاع ، ولها ظل بواسطة إشراقها على الكثيف ، وكالسراج له نور وظلمة ، خلق من النور ، وهو الشعاع المؤمن ، ومن الظل الكافر . وأما مرتبة المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام لما كانت نوراً صرفاً ، لم يكن معه ظل ولا ظلمة بوجه : ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾^(١) ، لم يكن في المرتبة السافلة منهم ، وهي مرتبة الأنبياء كفار ، بل كان كلها أنبياء ورسول .

الحاصل ، إذا أَتَقَّنْتَ هذه المقدمة ، وأن قول الحكماء فاسد للوازم المذكورة ، وأنه لا مفرّ لنا ولا ملجأ إلا القول بالترتب الطولي المذكور ، المستنبط من القواعد الكلية ، المقتبس من الآثار المعصومية ، عرفت أن ليس للإشكال السابق مجال ، ولا لذي قيل مقال ، إذ الترتب الطولي إذا ثبت بين المعصومين الأربعة عشر وبين الأنبياء والشيعة ، وهي مؤمنو

(١) سورة النور ، الآية : ٣٥ .

الإنس ، كما دلّت عليه الأخبار وصرّحت به الآثار ، ثبت بين مؤمني الإنس وسائر المراتب إلى الجمادات ، إذ العلة للترتب الطولي في المراتب الثلاث ، هي العلة للترتب بينها وبين سائر المراتب السافلة ، ولا قائل بالفصل ، فمن قال بالترتيب الطولي كالشيخ الأوحّد وتابعيه ، فقد عمم^(١) من الحقيقة المحمدية إلى الجمادات ، ومن لم يقل به كالحكماء وتابعيهم أيضاً . والفاضل المعاصر المرحوم ، لما لم يقل بالترتب الطولي ، لزمه القول بعدمه في كلّ المراتب كالحكماء ، إذ لم يعرف فصل بين القولين كما رأيت ، وهو وإن لم يصرّح به ، لكن تمثيله بالخشب والباب والشبكة كالتصريح بذلك ، فلزمه ما يلزمه قول الحكماء من اللوازم الفاسدة ، فلا مناص إلا القول بالترتب الطولي بين المراتب الثمان ، وهو الحق الواقع ، والنور اللامع ، وارتفع الإشكال ، ولم يبق له مجال بوجه من الوجوه .

ويحتمل أن يقال في رفع الإشكال بأن المراد من الشيعة والمؤمنين في الأخبار السابقة ما يعم كل المراتب من الأنبياء إلى الجمادات ، لا ما يختصّ بالأنبياء والإنسان ، فالأخبار السابقة حينئذ ، تدل على الترتب الطولي على النحو المذكور ، وعليك بالفائدة الرابعة عشرة من الفوائد^(٢)

(١) يقال : شيء عميم ، أي تام ، والجموع عمم ويقال : استوى فلان على عممه ، يريدون به تمام جسمه وشبابه وماله . ويقال : جسم عمم ، أي تام ، ويقال عمم اللبن : أرعن .
الصاح : الجوهرى . ج ٥ ، ص ٩٩٢ .

(٢) قال السيد الأّمجد قدس سره في كتابه : « دليل المتحيرين » عند تعداده مصنفات أستاذه الشيخ الأوحّد الأحسائي (قدس سره) ما هذا لفظه : (ومنها كتاب الفوائد كتبه لما رجع من أصفهان إلى يزد ، وواجهه علماؤها وكتب هذا الكتاب ، وهو موجز مختصر ، لكنه جامع للأمور العامة مما يتعلق بالموجودات الثلاثة من الوجود الحق والوجود المطلق =

التي صنفها الشيخ الأوحـد الأحسائي قدس سره تراها مستوفية لبيان السلسلة الطولية والترتب الطولي من المعصومين الأربعة عشر إلى الجمادات .

وبالجملة ، إذا عرفت معنى كونهم عليهم السلام عِلَّةً ماديةً لجميع المخلوقات ، والفرق بين قول الحكماء والشيخ الأوحـد ، نشرع الآن في بيان اشتباه الفاضل المرحوم . فحيث انه لم يلتفت إلى الفرق بين القولين ، وحسب أن الشيخ الأوحـد قال بقول الحكماء ، قال ما قال ، ونسب ما نسب في عبارته السابقة : پس اگر از درختی درى بسازند واز زیادتی آن پنجره بسازند نمیتوان گفت که در علت مادی پنجره است پس هرگاه خداوند از فاضل طينت ائمة طينت شيعيان خلق فرموده باشد چنانچه در بعض اخبار است پس ائمة علت مادی نمیشوند ، يعني : إذا صنعت من شجرة باباً ، وما فضل من الشجرة شباكاً ، لا يقال إن الباب عِلَّةٌ ماديةٌ للشباك ، فالله عزَّ وجلَّ إن خلق من فاضل طينة الأئمة طينة شيعتهم ، كما في بعض الأخبار ، فلا يكون الأئمة عِلَّةً ماديةً للشيعه . انتهى .

انظرُ أيها المنصف ، كيف صرَّح أولاً باختياره قول الحكماء بتمثيله

= والوجود المقيد ، وقال في أول هذا الكتاب : (أني لما رأيت كثيراً من الطلبة يتعمقون في المعارف الإلهية ويتوهمون أنهم تعمقوا في المعنى المقصود ، وهي تعمق في الألفاظ لا غير ، رأيت أن أروعهـم بعجائب من المطالب ، لم يذكر أكثرها في كتاب ولا جرى ذكرها في سؤال ولا جواب ويكون ذلك بدليل الحكمة . . . إلخ) . وذكر في آخره : (اعلم أني لما كررت العبارة ورددتها للتفهيم ، ولو هذبت العبارة واقتصرت على الإشارة لكُلت البصائر إلى هذه المطالب ، ومع ذلك فإن عرفت فأنت أنت) ، ومنها شرح جنبه على « الفوائد » ، أوضح معانيها وشرح مبانيها إجابة لالتماس المولى الأمجد الملا مشهد) .

بالشجر وصنع الباب منها ، ومن فاضل الشجرة الشباك ، وجعل الشجرة مادة مشتركة بين الباب والشباك ، وجعلها في عرض واحد ، يعني : اتحادهما في مادة واحدة . ثم قاسَ به ثانياً الأئمة والشيعة ، يعني كما أن الشباك إذا صنع من فاضل الشجرة بعد صنع الباب منها ، لا يقال : إن الباب علة المادية للشباك ، كذلك الأئمة عليهم السلام إذا خلقوا من طينة ، ثم خلق الشيعة من فاضل تلك الطينة ، يعني مما فضل وبقي من تلك الطينة بعد خلق الأئمة منها ، لا يقال إنهم عليهم السلام علة مادية للشيعة .

وبالجملة ، إن قال الشيخ الأوحى بما قاله الحكماء من كون المادة في كل المراتب واحدة ، لكن خلق من صفوتها أولاً محمداً وآله ، ثم الأنبياء من صفوة الباقي ، وهكذا إلى الجمادات ، كان لإشكاله مجال . يعني أن الشيعة إذا خلقوا مما فضل من الطينة التي خلق منها الأئمة عليهم السلام ، لا يقال للأئمة إنهم علة مادية للشيعة ، وكان وارداً لا ينكره ، إذ الكل متحدٌ ومشاركٌ في المادة وفي عرض واحد على قولهم ، فكيف يقال إن المرتبة الأولى علة مادية للمراتب الباقية السافلة ؟ وإذا لم يقل بقولهم ، بل قال بفساد قولهم كما عرفت ، وبالترتب الطولي ، يعني أن الله خلق محمداً وآل محمد من طينة مختصة لهم دون غيرهم ، لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقوا منه نصيباً بوجه ، بل خلق سائر المخلوقات من فاضل تلك الطينة ، أي من شعاع نورها على الترتيب المذكور سابقاً إلى الجمادات ، فلا يكون لإشكاله مجال ، ولا يخفى على ذي حجب ما فيه وفيما مثله .

كلام الشيخ الأوحدي في الرد على ما نسب إليه

ونذكر عين عبارة الشيخ عطر الله رمسه من الفائدة الرابعة عشرة من الفوائد^(١) إتماماً للحجة وإكمالاً للمحجة . قال : (اعلم أن الوجود الممكن ذهب أكثر الحكماء والعلماء من أهل الملل وأهل النحل إلى أن هذه الموجودات المتكثرة المتعددة المختلفة كلها من طينة واحدة ، وإنما اختلفت باختلاف معيناته وتغايرها ، وتكثر بتكثر مراتبه من جهة القرب إلى المبدأ والبعد ، كما تكثر مراتب نور السراج الواحد من جهة قربهِ من السراج وبعده ، فأقواها نوراً وحرارة ما كان أقرب إلى السراج ، وأضعفها نوراً وحرارة ما كان أبعد منه ، وما بينهما بالنسبة ، فإنه تعالى خلق الوجود لا غير ، وهو أول ما خلق الله عز وجل ، وهو الماء المذكور في القرآن والأحاديث ، فخلق من صفوته نور محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ، ثم خلق من صفوة الباقي أنوار الأنبياء عليهم السلام ، ثم خلق من صفوة الباقي أنوار المؤمنين من الإنس ، ثم المؤمنين من الجن ، ثم الملائكة ، ثم الحيوانات ، ثم النباتات ، ثم المعادن ، ثم الجمادات . وأما الإنس الكفار والجن الكفار ، والشیاطين والمسوخ ، والنبات المر والأرض السبخة ، فمن عكوسات أولئك الأنوار وأظلتهم . ولهم على وحدة طينة هؤلاء المتكثرين ظواهر الأخبار . . .) إلى أن قال بعد أسطر :

(وهذا غلط وباطل ، وزبد مجتث زائل ، إذ لو كان كذلك ، لأمكن

(١) شرح الفوائد ، ص ٢٩٢ - ٢٩٥ .

في الناقص أن يلحق بالكامل مع بقاء نقصانه الذاتي ، فيجوز للمؤمن الصالح العامل بما أمر به أن يسأل الله تعالى أن يجعله نبياً ، لأنه على هذا القول إنما لم يكن نبياً ، لأنه ناقص في بعض ما يتعلق به التكليف ، وإلا فطينة الأنبياء وطينة المؤمنين واحدة ، وليس كذلك إلى أن قال : والحق أن الوجود الممكن ليس متحداً في الرتبة الذاتية ، ولا في الرتبة التنزلية كما ذكره الأكثرون ، من أن تعدّده في الرتبة التنزلية كتعدد نور السراج الواحد في مراتبه التنزلية ، مع أن رتبته الذاتية واحدة ، فقولنا : إن وجودات الممكنات ليست متحدة في الرتبة الذاتية ، نريد به أن الرتبة الأولى مختصة بالخلق الأول ، وليس لمن بعدهم فيها نصيب بوجه من الوجوه ، إلا ربط العلية والمعلولة . فالوجود الذي خلقت منه العقول لم تُخلق منه النفوس ، لا من صفوته ولا من باقيه ، وإنما خلقت النفوس من أثر ما خلقت منه العقول ، بمعنى : أنها خلقت من شعاع ما خلقت منه العقول ، وآيته ومثاله ودليله ، أن شعاع الشمس الواقع على الجدار خلق من ظهور جرم الشمس به ، واستنارة المقابل للجدار المستنير خلقت من شعاع استنارة الجدار ، واستنارة المقابل للمقابل المستنير ، خلقت من شعاع استنارة المقابل للمقابل ، وهكذا مراتب الوجود في تراميها من النور المحمدي صلى الله عليه وآله إلى التراب : كل سابق منير ، وما بعده شعاعه ونوره ، وكل نور جزء من سبعين جزءاً من نور منيره السابق عليه . . .) إلى أن قال :

(إنه تعالى أول ما خلق نور محمد صلى الله عليه وآله ، وخلق من نوره نور عليّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، والتسعة الأطهار من ذرية الحسين عليهم السلام ، كخلق السراج من السراج ، وهو قول عليّ

عليه السلام : (أنا من محمّد كالضوء من الضوء)^(١) ، والضوء من المنير لا النور . وبقوا كما رُوي عنهم عليهم السلام ألف دهر على ما يظهر لي : مئة ألف سنة يسبّحون الله ، ويحمدونه ، ويهلّلونه ، ويكبّرونه ، ليس في الوجود الممكن سواهم . ثم خلق عزّ وجلّ من أشعة أنوارهم أنوار مئة ألف وأربعة وعشرين ألف نبيّ عليهم السلام ، وبقوا ألف دهر يسبّحون الله ، ويحمدونه ، ويهلّلونه ، ويكبّرونه ، ليس في الإمكان غير محمد وآله وغيرهم صلى الله عليه وآله وعليهم أجمعين ، لم يخلق تعالى من تلك الأشعة غير الأنبياء عليهم السلام ، ثم خلق تعالى من أشعة أنوار الأنبياء عليهم السلام أنوار المؤمنين ، ثم أنوار المؤمنين من الجنّ ، وهكذا على نحو ما ذكرنا قبل هذا . وهذا هو الحقّ الذي دلت عليه آيات الله . . . إلى أن قال : فإذا طرّق سمعك شيءٌ من كلامهم عليهم السلام مثل قولهم عليهم السلام خلق من فاضل طينة كذا ، فاعلم أنهم عليهم السلام يريدون بالفاضل شعاع الشيء ، وإشراقه ، ووصفه ، لا تتوهم أنهم عليهم السلام يريدون بالفاضل بقية الشيء أبداً ، فافهم) . انتهى كلامه رفع مقامه^(٢) .

انظر كيف صرّح بفساد قول الحكماء ، وهو الاتحاد في الطينة والمادة ، وكون المراتب كلها في عرض واحد ، ومن سنخ واحد ، وإثبات قوله ومذهبه ، وهو الترتب الطولي في المراتب كلها ، من الحقيقة المحمدية إلى الجمادات ، يعني أن السافل خُلِقَ من فاضل طينة العالي ، أي من شعاع نوره .

(١) الصدوق : علل الشرائع ، ج ١ ، ص ١٧٤ .

(٢) شرح الفوائد ص ٤٩٩ - ٥٠٣ .

فظهر أن الإشكال السابق ناشئ من الغفلة والاشتباه ، والخلط بين المقامين ، وأن محمداً وآله عِلَّةٌ ماديةٌ لجميع الموجودات على نحو ما شرحه ، وبَيَّنَّه ، وأوضحه ، لا على نحو ما ذهب إليه الحكماء ، كما توهمه الفاضل المعاصر المرحوم ، ورَتَّبَ عليه الإشكال . والعجب كل العجب أنه لم يَكْفِه ما ارتكبه من الاشتباه وعدم الدقة في المقام ، حتى أخذ في الطعن بما لا يليق ، وقال : وانصاف اينست كه شيعة چگونہ راضی ميشود كه بگويد دشمنان خدا در ماده و صورت شريك با ائمة طاهرين بودند واينرا از فضائل بشمارد ومنكر انرا منكر فضائل داند من نميدانم عقل مردم كجا رفته است ؟ الحكم لله . يعني : أن الإنصاف هو أنه كيف يرضى الشيعي أن يقول إن أعداء الله مشاركون مع الأئمة في المادة والصورة ، ويعدّ هذا من الفضائل ؟ ومنكره منكر الفضائل ، ما أدري أين ذهب عقل الناس ؟ انتهى . ليت شعري ، في أيّ كتاب ، وأي كلام قال بأن أعداء الله يشاركون الأئمة عليهم السلام في المادة والصورة ؟ إن هو إلّا زور وبهتان ، مع أنه صرّح في العبارة المنقولة من الفائدة الرابعة عشرة : أن المؤمنين من كل مرتبة من الأنبياء إلى الجمادات من فاضل طيبتهم ، أي شعاع نورهم ، ليس لهم فيما خُلِقَ منه المعصومون الأربعة عشر حَظٌّ ولا نصيبٌ بوجه من الوجوه ، فكيف يقول بمشاركة الأعداء والكفار معهم في المادة والصورة ، مع أنه ينادي بأعلى صوته في كلّ مكان بأوفى بيان : إن الكفار من كل مرتبة خُلِقُوا من عكس وظل شعاع نورهم ، وصوَرُهم من هيئاتٍ خِلافَ أحوالهم وأعمالهم ؟ ها أنا أذكر لك أيضاً بعض عباراته ، حتى يتضح الحال ، ويعلم أن ما نسب إليه خلاف ما قال ، بل ما صرّح به في شرح زيارة الآل عليهم صلوات

الملك المتعال . قال في شرح فقرة (بأبي أنتم وأمي) في أول الجزء الرابع : (ومعنى إيجاد الخلق : أن الله سبحانه خلق مواد جميع مَنْ خلق ، وما خلق من فاضل أشعة أنوارهم ، وخلق صور الخلق كلهم من هيئات أحوالهم وأعمالهم ، هذا في صُور المؤمنين ، والملائكة ، والنبیین ، وما لحق بهم ، وأما صُور الكافرين ، والشیاطین ، والمنافقين ، وما لحق بهم - فمن هيئاتٍ خلاف أحوالهم وأعمالهم) ^(١) .

وقال في شرح فقرة : (وأجسادكم في الأجساد) : فالعلة الفاعلية بهم ، والعلة المادية منهم ، أي : من شعاعهم وظلهم ، والعلة الصورية بهم على حسب قوابل الأشياء من خير وشر ، والعلة الغائية هم ، أن الأشياء خلقت لأجلهم ^(٢) ، وقال في شرح فقرة : (من اتبعكم فالجنة مأواه ، ومن خالفكم فالنار مثواه) ^(٣) : وكان قد خلقهم من نوره ، أي : أول نور أحدثه وارتضاه ونسبه إليه تشريفاً ، ولم يخلق نوراً غيره إلا منه ، أي من أشعته ، كشيعتهم ومحبيهم من الإنس والجن ، والملائكة وسائر الحيوانات الخيرة ، والنباتات العذبة والجمادات الطيبة ، أو عنه من عكوس أشعته وهي أظلتها وظلمات نفوسها ، كأعدائهم وأتباع أعدائهم من الإنس والجن والشیاطین وسائر الحيوانات الشريرة ، والنباتات المرة والحامضة والمشوشة والجمادات الخبيثة والسبخة ^(٤) . . . إلخ) .

ولو تأمل المنصف وتتبع جميع مصنفاته ورسائله ، ورقاً ورقاً ،

(١) شرح الزيارة ج ٤ ، ص : ١٥ و ١٦ .

(٢) شرح الزيارة ج ٤ ، ص : ٥٩ .

(٣) شرح الزيارة ج ٢ ، ص : ٣١٦ .

(٤) شرح الزيارة ج ٢ ، ص : ٣١٨ و ٣١٩ .

وصفحة صفحة ، لم يطلع على عبارة يشم منها رائحة الدلالة على شراكة الأنبياء مع الأئمة في الطينة ، والمادة ، والصورة ، فضلاً عن المؤمنين ، فضلاً عن الأعداء والكفار . بل كلها صريحة في خلاف ما ينسب إليه ، كما ترى ، فيما نقلناه عنه . ليت شعري ، لأيّ جهةٍ وأيّ سببٍ ، نَسَبَ مَنْ نَسَبَ هذا المطلب البينُّ الفساد إلى الشيخ الأوحْد؟ والظاهر أنه من عدم الأَنس بمصنفاته ومصطلحاته .



الفصل السابع

قبول وإنكار ولاية الأئمة عليهم السلام سبب للعلة الصورية

وأما المراد من كونهم عليهم السلام علة صورية لجميع المخلوقات ، فهو أن الله عزَّ وجلَّ خلق صور وهيئات جميع المخلوقات على مقتضى إجاباتهم وإنكارهم ولاية الأئمة الطاهرين ، لما خاطبهم من الأنبياء إلى الجمادات بألست بربكم ، ومحمد نبيكم ، وعلي والأئمة من ولده ، وفاطمة الصديقة بأوليائكم ؟ فمن أجابه سبحانه بالإقرار والاعتراف والتصديق بهم وبولايتهم عليهم السلام خُلِقَ بصورة حسنة ، وهيئة طيبة طاهرة ، ومن أنكر وجحدهم ، وعاند ، وعاداهم ، خلق بصورة خبيثة ، وهيئة قبيحة ، فهم علة وسبب للصور الحسنة الطيبة ، والخبيثة القبيحة ، بقبول ولايتهم وإنكارها . فما تسمع وترى من الصِّفا والبهاء ، والسنا والاعتدال ، والاستقامة والكمال ، والجمال والحلاوة ، والنظافة والشرافة ، والطيب والطهارة ، ونحوها ، فكلُّها منهم ولهم ، وأثر ولايتهم وفاضل هيئتهم ، وصورة كمالهم وأعمالهم وأقوالهم وأفعالهم وأحوالهم . فالحلاوة الموجودة في العسل ، والسكر ، والتمر ، وغيرها ، رَشْحَةٌ وحكاية من حلاوة أفعالهم وأقوالهم ، فقبولها ولايتهم عليهم السلام حَلَّتْ وإلا كانت أمرٌّ من العلقم ، والصفاء والبهاء

الموجودة في الشيثة ، والبلور ، والألماس ، فرع صفاء أقوالهم ، وفاضل بهاء أعمالهم .

وبالجملة ، شرافة جميع الشرفاء ، وسعادة كل السعداء ، وعظمة ونظافة وطهارة تمام العظماء والنظفاء والطاهرين ، حكايةً وأثرٌ من آثارهم عليهم السلام . وكلّ ما تسمع وترى من أضداد تلك الصفات من الإنسان إلى الجماد ، فَمِنْ عدم قبول ولايتهم وإنكارها ، ولذا لم يكن للنجاسة والقذارة طريقٌ إليهم ، وإلى فضلاتهم ومدفوعاتهم حياً وميتاً بوجه من الوجوه ، إذ حُلِقَتِ النجاسة ، والظلمة ، والرجاسة ، والخبائثة ، ونحوها ؛ بسبب عدم قبول ولايتهم ومن إنكارها ، فكيف تجري عليهم ويحكم في حقهم بها ؟ وهذا مراد الشيخ الأوحّد من كونهم عليهم السلام عِلَّةً صورية لكل المخلوقات من الأنبياء إلى الجمادات ، من مؤمني الطبقات وكفّارها ، كما صرّحت به كلماته المنقولة سابقاً ، فلاحظها وكرر النظر إليها ، هل ترى فيها ما نسب إليه من القول بمشاركة الأعداء معهم عليهم السلام في الصورة والمادة ؟ إن هي إلّا كنسبة قبح الصورة إلى يوسف ، ونسبة حماقة إلى إياس ، والبخل إلى حاتم . فاعتبروا يا أولي الأبصار ، وانتبهوا يا أولي الفطنة والأفكار ، وبالجملة ، فالذي أوضحناه وبينناه هو مراد الشيخ الأوحّد ، من كون الأئمة عليهم السلام عللاً أربع : فاعلية ، ومادية ، وغائية ، وصورية ، لا ما توهم مما ينافي المذهب ، ولا ضير فيه والأخبار ، والخطب ، والزيارات ، والدعوات ، تساعد بشرط أن ينظر ويتأمل فيها بنظر الاعتبار ، وبعين الإنصاف ، والله ولي التوفيق .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
كيف وصلت الفلسفة الغير إسلامية ؟	٦
بعض الأخطاء في الفكر الفلسفي لدى فلاسفة المسلمين	٧
ترجمة مختصرة للشيخ أحمد الأحسائي	١٥
نسبه	١٥
ولادته	١٥
أولاده	١٦
أسرة الشيخ أسرة علمية	١٧
مشايخه في الإجازة	١٧
تلامذته	١٩
بعض المستجيزين من الشيخ	٢٠
مؤلفاته	٢٢
علومه	٢٣
وفاته	٢٤

٢٦	روائع من كلمات وأقوال الشيخ الأوحـد
٢٦	١ / ترويع الطلبة
٢٦	٢ / الخطأ لا يتطرق على كلماته
٢٧	٣ / التكرار في كلامه للتفهيم
٢٧	٤ / سبب ردّ الشيخ على الملا صدرا
٢٧	٥ / سبب ردّ الشيخ على الملا صدرا
٢٨	٦ / تبعية الشيخ لأهل البيت عليهم الصلاة والسلام
٢٨	٧ / الحق يعرف بأهل البيت عليهم الصلاة والسلام
٣٠	أقوال العلماء فيه
٣٠	١ / الميرزا محمد باقر الخوانساري
٣١	٢ / السيد كاظم الرشتي أرشد تلاميذ الشيخ
٣١	٣ / الشيخ عبد الله بن معتوق القطيفي
٣٢	٤ / الشيخ إبراهيم الكرباسي
٣٢	٥ / الميرزا علي التبريزي الشهيد
٣٣	تنبيه مهم
٣٤	أعلام مدرسة الشيخ أحمد الأحسائي
٣٤	منطقة الأحساء
٣٥	منطقة القطيف
٣٦	البحرين
٣٧	إيران
٣٩	أسرة حجة الإسلام
٤٠	أسرة ثقة الإسلام

٤٠	أسرة الإحقاقي
٤١	العراق
٤١	لبنان
٤٣	مختصر ترجمة حياة المؤلف قدس سره
٥٥	مقدمة

المقالة الأولى: في المعاد

٦٥	الفصل الأول: الواجب اعتقاده في المعاد
٦٩	الفصل الثاني: رأي الشيخ الأحسائي في المعاد
٧٢	شرح كلام الشيخ الأحسائي
٧٥	خلاصة الكلام
٧٨	الفصل الثالث: جملة من أقوال بعض الأعلام
٨٨	الفصل الرابع: كلمات الشيخ أحمد في سائر مصنفاة
١٠٥	الفصل الخامس: الأقوال في المعاد
١٠٥	الصورة الدنيوية
١٠٦	الروح مع المادة
١٠٩	المادة والصورة
١١١	مناقشة كلام الهمداني
١١٦	الأدلة على بطلان قول الهمداني والدارابي
١٢٠	أي الصور تعود على قولهما
١٢١	الفصل السادس: العلة والسبب من تفكك البدن
١٢٣	تنزل مادة الإنسان إلى عالم الشهادة

١٢٣	تصفية المادة الأصلية من الأعراض
١٢٥	التفكك والتصفية لغير المعصومين
١٢٦	قدرة أهل البيت عليهم السلام
١٢٧	السر في حرمة لحوم أهل البيت على الأرض
١٣١	براءة الشيخ الأحسائي مما نسب إليه
١٣٢	بيان اشتباهات الميرزا الشهرستاني
١٣٤	قول الشيخ الأحسائي في شرح الزيارة
١٣٦	شرح كلام الشيخ
١٤١	الفصل السابع: رأي الشيخ كريم خان في المعاد
١٤٣	المطالب المترتبة على القول بعرضية بدن المعصوم
١٤٧	مدرك الاعتقاد بعرضية بدن المعصوم
١٤٨	النتائج الفاسدة على هذا الاعتقاد
١٥٥	الفصل الثامن: أبدان المعصومين لا تتفكك ولا تتلاشى
١٥٦	رأي الحاج كريم خان
١٥٨	كلمات الشيخ الأوحدي في عدم بلاء جسد المعصوم
١٦١	دليل مؤيد
١٦٣	سؤال وجواب
١٦٦	خلاصة ما سبق
١٦٨	الفصل التاسع: أدلة القول بفناء جسد المعصوم والرد عليها
١٧٣	معنى ارتفاع المعصومين عليهم السلام بعد دفنهم
١٧٥	توضيح وبيان تعلقهم بالعرش
١٧٧	كلام الشيخ الأحسائي في معنى تعلقهم عليهم السلام بالعرش

١٨١	بيان وتوضيح
١٨٣	الفصل العاشر: المولود الفلسفي
١٨٦	عناصر العالم الوسيط
١٨٦	الأول : الماء الجامد
١٨٨	الثاني : الهواء الراكد
١٨٨	الثالث : النار الحائلة
١٨٩	الرابع : الأرض السائلة
١٨٩	روح العالم الوسيط
١٩٠	جسد العالم الوسيط
١٩٢	نفس العالم الوسيط
١٩٤	تقلبات العالم الوسيط
١٩٧	النتيجة

المقالة الثانية: في المعراج الجسماني

٢٠٣	الفصل الأول: مقدمة
٢٠٤	إجمال كيفية المعراج الجسماني
٢٠٧	الفصل الثاني: كلام الشيخ الأوحى في المعراج
٢٠٩	توضيح وبيان كلام الشيخ الأوحى
٢١٤	عود في التحقيق بطريق رشيق
٢٢٠	الفصل الثالث: كلمات الشيخ الأوحى الأخرى في المعراج
٢٢٤	الفصل الرابع: كلمات تلامذة الشيخ الأوحى
٢٢٤	كلمات السيد كاظم الرشتي

٢٢٦		كلمات الميرزا حسن كوهر
٢٢٨		كلمات الميرزا محمد باقر الأسكوئي
٢٣٠		الفصل الخامس: عتاب ونصيحة
٢٣٦		الفصل السادس: مخالفة المذهب
٢٤٢		علم الحسين بشهادته
٢٤٤		إله الجوهر والأعراض
٢٤٦		المقدور لله والمقدور للخلق
٢٤٦		ولا يجري عليه ما هو أجراه
٢٤٧		التفويض
٢٤٩		مسألة الكرّ
٢٥٦		خلود أهل النار
٢٥٩		خلود أهل النار
٢٦٥		الفصل السابع: الخرق والالتئام
٢٧٠		الفصل الثامن: المعراج في رأي كريم خان وابنه
٢٧٥		الفصل التاسع: إنكار كريم خان للمعراج الجسماني
٢٨٠		انتفاء العروج بالكلّي
٢٨٢		أعراض المعصومين مقهورة تحت حكمهم
٢٨٣		مقام القطبية وجمع الجمع
٢٨٦		الكرماني يناقض رأيه

المقالة الثالثة: في مسألة شقّ القمر

٢٩١		الفصل الأول: الخلاف في كيفية شقّ القمر
-----	-------	--

نسبة الإنكار للشيخ الأوحـد	٢٩٢
الفصل الثاني: القمر مادة وصورة	٢٩٤
الفصل الثالث: الحكمة من شق الصورة والنور دون المادة	٢٩٩
اعتراضات متفرقة	٣٠١

المقالة الرابعة: في إبطال القول بوحدة الناطق

الاعتقاد بوحدة الناطق	٣٠٩
الفصل الأول: إثبات معتقد محمد كريم خان	٣١١
تنبيه	٣١٩
الفصل الثاني: الاختبار الإلهي بغيبة الإمام الحجة	٣٢٨
التوقيع المبارك	٣٣٢
الفصل الثالث: فساد نسبة وحدة الناطق إلى الشيخ	٣٣٥
الفصل الرابع: فساد نسبة وحدة الناطق إلى السيد	٣٤٠
الفصل الخامس: مسألة القطب ، الأركان ، النقباء ، والنجباء	٣٥٢
الإمام علة مستقلة في الإيجاد والتوسط	٣٥٩
الفصل السادس: تنفيذ مزاعم كريم خان وابنه في مسألة وحدة الناطق	٣٦١
عود في التحقيق بطور رشيق	٣٦٥
الفصل السابع: إطلاق لفظ الشيعة	٣٧٦
الفصل الثامن: تعدّد الحجج زمن الغيبة	٣٨١
الفصل التاسع: الرجوع إلى الوكلاء والعلماء	٣٨٤

المقالة الخامسة: في العلل الأربع لجميع الأشياء

٣٩١	 الفصل الأول: معنى العلل الأربع
٣٩٥	 الأئمة واسطة وآلة لفعل الله
٣٩٧	 القيام وأقسامه عند الشيخ الأوحـد
٣٩٩	 بيان الذات والصفة واسم الفاعل والفعل
٤٠٣	 الفصل الثاني: تقدّم وجود المعصومين على سائر الأشياء
٤٠٦	 مراد الشيخ الأوحـد بالتسديد
٤١٣	 وجوب التسديد
٤٢٧	 الفصل الثالث: الاختلاف في العلة الفاعلية
٤٣٠	 الفصل الرابع: مقالة الشيخ الأوحـد في العلة الفاعلية
٤٤٣	 الفصل الخامس: مقالة السيد الأمجد في العلة الفاعلية
٤٥٠	 الفصل السادس: بيان الالتباس في العلة الغائية والمادية والصورية
٤٥٤	 إشكال العلة المادية
٤٥٨	 إطلاق لفظ الوجود على الواجب والممكن
٤٦٠	 السلسلة الطولية
٤٦٦	 كلام الشيخ الأوحـد في الرد على ما نُسب إليه
٤٧٢	 الفصل السابع
٤٧٢	 قبول وإنكار ولاية الأئمة عليهم السلام سبب للعلة الصورية

شكر وتقدير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين .

أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير الوافر لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل المبارك الكبير المميز ، وهو إخراج هذا الكتاب الدفاعي العظيم عن الشيخ الأوحد الشيخ أحمد بن الشيخ زين الدين الأحسائي ، أعلى الله مقامه ، لمؤلفه العلامة آية الله المعظم الميرزا موسى الحائري الإحقاقي الأسكوئي ، أعلى الله مقامه ، من صف ومراجعة وتحقيق وغير ذلك .

وأخص بالشكر الأخوة الأعزة الثلاثة :

١ / الأستاذ صالح علي الصالح .

٢ / حيدر عبد الرضا الحرز .

٣ / قاسم عبد المحسن العبد السلام .

والصلاة والسلام على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين .

أخوهم

توفيق ناصر البوعلي